

مشتاق العبران

في شرح البلاغة

مؤلفه

الطباطبائي الحنفی

ابن عثیمین

منشورات

بيروت





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793400

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*



H. Ḥāshimī al-Khuṭṭār

# مِنْهَا حَجَّ الْبَرَائِةُ

فِي شَرْحِ هَجَّ الْبَلَاغَةِ

لِمُؤْلِفِهِ

الْعَالَمُ الْمُحْقُوقُ الْحَاجُ مِيرُ ܚِبْدَلْ ܗ. ܐ. ܗ. ܲ. ܲ. ܲ. ܲ. ܲ. ܲ.

عن بتصحيحه وتقديمه العالم الفاضل: السيد ابراهيم العياني

الطبعة الرابعة

مركز فروش



منشورات قاف المهاجرة

ایران - فتنه

الجزء السادس

الناشر:



مؤسسه احمدی طنزی تهران - ۱۳۶۰  
 تهران، نگارخانه مسعود آزاد ۵۳۲۵۹۹

طبع في المطبعة الاسلامية بطهران

2264

. 1067

. 754

1985

juz' 6

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ  
رَبِّ الْعِزَّةِ مَوْلٰا اُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ

### الفصل السادس

وَاعْمَلُوا أَنْ مَجَازَ كُمَّ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزِيقَ دَخْضِيْهِ ، وَأَهَاوِيلِ  
ذَلِيلِهِ ، وَتَارِاتِ أَهْوَالِهِ ، فَاتَّقُوا اللّٰهَ تَقْيَيْهَ ذِي لُبٍ شَغَلَ التَّفْكِيرَ قُلْبَهُ<sup>(١)</sup>  
وَأَنْصَبَ الْخَوْفَ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ التَّمَجُّدُ غِرَارَ نُوْمِهِ ، وَأَظَاهَ الرَّجَاءَ  
هُوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ الزَّهْدُ شَهْوَاتِهِ ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ ، وَقَدَمَ  
الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضْعِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ  
الْمَسَالِكَ إِلَى التَّهْجِيْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتَلَهُ فَاتِلَاتُ الْفَرُورِ ، وَلَمْ تَقْمَ عَلَيْهِ  
مُشْتَبِهَاتُ الْأَمْوَارِ ، ظَافِرًا بِفَرَحةِ الْبُشْرِيِّ ، وَرَاحَةِ النُّفُعِيِّ ، فِي آنَّمِ

-1- بين هذه القراءن الشتر السبع المتوازي .

نَوْمِهِ، وَآمَنَ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَرَ مَعْبِرَ الْمَاجِلَةِ حَمِيدًا، وَقَدْمَ زَادَ «قَدْمَ خَ» الْأَجْلَةِ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجْلٍ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغَبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قَدْمًا أَمَامَهُ، فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَثَوَالًا (١)، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا، وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِيًّا وَنَصِيرًا، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا، أَوْ صِيكَمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِإِنْذَرَ، وَأَخْتَجَ بِإِنْهَجَ، وَحَذَرَ كُمْ عَدُوًّا نَفَدَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَتَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَسَى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَنَ مُوْيَقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا سَتَدَرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَنَ، وَحَذَرَ مَا آمَنَ «آمَنَ خَ».

### اللغة

(المزالق) جمع المزلق وهو الموضع الذي ينزلق فيه القدم ولا تثبت ومكان (دحـنـ) ويحرـكـ زلقـ وـ (التـارـاتـ) جـمـعـ تـارـةـ وـ هيـ المـرـةـ وـ العـينـ وـ (الـتـصـبـ) التـعـبـ وـ (هـجـدـوـتـهـجـدـ) نـامـ وـهـجـدـ وـتـهـجـدـ سـهـرـ وـاستـيقـظـ فـهـوـمـنـاـضـدـادـ وـ (الـفـرـارـ) بـكـسـرـ الغـيـنـ المعـجمـةـ القـلـيلـ مـنـ النـوـمـ وـ (الـظـمـاءـ) العـطـشـ وـ (الـهـواـجـرـ) جـمـعـ الـهـاجـرـةـ وـ هوـنـصـ النـهـارـعـنـدـ اـشـتـدـادـ الـحرـ يـقالـ أـتـيـناـهـلـنـاـمـهـجـرـينـأـىـسـاـيـرـينـ فـيـ الـهـاجـرـةـ وـ (ظـلـفـ) نـفـسـهـعـنـهـ يـظـلـفـهـاـ مـنـ بـابـ ضـرـبـ مـنـعـهـاـ مـنـ أـنـ تـفـعـلـهـ أوـ تـأـتـيـهـأـوـ كـفـّـهـاـعـنـهـ وـ (أـوـجـفـ) فـيـ سـيـرـهـ أـسـرـعـ وـالـوـجـيفـ ضـرـبـ مـنـ سـيـرـالـاـبـلـ وـالـخـيلـ .

(وـ قـدـمـ الـخـوفـ لـأـمـانـهـ) هـكـذـاـفـيـ نـسـخـتـيـنـ لـلـمـعـتـزـلـيـ وـ الـبـحـارـانـيـ وـ فـيـ بـعـضـ النـسـخـ لـاـبـانـهـ بـالـبـاءـ الـمـوـحـدـةـ المـشـدـدـةـ بـعـدـ الـهـمـزـةـ الـمـكـسـوـرـةـ وـ بـعـدـ الـبـاءـ بـالـنـسـونـ

١- بين هـاـ تـيـنـ الـقـرـيـتـيـنـ حـسـنـ الـمـقـابـلـةـ

قال في القاموس أبْان الشيء بالكسر خينه أو أَوْلَه والأَوْلُ أظهره وأوفق و (نكب) عنه من باب نصر وفرح نكباً ونكوباً عدل كنكب وتنكب ونكبه تنكيباً لازم متعدّ وطريق منكوب على غير قصد .

و (المخالف) المشاغل من خلچ يخلج اي شغل وجذب و (الوضح) محجة الطريق و (قتله) يقتله من باب ضرب لواه وقتل وجهه عنهم صرف و (النسمة) والنسمة الخفيف الدعوة والمال كالنسمة ، وأنعم الله صاحبك من النسمة جعله ذارفاً هيبة و (أكمش) أسرع و (القدم) بالضم وبضمتين والقديمة كالقدم محرّكة السابقة في الأمر و (نفث) ينفث من باب نصر وضرب من النفث وهو كالنفخ ومنه النفاثات في العقد ونفث الشيطان في قلبه ألقاه و (استدرجه) خدعه وأدناه وقرير الشيطان و (قريرنته) التابع لرأيه .

قال الشارح المعتزلي : القرينة هنا الانسان الذي قارنه الشيطان و لفظه لفظ التائنيث و هو مذكر أراد القرین و (غلق) الرحمن من باب فرح اذا استحقه المرتهن وذلك إذا لم يفتلك في الوقت المشروط .

### الاعراب

شهواته منصوب بنزع الخافض ، وأوجف الذكر في كثير من النسخ بنصب الذكر فيكون الباء في قوله بلسانه للاستعارة وفي بعض النسخ بالرفع فيكون الباء زائدة كان المعنى حرك الذكر لسانه مسرعاً ، وقدم الخوف لأمانه الامر للتسليل ، و عن وضح السبيل متعلق بالمخالج ، و حميداً وسعيداً حالان من فاعل عبر و زاد ، قوله : و بادر من وجل ، كلمة تعلييسة كما في قوله مما خطيشاتهم اغرقوا ، و الباء في قوله بالجنة وبالنار وبالله و بالكتاب زائدة ، و ثواباً ونواباً وعقاباً و وبالاً منصوبات على التمييز ، ومنتقماً ونصيراً وحجيجاً وخصيماً منصوبات على الحال .

### المعنى

اعلم أن هذا الفصل متضمن للانذار بالصراط و التحذير من أهواله والأمر

بالتقى تأكيداً لاً وامر السّابقة فأنذر أو لا بالصراط حيث قال ( و اعلموا أن مجازكم على الصراط ) الذي هو جسر جهنم و عليه من جميع الخلاائق حسبما تعرفه تفصيلاً ( و مز الق دحنه وأهاوينه زله ) لكونه أدق من الشعور وأحد من السيف كما يأتي في الأخبار الآتية .

و في النبوي قال عليه السلام: ثلات مواطن لا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أي خف ميزانه أو يشقق ، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أي قع كتابه في يمينه أم شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهر جهنم حتى يجوز . قال الشارح المعتزلي ( وتارات أهواله ) هو كقولك دفعات أهواله وإنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذا استمررت لم يكن في الازعاج والترويع كما يكون إذا طرئت تارة وسكنت تارة .

ثم أمر عليه السلام بـ ملائمة التقى وتحصيله في أقصى مراتب كماله مثل تقى من كمل في مقام العبودية واستجتمع صفات اليمان فقال عليه السلام ( فاتقوا الله عباد الله تقى ذي لب شغل التفكير ) في الله وفي صنعه ( قلبه ) من التسوجة والالتفات إلى الدنيا وأباطيلها ( و أنصب الخوف ) من الله ومن عذابه ( بدنه ) حتى صار ناحل الجسم من ذكر النار وأهاوينها ( واسهر التهجد ) وعبادة الليل ( غرار نومه ) فلم ترك له نوماً حتى كان قائم الليل ( وأنظما الرّجاء ) رجاء ما أعد لأولئك الله ( هواجر يومه ) فأكثر صوماً حتى كان صائم النهار .

ونسبة السهر إلى الغرار والظلماء إلى الهواجر من باب التوسيع والمجاز على حد قولهم : قام ليله و صام نهاره ، فاقيم الظرف مقام المظروف أى أسره . التهجد من غرار نومه و أنظماء الرّجاء في هواجر يومه .

روى في الوسائل عن سهل بن سعد قال : جاء جبرئيل إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله ماشت فانك ميت ، واحبب ماشت فانك مفارقه ، واعمل ماشت فانك تجزى به ، واعلم أن شرف الرجل قيامه بالليل ، وعزه استغناوه عن الناس . و فيه أيضاً عن المفيد في المقنعة قال : روى أن صلاة الليل تدر الرّزق

وتحسن الوجه وترضى الرّبّ وتنفي السيّئات .

قال : وقال رسول الله ﷺ : إِذَا قَامَ الْعَبْدُ مِنْ لَذِيذِ مَضْجُعِهِ وَالنَّعَاسِ فِي عَيْنِيهِ لِيَرْضِيَ رَبَّهُ بِصَلَةِ لَيْلَهُ بِاهْبَاهِ اللَّهِ بِهِ الْمَلَائِكَةِ وَقَالَ تَعَالَى : اشْهُدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ

قال : وقال : كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَصْلِيَ بِاللَّيْلِ وَيَجْوَعُ بِالنَّهَارِ .

وقال ﷺ : إِنَّ الْبَيْوَتَ الَّتِي تَصْلِي فِيهَا بِاللَّيْلِ وَبِتَلَوَةِ الْقُرْآنِ تَضَيِّعُ أَهْلَ السَّمَاءِ كَمَا تَضَيِّعُ نَجْوَمُ السَّمَاءِ أَهْلَ الْأَرْضِ .

وفيه أيضاً عن جعفر بن محمد عَلِيَّ الْقَلَافِيِّ قال : المال و البنون زينة الحياة الدّنيا ، وثمان ركعات في آخر اللّيل والوتر زينة الآخرة ، ويأتي أخبار اخر في هذا المعنى إنشاء الله في شرح المختار المأة والثانية والثمانين ( وظلف الزّهد ) في الدنيا ( شهواته ) وكفه منها ( وأوجف ) إلى ( الذّكر بلسانه ) ولم يبطئ فيه أو أسرع الذّكر لسانه فلم يسكت عنه قال تعالى :

« وَإِذْ كُرُّ رَبَّكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهَرِ مِنَ القَوْلِ بِالْمُدُوْرِ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ». »

( وقدم الخوف ) من الله ( الأمانه ) أى ليأمن به من عذابه الأليم ( و نكب المخالف عن وضح السبيل ) أى نحاه الشواغل و الصوارف عن صراطه المستقيم ( و سلك أقصد المسالك ) و أعدلها ( إلى النهج المطلوب ) الذي هو منهج الشرع القوي ( ولم تقتله فاتلات الغرور ) من الاتيان بالطاعات ( ولم تعم عليه مشتبهات الأمور ) فيقتحم في الهلاكات ( ظافراً بفرحة البشرى وراحة النعمى ) أى مستبشراً بخطاب بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومستريحًا بسعة العيشة ولذة النعمة في دار القرار ( في أنعم نومه وآمن يومه ) أى في أطيب راحته وآمن أوقاته واطلاق اسم النّوم على الرّاحة من باب اطلاق اسم الملزم على اللازم وإلى الآء من والاستراحة أُشير في الآية قال سبحانه :

« إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ أُدْخُلُهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِيَّاً لَا يَمْسِيُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجٍ »

أى يقال لهم ادخلوا الجنّات بسلامة من الآفات وبرائة من المكاره والمضرات آمنين من الارχاج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها ( قد عبر عبر العاجلة حميداً وقد زاد الآجلة سعيداً ) أى جاز مجاز الدّنيا العاجلة حميداً في فعاله ، وقدم الزاد الآخرة سعيداً في أحواله .

والمقصود بذلك أنه زهد في الدّنيا فترك العيش العاجل ورغب في الآخرة فنال الثواب الأجل ( وبادر من وجل واكمش في مهل ) يعني عَلَيْهِمْ بادر إلى الطاعات من أجل الخوف من العقوبة وأسرع إلى العبادات في أيام الرّفق والمهلة ( ورغب في طلب وذهب عن هرب ) أى كان طلبه للحق وسعيه إليه عن شوق ورغبة، وذهابه عن الباطل وبعده عنه عن خوف ورّهبة .

قال المحقق الطوسي في محكمة كلامه عن أوصاف الشراف في تفسير الرّهبة : هو تألم النفس من العقاب بسبب ارتکاب المنهيات و التّقمير في الطاعات كما في أكثر الخلق ، وقد يحصل بمعرفة عظمة الحق ومشاهدة هيئته كما في الأنبياء و الأولياء .

وفرق بعض العارفين بين الخوف والرّهبة فقال : الخوف هو توقع الوعيد وهو سوط الله يقوم به الشّاردين عن بابه ويسمى بهم على صراطه حتى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشدته ، و من علامته قصر الْأَمْل وطول البكاء ، و الرّهبة هي انصباب إلى وجة الهرب بل هي الهرب رهبة و هرب مثل جبز وجذب ، فصاحبها يهرب أبداً لتتوقع العقوبة و من علاماتها حركة القلب إلى الانقباض من داخل و هربه و ازعاجه عن انبساطه حتى أنه يكاد أن يبلغ الرّهابة في الباطن مع

ظهور الكمد (١) والكابة على الظاهر انتهى .

والرّهابة كصحابة عظم في الصدر مشرف على البطن (وراقب في يومه غده ونظر قدماً أمامه) أى لاحظ في دنياه آخرته فادخر لها ونظر في سابقة أمره إلى ما بين يديه ولم يلتفت إلى غيره .

ثم قال ﷺ (فكفى بالجنة ثواباً و نوالاً) وهو ترغيب إلى السعي إليها (وكفى بالنار عقاباً وبالآخرة) وهو تحذيه على وجوب الهرب منها (وكفى بالله منتقماً ونصيراً) وهو إشارة إلى لزوم قصر الخشية والاستعاة عليه سبحانه (وكفى بالكتاب حجيجاً و خصيماً) أى كفى كتاب الله محاججاً و مخاصماً ، وهو إشارة إلى وجوب تعليم القرآن وتعلمه وإكرامه وخرمة إضاعته وإهانته .

قال الشارح البحرياني ونسب الاحتجاج والخصام إلى الكتاب مجازاً .  
أقول: بل هو حقيقة إذ المستفاد من الآية خبار أنه يؤتي به يوم القيمة في صورة إنسان فيكون بنفسه حجيجاً خصيماً .

فقد روى في الوسائل عن محمد بن يعقوب الكليني معنعاً عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ياسعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيمة في أحسن صورة نظر إليها الخلق «إلى أن قال» حتى ينتهي إلى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط واسفع تشفع كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يارب منهم من صانني وحافظ عليّ ، ومنهم من ضيعني واستخف بي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلفك ، فيقول الله عز وجل: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لا تُثبنّ اليوم عليك أحسن الشواب ، ولا عاقben عليك اليوم أليم العقاب الحديث.

و باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : يجيء القرآن يوم القيمة في أحسن منظور إليه صورة «إلى أن قال» حتى ينتهي إلى رب العزة فيقول : يارب فلان بن فلان أظلمات هو أجره وأسهرت ليته في دار الدّنيا ، و فلان بن فلان لم

اظم هو اجره ولم اشهر ليله ، فيقول تبارك و تعالى : ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن : أقر موافقه ، قال عليه السلام : فيقره ويرقاحتى بلغ كلّ رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية في المقام و الز يادة على ذلك تطلب في شرح الماء و الخامسة و السبعين ، و نروى تمام روایة الخفاف السالفة هناك إنشاء الله من أصل كتاب الكليني

ثم عاد عليه السلام إلى الحث على التقوى أيضاً بقوله ( أوصيكم باتقوى الله الذي أعذر بما أندر ) أى أزال العذر عنه بما أندركم به من العقوبات ( واحتج بما نهج ) أى أقام الحجّة عليكم بما أوضحه لكم من الأدلة والآيات ( وحدّركم عدوًّا أنفذ في الصدور خفيًا ونفث في الآذان نجيحاً ) أراد به تحذير الله سبحانه و تعالى في غير واحدة من آيات كتابه الكريم من عدوة الشيطان اللعين كما قال في سورة البقرة

« وَلَا تَتَّبِعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » وفي سورة

يوسف : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » وفي سورة يس :

« أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »

إلى غير ذلك و توصيفه بالتفوذه في الصدور والنفث في الاذان إشارة إلى أنه ليس مثل سائر الأعداء يرى بالأمسار و يدرك بالعيان ، بل هو عدو ينفذ في القلوب و يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق ، و يلقى في الآذان زخرف القول و غروره ، ويمكن أن يراد بالعدو الأعم من شيطان الجن و الانس فيكون الوصف بالتفوذه بالنظر إلى شيطان الجن ، والوصف بالنفث بالنظر إلى شيطان الانس كما قال سبحانه و تعالى

« مِنْ شَرِّ الْوَسَاسِ الْخَنَاسِ الَّذِي يُوَسُّ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ

الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ »

قال المفسّر أى من شرّ ذي الوساس الذي يوسع في الصدور ، ثم فسره بقوله

من الجنة والناس كما يقال نعود بالله من شر كل ماره من الجن والانس ، وعلى هذا فيكون وسواس الجنّة هو وسواس الشّيطان ، وسواس الانس إغواه من يغويه من الناس ، فشيطان الجن يوسموس وشيطان الانس يأتي علانية ويرى أنه ينصح وقاصده الشر ويموه ويلقى في سمعه زخرف القول الذى يستحسن ظاهره ويقبح باطنـه .

( فأضل وأردى ووعد فمني ) أى أضل بنفوذه في الصدور ووسوسته في القلوب  
عن طريق الهدایة وأوقع في أودية ال�لاكة أعني هلاكة الآخرة الموجبة لاستحقاق  
النار و لغصب الجبار و وعدهم بمواعيد الكاذبة و منا هم الأئماني الباطلة كما  
قال سیحانی :

« وَمَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا  
يَعْدُهُمْ وَيُنَهِّيُّمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أَوْ لَئِكَ مَأْوِيهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا  
يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ».

أي يمنّهم الأَهْواء الباطلة ويلقيها في قلب الإنسان فيمُنّيه طول البقاء وأنه ينال من الدّنيا مقصوده ويستولى على أعدائه ويوقع في نفسه أنَّ الدّنيا دول فربما تيسّرت لي كما تيسّرت لغيري ، ويشوّش بذلك فكره في استخراج الحيل الدّقيقة والوسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشّهويّة والغضبيّة ، فيصدُّه عن الطاعة ويوقعه في المعصية وتسويف التّوبّة .

و هذه الأُماني إنما تنشأ من الثقة بقوله والوثوق بوعده ، و عده تارة يكون بالقاء الخواطر الفاسدة وأخرى بأسنة أوليائه من شياطين الانس ، فربما يعذ بالمحفرة مع الكبيرة كما قال تعالى : يأخذون عرض هذا الأُدنى و يقولون سيغفر لنا ، وربما يعذ أَنْه لا قيمة ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ويقول للإنسان اجتهد في استيفاء الّذات العاجلة واغتنم الحياة الـ " أئلة .

(وزين سينات الجرائم وهو نموذج العظام) أي زين في نظر الانسان

فبایح المعاصي وهو نمث مهلكات الكبار ومنشأ تزيينه للسيئات كتهوينه الموبقات  
أيضاً مواعيده الكاذبة وأمانيه الباطلة فما لم يتحقق بقوله ولا يطمئن بوعده لا يهون  
الإنسان ماهون ، ولا يميل إلى ما زين .

توضيح ذلك وتحقيقه أنّ مقصود الشّيطان هو التّرغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتنفيذ عن اعتقاد الحقّ وعمل الحقّ ، و معلوم أنّ التّرغيب في الشّيء لا يمكن إلّا بان يقرّ عنده أنه لا مضرّة في فعله ، ومع ذلك فانه يفيد المنافع العظيمة والتنفيذ عن الشّيء لا يمكن إلّا بان يقرّ عنده أنه لا فائدة في فعله ومع ذلك فيفيد المضار العظيمة .

إذا ثبت هذا فنقول إنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا دَعَا إِلَى الْمُعَاصِي فَلَا بَدْرَأَهُ وَأَنْ يَقْرَأَهُ لَا  
أَنْهَ لَا مَضَرَّةَ فِي فَعْلِهِ الْبَتَّةَ، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا إِذَا قَالَ لَا مَعَادٌ وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ  
وَلَا حَيَاةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَهَذَا الطَّرِيقُ يَقْرَرُ عِنْدَهُ أَنَّهَ لَا مَضَرَّةَ الْبَتَّةَ فِي فَعْلِ  
هَذِهِ الْمُعَاصِي وَإِذَا فَرَغَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ فَرَرَ عِنْدَهُ وَزَيَّنَ فِي نَظَرِهِ أَنَّ هَذَا الْفَعْلُ  
يُفَيِّدُ أَنْوَاعًا مِنَ الْلَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَلَا حَيَاةً لِلْإِنْسَانِ إِلَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَتَفَوَّتْهَا  
غَيْرُهُنَّ وَحَسْرَةً .

وأماماً طریق التّنفیر عن الطاعات فهو أن يقرّ رأوا لا عنده أنه لا فایدة فيها من وجہین الاول أنه لاجنة ولانا رولا ثواب ولا عقاب والثانی أنه هذه العبادات لا فائدة فيها للعبد ولا للمعبدوفكانت عبثاً محضاً، و إذا فرغ من هذا المقام قال: إنها توجب التّعب والمحنة وذلك أعظم المضار فهذه مجتمع تلبیس إبليس وتوضیح وعده وأمانیه وتزیینه وتهوینه .

(حتى إذا استدرج قرينته واستغلق رهينته) أى إذا خدع قرينه وتابعه بتزيين الباطل في نظره وتنفيه عن الحق وأوقعه في الغلق بالذنبوب التي اكتسبها كالرّهن المغلق في مقابل المال (أنكر ما زين واستعظام ما هون وحدّر ما آمن) كمالاً سبحانه في سورة الأనفال :

«وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَغَاٰلِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ

الناسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتَنَ نَكَصَ عَلَى عَقِبِيهِ وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ »

قال الطبرسي : أى اذ كررا زين الشيطان للمشركين أعمالهم أى أحسنها في نفوسهم و ذلك أن إبليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ ، و قال : لا يغلبكم أحد من الناس لكثرته عددكم و فوقكم وإلى مع ذلك جار لكم أى ناصر لكم ودافعا عنكم السوء ، وإنني عاقد لكم عقد الامان من عدوكم ، فلما التقى الفرقان نكص على عقيبه ، أى رجع الفهقرى منهراً وراءه ، وقال : إنني بريء منكم ، أى رجعت عصا ضمانت لكم من الأمان والسلامة لأنني أرى من الملائكة الذين جاؤوا النصر المسلمين ملا ترون ، وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه ، إنني أخاف الله ، أى أخاف عذاب الله على أيدي من أرائهم ، والله شديد العقاب ، لا يطاق عقابه وفي سورة العشر :

« كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكُفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُ أَنَّهَا فِي النَّارِ خَالِدَةٍ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ». »

أى مثل المنافقين في إغراء اليهود أى بنى النّصیر للقتال كمثل الشّيطان في إغراءه للإنسان ، فإنه أبداً يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة مخافة أن يشاركه في العذاب ويقول : إنني أخاف أشرف العالمين ، ولا ينفعه ذلك كما قال : فكان عاقبتهما أى الدّاعي والمدعو من الشّيطان ومن أغواه ، أئتما معدّان في النار .

قال ابن عباس : إن المراد بالإنسان في هذه الآية هو عابد بنى إسرائيل قال : إنه كان في بنى إسرائيل عابده باسمه برصيم عبد الله زمان مأمن الدّهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويمهم ويعوّذهم فيبرؤون على يده ، وأنه أتى بأمرأة في شرف قد جنت و كان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشّيطان يزيّن له حتى وقع عليها فحملت ، فلما

استبان حملها قتلها ودفنتها ، فلما فعل ذلك ذهب الشّيّطان حتّى لقى أحد إخوتها فأخبره بالذّي فعل الرّّاهب وأنّه دفنتها في مكان كذا .

ثمّ أتى بقيّة إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرّّجل يلقى أخيه فيقول والله لقد أثاني آت فذكر لي شيئاً يكبير على ذكره ، فذكر بعضهم البعض حتّى بلغ ذلك ملكهم فصار الملك والنّاس ، فاستنزلوه فأقرّ لهم بالذّي فعل فأمر الملك به فصلب ، فلما رأفع على خشنته تمثّل له الشّيّطان فقال : أنا الذي أقيّتك في هذا فهل أنت مطبيعي فيما أقول أخلصك مما أنت فيه ؟ قال : نعم ، قال : اسجد لي سجدة واحدة ، فقال : كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة ؟ فقال : أكتفي بذلك بالآيماء ، فأوّمِي له بالمسجود فكفر بالله وقتل الرّّجل ، فهو قوله : كمثل الشّيّطان إذ قال للإنسان اكفر .

اللّهم إنا ننحوذ بك من خداع إبليس ومن شرور الأنفس ومن سوء الخاتمة .

تنبيهات ثلاثة متضمنة ل لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل

## الأول

في تحقيق الصراط و بيانه

فأقول : إنّ الصراط مما يجب الایمان به وهو من جملة ضروريات الدين وهو جسر جهنّم .

قال الصدوق (ره) في محكّي كلامه عن اعتقاداته : اعتقادنا في الصراط أنه حقّ وأنه جسر جهنّم وأنّ عليه مرّ جميع الخلق قال الله تعالى :

« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّى مَقْضِيًّا »

قال (ره) : و الصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدّنيا وأطاعهم

أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم قال (ره) وقال رسول الله ﷺ :  
لعلك يا علي إذا كان يوم القيمة أقعد أنا وأنت وجبريل على الصراط ولا  
يجوز على الصراط أحد إلا من كان معه برائة بولaitk و قال المفید «ره»: الصراط بمعنى  
الطريق ولذلك يقال على ولاية أمير المؤمنين و الآئمة من ذريتهم كعثیل : الصراط ،  
لكونها طريق النجاة .

أقول : الصراط بهذين المعنين مما اشير إليه في غير واحد من الأخبار ،  
ففي الصافي والبحار من معانٍ الآخبار وتفسير الإمام عثیل في تفسير قوله :

**«إِهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ».**

عن الصادق عثیل يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتكم و المبلغ إلى  
جنتكم والمانع من أن تتبع أهوائنا فنعطيك أوأن نأخذ بأرائنا فنهلك .

وعنه أيضاً هي الطريق إلى معرفة الله وهم صراطان صراط في الدنيا وصراط  
في الآخرة، فاما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا  
واقتدى بهداه من على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في  
الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم ، و في رواية نحن  
الصراط المستقيم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي عن حفص بن غياث قال : وصف أبو عبد الله  
عثیل الصراط فقال : ألف سنة صعود و ألف سنة هبوط وألف سنة حذال .

وفيه عن سعد بن مسلم عن أبي عبد الله عثیل قال : سأله عن الصراط فقال :  
هو أدق من الشعر وأحد من السيف ، فمنهم من يمر عليه مثل البرق ، و منهم  
من يمر عليه مثل الفرس ، و منهم من يمر عليه ما شيا ، و منهم من يمر عليه  
حبوا (١) ، و منهم من يمر عليه متعلقا فتأخذ النار بعضه و تترك بعضه .

وفيه قال : حدثني أبي عن عمر بن عثمان عن جابر عن أبي جعفر عثیل قال :  
لما نزلت هذه الآية :

١- حبا الصبي يحيى إذا مشى على أربع، منه

« وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ». .

سئل عن رسول الله فقال عليه السلام أخبرني الروح الأمين أنَّ الله لا إله غيره إذا برب الخلاق وجمع الأَولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مائة ألف ملك تقودها من الغلاظ الشداد لها هدة وغضب وزفير وشهيق وأنها لتزفر الزفة فلو لا أنَّ الله أخرهم للحساب لا هلكت الجميع ، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلافة البر و الفاجر مخلوق الله عباداً من عباد الله ملكاً و لا نبياً إلا ينادي ربّي نفسي وأنت يا نبي الله تنادي أمتي ، ثم يوضع عليها الصراط أدق من حد السيف عليها ثلات قناطر فأماماً واحدة فعليها الأمانة و الرحمة ، والثانية فعليها الصلاة ، والثالثة فعليها رب العالمين (١) لا إله غيره فيكلفون بالممر عليها فيحبسهم الرحمة والأمانة فان نجوا منها حبسهم الصلاة ، فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين وهو قوله :

« إِنَّ رَبَّكَ لَيَأْمِرُ صَادِ ». .

والناس على الصراط فمتعلّق بيده وتنزل قدم و تستمسك بالقدم والملائكة حولها ينادون حولها يا حليم اعف و اصفح وعد بفضلك و سلم سلم والناس يتهاقرون في النار كالفراش فيها فإذا نجى ناج برحمته الله من بها فقال: الحمد لله و بنعمته تتم الصالحات وتزكى الجسنهات و الحمد لله الذي نجاني منك بعد ايام بمنتهي وفضله إن

١- يعني عدالة رب العالمين قال المحدث المجلسي في كتاب حق اليقين بعد رواية هذا الحديث : يمكن أن يكون الأمانة في الاموال والعدل في المظالم الآخر ، أو يمكن الأمانة في حق الله و العدل في حق الناس ، ولا يبعد أن يكون المراد بالرحمة رحم آل محمد وبالأمانة عدم التخيانة في عهدهم و بيعتهم ، ولذلك قدمت على الصلاة ، ثم قال : ولم يذكر عقبة الولادية في هذه الرواية و هي من أعظم المقربات و يمكن أن يقال ان هذه القبابات بالنسبة الى المؤمنين وأما المشركون و المنافقون فيكتبون جهنم في أول الصراط أو يدخلونها قبل الصراط، انتهى كلامه رفع مقامة .

ربنا لغفور شكور .

وفى غاية المرام للسيد هاشم البحراني من طريق العامة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا كان يوم القيمة أمر الله مالكا أن يسعن النيران السابع و أمر رضوان أن يزخرف الجنان الشمان ويقول : يا هيكليل مدّ الصراط على متن جهنم ويقول : يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادى يا محمد : قرب أمتك للحساب .

ثم يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطرة سبع عشر ألف فرسخ ، وعلى كل قنطرة سبعون ألف ملك قيام فيسألون هذه الأمة نسائهم و رجالهم على القنطرة الأولى عن ولادة أمير المؤمنين عليهما و حبّ أهل بيته عليهما بمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف و من لم يحبّ أهل بيته عليهما بمن أتى به سقط على أم رأسه على قعر جهنم ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صدقاً .

وعلى القنطرة الثانية فيسألون عن الصلاة، وعلى الثالثة يسألون عن الزكاة، وعلى الرابعة عن الصيام، وعلى الخامسة عن الحجّ، وعلى السادسة عن الجهاد، وعلى السابعة عن العدل فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذاب قوله تعالى «وَقُوْهُمْ أَنْهُمْ مَسْؤُلُون» يعني معاشر الملائكة فهوهم يعني العباد على القنطرة الأولى أنهم مسؤولون عن ولادة على عليهما وحبّ أهل البيت عليهما .

وفي البحار من تفسير الإمام عليهما المفسر بسانده إلى أبي محمد العسكري عليهما في قوله :

**«إِهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» .**

قال : ألم لناتوفيتك الذي به أطعناك في مضي أيامنا حتى نطيك كذلك في مستقبل أعمارنا ، والصراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو و ارتفع عن التقسيم واستقام فلم يعدل

إلى شيء من الباطل وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة.

### الثاني

في تحقيق الذكر و المستفاد من قوله عليه السلام: وَأَوْ جَفَ الذِّكْرَ بِلِسَانِهِ  
الْحَثُ وَالْتَّرْغِيبُ عَلَيْهِ

فأقول إنّ ذكر الله عزّ وجلّ على أقسام الـأول أن يذكره تعالى عند إرادة المعصية التي يريد ارتكابها فيترکها له الثاني ذكره عند الطاعة فيسهل عليه مشقة العبادة الثالث ذكره عند الرفاهية والنعمـة فيذکرـه ويؤدي شـکرـه الرابع ذـکرـه عند الابتلاء والمحنة فيتضرـع له لصرف البلاء والصـبر عليه الخامس ذـکرـه بالقلب بأن يتفـکـر في صفاتـه الجـلـالية ونـعـوتـه الجـمـالية وغـيرـها من العـلـومـ وـمـعـارـفـ الحـقـةـ السادس الذـکـرـ بالـلـسانـ بـأـنـ يـسـبـحـ لـهـ وـيـقـدـسـهـ وـيـمـجـدـهـ وـيـشـفـلـ بـذـکـرـ فـضـائـلـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـتـعـلـيمـ الـقـرـآنـ وـتـدـرـيـسـ الـعـلـومـ الشـرـعـيـةـ وـأـنـحـائـهـ .

وـكـلـ ذـلـكـ مـمـاـ وـرـدـ الـحـثـ عـلـيـهـ فـيـ الـأـخـبـارـ وـالـآـيـاتـ

قال سبحانه: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لِهِ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ رِجَالٌ لَا تُنْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا يَبْغِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكُوْنَ يَخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» . وقال أيضاً: «فَإِذْ كُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» . وقال: «وَإِذْ كُرِّرَ بَكَ فِي تَفْسِيكَ تَضَرُّعًا وَخِفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَاغِلِينَ» .

قال الطبرسي<sup>رحمه الله</sup> (ره) هو عام في الأذكار وقرأة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وتضرعاً وخيفة أى متضرعاً وخيالاً، دون الجهر من القول، أى ومتكلماً كلاماً دون الجهر، لأنّ الاحفاء أدخل في الاخلاص وأبعد من الريّا وأقرب إلى القبول و في الكافي و عدّة الداعي لأحمد بن فهد الحلي عن النبي ﷺ قال : مكتوب في التوراة التي لم تغير أنّ موسى سأله<sup>عليه السلام</sup> : يارب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى أناجليس من ذكرني ، فقال موسى : فمن في سترك يوم لاستر إلا سترك ؟ فقال تعالى : الذين يذكرونني فأذكريهم ويتحابون لي فاحبهم فالذين إذا أردت أن أصيّب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم . و في عدّة الداعي عن النبي ﷺ ما جلس قوم يذكرون الله إلا قعد معهم عدّة من الملائكة .

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكرو الله ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيمة ، ثم قال : قال أبو جعفر عليه السلام إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدوّنا من ذكر الشيطان . و روى الحسن بن الحسن الدّيلمي عن النبي ﷺ أنّ الملائكة يمرّون على حلق الذّكر فيقومون على رؤوسهم ويبيكون لمكائهم ويؤمنون لدعائهم ، فإذا صعدوا إلى السماء يقول الله تعالى : يا ملائكتي أين كنتم ؟ وهو أعلم ، فيقولون : يا ربنا إنا حضنا مجلساً من مجالس الذّكر فرأينا أقواماً يسبّحونك و يمجّدونك و يقدّسونك ويحافظون نارك ، فيقول الله سبحانه : يا ملائكتي أذودهاعنهم وأشهدكم أنّي قد غفرت لهم وأمنتهم مما يخافون ، فيقولون : ربنا إنا فيهم فلانا وإنّه لم يذكرك فيقول تعالى : قد غفرت له بمجالسته لهم ، الحديث . و عنه أيضاً من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهن كتب الله له ألف حسنة و يغفر الله له يوم القيمة مغفرة لم تخطر على قلب بشر . وفي عدّة الداعي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ موسى عليه السلام انطلق ينظر إلى أعمال

العباد فأتي رجلاً من عبد الناس فلما أمسى حرّك الرجل شجرة إلى جنبه فإذا فيه رمانتان قال : يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا هبنا منذ ما شاء الله ما أجد في هذه الشّجرة إلا رمانة واحدة ولو لأنك عبد صالح ما وجدت رمانتين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران .

قال : فلما أصبح قال تعلم أحداً أعبد منه ؟ قال : نعم فلان الفلانى ، قال : فانطلق إليه فإذا هو عبد منه كثيراً فلما أمسى أُوتى برغيفين وماء فقال : يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا هبنا منذ ما شاء الله وما أُوتى إلا برغيف واحد ولو لأنك عبد صالح ما أُوتى برغيفين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران .

ثم قال موسى : هل تعلم أحداً أعبد منه ؟ قال : نعم فلان الحداد في مدينة كذا وكذا ، قال : فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب العبادة بل إنما هو ذاكر الله تعالى وإذا دخل وقت الصلاة قام فصلّى فلما أمسى نظر إلى غلته فوجدها قد اضفت قال يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا هبنا منذ ما شاء الله غلتي قرب بعضها من بعض والليلة قد اضفت فمن أنت ؟ قال : أنا رجل أسكن في أرض موسى بن عمران .

قال : فأخذ ثلث غلته فتصدق بها ، وثلثاً أعطى مولى له ، وثلثاً اشتري له طعاماً فأكل هو وموسى ، قال : فتبسم موسى عليه فقال : من أى شيء تبسمت ؟ قال : دلنينبي بنى إسرائيل على فلان فوجدته من عبد الخلق فدلني على فلان فوجدته عبد منه فدلني فلان عليك وزعم أنك عبد منه ولست أراك شبه القوم .

قال : أنا رجل مملوك أليس تراني ذاكر الله تعالى أليس تراني أصلى الصلاة لوقتها وإن أقبلت إلى الصلاة أضررت بغلة مولاي وأضررت بعمل الناس أتريد أن تأتى بلادك ؟ قال : نعم .

قال فمررت به سحابة فقال الحمد لله ياسحابة تعالى ، قال : فجأته ، قال : أين تريدين ؟ فقالت : أريد كذا وكذا ، قال : انصرف في ثم مرت به أخرى قال : يا سحابة تعالى فجأته فقال : أين تريدين ؟ فقالت أريد أرض ارك ، قال : انصرف في ثم مرت به أخرى قال : ياسحابة تعالى فجأته فقال أين تريدين ؟ قالت أريد أرض موسى بن

عمران قال : تعالى و احملي هذا حمل دقيق وضعيفه في أرض موسى بن عمران  
وضعاً دقيقاً .

قال فلما بلغ موسى عليه السلام بلاده قال : ياربّ بما بلغت هذا ما أرى ؟ قال  
تعالى : إنّ عبدي هذا يصبر على بلائي ويرضى بقضاءي ، ويشكّر على نعمائي .  
وفي البحار من تفسير الاجام عليه السلام قال : قال رسول الله عليه وآله وسليمه : الا فاذكرروا  
يا امة محمدأ وآلـه عند نوابـكم و شدائـكم لينصرـن الله بهم ملائـكتـكم على  
الشـياطـين الـذـين يـقـصـدـونـكـمـ ، فـانـ كـلـ واحدـ منـكـمـ معـهـ مـلـكـ عنـ يـمـينـهـ يـكـتبـ  
حسـنـاتـهـ وـمـلـكـ عنـ يـسـارـهـ يـكـتبـ سـيـئـاتـهـ ، وـمـعـهـ شـيـطـانـانـ منـ عـنـدـ إـبـلـيسـ يـغـوـيـانـهـ .

فـاذـ وـسـوـسـاـ فـيـ قـلـبـهـ ذـكـرـ اللهـ وـ قـالـ : لاـحـولـ وـلاـ قـوـةـ إـلـاـ باـلـهـ الـعـلـيـ العـظـيمـ  
وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ حـبـسـ الشـيـطـانـانـ ثـمـ صـارـاـ إـلـىـ إـبـلـيسـ فـشـكـواـهـ وـقـالـاـ لـهـ : قدـ  
أـعـيـانـاـ أـمـرـهـ فـامـدـدـنـاـ بـالـمـرـدـةـ وـلـاـيـزـالـ يـمـدـ هـمـاـ حـتـىـ يـمـدـ هـمـاـ بـالـفـ مـارـدـ فـيـأـتـونـهـ فـكـلـماـ  
رـامـوهـ ذـكـرـ اللهـ وـصـلـىـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـيـبـينـ لـمـ يـجـدـواـ عـلـيـهـ طـرـيقـاـ وـلاـ مـنـفـداـ .

قالـواـ لـإـبـلـيسـ لـيـسـ لـهـ غـيـرـكـ تـبـاـشـرـ بـجـنـودـكـ فـتـغـلـبـهـ فـتـغـوـيـهـ فـيـقـصـدـ إـبـلـيسـ  
بـجـنـودـهـ ، فـيـقـولـ اللهـ تـبارـكـ وـ تعـالـىـ لـلـمـلـائـكـةـ : هـذـاـ إـبـلـيسـ قـدـ قـصـدـ عـبـديـ فـلـانـاـ ،  
أـوـ أـمـيـتـيـ فـلـانـةـ بـجـنـودـهـ أـلـاـ فـقـاتـلـوـهـ ، فـيـقـاتـلـوـهـ باـزـاءـ كـلـ شـيـطـانـ رـجـيمـ هـنـهـ مـأـةـ أـلـفـ  
مـلـكـ وـهـمـ عـلـىـ اـفـرـاسـ مـنـ نـارـ بـأـيـدـيـهـمـ سـيـوـفـ مـنـ نـارـ وـقـسـيـ وـنـشـاشـيـبـ (١)  
وـسـكـاكـينـ وـأـسـلـاحـتـهـمـ مـنـ نـارـ .

فـلـاـ يـزـ اللـونـ يـجـرـ حـوـنـهـ وـ يـقـتـلـوـنـهـ بـهـاـ وـيـأـسـرـوـنـ إـبـلـيسـ فـيـضـعـونـ عـلـيـهـ تـلـكـ  
الـأـسـلـحـةـ فـيـقـولـ : يـارـبـ وـعـدـكـ وـعـدـكـ قـدـ أـجـلـتـنـيـ إـلـىـ يـوـمـ الـوقـتـ الـمـعـلـومـ ، فـيـقـولـ اللهـ  
تـبـارـكـ وـ تعـالـىـ لـلـمـلـائـكـةـ : وـعـدـتـهـ أـنـ لـاـ أـمـيـتـهـ وـلـمـ أـعـدـهـ أـنـ لـاـ أـسـلـطـ عـلـيـهـ السـلـاحـ  
وـالـعـذـابـ وـالـآـلـامـ اـشـتـقـواـ هـنـهـ ضـرـبـاـ بـأـسـلـاحـتـكـمـ فـانـيـ لـاـ أـمـيـتـهـ فـيـسـخـنـوـنـهـ  
بـالـجـرـاحـاتـ ثـمـ يـدـعـونـهـ ، فـلـاـ يـزـ الـسـخـينـ الـعـيـنـ (٢)ـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـأـوـلـادـ الـمـقـتـولـينـ

(١) جـمـعـ النـاشـبـ بـالـضـمـ وـالـشـدـيدـ وـهـوـالـبـلـ

(٢) اي باكي العين .

المقتلين (١) ولا يندمل شيء من جراحاته ، إلا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم فان بقى هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصلوة على محمد وآلله بقى إبليس على تلك الجراحات ، فان زال العبد عن ذلك و انهمك في مخالفته عز وجل ومعاصيه اندملت جراحات إبليس ثم قوى على ذلك العبد حتى يلجمه و يسرج على ظهره ويركبه ثم ينزل عنه ويركب ظهره شيطاناً من شياطينه ويقول لا لصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذلة وانقاد لنا الآن حتى صار يركبه هذا ثم قال رسول الله ﷺ فان أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره والصلوة على محمد وآلله ، وإن زلت عن ذلك كنت اسراه إبليس فيركب أفقستكم (٢) بعض مردته هذا ، والله المستعان وبه الاعتصام في النجاة هن حكايد الشيطان .

### الثالث

في تحقيق معنى الرجاء والخوف على في مشرح البحراني أخذ أمني أحياء العلوم  
لابي حامد الغزالى بتغيير وتصريف يسير

فاعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وحالات الطالبين ، وهو ارتياح النفس لانتظار ما هو محظوظ عندها فهو حالة لها قصدر عن علم وتقضي عملاً بيان ذلك أن ما يتصوره النفس من محظوظ أو مكره فاما أن يكون موجوداً في الماضي أو في الحال أو يوجد في الاستقبال ، والأول يسمى ذكرأ وتذكيراً ، والثانى يسمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك ، والثالث وهو أن يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق يسمى ذلك انتظاراً

(١) المقتلين من باب الافعال اي المعرضين للقتل أو التفعيل لبيان كثرة مقتولهم قال الجوهري اقتلن فلاناً عرضته للقتل وقتلوا تقبلاً شد للكثرة (بعار)

(٢) جمع ثقا (منه)

وتوقعًا ، فان كان مكروهاً حدث منه في القلب تألم يسمى خوفاً وشقاً ، و إن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس وارتياح باختصار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاءً .

ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب ، فان كان توقعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاطلاق اسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء ، و إن كانت الأسباب غير معلومة الوجود ولا معلومة العدم فاسم التمني أصدق على انتظاره فإذا عرفت ذلك فاعلم أن أرباب القلوب والعرفان قد علموا أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فالقلب كالارض والبذر هو اليمان والمعارف الاليمية وتاثير القلب بالمواعظ والنصائح والاتيان بالطاعات جار مجرى تقليل الأرض واصلاحها ومجرى سياق الماء إليها واعدادها للنزراعة .

والقلب المستغرق بحب الدنيا والميل إليها كالأرض الصلبة أو السبخة التي لا تقبل الزرع والابنات ولا ينمو فيها البذر لصلب الأرض أو لمخالطة الأجزاء الملحية، ويوم القيمة يوم الحصاد ولا حصاد إلاّ من زرع ، ولا زرع إلاّ من بذر و كما لا ينفع الزرع في أرض صلبة سبخة كذلك لا ينفع إيمان مع حبّ القلب وقساؤته وسوء الأخلاق .

فينبغي أن يقاس رجاء العبد لمغفرة الله ورضوانه برجاء صاحب الزرع وكما أنّ من طلب أرضاً طيبة وقلبها وألقى فيها بذراً جيداً غير متعمق ولا مسوس ثم أمدّه بالعاء العذب وساير ما يحتاج إليه في أوقاته ، ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من الشوك والخشيش ونحوهما ، ثم جلس منتظرًا من فضل الله رفع المواقع والأفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحقّ اسم الرجاء إذا كان في مطنة أن يفوز بمقصده من ذلك الزرع .

ومن بذر في أرض كذلك إلاّ أنه بذر في اخريات الناس ولم يبادر إليه في

أول الأوقات أقصر في بعض أسبابه مع حصول غالب الأسباب ، ثم أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجوه سبحانه في سلامته له فهو من جملة الراجين أيضاً . ومن لم يحصل بذرًا أو بذر في أرض سبخة أو صلبة غير قابلة للأنبات ، ثم أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو غالبيها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا مالا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف المضار والمفسدات .

كذلك حال العبد إن بذر المعارف الإلهية في قلبه في وقته وهو انف البلوغ ومبده التكليف و دام على سقيه بماه الطاعات واجتهد في تطهير نفسه عن شوك الأخلاق الرديئة التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان وانتظر من فضل الله أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء الحقيقي المحمود وهو درجة السابقين .

وإن ألقى بذر الإيمان في نفسه لكنه قصر في بعض الأسباب إما بتأخير في البذر أو تسامح في السقي في الجملة ثم أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقع من فضل الله تعالى أن يبارك له ويعتمد عليه على أنه الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه أنه راج أيضًا لحصول أكثر الأسباب .

وأما من لم يزرع من قواعد الإيمان في قلبه شيئاً أو زرع ولم يسقه بماه الطاعة أو لم يظهر نفسه من رذائل الأخلاق واشتغل بالسيئات أو انهماك في الشهوات ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فانتظاره حمق وغرور .

قال سبحانه : « خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيفرون لنا » وقال رسول الله ﷺ : الأحمق من اتبع نفسه هو أنها وتمني على الله الجنة ، قال الشاعر :

إذا انت لم تزرع وعاينت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر فأعظم الحمق والاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة

وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنّة ببذر النّار وطلب دار المطين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط والتجري.

ترجو النّجاة ولم تسلك مسالكها      إن السفينة لا تجري على اليبيس  
الترجمة

وبدانید ای مردمان که عبور شما ببرصر اس است و بر محلهای لغزش اوست و خوفهای لغزیدن اوست و هولهای مکرر اوست، پس پرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن شخصی که مشغول نماید تفکر در معارف حقه قلب او را ، و بر تعب اندازه ترس خدا بدن او را ، و بیدار گردانیده باشد عبادت شب خواب اندک او را ، و تشنن ساخته باشد رجاء بخدا روزهای گرم او را.

مانع شده باشد زهد از شهوت آن و سرعت نماید ذکر بزبان آن ، و مقدم بدارد خوف را بجهة امن از عقوبت ، و کناره جوئی کند از چیزهایی که شاغلست از راه روشن هدایت ، و سلوک نماید در اعدل راهها بسوی منهج مطلوب که عبارتست از ثواب و جزاء مرغوب ، و صارف نشود صوارف نخوت و غرور ، و پوشیده نشود بر او مشتبهات امور در حالتی که فایز است بشادی بشارت و راحت نعمت در آسوده ترین خواب وايمن ترین وقت .

بتحقیق که گذشته باشد از گذر گاه دنیا در حالتی که پسندیده است و مقدم داشته باشد توشه آخرت را در حالتی که سعید است ، و شتاقة است بعمل خیر از ترس خداوند گار ، و سرعت نموده است بکردار خوب در مهلت روز گار ، و رغبت نموده در طلب خشنودی و رضای پرورد گار، و در رفتہ از باطل بجهة خوف از کرده گار، و ملاحظه کرده در دنیای خود آخرت خود را ، و نظر کرده در اول امر خود پیش روی خود را .

پس کفايت است بهشت از حیثیت عطا و ثواب ، و کافیست جهنم از حیثیت عذاب و وبال ، و کافیست خداوند در حالتی که انتقام کشنه است و یاری کننده ، و کافیست کتاب خدا در حالتی که حجت آرنده است و خصوصت کننده .

وصیت هیکنم شمارا بپوهیز کاری خدا، آن خدائی که عندر را زایل نمود از خود با آنچه که ترسانید خلائق را با آن ازانواع عقوبات، واقامه حجت نمود بر ایشان با آنچه که روشن نمود از براهین و بینات، و ترسانیده شمارا از دشمنی که نفوذ کرد و روان شد درسینه‌ها در حالتی که پنهانست از نظر، و دمید در گوشها در حالتی، که نجوى گتفده است بسر، پس گمراه کرد تابع خودرا وبهلاکت انداخت و وعده کرد مطیع خودرا.

پس آرزومند نمود وزینتداده بدیهای جرمها رادر نظر او، و آسان کرده مهملکات معصیتها را درنژه او تا آنکه چون خدعا نمود فرین و همنشین خود را وبلغق انداخت و فربست رهین خودرا انکار کرد آن چیزیرا که زینت هاده بود در نظر او، و بزرگ شمرد آن چیز را که آسان کرده بود درنژه او، و ترسانید از آن چیزی که این کرده بود او را از آن.

ومقصود از همه این تحذیر است از مکاید شیطان لعین و از تدلیسات آن عدوّ مبین که انسان را بارتکاب معاصی جری میکند و بعداز ارتکاب از او تبری مینماید.

## بیت

غافل مشوکه مرکب مردان راه را در سنگلاح و سوسه پی‌ها بریده اند

### الفصل السابع منها في صفة خلق الانسان

أَمْ هُذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَشُفُّفِ الْأَسْتَارِ نُظْفَةً  
دِهَافًا، وَعَلْقَةً مُحَافَةً، وَجَنِينًا وَرَاضِمًا، وَوَلِيدًا وَيَا فِمَا، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا  
حَافِظًا، وَلِسَانًا لَا فِظًا، وَبَصَرًا لَا حَظًا، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا، وَلِقَصْرِ مُزْدَجَرًا  
حَتَّىٰ إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَأَسْتَوَىٰ مِنَالُهُ، فَنَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَخَبَطَ سَادِرًا  
مَا تَحَمَّلَ فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعِيًّا لِدُنْيَا، قِيَلَذَاتٍ طَرَبِهِ، وَبَدَواتٍ  
أَرَبِهِ، لَا يَخْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْضُمُ تَقْيَةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيمًا، وَعاشَ

فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا ، لَمْ يُفِدْ عِوَضًا ، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا ، دَهْمَتُهُ فَجَمَاتُ  
الْمُنْتَيَةِ فِي غُبْرِ جَاهِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ، قَظَلَ سَادِرًا ، وَبَاتَ سَاهِرًا ، فِي  
غَمَرَاتِ الْآلَامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ ، يَيْنَ أَخْ شَفِيقِ ،  
وَوَالِدِ شَفِيقِ ، وَدَاعِيَةِ بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَلَادِمَةِ الصَّدْرِ قَلْقًا ، وَالْمَرْءَةِ فِي  
سَكْرَةِ مُلْهِيَةِ ، وَغَمْرَةِ كَارِثَةِ ، وَأَنَّةِ مُوجَعَةِ ، وَجَذْبَةِ مُكْرَبَةِ ، وَسَوْقَةِ  
مُتَعَبَةِ ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا ، وَجُذْبَ مُنْقَادًا سَلِسًا ، ثُمَّ أَقْبَى  
عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيمَ وَصَبِّ ، وَنِضَوَ سَقْمَ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوَلَدَانِ ،  
وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعَ زَوْرَتِهِ ، حَتَّى إِذَا نَصَرَفَ  
الْمُشْيَعُ ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ ، أَقْدَمَ فِي حُفْرَتِهِ تَجِيئًا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ ، وَعَنْرَةِ  
الْمُتَحَانِ ، وَأَعْظَمَ مَا هُنَا لَكَ بَلِيهَةً نُزُلُ الْحَمَمِ ، وَتَضْلِيلَ الْجَحَمِ ،  
وَفُورَاتُ السَّعْرِ ، وَسَوْرَاتُ الزَّفَرِ ، لَا فَتْرَةٌ مُرْبِحَةٌ ، وَلَا دَعَةٌ مُرْبِحَةٌ ،  
وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ ، وَلَا سَنَةٌ مُسْبِلَةٌ ، يَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ ،  
وَعَذَابِ السَّاعَاتِ ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ .

## اللغة

( الشَّغَفُ ) بضمتين جمع شغاف كشحاب وهو غلاف القلب و ( الدَّهَاقُ )  
بالدال المهملة من دهق الماء أفراغه إفراغاً شديداً ، وفي بعض النسخ دفaca من دفق  
الماء دفقا من باب قتل انصب لشدة و يقال أيضاً دفقت الماء أي صببته يتعدى فهو  
دافق و مدفوق ، وأنكر الأصمي استعماله لازماً قال : وأمّا قوله تعالى من ماء  
دافق فهو على اسلوب أهل الحجاز وهو أنهم يحوّلون المفعول فاعلاً إذا كان في  
موضع نعت و المعنى من ماء مدفوق ، وقال ابن القوطة ما يوافقه سرّ كاتم أي

مكتوم وعارف اى معروف وعاصم اى معصوم .

و ( المحقق ) بضم الميم والكسر لغة قال الفيومى : محققه محققا من باب تفع  
نقشه وأذهب منه بر كة ، وقيل هونهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر منه ويتحقق  
الله الربا وانمحق الهلال الثالث ليال في آخر الشهر لا يكاد يرى لخفائه والاسم  
المتحقق بالضم والكسر لغة . وفي القاموس المتحقق مثلثة آخر الشهر أو ثلث ليال  
من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولاعشية سمى به لأنّه طلع مع  
الشمس فمحقته .

وغلام ( يافع ) ويفع ويفعة مرتفع و ( السادر ) المتغير والذى لا يهتم ولا يبالى  
ما صنع و ( الماتح ) الذي يستسق الماء من البئر وهو على رأسها و المايح الذي  
نزل البئر إذا قلّ ما بها فيملأ الدلاء فالفرق بين المعندين كالفرق بين النقطتين  
و ( الغرب ) الدلو العظيم و ( كدح ) في العمل من باب منع سعي و ( بدا ) بدوا  
و بدو آباء وبداء وبدوة وبداوة ظهر ، وبداوة الشيء أول ما يبدو منه ؛ و بادي الرأى  
ظاهره ، وبداله في الآخر بدوا وبداوة نشأله فيه رأى وهو بدو بدوات .

قال الفيومى و ( الارب ) بفتحتين والاربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها  
الحاجة ، والجمع المأرب ، والارب في الأصل مصدر من باب تعب يقال ارب الرجل  
إلى الشيء إذا احتاج إليه فهو ارب على فاعل و ( دهمه ) الشيء من باب سمع ومنع  
غشيه و ( غبر ) الشيء بضم الغين وتشديد الباء بقاباه جمع غابر كركع وراكع  
و ( جمع ) الفرس جمحا وجماحا بالكسر اغتر فارسه وغلبه وجمع الرجل ركب  
هواء و ( سنن ) الطريق مثلثة وبضمنين نهجه وجهه و ( مرج ) مرحأ من باب  
فرح نشط وتبختر والمراح ككتاب اسم منه .

و ( غمرة ) الشيء شدته و مزدحمه والجمع غمرات وغمار و ( لهث ) لهاثا  
من باب سمع و لهااثا بالضم أخرج لسانه عطشاً و تعباً أو اعياء ، وفي بعض النسخ  
و سكرة ملهمية بالباء أي مشغلة و ( كرته ) الفم يذكره من باب نصر اشد عليه  
و بلغ المشقة وهو كريث الأمر إذا ضعف وجبن و ( أن ) المريض أنا إذا تأوه

و (ابلس) يئس وتحير ومنه سمى ابليس ونافقة (رجع) سفر ورجيع سفر قدر جع فيه مراراً و (الوصب) محرّكة المرض والوجع .

و (النضو) بالكسر المهزول من الابل وغيره و (الستقم) كالجبل المرض و (الحشدة) جمع حاشد من حشدت القوم من باب قتل وضرب وحشد القوم يعدي ولا يعدي إذا دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا الأمر واحد وحفوا في التعاون و (البهت) بالفتح الأخذ بفتحة والتحير و الاتقطاع و (النزل) بضمتين طعام النزيل الذي يهؤ له قال سبحانه : هذا نزلهم يوم الدين .

و (الحميم) الماء البارد (تصilia) النار تسخينها و (السورة) الحدة والشدة و (زفر) النار تسمع لتوقيدها صوت و (الدعة) السعة في العيش والسكن و (الازاحة) الازالة .

### الاعراب

اختلف الشراح في الكلمة أم في قوله أم هذا الذي أنشأ ، ففي شرح المعزلي أم هبنا إما استفهامية على حقيقتها كأنه قال : أعظمكم واذكركم بحال الشيطان واغوائه أم بحال الاذسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته ، وإما أن يكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركالما وعظهم به بل أتلوا عليهم نباً هذا الانسان الذي حاله كذا وكذا .

وفي شرح البحراني أم للاستفهام وهو استفهام في معرض التقرير للإنسان وأمره باعتبار حال نفسه وحال خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفره له وكان أم معادلة لميزة الاستفهام قبلها ، و التقدير أليس فيما أظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة أم هذا الانسان و تقبّله في أطوار خلقته و حالته الى يوم نشوره .

أقول : لا يخفى ما في ما ذكره من الأغلاق و الابهام بل عدم خلوه من الفساد ، إذ لم يفهم من كلامه أن أم متصلة أم منفصلة ، فان قوله : أم للاستفهام مع قوله : و كان أم معادلة لميزة الاستفهام يفيد كون أم متصلة إلا أنه ينافي قوله هو استفهام في معرض التقرير لأن أم المتصلة لابد أن تقع بعد همزة التسوية نحو قوله تعالى :

(ج) اختلاف الشراح في الكلمة أم في قوله ﴿أَمْ هُذَا الَّذِي «الخ»﴾ (٢٩)

«سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ»

أوبعد همزة الاستفهام التي يطلب بها بأم التعين مثل أزيد عندك أم عمرو ، ولابد أن يكون الاستفهام على حقيقة لتكون معادلة لها في افاده الاستفهام كمعادلتها لهمزة التسوية في إفاده التسوية ولذلك أيضاً سميت متصلة لا تصالها بالهمزة حتى صارت في إفاده الاستفهام بمنزلة كلمة واحدة، إلا ترى أنهما جمیعاً بمعنى أي وينافي أيضاً قوله والتقدیر أليس فيما أظهره آه بظهوره في كون الاستفهام للانكار التوبیخي وإن جعل أم منفصلة فلا يحتاج إلى المعادل الذي ذكره ، فالاً ولی ما ذكره الشارح المعتزلي وإن كان هو أيضاً لا يخلو عن شيء .

و التتحقق عندي هو أنّ أم يجوز جعلها متصلة مسبوقة بهمزة الاستفهام أي اذا ذكركم وأعظكم بما ذكرته و شرحته لكم أم اذا ذكركم بهذا الذي حاله كذا و كذا ، ويجوز جعلها منفصلة مسبوقة بالهمزة للاستفهام الانکاري الا بطالی ، والتقدیر أليس فيما ذكرته تذكرة للمتدبر و تبصرة للمتبصر ، بل في هذا الانسان الذي حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه :

«أَللّٰهُمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا»

وهذا كله مبني على عدم كون الخطبة ملقطة وأن لا يكون قبل قوله ﴿أَمْ هُذَا الَّذِي «الخ»﴾ وهذا آه ، حنف وإسقاط من السید ، وإلقاء معرفة حال أم موقوفة على الاطلاع والعثور بتمام الخطبة ، هذا

والمنصوبات الاتنان والعشرون أعني نطفة وعلقة وجنبنا وراضعاً ولويداً ويافعاً ومحبوباً ومزدجرأً ومستكبراً وسادراً وما تھاً وكادحاً ولا يحسب ولا يخشى وغيره و Milesaً ومتقاداً وسلساً ورجيع وصب و نقوسق ونجيماً ، كلّها أحوال ، والعامل في كلّ حال ما قبله من الأفعال .

و سعياً مصدر بغير لفظ عامله من قبيل أفترض عنكم الذكر صفحـا ، و في ذات طربه متعلق بقوله كادحاً ، ويحمل الحالـة ، و تقـيـة مفعول لأجلـه ، ويسـيرـاً

صفة للظرف المحذوف بقرينة المقام اي زماناً يسيراً ، وجزعاً و قلقاً منصوبان على المفعول له .

### المعنى

اعلم أنه لما وعظ المخاطبين بالحكم والمواعظ الحسنة عقب ذلك وأكده بذكر حال الإنسان و ما أنعم الله به عليه من النعم الظاهرة و الباطنة بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً حتى أنه إذا كبر وبلغ أشدّه نفر واستنكير ولم يأت ما أمر ولم ينته عما ازدجر ثم أدر كه الموت في حال عتوه وغزوره فصار في محلّة الأموات رهين لأعماله مأخوذاً بأفعاله مبتلاً بشدائد البرزخ وأهواله كما قال عليه السلام :

( أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ ) الله سبحانه بقدرته الكاملة و حكمته التامة الجامعة ( في ظلمات الْأَرْحَامِ وَشَغْفِ الْإِسْتَارِ ) العطف كالتفسير ، و المراد بالظلمات هي ما اشيرت إليها في قوله سبحانه « لَا يَخْلُقُكُمْ فِي بَطْوَنِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظلماتٍ ثَلَثٍ » وهي إما ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن و الأول رواه الطبرسي عن أبي جعفر عليهما السلام ( نطفة دهاقاً ) أى مفرغة إفراغاً شديداً ( وعلقة مهافاً ) أى ناقصة لم تتصور بعد بصورة الإنسانية في الاتيان بهذه الأوصاف تحقيقاً للإنسان كما أومى إليه بالإشارة ( وجنينا و راضعاً و وليداً و يافعاً ) و هذه الأوصاف الأربع كسابقيها مسوقة على الترتيب الطبيعي المشار إليه بقوله سبحانه :

« مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَاراً »

فأنه سبحانه قد خلق الإنسان أولاً عناصر ثم مركبات يغذي الإنسان ثم أخلاطاً ثم نطفة ثم علقة ثم مضجة ثم عظاماً ولحوماً كما قال « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضجة فخلقنا المضجة عظاماً فكسومنا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ».

ثم إنه مadam في الرحم يسمى جنيناً كما قال : « وَإِذْ أَتْمَمْتُ أَجْنَةَ فِي بَطْوَنِ

أمهاتكم » وبعد ولادته يكون راضعاً يرضع أمّه اى يمتص ثديها ، ثم يكون وليداً أى فطيمًا فإذا ارتفع قيل يافع .

قال في سر الأدب في ترتيب أحوال الإنسان : هو مadam في الرحم جنين فإذا ولد فوليد : ثم مadam يرضع فرضيع ، ثم إذا قطع منه اللّبن فهو فطيم ، ثم إذاب ونمي فهو دارج ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي ، فإذا سقطت رواضعه فهو مشغور ، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مثغر (١) ، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو متعرج وناشي ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومرافق ، فإذا احتلم وأجتمع قوته فهو حر ، و اسمه في جميع هذه الأحوال غلام فإذا أخضر شاريء قيل قد بقل وجهه ، فإذا صارت قتة فهو شاريح ، فإذا اجتمع لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثم مadam بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل إلى أن يستوفي الستين وقيل إذا جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين ، فإذا جاوزها فهوشيخ .

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح قوله ﴿ثُمَّ منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً﴾ (أى أعطاه عقلاً ونطقاً ونظرًا ومنحه ذلك ومن عليه بذلك ليفهم معتبراً أو يقصر مزدجرًا) أى ليعتبر بحال الماضين وما نزل بساحة العاصيin وينتهي بما يفضيه إلى أليم النكال وشديد الو بال ، وليفهم دلائل الصنع والقدرة ويستدل بشواهد الربوبية على وجوب الطاعة و الانتهاء عن المعصية فينزل جر عن الخلاف والعصيان ويخلص عن الخيبة والخسران .

(حتى إذا قام اعتداله) بالتناسب والاستقامة والتتوسيط بين الحالين في كم أو كيف أى تم خلقته وصورته وتناسب أعضاؤه وخللت عن الزّيادة والنقصان وكمل قوله المحتاج إليها ( واستوى مثاله) أى اعتدال مقداره وصفته ويقال استوى الرجل إذا بلغ أشدّه أى قوته وهو ما يبين ثماني عشر إلى ثلاثين (نفر) و فرعون اممثال

١ - قال المطرizi : نفر الصبي فهو متغير سقطت رواضعه ، وإذا نبت بعداً لسقوط فهو متغير بالثأ ، والثأ ، وقد اتفعل على افتتعل ، منه .

الأحكام الشرعية والتكليف الالهية (مستكبراً) و متعنتاً (وخبط) أى سلك وسار على غير هداية (سادراً) لا يبالى ما صنع (ما تحافي غرب هواه) شبه الهوا بالغرب لأنّ ذي الغرب إنما يستبصى بغريب الماء ملروى غلله وكذلك صاحب الهوى يجلب بهواه ما تشتهيه نفسه وتلتبذبه و تروى به غليل صدره و ذكر المتع ترشيح للتشبيه .

وأمّا ما قاله البحرياني من أنه استعار الغرب لهواه الذي يملأ به صحائف أعماله من الماء ثم كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء ورسيح تلك الاستعارة بذكر المتاج فليس بشيء ، أمّا أو لا فلان طرف في التشبيه مذكور في كلامه عليه السلام فكيف يكون استعارة بل هو تشبيه بلين ، و أمّا ثانياً فلان الهوى الذي يكون سبباً لملأ صحائف الأعمال لاربط له بالغرب الذي يملأ فيه الماء إذ المملوء بالماء هو الغرب والمملوء بالماء هو الصحائف لا الهوا نفسه ، وكذلك لا مناسبة بين الاسم والماء والوجه ما ذكرناه فافهم جيداً .

وقوله (كاد حاد سعيان لدنياه) أى كان سعيه و همته من جميع جهاته مقصورة في دنياه غير مرافق بوجه لا آخرته (في لذات طربه و بدوات اربه) أى حاجته التي تبدوله وتظهر وتختلف فيها آرائه ودعائيه (لا يحتسب رزقها ولا يخشى تقديرها) يعني لم يكن يظن أن ينزل عليه مصيبة ولم يكن يخشع و يخاف من الله لأجل تقديرها وذلك من فرط اغتراره بالدنيا و شدة تمادييه في الشهوات .

(فمات في فتنته) أى في ضلالته (غير رأياً) ومغوراً (عاش في هفوته) وزلت زماناً (يسيراً) قليلاً (لم يفدي عوضاً ولم يقض مفترضاً) أى لم يستفاد ولم يكتسب من الكمالات والخيرات عوضاً ممّا أنعم الله سبحانه به عليه ، ولم يأت شيئاً من الطاعات والتكليف التي فرض الله تعالى عليه .

(دهمته فجعات المنية في غير جماده وسفن مراكب) يعني فاجأته دواهي الموت في بقايا ركبته هواه وفي طرق نشاطه (فظلّ سادراً) متخيّراً (وبات ساهراً في غمرات الآلام) (ج) ٢

و شدایدها ( و طوارق الأوجاع والأسماء ) و نوازلها ( بين أخ شقيق ) عطوف ( و والشقيق ) رؤوفوشق الشّيء و شقيقه هو نفسه .  
وتوصيف الأخ بالشقيق لكونه كالشّقيق منه وبمنزلة جزء يده وقلبه ( وداعية بالويل جزا ) من النساء والاماء ( ولادمة للصدر فلقا ) من البنات والأمهات وهذا كلّه تshireح لحال أهل الميت فانه ، إذا يئس عنه الطّيب وابلس الحبيب فهناك خف عنده عواده وأسلمه أهله وأولاده ، فشققت جيوبها نسأوه ، و لطمت صدورها اماؤه ، واعول لفقده جيرانه ، وتوجّع لرزقته إخوانه؛ و غضوا بأيديهم عينيه ، ومدوا عند خروج نفسه يديه ورجليه .

فكم موجع يبكي عليه تفجّعا  
ومسترجع داع له الله مخلصا  
يعدّ ومنه خير ما هو ذاكر  
وكم شامت مستشر بوفاته  
وعما قليل كالذّي صار صائر  
هذا حالهم ، وأماماً حال الميت فقد أشار إليه بقوله ( والمرء في سكرة  
ملائكة ) يلوك لسانه و يخرجه تعباً و عطشاً ( و غمرة كارثة ) أى شدة بلغغاية  
من المشقة .

روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبدالله بن المغيرة عن السّكوني عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : إن الميت إذا حضره الموت أو ثقه ملك الموت ولو ذلك استقر<sup>١</sup> ( وأنّه موجعة ) أي تأوه موجب لوجع الحاضرين والسامعين ( وجذبة مكربة و سوقه متعبة ) والمراد بهما جذب الملائكة للروح وسوفهم له إلى خارج البدن كما قال تعالى :

« وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بِاسْطُوا أَيْدِيهِمْ  
أُخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُبْعَذَنَ عَذَابَ الْمُوْنِ يَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ  
غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ». »

١ - هكذا في النسخة ، و في الوافي نقلاً عن الكافي : ما استقر و هو الصحيح « المصحح »

قال الطّبرسي : أي في شدائد الموت عند النّزع والملائكة الذين يقبضون الأرواح بأسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت ازهافاً لهم وتغليظاً عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم .

وقال الشّارح البحرياني : أعلم أن تلك الجذبة يعود إلى ما يجده الميت حال النّزع وهو عبارة عن ألم ينزل بنفس الروح يستفرق جميع أجزائه المنتشرة في أعماق البدن وليس هو كساير ما يجده الروح المحتضن ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكه ونحوها ، لاختصاص ذلك بموضع واحد فالمفزع يهجم على نفس الروح ويستفرق جميع أجزائه وهو المجنوب من كل عرق وعصب وجذع من الأجزاء ومن أصل كل شعرة وبشرة لا تسألن عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ، وقد يمثل ذلك بشجرة شوك كانت داخل البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ، ولما كان موت كل عضو عقب الأمراض التي ربما طالت تدريجا فتلك هي السّوقة المتغبة (ثم أدرج في أكفانه مبلسا ) أي آيسا أو حزينا (وجذب) من وطنه إلى الخارج (منقاداً سلساً) أي سهلأ ليتنا (ثم القى على الأعواود) أي الأسرة حالكونه (رجيع وصب ونضوسقام) يعني أنه من جهة ابتلائه بتارات الأمراض وتردده في أطوار الأتعاب والأوضاع صار كالابل الرّجيع الذي يردد في الأسفار مرة بعد أخرى ولا جل نجحول جسمه من الأقسام كان كالجمل النضو الذي يهزل من كثرة الأحمال والآثقال (تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان) يعني أنه بعد الفراغ من تنفيذه وتكلفه عليه سريره أقبلوا على جهازه وشمرروا لابرازه وحمله أعوانه ولدانه وأحباؤه وإخوانه .

يبحث على تجهيزه ويبادر  
ووجهه لما فاظ (١) للقبر حافر  
مشيّعة إخوانه والمشائير

فظلّ أحّبّ القوم كان لقربه  
وشمر من قد أحضره لغسله  
وكفن في ثوبين فاجتمع له

ثم أخرج من بين صحبته «١» (إلى دار غربته) من محل عزته إلى (منقطع زورته) ومن سعة قصره إلى ضيق قبره فحشوا بأيديهم التراب وأكثروا التلذّذ والانتهاب ، ووقفوا ساعة عليه وقد يئسوا من النّظر إليه ، ثم رجعوا عنه معولين ، وولّوا مدبرين (حتى إذا انصرف المشيّع ورجع المتفجّع) انتبه من نومته وأفاق من غشيته و (أُفعد في حفرته نجيّا لبنته السؤال) ودهشته (وعشرة الامتحان) وزلتْه .

ولعلّ المراد به أنّه يقعد في قبره مناجياً للمنكر والنكير أي مخاطباً ومجاوباً لهما سرّاً لعدم قدرته على الإعلان من أجل الدّهشة والحيرة العارضة له من سؤالهما والعشرة التي ظهرت منه بسبب اختيارهما ، أو المراد أنّه ينادي ربّه في تلك الحال من هول الامتحان والسؤال ويقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً (وأعظم ما هنالك بليّة) وابتلاء (نزل الحميم وتصلبة الجحيم) كما قال تعالى :

« وَإِنَّ لِطَاغِينَ لَشَرٌّ مَا بِهِ جَهَنَّمَ يَصْلُوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلِيَذُوْ قُوَّهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ » و في سورة النّبأ « لَا يَذُوْ قُوَّنَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا »

قال بعض المفسّرين : إنّ الغساق عين في جهنّم يسيل إليها سُم كلّ ذات حمة من حيّة وعقرب ، وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه من الحميم ، وقيل هو القبيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه ، وقيل إنّ الحميم الماء الحارّ الذي انتهت حرارته والغساق الماء البارد الذي انتهت برودته فهذا يحرق ببرده وذاك يحرق بحرّه .

وقال الطّريحي : الحميم الماء الحار الشّديد الحرارة يسقى منه أهل النار أو يصبّ على أج丹هم ، وعن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدّنيا

١- جمع صاحب والملازم للانسان والصاحب من أولاده وأقربائه وغيرهم .

لأذابتها ، و كيف كان قوله ﷺ مأخذ من الآية الشريفة في سورة الواقعة  
قال سبحانه :

« وَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَّةً جَحِيمٍ »

وأيّا قوله (وفورات السعير) فأراد به شدة غليان نار الجحيم ولهبها ،  
وكذلك أراد بقوله (وسورات الزفير) شدة صوت توقد النار (لا فترة مريحة)  
لهم من العذاب (ولا دعة مريحة) عنهم العقاب كما قال سبحانه :

« إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ »

(ولا فوقة حاجزة) تمنعه عن النكال (ولا موتة ناجزة) أي عاجلة تريحه من الم  
الوبال إذ الموت ربما يكون نعمة و يعوده الانسان راحة كما قال مجنوون العامري  
ونعم ما قال : فلا ملك الموت المربي يربى

(ولا سنة مسلية) لهمه و نومة منسية لغمته وفي الحديث إن الله ألقى على  
عباده السلوة بعد المصيبة لولا ذلك لا تقطع النسل (بين أطوار الموتات وعداب  
الساعات) أراد بالموتات الآلام الشديدة والمشاق العظيمة مجازاً فلا ينأى في قوله  
عليه الصلاة والسلام : ولا موتة ناجزة ، فإن المراد به الحقيقة (إنا بالله عائدون)  
أي ملتजئون من شر المال وسوء الحال؛ وقد راعى في أكثر فقرات هذا الفصل  
السنجع المتوازي ، هذا

و ينبغي تذليل المقام بأمور مهمة

## الأول

في تحقيق بدو خلق الانسان فاقول:

قال سبحانه في سورة المؤمنين : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلِّيْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْعَفَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَفَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ كَعَاءً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »

وهذه الآية الشريفة أجمع الآيات لا دوار الخلقة وأشملها لمراتب الفطرة، وهذه المراتب على ما اشيرت إليها فيها سبع المرتبة الأولى ما أشار إليه بقوله :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةِ مِنْ طِينٍ »

أي من خلاصة من طين وهو مبدئ نشو الآدمي لتولد النطفة منها، وذلك لأن النطفة إنما تتولد من فضل الهضم الرابع، وهو إنما يتولد من الأغذية، وهي إنما حيوانية وإنما نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية والنباتات إنما يتولد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولساً من سلالة من طين. المرتبة الثانية أن السلاله بعد ما تواردت عليها أحواز الفطرة تكون نطفة في أصلاب الآباء فتقذف بالجماع إلى أرحام النساء التي هي قرار مكين لها وإليه أشار سبحانه بقوله :

« خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالثَّرَائِبِ »

المرتبة الثالثة أن النطفة بعد ما استقرت في الرحم أربعين يوماً تسير علقة وهي الدم الجامد.

المرتبة الرابعة أن العلقة بعد ما مكثت في الرحم أربعين يوماً أيضاً تسير مضغة أي قطعة لحم حمراء كأنها مقدار ما يمضغ.

المرتبة الخامسة أن المضغة تمسك فيه أربعين ثلاثة و يجعلها الله صلباً ف تكون عظاماً.

المرتبة السادسة ما أشار إليه بقوله : فكسونا العظام لحماً أي ممّا بقي من المضفة أو مما أبنته عليها مما يصل إليها وإنما جعل اللحم كسوة لستر العظام كما يستر اللباس البدن .

المرتبة السابعة ما أشار إليه بقوله : ثم أنشأناه خلقاً آخر أي خلقاً مبنياً للخلق الأول بالإضافة الروح إليه مبنياً ما أبعدها ، وذلك بعد تمام ثلاثة أربعين أي كمال أربعة أشهر فكان حيواناً بعد مكان جماداً ، وحياناً بعد مكان ميتاً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميناً وكان أصم ؛ وبصيراً وكان أعمى ، وأودع باطنها وظاهره بل كلّ عضو من أعضائه عجائب صنعته وبدائع حكمته التي لا يحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشارحين ، فتبارك الله أحسن الخالقين هذا .

وروى الصدوق (ره) في الفقيه عن محمد بن علي الكوفي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن مرازم ، عن جابر بن يزيد ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وقع الولد في جوف أمّه صار وجهه قبل ظهر أمّه إنّ كان ذكرأً وإنّ كان اثني صار وجهها قبل بطن أمّها ويداه على وجنتيه وذفنه على ركبتيه كهيئه الحزین المهموم ، فهو كالمحروم منوط بمعاه من سرته إلى سرة أمّه ، فبتلك السرة يغتندي من طعام أمّه وشرابها إلى الوقت المقدر لولادته ، فيبعث الله عزّ وجلّ ملكاً إليه فيكتب على جبهته : شقيّ أو سعيد ، مؤمن أو كافر غنيّ أو فقير ، ويكتب أجله ورزقه وسقمه وصحته .

فإذا انقطع الرزق المقدر له من سرة أمّه زجره الملك زجرة فانتقلب فرعاً من الزّجرة وصار رأسه قبل الفرج ، فإذا وقع إلى الأرض وقع إلى هول عظيم وعذاب أليم إن أصابته ريح أو مشقة أو مسته يد وجد لذلك من الألم ما يجد المسلح عنه جلد .

يجوع فلا يقدر على الاستطعام ، ويعطش فلا يقدر على الاستسقاء ، ويتوجع فلا يقدر على الاستغاثة ، فيتوكل الله تبارك وتعالى برحمته والشفقة عليه والمحبة له أمّه فتقيه الحرّ والبرد بنفسها ، وتکاد تقديه بروحها ، وتصير من التّعطف عليه

بحال لا تبالي أن تجوع إذا شبع وتعطش إذا روى ، وتعري إذا كسى .  
و جعل الله تعالى ذكره رزقه في ثدي أمّه في إحداهما شرابه وفي الآخرى  
طعامه ، حتى إذا رضع أثراه الله عز وجل في كل يوم بما قدر له فيه من رزق ، فإذا  
أدرك فهمته الأهل والمال والشرء والحرس ، ثم هو مع ذلك معرض الآفات  
والعاهات والبليات من كل وجه ، والملائكة ترشده وتهديه ، والشياطين تضلّه  
وتفويه ، فهو هالك إلا أن ينجيه الله عز وجل ، وقد ذكر الله تعالى ذكره نسبة  
الإنسان في محكم كتابه فقال عز وجل :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي  
قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ  
عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ  
الْعَالَمِينَ ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَقْتُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ يَوْمَ الْقِيَمةِ تُبْعَثُونَ »

قال جابر بن عبد الله الأنصاري : قلت : يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك وحال  
الأوصياء بعده في الولادة ؟ فسكت رسول الله ﷺ ملية ثم قال : يا جابر لقد  
سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم ، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون  
من نور عظمة الله عز وجل ثناوه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيبة وأرحاماً طاهرة  
يحفظها بملائكته ويربيها بحكمته ويغذوها بعلمه ، فأمرهم يجعل عن أن يوصف ،  
وأحوالهم تدق عن أن تعلم ، لأنهم نجوم الله في أرضه ، وأعلامه في بيته ،  
وخلفاؤه على عباده ، وأنواره في بلاده ، وحججه على خلقه ، يا جابر هذا من مكتون  
العلم ومخزونه فاكتمه إلا من أهله .

وفي توحيد المفضل عن الصادق عليه السلام قال . وسننته يا مفضل بذكر خلق  
الإنسان فاعتبر به ، فأول ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم وهو محجوب في  
ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده

في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة، فانه يجري إليه من دم الحيض مايغدوه كما يغدو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاء.

حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنـه وقوى اديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقات الضياء هاج الطلاق بأمه فاز عجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد ، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغدوه من دم أمه إلى ثدييها ، فانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء ، وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوانـه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمـط وحرـك شفتـيه طلـبا للرـضاع فهو يحدـي ثـدي أمه كالادواتين المعلقتين ل حاجته ، فلا يزال يفتـني بالـلبن مـاـدـاـم رـطـبـ الـبـدـنـ رـفـيقـ الـأـعـاءـ ليـتـنـ الـأـعـاءـ .

حتى إذا تحرـكـ واحتـاجـ إلى غـذـاءـ فيه صـلـابةـ ليـشـتـدـ ويـسـتـوـيـ بـدـنـهـ وـطـلـعـتـ لهـ الطـوـاحـينـ «ـمـنـ الاـسـنـانـ خـ»ـ وـالـأـضـرـاسـ ليـمـضـعـ بـهـ الطـعـامـ فـيـلـيـنـ عـلـيـهـ وـيـسـهـلـ لـهـ إـسـاغـتـهـ فـلاـ يـزـالـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـدـرـكـ ،ـ فـاـذـاـ أـدـرـكـ وـكـانـ ذـكـرـ أـطـلـعـ الشـعـرـ فـيـ وـجـهـهـ فـكـانـ ذـلـكـ عـلـامـةـ الذـكـرـ وـعـزـ الرـجـلـ الذـيـ يـخـرـجـ بـهـ عـنـ حدـ الصـبـاـ وـشـبـهـ النـسـاءـ وـإـنـ كـانـ أـشـيـ يـبـقـيـ وـجـهـهاـ نـقـيـاـ مـنـ الشـعـرـ لـتـبـقـيـ لـهـ الـبـهـجـةـ وـالـنـسـارـةـ التـيـ تـحرـكـ الرـجـالـ لـمـاـفـيـهـ دـوـامـ النـسـلـ وـبـقـاؤـهـ ،ـ الـحـدـيـثـ .

## الثاني

**في تحقيق السؤال في القبر وذكر شبهة المنكريـنـ لـهـ وـدـفـعـهاـ**

اعلم أن كلام الإمام علي عليه السلام في هذا الفصل صريح في ثبوت السؤال في القبر وهو حق يجب اليمان والاعنان به، وعليه قد انقد إجماع المسلمين بل هو من ضروريات الدين، ومنكره كافر خالد في الجحيم لا يفتر عنه العذاب الأليم، ولم يخالف فيه إلا بعض من انتسب إلى الإسلام كضرار بن عمر وطایفة من المعتزلة وجمع من الملاحدة موهّبين على العوام الذين يصفون إلى كلّ ناعق بأنّ الميت بعد وضعه في قبره إن حشي فمه بالجص ونحوه ودفن ثم يؤتى إليه في اليوم الآخر

وينبش قبره فانك تراه على حاله لم يتغير فلو كان في القبر سؤال وحساب لتنير حالته ولا نفتح فمه وسقط الجص ، وأيضاً فانا لا نسمع عذابه في القبر مع شدّته وصعوبته .

و فساد ذلك الكلام غني عن البيان ، لأن هذه العين والأذن لا تصلحان لمشاهدة الأمور الملكوتية و سماعها ؛ وكل ما يتعلق بالأخرة فهو من عالم الملكوت .

ألا ترى أن الصحابة كانوا يجلسون عند النبي ﷺ حين نزول جبرئيل عليه وهو يراه و يتكلم معه في حضورهم والناس لا يروننه ولا يسمعون كلامه ؟ وكذلك ملكا القبر لا يمكن للناس أن يدركون سؤالهما وجواب الميت لهم بهذه الحواس ، وكذلك الحيات والمعتارب في القبر ليس من جنس الحيات والعقارب في هذا العالم حتى تدرك بالحس .

ويوضح ذلك أن النائم بحضور الجالسين قد يشاهد في نومه الحيات والعقارب وساير المولمات والمؤذيات تؤلمه وتؤديه وتلدغه فيتألم ويتأذى بحيث يوشح جبينه ويعرق ويبكي في نومه من شدة الألم والأذى ومع ذلك كلله فلا يرى الحاضرون مما يرى ويسمع شيئاً .

و بالجملة فلا يعتقد بهذه التسرّعات والتمويهات ، و المنكر قد وجد جزاء إنكاره وهو الآن في قبره مقرّ بما أنكر مذعن بما كفر مدرك لما أنكره بالسمع والبصر ، و الحمد لله الذي من علينا بالإيمان بالغيب ، و خلص قلوبنا من الشك و الريب .

قال الصادق عليه السلام في رواية المدقوق : ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة :  
المراج ، وسؤال القبر ، والشفاعة .

وفي كتاب السماء والعالم للمحدث المجلسي عن الكافي عن بعض أصحابه عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن عن أبي الحسن الأول قال : إن الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق وإنما حدثت ، فقلت : و ما العلة في ذلك ؟

قال ﷺ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ بَعَثَ رَسُولًا إِلَى أَهْلِ زَمَانِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتْهُ سَبِيحَانَهُ فَقَالُوا : إِنَّ فَعْلَنَا ذَلِكَ فَمَا لَنَا فِوَافِهِ مَا أَنْتَ بِاَكْشِرْنَا مَالًا وَلَا بِأَعْزَزْنَا عَشِيرَةً قَالَ لَهُمْ : إِنْ كُمْ إِنْ أَطَعْتُمُونِي أَدْخُلُكُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ عَصَيْتُمُونِي أَدْخُلُكُمُ اللَّهُ النَّارَ ، فَقَالُوا : وَمَا الْجَنَّةُ وَمَا النَّارُ ؟ فَوَصَفَ لَهُمْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : مَتَى نَصِيرُ إِلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إِذَا مَتْمَ ، فَقَالُوا : لَقَدْ رَأَيْنَا أَمْوَاتَنَا صَارُوا عَظَامًا وَرَفَاتًا فَازْدَادُواهُ تَكْدِيْبًا وَبِهِ اسْتَخْفَافًا ، فَأَحَدَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمُ الْأَحَلامَ فَأَتَوْا فَأَخْبَرُوهُ بِمَا رَأَوْا وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ سَبِيحَهُ أَرَادَ أَنْ يَحْتَاجَ عَلَيْكُمْ بِهِذَا ، هَكُذا تَكُونُ أَرْوَاحُكُمْ إِذَا مَتْمَ وَإِنْ بَلِيَتْ أَبْدَانُكُمْ تَصِيرَا لَأَرْوَاحَ إِلَى عِقَابٍ حَتَّى تَبْعَثَ الْأَبْدَانَ ، هَذَا .

وبقي الكلام في عموم سؤال القبر قال العلامة المجلسي (ره) المشهور بين متكلّمي الإمامية عدم عمومه و اختصاصه بمحضر المؤمن و محضر الكافر وأنه ليس على المستضعفين ولا على المسبّيان والمجانين سؤال، و حكمي عن الشهيد (ره) انه قال : إِنَّ السُّؤَالَ حَقٌّ اجْمَاعًا إِلَّا فِي مَنْ يَلْقَنْ حِجْسَتَهُ .

أقول: ويidel على ذلك وعلى اختصاصه بالمؤمن و الكافر المحضر الأ خبار المتظافرة في الكافي وغيره وسيجيئ بعضها في ضمن الأ خبار الآية.

### الثالث

في حالات الميت حين اشرف على الموت و حين ازهاق روحه و عند الغسل والتكمفين وحمله على سريره و اذا وضع في قبره وكيفية السؤال في القبر وضغطة القبر وبعض عقوباته في البرزخ ومثواباته

ونحن نشرح كل ذلك بما وصل إلينا في ذلك الباب من الأ خبار المرورية عن أئمتنا الأ طياب الأ طهار سلام الله عليهم ماتعاقب الليل و النهار ، فأقول :

### أماحالة الاحتضار

وأعني بها حالة إشراف الميت على الموت فهي حالة يلهم المرء فيها بكليته

عن الدّنيا و يكون توجّهه إلى الآخرة ، و يحضر حينئذ عنده رسول الله و الأئمة سلام الله عليهم و الملائكة الموكّلون بقبض روحه كما يحضر عنده أهله و عياله وأحبابه و أقرباؤه فتارة يكون مخاطبته مع الأُولى و أخرين مع الآخرين .  
روى عليّ بن إبراهيم القمي في تفسير قوله :

« يُبَثِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ »

بإسناده عن سعيد بن الغفلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدّنيا وأول يوم من الآخرة مثل له أهله وماله وولده وعمله ، فينظر إلى ماله فيقول : والله إِنِّي كنت عليك لحريراً شحيحاً فماذا عندك ؟ فيقول : خذ مني كفناك ، ثم يلتفت إلى ولده فيقول : وَاللَّهُ إِنِّي كُنْتُ لَكُمْ لِمَحْبَّاً وَإِنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لِمَحَمِّيَا فَمَا ذَرْتَ لِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ يلتفت إلى حفريتك ونواريك فيها ، ثم يلتفت إلى عمله فيقول : والله إِنِّي كنت من الزّاهدين فيك وإنك كنت على تقليلاً فماذا عندك ؟ فيقول : أنا فريشك في قبرك ويوم حشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربّك .  
فإن كان الله وليتاً أباً أطيب الناس ريحان وحسنهم منظراً وأزيزهم رياشاً فيقول : أبشر بروح من الله وريحان وجنّة النّعيم قد قدمت خير مقدم فيقول : من أنت ؟ قال : أنا عملك الصالح ارحل من الدّنيا إلى الجنّة وأنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله .

فإذا دخل قبره أتاه ملكان و هما فتنان القبر يجرّان أشعارهما و يبحثان الأرض بأنيابهما وأصواتهما كالرعد القاصف وأسمارهما كالبرق الخاطف فيقولان له : من ربّك ، ومن نبيّك وما دينك ؟ فيقول : الله ربّي و محمد نبيّي والاسلام ديني فيقولان له : ثبّتك الله بما تحبّ وترضى وهو قول الله :

« يُبَثِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّابِتِ » الآية

فيفسحان له في قبره مدّ بصره و يفتحان له باباً إلى الجنة و يقولان له :  
نم فرير العين نوم الشاب النائم ، وهو قوله :

«أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقْرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا»

وإذا كان لرّ به عدوّاً فانه يأتيه أقبح من خلق الله رياشاً وأنتنه ريحًا فيقول:  
من أنت؟ فيقول : عملك فيقول : ابشر بنزول من حميم و تصلية جحيم ، و انه ليعرف غاسله  
ويناشد حامله أن يحبسه .

فازا ادخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا أكفانه ثم قال له : من ربّك ،  
ومن نبيّك ، وما دينك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيقولان : لا دريت ولا هديت ، فيضر بانه  
بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتدذر لها ماحلا الشقلين ، ثم يفتحان له باباً  
إلى النار ، ثم يقولان له : نم بشرّ حال .

فهو من الضيق مثل ما فيه القنا (١) من الزّح حتى أن دماغه يخرج من ما  
بين ظفره ولحمه ، ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهو أمّها فتنبهشه حتى  
يبعث الله من قبره . وأنه ليتمكن قيام الساعة مما هو فيه من الشر .

ورواه في الكافي عن علي بن إبراهيم مسندًا عن سويد بن غفلة عنه عليه السلام مثله .  
وفي الكافي عن أبي اليقطان عمّار الأُسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال  
رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه : لو أن مؤمناً أقسم على ربه أن لا يميته ما أماته أبداً ، ولكن  
إذا كان ذلك أو إذا حضر أجله بعثه الله عزّ وجلّ إليه ريحين : ريحًا يقال لها المنسية  
وريحًا يقال المسخية ، فأمّا المنسية فانّها تنسيه أهله وما له ، و أمّا المسخية  
فانّها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ما عند الله .

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من أحد يحضره الموت إلا  
وكلّ به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر و يشكّكه في دينه حتى يخرج  
نفسه ، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه فإذا حضرتم موتاكم فلقنوه شهادة أن لا إله

١- القناجع قناء وهو الرمح والرج بالضم حديدة في أسفل الرمح منه .

إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى يَمُوتُ .

وفي رواية أخرى قال ﷺ : فلقنه كلمات الفرج والشهادتين ويسماً له الأقرار بالآئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واحداً بعد واحد حتى يتقطع عنه الكلام .

و عن سديرين قال : قلت لا بني عبد الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه ؟ قال عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : لا والله إنّه إذا أتاها ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت : يا ولی الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا نأبر بك وأشفع عليك من والد رحيم لو حضرك ، افتح عينيك فانظر قال : ويمثل له رسول الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذر يسّتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيقال له : هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ رفقاؤك ، قال : فيفتح عينيه فينادي روحه مناد من قبل رب العزة يقول :

« يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ « إِرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَّةً » بِالْوَلَايَةِ « مَرْضِيَّةً » بِالنَّوَابِ « فَادْخُلِي فِي عِبَادِي » يعني محمدًا وَأَهْلِ بَيْتِهِ « وَادْخُلِي جَنَّتِي » فَاشِيءْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِلَالِ رُوحِهِ .

وعن علي بن عقبة عن أبيه قال : قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيمة إلا هذا الأمر الذي أتم عليه ، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقربه عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه ، ثم أهوى بيده إلى الوريد ، ثم اتسكى .

وكان معه المعلى فغمزني أن أسأله فقلت : يابن رسول الله فاذ بلغت نفسه هذه أي شيء يرى ؟ فقلت له بضعة عشر مرّة : أي شيء يرى ، فقال في كلامها : يرى ، لا يزيد عليها ، ثم جلس في آخرها فقال : يا عقبة ، فقلت : لبيك وسعديك ، فقال : أبىت إلا أن تعلم ؟ فقلت : نعم يابن رسول الله إنّما ديني مع دينك فاذ ذهب ديني

كان ذلك كيف لي بك يابن رسول الله كلّ ساعة وبكيت ، فرقّ لي فقال : يراهما والله ، فقلت : بأبي وأمي من هما ؟ قال : ذلك رسول الله ﷺ وعلى عَلِيٍّ يعقوبَةً لَن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى ترافقني : فإذا نظر إليهم المؤمن أيرجع إلى الدّنيا ؟ فقال : لا ، يمضي أماته إذا نظر إليهم ماضٍ أمامه فقلت له : يقولان شيئاً ؟ قال : نعم يدخلان جميعاً على المؤمن ، فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعلى عَلِيٍّ عند رجليه فيكتب عليه رسول الله ﷺ فيقول : يا ولی الله ابشر أنا رسول الله إنتي « أناخ » خير لك مما تركت من الدّنيا .

ثم ينهض رسول الله ﷺ فيقوم على عَلِيٍّ حتى يكتب عليه فيقول : يا ولی الله ابشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحب أنالاً نفعناك ، ثم قال عَلِيٌّ : إن هذافي كتاب الله عزّ وجلّ ، فقلت : أين جعلني الله فدائع هذا من كتاب الله ؟ قال : في يونس قول الله عزّ وجلّ ه هنا :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقْوَى لَهُمُ الْبُشْرِيٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الظِّيْمِ »

وعن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عَلِيٌّ إذا حيل بينه وبين الكلام أتاهم رسول الله ومن شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله عَلِيٌّ : أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك ، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه .

ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول هذا منزلك من الجنّة فان شئت ردّدناك إلى الدّنيا ولتك فيها ذهب و فضة ، فيقول : لا حاجة لي في الدّنيا فعند ذلك يبيض لونه و يرشح جبينه و تقلص شفتاه وتنتشر منخراه و تدمع عينيه اليسرى فـأى هذه العلامات رأيت فاكتف بها ، فإذا خرّجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتحتها رـ الآخرة الحديث .

أقول : والأخبار في رؤية النّبّي و الأئمّة صلوات الله عليه وعليهم كثيرة كادت

تبلغ حد التواتر، ويأتي بعضاً بعد ذلك، وبتلك الأخبار يطيب نفوسنا ويسكن قلوبنا إلى الموت، وبها أيضاً يعلم أنّ كراهة المؤمن للموت على ما في الحديث القدسي من قول الله سبحانه: ما ترددت في شيء أنا فاعله كتردّي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسائته إنما هي قبل الاستبشار برؤيتهم عليهما، وأمّا بعد معاينتهم فليس شيء أحب إليه من الموت كما عرفت في الروايات.

ويدل عليه صريحاً ما في الكافي عن عبد الصمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبيعبد الله عليهما السلام قال: قلت: أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه؟ و من أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه! قال عليهما السلام: نعم، قلت: فوالله إنا لنكره الموت، فقال عليهما السلام: ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحب وليس شيء أحب إليه من أن يتقدم والله تعالى يحب لقاء وهو يحب لقاء الله حينئذ وإذا رأى ما يكره وليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه.

وفيه عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول: في الميت تدمع عيناه عند الموت فقال عليهما السلام: ذلك عند معاينة رسول الله عليهما السلام فيرى ما يسره، ثم قال عليهما السلام: أما ترى الرجل يرى ما يسره وما يحب فتدمع عينه لذلك و يضحك.

### و أما صفة ملك الموت وكيفية قبض الروح

فروى السيد السندي السيد نعمة الله الجزائري أنّ الخليل عليهما السلام قال لملك الموت يوماً: يا ملك الموت أحب أن أراك على الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن، فقال: يا إبراهيم اعرض عنّي بوجهك حتى أتصور على تلك الصورة، فلما رأى إبراهيم عليهما السلام رأى صورة شاب حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار في أحسن ما يتخيل من الهيئة فقال: يا إبراهيم في هذه الصورة أقبض روح المؤمن فقال عليهما السلام: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلا لقائك لكافاه راحة.

ثم قال عليهما السلام: أريد أن أراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر، فقال:

يا إبراهيم لا تقدر ، فقال : أحب ذلك ، فقال : أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثم قال : انظر فنظر إليه فإذا هوأسود كالليل المظلم وقامته كالسخن الطویل والنار والدخان يخرجان من منخريه وفمه إلى عنان السماء .

فلما نظر إليه غشي على إبراهيم عليهما السلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلما أفاق الخليل عليهما السلام قال : يا ملك الموت لولم يكن للكافر هول من الموت إلا رؤيتك لكافاه عن ساير الأحوال .

فإذا أتى المؤمن سل روحه سلاً رقيقاً لطيفاً حتى أنه يحصل له الرحمة من ذلك السلل لما يشاهده من مكانه في الجنة و إن كان كافراً أتى إليه بحديدة محمية بنار جهنم فأدخلها في حلقه و جذب روحه بها يخيل إليه أن أطباق السموات والأرض قد وقعت عليه وطبقته حتى يخرج زبدة على فمه كالبعير . أقول : ويدل عليه ما في الكافي عن ابن الفضيل عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليهما السلام يقول : إن آية المؤمن إذا حضره الموت بياض وجهه أشد من بياض لونه ويرشح جبينه ويسهل من عينيه كهيئة الدّموع فيكون ذلك خروج نفسه ، وإن الكافر يخرج نفسه سلاً من شدّه (١) كزبد البعير أو كما يخرج نفس البعير .

وفيه بسانده عن عمّار بن مروان قال : حدثني هن سمع أبا عبدالله عليهما السلام يقول : منكم والله يقبل ، ولكم والله يغفر إنه ليس بين أحدكم وبين أن يغبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه هبنا وأومى بيده إلى حلقه . ثم قال عليهما السلام : إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله عليهما السلام وجريئيل وملك الموت فيدنو منه على عليهما السلام فيقول : يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحببه ، ويقول رسول الله عليهما السلام : يا جريئيل إن هذا يحب الله رسوله وأهل بيته فأحببه ، ويقول جريئيل عليهما السلام : يا ملك الموت إن هذا

يحب الله ورسوله و أهل بيته فأحببه وأفرق به .  
 فيدنو منه ملك الموت فيقول : يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك أخذت أمان  
 براتك تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا ؟ قال : فيوفّقه الله عزّ وجلّ  
 فيقول : نعم ، فيقول : وما ذاك ؟ فيقول : ولایة علي بن أبي طالب عليهما السلام فيقول :  
 صدق أمّا الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه ، و أمّا الذي كنت ترجوه فقد  
 أدركته ابشر بالسلف الصالح من افقة رسول الله عليهما السلام وعليه وفاطمة عليها السلام .  
 ثم يسلّ نفسـه سلاً رفياً ، ثم ينزل بكفنه من الجنـة و حنوطـه من الجنـة  
 بمسـك أذـرـه فيـكـفـنـ بـذـلـكـ الـكـفـنـ وـ يـحـنـطـ بـذـلـكـ الـحـنـوطـ ، ثم يـكـسـيـ حـلـةـ صـفـراءـ  
 من حلـلـ الجنـةـ .

فـاذـا وـضـعـ فـيـ قـبـرـهـ فـتـحـ لـهـ بـابـ الجنـةـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ منـ روـحـهاـ  
 وـرـيـحـانـهاـ ، ثم يـفـتـحـ لـهـ عنـ أـمـامـهـ مـسـيرـةـ شـهـرـ وـعـنـ يـمـينـهـ وـعـنـ يـسـارـهـ ، ثم يـقـالـ لـهـ :  
 نـمـ نـوـمـةـ الـعـرـوـسـ عـلـىـ فـرـاشـهـ اـبـشـ بـرـوحـ وـرـيـحـانـ وـجـنـةـ نـعـيمـ وـرـبـ غـيرـغـضـبـانـ .  
 ثـمـ يـزـورـ آـلـ مـهـدـسـلـامـ اللـهـ عـلـيـهـمـ فـيـ جـنـانـ رـضـوـيـ فـيـأـكـلـ مـعـهـ مـنـ طـعـامـهـ ، وـيـشـربـ  
 مـعـهـ مـنـ شـرـابـهـ ، وـيـتـحدـثـ مـعـهـ فـيـ مـجـالـسـهـمـ حـتـىـ يـقـومـ قـائـمـاـ فـازـأـقـامـ قـائـمـاـ بـعـثـهـمـ اللهـ  
 تـعـالـىـ فـأـقـبـلـوـاـ مـعـهـ يـلـبـيـونـ زـمـراـ وـعـنـدـ ذـلـكـ يـرـتـابـ الـمـبـطـلـوـنـ وـيـضـمـحـلـ الـمـحـلـوـنـ  
 وـقـلـيلـ مـاـيـكـوـنـوـنـ هـلـكـتـ الـمـحـاضـرـوـنـ وـنـجـاـ الـمـقـرـونـ . « بـونـ خـ »  
 مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـعـلـيـهـ أـنـتـ أـخـيـ وـمـيـعـادـ مـاـيـبـيـنيـ  
 وـبـيـنـكـ وـادـيـ السـلـامـ .

قال عليهما السلام وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله عليهما السلام وعليه عليهما السلام و جبرئيل  
 وملك الموت فيدنو منه علي عليهما السلام فيقول : يا رسول الله إن هذا كان يبغضنا  
 أهل البيت فأبغضه ويقول رسول الله عليهما السلام : يا جبرئيل إن هذا كان يبغض الله ورسوله  
 وأهل بيته فأبغضه ، فيقول جبرئيل عليهما السلام : يا ملك الموت إن هذا كان يبغض الله  
 ورسوله وأهل بيته فأبغضه واعنت عليه .

فيـدـنـوـ مـنـهـ مـلـكـ الـمـوـتـ فـيـقـوـلـ : يـاـ عـبـدـ اللـهـ أـخـذـتـ فـكـاكـ رـهـانـكـ وـأـمـانـ بـرـاتـكـ

تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا ؛ فيقول : لا ، فيقول : ابشر يا عدوَ اللهِ  
بسخط الله عزّ وجلّ وعدابه والنّار ؛ أمّا الذي كنت تحدّر فقد نزل بك .

ثم يسلّ نفسه سلاً عنيفاً ثم يوكل بروحه ثلاثة شيطان كلّهم يبزق في  
وجهه ويتأذى بروحه فإذا وضّع في قبره فتح له باب من أبواب النّار فيدخل عليه  
من فيحها ولهبها .

وعن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : دخل رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : يا ملك الموت أرفق بصحابي  
فانه مؤمن ، فقال : ابشر يا مُحَمَّد فاني بكل مؤمن رفيق .

واعلم يا مُحَمَّد أني اقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم  
فأقول ما هذا الجزع فهو الله ما تعجلناه قبل أجله وما كان لنا في قبضه من ذنب فان  
تحتسس به وتصبر واتوجروا ، وإن تجزعوا تأتموا وتوزروا ، واعلموا أن لنافيكم  
عودة ثم عودة فالحضر ثم الحذر إنه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا بير إلا  
وأنا أتصفّحهم في كل يوم خمس مرات ولا أنا أعلم بصغرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم  
ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتى يأهلي ربّي بها .

قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصّلاة فان كان ممن يواطّب  
عليها عند مواقيتها لقenne شهادة أن لا إله إلا الله وبحّ عنده ملك الموت إبليس .

وعن السّكّوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الميت إذا حضر الموت  
أو ثقه ملك الموت ولو لا ذلك ما استقرّ .

### و أما التفصيل والتكتفين

فقد ورد في الرّوايات أن الرّوح بعد خروجه من الجسد يكون مطلّاً على  
الجسد وأنّه ليり ما يفعل به .

و في روایة اصبع بن نباتة أنّه ينادى الفاسد ويقول له عند تفصيله : بالله  
عليك يا عبد الله رفقاً بالبدن الضعيف فوالله ما خرجت من عرق إلا انقطع ، ولا من  
عنوان إلا انصدع ، فوالله لو سمع الفاسد ذلك القول لما غسل ميتاً أبداً .

وفي جامع الأئمّة أخبار قال رسول الله ﷺ : فو الذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهبوا عن ميّتهم ولبكروا على نفوسهم حتى إذا حمل الميّت على نعشه رفرف روحه فوق النعش وهو ينادي : يا أهلي ويا ولدي لا تلعنون بكم الدنيا كما لعبت بي ، الحديث هذا .

وفي الوسائل في عدد قرایات الامر باجادة الاكفار والمعادات في اثمانها معللاً بأنّ الموتى يبعثون بها وبأنّهم يتبااهون بأكفارتهم .

وفيه أنّ موسى بن جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كفن في حبرة استعملت له بمبلغ خمسمئة دينار عليها القرآن كلّه .

وفيه عن يونس بن يعقوب عن أبي الحسن الأول عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال : سمعته يقول : إنّي كفنت أبي في ثوبين شطويين كان يحرم فيهما وقعيص من قصمه وعمامة كانت لعليّ بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ و في برد اشتريته بأربعين ديناراً ، ولو كان اليوم ساوي أربعمئة دينار .

#### وأما حالته اذا حمل على سريره

فهو أنه إن كان مؤمناً خرج روحه يمشي بين يدي القوم قدماً وتلقاه أرواح المؤمنين ويسخرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم .

وإن كان عدو الله سبحانه فهو كما ورد في رواية الكليني عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا حَمِلَ عَدُوُ اللَّهِ أَبْيَ جَعْفَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : إِذَا حَمِلَ عَدُوُ اللَّهِ إِلَى قَبْرِهِ نَادَى حَمْلَتَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ يَا أَخْوَتَاهُ إِنَّنِي أَشْكُو إِلَيْكُمْ مَا وَقَعَ فِي أَخْوَكُمُ الشَّقَّيِّ إِنَّ عَدُوَ اللَّهِ خَدَنِي فَأُورَدَنِي ثُمَّ لَمْ يَصْدِرْنِي وَأَقْسَمْ لِي أَنَّهُ نَاصِحٌ لِي فَفَشَّنِي وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ دُنْيَا غَرَّتِي حَتَّى إِذَا أَطْمَأْنَتْ إِلَيْهَا صَرَعْتِي ، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ أَخْلَاءَ الْهَوَى مَنْتَوْنِي ثُمَّ تَبَرَّؤُوا مِنِّي وَخَذْلُونِي ، وَأَشْكُو إِلَيْكُمْ أُولَادًا حَمِيتْ عَنْهُمْ وَآثَرْتَهُمْ عَلَى نَفْسِي فَأَكْلَوْا مَالِي وَأَسْلَمُونِي .

وأشكوا إليكم مالاً ضيّعت فيه حق الله سبحانه فكان وباله على و كان تفعه لغيري، وأشكوا إليكم داراً أنفقتم عليهما حربتي (١) وصار سكانها غيري

أشكركم طول الشواء في قبري ينادي أنا بيت الدود وأنا بيت الظلمة والوحشة و الضيق .

يا أخوتاه فاحبسوني ما استطعتم و اخذروا مثل ما لقيت فاني قد بشّرت بالنار وبالذل والسفار و غضب العزيز الجبار ، واحسراه على ما فرّط في جنب الله وياطول عولته فعالى من شفيع يطاع ولا صديق يرحمني فلو لأنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين .

وفي رواية إنّ أبي جعفر عليهما السلام كان يبكي إذا ذكر هذا الحديث .  
ثم إنّه إذا أتيت بالميت إلى شفیر قبره فأمهله ساعة فانّه يأخذ اهبه للسؤال كما وردت رواية أبي الحسن موسى عليهما السلام .

وإذا حضر المؤمنون للصلوة عليه وشهدوا له بالخير والصلاح فقد ورد في الخبر أنّ الله سبحانه يجيز شهادتهم ويكتبه عنده من الأخيار وإن كان في علمه عز وجل من الأشرار .

قال الصادق عليهما السلام : إذا حضر العيت الأربعون رجلا فقالوا : اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيراً ، قال الله تعالى : قد قبلت شهادتكم له وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون .

قال السيد الجزائري في الأنوار النعمانية روى الشيخ الكليني قدس الله روحه بسانده إلى الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال : كان فيبني إسرائيل عابد فأوحى الله تعالى إلى داود على نبيينا و عليه السلام إنّه مرأئي قال : ثم إنّه مات فلم يشهد جنازته داود ، فقام الأربعون منبني إسرائيل فقالوا : اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيراً و أنت أعلم به منّا فاغفر له « قال فلم يأغسل أتى إليه الأربعون غير الأربعين وقالوا : اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيراً فأنّت أعلم به منّا فاغفر له خل » قال عليهما السلام فأوحى الله تعالى إلى داود : مامنعك أن تصلي قال داود : للذى أخبرتنى به ، قال : فأوحى الله إليه انه قد شهد له قومه فأجزت شهادتهم وغفرت له وعملت مال تعلموا .

## واما حاله بعد وضعه في قبره

ففي الحديث إنّ الرّوح يدخل إلى حقوقه ويسمع لفظ أيدي القوم من تراب قبره فعند ذلك ينظر يميناً وشمالاً فلا يرى إلاّ ظلمات ثلاث : ظلمة الأرض ، وظلمة العمل ، وظلمة الوحشة فيالها من داهية عظيمة ورذيلة جسيمة ، وأول ملك يدخل عليه يسمى رومان فتأن القبور ، وفي رواية أصبع بن نباته يسمى متibe :

قال السيد الجزايري رحمة الله : روى عبد الله بن سلام أنه قال : سأله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أول ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر ونكير ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملك يتلاًلاً ، وجهه كالشمس اسمه رمان (١) يدخل على الميت ثم يقول له : أكتب ماعملت من حسنة ومن سيئة ، فيقول : بأي شيء أكتب ؟ أين قلمي ودواتي ومدادي ؟ فيقول له : ريقك مدادك و قلمك اصبعك ، فيقول : على أي شيء أكتب وليس معى صحيحة ؟ قال : صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ماعمله في الدنيا خيراً .

فإذا بلغ سietاته يستحب منه فيقول له الملك : يا خاطى ماتستحبى من خالفك حين عملتها في الدنيا وتستحبى الآن ، فيرفع الملك العمود ليضر به فيقول العبد : ارفع عنى حتى أكتبها ، فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثم يأمره أن يطوى ويختتم فيقول له : بأي شيء اختمه وليس معى خاتم ؟ فيقول له : اختمه بظفرك وعلقه في عنقك إلى يوم القيمة كما قال تعالى :

**«وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَنَا طَافِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيمَةِ كَابًا يَقْبِيَهُ مَنْشُورًا»**

وفي رواية أخرى أنه يأتي إلى الميت فيسمه فان عرف منه خيراً أخبر منكره ونكيره حتى يرافقه وقت السؤال ، وإن عرف منه شراً أخبرهما حتى يشدد عليه الحال والعقاب .

## واما السؤال عنه

فقد علمت سابقاً أنه من ضروريات الدين وعليه اتفاق المسلمين وفي

١ - رومان في دعا، الصحيفة السعادية بالـ او قال السيد عليغان في شرحه هو من الروم يعني الطلب، وفي هذه الرواية وبعض الروايات الآخر رمان بدون الواو فاهم ، منه .

الأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ مُلْكِينَ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا مُنْكِرًا وَ الْآخَرُ نَكِيرًا  
وَ كُلُّ تَعَالَى السُّؤَالُ إِلَيْهِما .

وَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِ مُبَشِّرٌ وَبِشِيرٌ ، وَ بِالنِّسْبَةِ  
إِلَى الْكَافِرِ مُنْكِرٌ وَ نَكِيرٌ ، لَا ظَاهِرًا يَأْتِيَانِ إِلَى الْمُؤْمِنِ بِصُورَةِ حَسْنَةٍ وَ يَبْشِرُهُ أَنَّهُ  
بِالثَّوَابِ وَ النَّعِيمِ ، وَ يَأْتِيَانِ إِلَى الْكَافِرِ وَ الْمُخَالِفِ بِصُورَةِ نَكْرَةٍ مُهِبَّةٍ وَ يَوْعِدُهُنَّ  
بِالْعَذَابِ وَ الْجَنَّمِ .

رَوْيَ فِي الْكَافِي بِاسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ  
إِذَا أُخْرِجَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْعَتُهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى قَبْرِهِ وَ يَزْدَهِمُونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَهَىَ بِهِ  
إِلَى قَبْرِهِ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ مَرْجِبًا بَكَ وَ أَهْلًا أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتَ أَحَبَّ أَنْ يَمْشِي عَلَىٰ  
مُثْلِكَ لَتَرِينَ مَا أَصْنَعَ بَكَ فَيُوَسِّعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ

وَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُلْكًا الْقَبْرِ وَ هُمَا قَعِيدَا الْقَبْرَ مُنْكِرٌ وَ نَكِيرٌ فَلِقَيَانِ فِيهِ الرُّوحُ  
إِلَى حُقُولِهِ فَيَقْعُدُهُنَّ وَ يَسْأَلُهُنَّ فَيَقُولُونَ لَهُ مَنْ رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : اللَّهُ تَعَالَى ، فَيَقُولُونَ : مَا  
دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولُونَ : مَنْ نَبِيَّكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَقُولُونَ : وَ مَنْ  
أَمَّاكَ ؟ فَيَقُولُ : فَلَانُ ، قَالَ : فَيَنْهَايِي مِنْ أَنْدَمِ الْسَّمَاءِ صَدْقَ عَبْدِيِّ افْرَشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنْ  
الْجَنَّةِ وَ افْتَحُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْبَسُوهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا وَ مَا  
عَنْدَنَا خَيْرَ لَهُ ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ بِنِمَّ نُوْمَةِ عَرْوَسٍ نَّمَّ نُوْمَةً لَا حَلْمَ فِيهَا .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَ إِنْ كَانَ كَافِرًا خَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ شَيْعَتُهُ إِلَى قَبْرِهِ تَلْعَنُونَهُ حَتَّىٰ  
إِذَا اسْتَهَىَ بِإِلَى قَبْرِهِ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ : لَا مَرْجِبًا بَكَ وَ لَا أَهْلًا أَمَا وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتَ أَبْغَضَ  
أَنْ يَمْشِي عَلَىٰ مُثْلِكَ لَا جَرْمَ لَتَرِينَ مَا أَصْنَعَ بَكَ الْيَوْمَ ، فَتَضَيِّقُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ  
تَلْقَى جَوَانِحَهُ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُلْكًا الْقَبْرِ وَ هُمَا قَعِيدَا الْقَبْرَ مُنْكِرٌ وَ نَكِيرٌ .

قَالَ أَبُو بَصِيرٍ : جَعَلْتُ فَدَاكَ يَدْخَلَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا .

قال فيقعدانه فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقولان له: من ربّك؟ فيتلجلج (١) ويقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له لا دريت، ويقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج فيقولان له: لادريت، ويقولان له من نبيّك؟ فيقول: قد سمعت الناس يقولون فيقولان له: لا دريت ويسأّل عن إمام زمانه.

قال عليه السلام وينادي مناد من السماء كذب عبدي افرووا له في قبره من النار واقتروا له ببابا إلى النار حتى يأتينا و ما عندنا شرّ له فيضر بانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا و يتطاير منها قبره ناراً لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكان رميماً.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنفسه نهشاؤ الشيطان يغمسه غمماً، قال ويسمع عذابه من خلق الله إلا الجن والانس، وقال عليه السلام إنّه ليس مع خفق نعالهم ونفخ أيديهم وهو قول الله عزّ وجلّ:

«يُبَتِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُولِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ».

وعن إبراهيم بن أبي البلاط عن بعض أصحابه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يقال للمؤمن في قبره: من ربّك؟ قال: فيقول: الله، فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمد صلوات الله عليه وآله وسلام، فيقال: من امامك؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له و ثبتني عليه، فيقال له: نم نومة لا حلم فيها نومة العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل إليه من روحها وريحانها ليقول: يارب عجل قيام الساعة لعلّي أرجع إلى أهلي ومالي. ويقال للكافر: من ربّك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمد صلوات الله عليه وآله وسلام فيقال: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قلت له، فيضر بانه بمرزبة لو اجتمع عليه الشّقان الانس والجن لم

يطيقها .

قال عليه السلام فيذوب كما يذوب الرصاص ، ثم يعيدهان فيه الروح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول . يارب أخر قيام الساعة

وعن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام : قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه : إنني كنت أنظر إلى الأبل والغنم وأنا أرعاها وليس من نبي إلا وقد رعن الغنم ، وكنت أنظر إليها قبل النبوة وهي متمنكة في «ممتنية من خ» المكينة ماحولها شيء يهيجها حتى تذعر فتطير فأقول ما هذا وأعجب ، حتى حدثني جبرئيل عليه السلام أن الكافر يضرب ضربة ماحلق الله شيئاً إلا سمعها ويدضر لها إلا الشقلين فقلنا : ذلك لضربة الكافر ، فنعود بالله من عذاب القبر .

و عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يجيء الملكان منكر و نكير إلى الميت حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ، يخطران الأرض بأيديهما ويطآن في شعورهما فيسألان الميت من ربك وما دينك ؟  
قال عليه السلام : فإذا كان مؤمناً قال : الله ربى ، وديني الاسلام ، فيقولان له : ما تقول في هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم ؟ فيقول : أعن محمد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه تسألاني ؟ فيقولان : تشهد أنه رسول الله ؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله ، فيقولان له : نعم نومة لا حلم فيها ويفسح له في قبره تسعه أذرع ويفتح له باب إلى الجنة ويرى مقعده فيها

وإذا كان الرجل كافراً دخلا عليه واقِيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له : من ربك وما دينك ؟ وما تقول في هذا الرجل الذي خرج من بين ظهرانيكم ؟ فيقول : لا أدرى فيخليان بيته وبين الشيطان ، فيسلط عليه في قبره تسعه وتسعين تنيناً لو أن تنيناً واحداً منها نفخت في الأرض ما أنبت شجراً أبداً ، ويفتح له باباً إلى النار ويرى مقعده فيها .

وعن محمد بن أحمد الخراساني عن أبي هريرة قال قال أبو عبد الله عليه السلام يسأل الميت في قبره عن خمس ، عن صلاته و زكاته وحجته وصيامه ولايته إيااناً أهل البيت

فتقول الولاية من جانب القبر للأربع : ما دخل فيكِنْ من نقص فعلى تمامه .  
وفي الوسائل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليهما السلام ما على أحدكم إذا دفن  
ميتته وسوى عليه وانصرف عن قبره أن يتخلّف عند قبره ثم يقول : يافلان بن فلان  
أنت على العهد الذي عهديناك به من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن  
عليها أمير المؤمنين إمامك ، وفلان وفلان حتى يأتي آخرهم ، فإنه إذا فعل ذلك  
قال أحد الملائكة لصاحبه : قد كفينا الوصول إليه وسألتنا إيه فأنه قد لقّن  
حجّته فینصره فان عنه ولا يدخلان إليه .

و فيه عن علي رض بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام  
قال : ينبغي أن يتخلّف عند قبر الميت أولى الناس به بعد انصرف عنه ويغيب  
على التراب بكفيه ويلقنه برفيع صوته ، فإذا فعل ذلك كفى الميت المسألة  
في قبره .

وفي الكافي بسانده عن أبي بكر الحضرمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لا يسأل  
في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً والآخرون يلهمون عنه .  
ونحوه أخبار آخر في معنه عليه السلام ، وظاهر الكليني كالصدق هو الأخذ بظواهر  
هذه الأخبار لروايتها لها من غير تعرّض لتأويلها ، وقد حكى ذلك عن الشیخ  
البهائي (ره) .

وقال الشهيد (ره) في محكيه كلامه : إن هذا الخبر محمول على سؤال  
خاص ليوافق الأخبار العامة في سؤال القبر  
و قال السيد الجزايري رحمة الله ويمكن أن يراد بالملهوم عنهم الذين وردت  
الأخبار في شأنهم أنهم يكلّفون يوم القيمة بأن تؤجّج لهم نار فيؤمروها بالدخول فيها  
مثل البلاه والمجانين ومن كان في فطرات «فترات ظه الأنبياء والشیخ الفانی» والعجز  
الفنانی ونحوهم ، وهؤلاء لم يمحضوا الإيمان وهو ظاهر ، ولم يمحضوا الكفر أيضاً  
لقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم في قبورهم حتى يمنحهم الله سبحانه  
في القيمة قوة إدراك التكاليف والعقل القابل له .

### وأما ضغطة القبر وضمنته

ففي الكافي بسانده عن سالم عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: مامن موضع قبر إلا وهو ينطق كل يوم ثلاط مرات: أنا بيت التراب أنا بيت البناء أنا بيت الدود، قال عليهما السلام فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحبا وأهلاً أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك.

قال عليهما السلام: فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة، قال عليهما السلام: ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيتك شيئاً قطّ أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله.

قال عليهما السلام: ثم تؤخذ روحه فتتووضع في الجنة حيث رأى منزله، ثم يقال له: نم فرير العين فلاتزال نفحة من الجنة تصيب جسده ويجد لذتها وطيبها حتى يبعث، قال عليهما السلام: وإذا دخل الكافر قبره قال: لا مرحبا بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت ابغضك وأنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطني ستري ذلك.

قال: فتضم عليه فتجعله رميمًا ويعاد كما كان ويفتح له باب إلى النار فإذا مقعده من النار، ثم قال: ثم أنه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط قال: فيقول يا عبد الله من أنت ما رأيتك شيئاً أقبح منك، قال: فيقول: أنا عملك السييء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث.

قال ثم تؤخذ روحه فتتووضع حيث رأى مقعده من النار، ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألماً بها وحرّاً في جسده إلى يوم يبعث، ويسلط الله على روحه تسعه وتسعين تسعين تنهشه ليس فيها تدين ينفع على ظهر الأرض قنبوت شيئاً، وهذه الضّغطة هي التي ضمنها رسول الله عليه السلام لفاطمة بنت أسد أم

أمير المؤمنين عليهما السلام.

وقد روى أنّه لما حفر لها قبر اضطجع فيه رسول الله عليهما السلام فقيل له ما ألمك في ذلك فقال: إنّي ذكرت ضغطة القبر عندها يوماً ذكرت شدّتها فقلت: واضعفها

ليس لي طاقة عليها فقلت لها : إنني أضمن لك على الله فاضطجعت في قبرها لذلك .  
وفي الكافي عن أبي بصير قال : قلت لاً بني عبد الله عليهما السلام : أي قلت من ضغطة القبر أحد ؟  
قال : فقال عليهما السلام : نعود بالله منها ماما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر ، إن رقية لمن  
قتلها عثمان وقف رسول الله صلوات الله عليه وسلم على قبرها فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه  
وقال للناس : ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوحتها من ضمة القبر ، قال :  
قال : اللهم هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله .

قال عليهما السلام و إن رسول الله صلوات الله عليه وسلم خرج في جنازة سعد وقد شيعه سبعون ألف  
ملك فرفع رسول الله صلوات الله عليه وسلم رأسه إلى السماء ثم قال : مثل سعد يضم ؟ قال : قلت  
جعلت فداك : إنا نحدث أنت كأن يستخف بالبيول ، فقال عليهما السلام : معاذ الله إنما كان  
من زعارة (١) في خلقه على أهله قال : فقالت أم سعد هنيئا لك يا سعد ، قال : فقال  
لها رسول الله عليهما السلام : يا أم سعد لا تحسني على الله .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : يسأل وهو مضغوط ،  
قال المحدث المجلسي «ره» في حق اليقين : يفهم من الأحاديث المعتبرة  
أن ضغطة القبر للبدن الأصلي وأنها تابعة للسؤال ، فمن لا سؤال عنه لا ضغطة له ،  
وفيه عن الصدوق عن الصاق عليهما السلام قال : قال رسول الله عليهما السلام إن ضغطة القبر  
للمؤمن كفارة عمّا صدر عنه من تضييع نعم الله سبحانه .

وفي الكافي عن يونس قال : سأله عن المصلوب يعذّب عذاب القبر ؟ قال :  
قال : نعم إن الله عزّ وجلّ يأمر الهواء أن يضغطه .

وفي رواية أخرى سئل أبو عبد الله عليهما السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر ، فقال  
عليهما السلام : إن رب الأرض هو رب الهواء فيوحى الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة  
هو أشدّ من ضغطة القبر .

وفيه في رواية أبي بصير التي تقدّم مصدرها في ذكر حالة الاحتضار عن أبي

عبد الله عليه السلام، فإذا أدرج في أكفانه وضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قديماً و تلقاء أرواح المؤمن و يبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم ، فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه ثم يسأل عما يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله عليه السلام ، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها .

قال : قلت جعلت فداك فأين ضغطة القبر ؟ فقال عليه السلام : هي هات ما على المؤمنين منها شيء والله إن هذه الأرض لتفتخرون على هذه فيقول : و طيء على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن ، والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك فتفسح له مدار بصره ، هذا .

وفي الحق اليقين به ، ايراده الأخبار الواردة في الضغطة مما قدمنا روایتها وما لم يتقدم قال : والجمع بين هذه الأخبار في غاية الاشكال إذ لوحملنا المؤمن فيها على المؤمن الكامل فائي كامل أكمل من فاطمة بنت أسد ورقية ابنة النبي صلوات الله عليه وسلم وسعد بن معاذ .

اللهم إلا أن يحمل ما في فاطمة ورقية على الاحتياط والاطمئنان وحصول الاستطاع والدعاء أو يقال المراد بالمؤمن المعصوم و من يتلو مرتبة العصمة كسلمان وأبي ذر ونظرائهم ، ويمكن حمل أخبار عدم الضغطة للمؤمن على عدم الضغطة الشديدة أو حمل أخبار عدم الضغطة له على ما تكون على وجه الغضب ، وما تدل عليها على ما تكون على وجه اللطف ولن يكون قابلاً لدخول الجنة كما أن أبتلاء بمحن الدنيا وبلايتها كان لذلك .

ويمكن أن يقال : إنها كانت في صدر الاسلام عامّة للمؤمن وغيره ، ثم اختصت بغيرهم بشفاعة الرسول والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم هذا .

وبقي الكلام فيما يجب ارتفاع الضغطة والأمن من بعض عقوبات البرزخ وهي امور كثيرة .

منها رش الماء على القبر فقد روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :  
يتجافي عنه العذاب مadam النـدى في التـراب .

ومنها الجريدتان ففي الوسائل عن الصـدوق باسناده إلى زراة قال : قلت  
لـأبي جعفر عليه السلام : أرأـيت المـيت إذا مـات لم تجـعل معـه الجـريـدتـان ؟ فـقال عليه السلام  
يـتجـاـفـي عـنـهـ العـذـابـ أـوـ الـحـسـابـ مـادـاـ العـودـ رـطـبـاـ إـنـمـاـ العـذـابـ وـالـحـسـابـ كـلـهـ فـيـ يـوـمـ  
واـحـدـ فـيـ سـاعـةـ وـاحـدـةـ قـدـرـ ماـ يـدـخـلـ القـبـرـ وـيـرـجـعـ الـقـوـمـ وـ إـنـمـاـ جـعـلـ السـعـفـتـانـ  
لـذـلـكـ فـلـاـ يـصـبـيـهـ عـذـابـ وـلـاـ حـسـابـ بـعـدـ جـفـوـهـمـاـ إـنـشـاءـ اللهـ .

ومنها الوفاة ليلة الجمعة أو يومها ففي الأـنـوارـ للـسـيـدـ الـجـزـائـريـ رـحـمـهـ اللهـ  
قد ورد في الأـخـبـارـ الـمـعـتـبـرـةـ ، أـنـ مـاتـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ لـيـلـةـ الـجـمـعـةـ أوـ يـوـمـهاـ أـمـنـ  
مـنـ ضـغـطـةـ الـقـبـرـ ، قـالـ «ـرـهـ»ـ وـ رـبـّـمـاـ وـرـدـ أـنـ بـعـضـ أـعـمـالـ الـبـرــ وـالـأـدـعـيـةـ الـمـأـثـورـةـ  
تـدـفـعـهـ أـيـضاـ ، وـهـوـ لـيـسـ بـيـعـيـدـ فـانـ رـحـمـةـ اللهـ قـرـيبـ مـنـ الـمـحـسـنـينـ .

ومنها الدـفنـ فيـ وـادـيـ السـلـامـ فـقـدـ روـيـ فيـ الأـنـوارـ أـيـضاـ منـ كـتـابـ إـرـشـادـ  
الـقـلـوبـ فـضـلـ الـمـشـهـدـ الشـرـيفـ الـغـرـوـيـ وـ مـاـ لـتـرـبـتـهـ وـ الدـفـنـ فـيـهـ مـنـ الـمـزـيـةـ  
وـالـشـرـفـ .

روـيـ عنـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـهـ قـالـ :ـ الغـرـيـ قـطـعـةـ مـنـ الـجـبـلـ الـذـيـ كـلـمـ اللهـ  
موـسـىـ عـلـيـهـ تـكـلـيـمـاـ ، وـقـدـسـ عـلـيـهـ تـقـدـيسـاـ وـاتـخـذـ عـلـيـهـ إـبـرـاهـيمـ خـلـيلـاـ ، وـمـحـمـداـ عـلـيـهـ السـلـامـ  
حـبـيـباـ وـجـعـلـهـ لـلـنـبـيـيـنـ مـسـكـنـاـ .

وـرـوـيـ أـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ نـظـرـ إـلـىـ ظـهـرـ الـكـوـفـةـ فـقـالـ :ـ مـاـ أـحـسـنـ مـنـ ظـرـفـكـ  
وـأـطـيـبـ قـعـدـكـ ، اللـهـمـ أـجـعـلـ قـبـرـيـ بـهـ .

قـالـ :ـ وـمـنـ خـواـصـ تـرـبـتـهـ اـسـقـاطـ عـذـابـ الـقـبـرـ وـ تـرـكـ مـحـاـسـبـةـ مـنـكـرـ وـ نـكـيرـ  
مـنـ الـمـدـفـونـ هـنـاكـ كـمـاـ وـرـدـتـ بـهـ الأـخـبـارـ الصـحـيـحةـ عـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ السـلـامـ .

أـقـولـ :ـ وـنـظـيرـ مـارـوـاهـ عـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـارـوـاهـ فـيـ الـكـافـيـ عـنـ حـبـةـ الـعـرـنـيـ  
قـالـ :ـ خـرـجـتـ مـعـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـلـىـ الـظـهـرـ فـوـقـ بـوـادـيـ السـلـامـ كـأـنـهـ مـخـاطـبـ

لَا قوام، فقمت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى ملت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى ملت.

ثم قمت وجمعت ردائى فقلت يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه. فقال لي: ياحبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسة قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم كذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لرأيهم حلقاً حلقاً محتلين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال لي: أرواح ومامن مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل: الحقى بوادي السلام وإنها لبقة من جنة عدن.

والمستفاد من هذه الرواية وكثير من الأخبار المعتبرة أنها جنة الدنيا وأن أرواح المؤمنين فيها كما أن أرواح الكفار في بئر البرهوت.

فقد روی في الكافي عن أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ رَفِعَهُ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: قلت له: إِنَّ أَخِي بِيَغْدَادَ وَأَخَافُ أَنْ يَمُوتَ بِهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: مَا يَبَالِي حِيثُ مَامَاتُ أَمَا نَهْ لَا يَبْقَى فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا إِلَّا حَشَرَ اللَّهُ رُوحَهُ إِلَى وَادِي السَّلَامِ ، قَالَ: قلت له: وَأَيْنَ وَادِي السَّلَامِ؟ قَالَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: ظَهَرَ الْكَوْفَةُ أَمَا إِنِّي كَأَنِّي بِهِمْ حَلَقْ قَوْدِي تَحْدِثُونَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بِاسْنَادِهِ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: شَرُّ بَئْرٍ فِي النَّارِ الْبَرْهُوتُ الَّذِي فِيهِ أَرْوَاحُ الْكَفَّارِ .

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَفَافُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَفَافُ: شَرٌّ مَاهٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاهٌ بَرْهُوتٌ، وَهُوَ وَادٌ بِحُضْرَمُوتٍ تَرَدُّ عَلَيْهِ هَامُ الْكَفَّارِ .

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ وَلَا حَاجَةٌ إِلَى ذِكْرِهَا نَعَمْ فِي الْمَقَامِ خَبَرٌ يَسْتَلِذُ التَّفَسُّ وَيُسْرُ القَلْبُ بِهِ وَهُوَ مَارُواهُ فِي الْأَنْوَارِ عَنْ الْقَاضِيِّ بْنِ بَدْرِ الْهَمَدَانِيِّ الْكَوْفِيِّ وَكَانَ رِجَالًا صَالِحًا مَتَبَعِيدًا .

قَالَ: كُنْتُ فِي جَامِعِ الْكَوْفَةِ ذَاتِ لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ فَدَقَّ بَابُ مُسْلِمٍ جَمَاعَةٍ فَفَتَحَ لَهُمْ وَذَكَرَ بَعْضَهُمْ أَنَّ مَعَهُمْ جَنَازَةً فَأَدْخَلُوهَا وَجَعَلُوهَا عَلَى الصَّفَةِ الَّتِي تَجَاهُ بَابَ

مسلم بن عقيل ، ثم إن أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول لا آخر : ما تبصره حتى نصر هل لنا معه حساب أم لا ، فكشف عن وجه الميت وقال لصاحبه بل لنامه حساب وينبغي أن نأخذه معجلًا قبل أن يتعدّي الرّصافة فما يبقى لنا معه طريق .

فانتبه وحكى لهم المنام وقال : خذوه عجلًا فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشّريف صلوات الله وسلامه على مشرّفها .

أقول : رزقنا الله سبحانه و إخوانِي المؤمنين مجاورة حضرت مولاي و مولى العالمين عليه الصلاة والسلام حيّاً و ميتاً ، وأنا أوصي خليفتي وولي أمرِي بعدِي أن يدفنني في ذلك المقام الشريف .

### وأقول له :

إذا مت فادفني إلى جنب حيدر	أبي شبرٍ أكرم به و شمير
فلست أخاف النار عند جواره	ولا أتقى من منكرٍ ونكير
فعارض على حامي الحمى وهو في الحمى	إذا ضل في البيدا عقال بعيير
ثم أقول :	

ولايتي لا مير النحل تكفيني	عند الممات و تغسيلي و تكفيني
وطيبتي عجنت من قبل تكويني	بحب حيدر كيف النار تكويني
ثم أناجي ربِّي وأقول :	

وفدت على الكريم بغير زاد	هن الحسنات والقلب السليم
فتحمل الزاد أقبح كل شيء	إذا كان الوفود على الكريم

### الترجمة

وبعض دیگر از این خطبه شریفه در صفت خلق انسانست که میفرماید : آیا یادآوری نمایم شمارا باین انسانی که ایجاد فرمود اورا صانع حکیم در ظلمتهای رحمها و در غلافهای پردهها در حالتی که نطفه بود ریخته شده و علقة ناقص گشته و بچه پنهان در شکم زنان و طفل شیرخواره و از شیر باز گرفته و بسن احتلام رسیده .

پس از آن عطا فرمود اورا قلب حفظ کننده ، وزبان گوینده ، و دیده نگرده تا فهم کند در حالتی که عبرت گیرنده باشد و باز ایستد از معصیت در حالتی که نفس خود را زجر کننده شود ، تا اینکه قایم شد حد اعتدال او ، و راست شد پیکر ومثال او ، رهیم و نفرت نمود از حق در حالتی که گردن کش بود ، و خبط کرده در حالتی که بی باک بود .

آب کشند بود در دلو بزرگ هوس و هوای خود ، رنج کشند بود و سعی کننده از برای دنیای خود در لذت‌های شادیش و در حاجت‌های خطور کننده قلب خویش در حالتی که گمان نمی نمود مصیبتی که بر سد باو ، و نمی ترسید از محضی که وارد شود باو پس مرد در ضلالت خود در حالتی که غافل بود از غضب مالک الملک ، وزندگانی کرد در لغزیدن خود در زمان اندک .

کسب ثمنود عوض نعمتها را در دنیا ، و بجا نیاورد فرایض لازمه بر خود را ، هجوم آور شد بر او اندوه‌های مرک در بقایای سواری او بر هوای خود ، و در راه‌های سرور و شادی خود ؛ پس متھیس گشت و شب را بر بیداری بروز آورد در شدت‌های دردها و نازل شده‌های المها و بیماریها در میان برادر که شفه ایست از جان و پدر مهریان و مادر واویلا گوینده از روی جزع و خواهر بسینه زننده از روی اضطراب و فزع و حال آنکه آن مرد در سکرات موتست مشتمله بر تعب و شدت ، و در غمرات مر گست متصرفه با نهایت مشقت ، و در نالهای درد آورنده ، و در کشش روح اندوه آورنده ، و راندن رنجاننده .

پس پیچیده شد در کفنهای خود در حالتی که مایوس بود و حزین ، و کشیده شد در حالتی که اطاعت کننده بود آسان ولیم ، پس انداخته شد در چوبهای نعش مثل شتر مرد در اسفار ، و همچو شتر لاغر از کشت بار ، در حالتی که بردارند اورا فرزندان یاری دهنده ، و برادران جمع شونده بسوی قبر که سرای غربت اوست و جای بریدن زیارت از اوست . **«ج ۴۴»**

تا آنکه چون رجوع کند تشییع کننده و پر میگردد اندوه خورنده نشانده میشود در قبر در حالتی که راز گوینده باشد از جهه بہت وحیرتی که حاصل میشود اورا از سؤال، و بجهه لغزش در امتحانی که اور است در عقاید و اعمال، و بزرگترین چیزی که آنجاست از حیثیت بلا پیشکش آب گرم و جوشانست، و در آوردن اوست در آتش سوزان، و جوششهای آتش سرخ شده، و شدت تهای صدای نار موقفه.

نیست آنجا سستی که راحت کننده از عذاب باشد، و نه آرمیدنی که زایل کننده عقاب باشد، و نه مرک حاضر که باعث استراحت او شود، و نه خواب اندک که سبب فراموشی زحمت او گردد، بلکه همیشه در میان انواع مرگها باشد، و در میان عذابهای ساعت بساعت، بدرستی که پناه میبریم بخدا از این عذاب و عنا.

### الفصل الثامن

عِبَادَ اللَّهِ، أَئِنَّ الَّذِينَ عَمِرُوا فَنَمُوا، وَعْلَمُوا فَقَهِمُوا، وَأَنْظِرُوا فَلَمَّا وَسْلَمُوا فَنَسُوا، أَمْهَلُوا طَوِيلًا، وَمُنْحُوا جَمِيلًا، وَحُذِرُوا إِلَيْهَا، وَوِعِدُوا جَسِيمًا، احْذَرُوا الدُّنْوَبَ الْمُورِطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْتَخْطَةَ، أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْمَعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خِلَاصٍ، أَوْ مَعَادٍ أَوْ مَلَادٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ، أَمْ لَا فَاتَى تُؤْفَكُونَ، أَمْ أَئِنَ تُضَرُّفُونَ، أَمْ بِمَا ذَا تَتَرَوَّنَ، وَإِنَّمَا حَظَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتُ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قَيْدٌ قَدَّهُ، مُنْعِرًا عَلَى تَحْدُهُ، الْأَنَّ عِبَادَ اللَّهِ وَالْغِنَاقُ مُهْتَمِلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فِتْنَةِ الْإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ

الاِحْتِشَادِ، وَمَهْلِ الْبَقِيَّةِ، وَأَنْفُرِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَأَنْفِسَاحِ  
الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنكِ وَالْمُضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ  
الْفَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَأَخْذَةِ الْغَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

قال السَّيِّد (ره) وفي الخبر أَنَّه عَلَيْهِ لِمَا خَطَبَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ اقْشَعَرَتْ لَهَا الْجَلَودُ  
وَبَكَتِ الْعَيْنُونَ وَرَجَفَتِ الْقُلُوبُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْمَى هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْغَرَاءَ.

### اللغة

(احذروا) أمر من حذر بالكسر من باب علم و (الورطة) الهلكة وأرض  
مطمئنة لا طريق فيها وأورطه ألقاه فيها و (المناص) الملجاو (المحار) المرجع  
من حار يحور أي رجع قال تعالى :

« إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ كَنْ يَحُوْرَ »

و (أفك) من باب ضرب وعلم أفك بالفتح والكسر والتحريك كذب وافكه  
عنه يأفكه صرفه وقلبه أو قلب رأيه و (القيد) كالقاد المقدار و (المفتر) محرّكة  
التراب وعفره في التراب يغفره من باب ضرب وعفره فاغفر وتعفر مرّغه فيه  
أودسه و (الختاق) ككتاب حبل يختنق به ويقال أخذ بختاقه أي بحلقه لا نتهيّموضع  
الختاق فاطلق عليه مجازاً و (فيينة) الساعة والحين يقال لقيتها الفينة بعد الفينة  
وقد يحذف اللام ويقال لقيتها فيينة بعد فيينة .

وفي بعض النسخ الارتياد بدل (الارشاد) وهو الطلب و (الباحة) الساحة  
والقضاء و (الاحتشاد) الاجتماع و (أنف) الشيء بضمتين أوله و (الانفساح)  
من الفسحة وهو السعة و (الحوبة) الحالة الحاجة و (والضنك) والضيق بمعنى  
واحد و (المضيق) ما ضيق من المكان والمراد هنا القبر و (الروع) الفزع و (زهق)  
نفسه من باب منع وسمع زهقاً خرجت وزهر الشيء بطل وهلك .  
و « اقشعريجلده » أخذته قشعريرة أي رعدة و « رجفت القلوب » اضطربت

و « الخطبة الغرّاء » بالغين المعجمة أي المتنصفة بالغرّة قال في القاموس : والغرّة من المتعان خياره ومن القوم شريفهم ومن الرجل وجهه و كلّ ما بدل ذلك من ضوه أو صبح فقد بدت غرّته .

### الاعراب

قوله عباد الله منصب على النداء بحذف حرفه ؛ وكذلك قوله لَكُلَّ الْكِلَالِ : أولى الآباء ، قوله : هل من مناص استفهام على سبيل الإنكار والابطال ، وأم في قوله أم لا منقطعة بمعنى بل فهي مثل أم في قوله :

**« هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ »**

والشاهد في الشأنية فاته سبحانه بعد إبطال استواء الأعمى والبصير والظلمات والنور أضرب عن ذلك وأخبر عن حالهم بأنّهم جعلوا الله شركاء ، وكذلك الإمام لَكُلَّ الْكِلَالِ بعد إنكار المناسن والخلاص وإبطاله أضرب عن ذلك وأخبر بأنه ليس هناك مناص ولا خلاص .

وقوله : فأنتي تؤفكون ، أنتي بمعنى كيف أو بمعنى أين و من مقدرة قبلها أى من أين تؤفكون ، صرّح به نجم الأئمة الرضي في مبحث الظروف من شرح الكافية ، وذا في قوله ألم بماذا تفترّون إما زايدة وهو الاظهر أو بمعنى الذي كما في ماذ القيل ، ومنعferred حال من الضمير في قوله .

وقوله : الآن من ظروف الزّ مان مبني على الفتح و اختلفوا في علة البناء والأظاهر ما قاله أبو علي من أنه متضمن لمعنى الحضور لأن معناه الز من الحاضر ، واللام فيه زايدة لازمة وليس للتعريف كما توصّم السيرافي وابن عصفور إذ لا تعرف أنّ التي للتعريف تكون لازمة وهذه لازمة لأنّ الآن لم يسمع مجردا عنها ، وكيف فهو مفعول فيه و العامل ممحون ، و التقدير اعملوا و اغتنموا الفرصة الآن .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمن للتدذكير بحال السلف وللأمر بالكف عن المعاصي وللحث على التدارك للذنوب قبل الموت بتحصيل التوبة والانابة وهو قوله : ( عباد الله أين الذين عمر وافتعلوا ) أى أعطاهم الله العمر فصاروا ناعمين أى صاحبى سعة في العيش والغذاء ( وعلموا ففهموا ) أى علمهم الأحكام ففهموا الحال والحرام ( وأنظروا ) في مدة الأجل ( فلهموا ) بطول الأمد ( وسلموا ) في العاجلة ( فنسوا ) العاجلة ( أمهلوا ) زمانا ( طويلاً ) وأمدّا بعيداً ( ومنجحوا ) عطاء ( جميلاً ) وعيشاً غريداً ( وحدروا عذاباً أليماً ) وجحيناً ( ووعدوا ) ثواباً ( جسيماً ) وعظيماً ( احتذروا الذنوب المورطة ) أى المعاصي الموقعة في ورطة الهلاكة و العقاب ( والعيوب المسخطة ) أى المساوى الموحمة لغضب رب الآيات .

(أولى الأ بصار و الأ سماع و العافية و المتع ) وإنما خص هؤلاء بالنداء  
وخصهم بالخطاب لأنهم القابلون للاعتاط والاذكار واللائعون للانتهار والانزجار بما  
أعطاهم الله من الأ بصار والبصائر من حهم من الأ سماع والضمائر وبذل لهم من الصحة  
والسلامة في الأ جساد ومن به عليهم من المتع والأموال والأولاد الموجبة للاغراض  
عن العقبا و الر غبة إلى الد نيا و الباعثة على ترك سبيل الر حمن و سلوك سبيل  
الشيطان والداعية إلى ترك الطاعات والاقتحام في الهلكات .

ثم استفهم على سبيل التكذيب والانكار بقوله : ( هل من مناص ) من العذاب ( أخلاص ) من العقاب ( أو معاذ ) من الو وبال ( أو ملاذ ) من النkal ( أو فرار ) من الحميم ( أو محار ) من الجحيم ( أم لا وليس فاني تؤفكون ) و تنقلبون ( أم أين

تصرفون ) وتلتفتون ( أَم بِمَا تَفْتَرُونَ ) وتفتنون ( وَأَنَّمَا حَظَّ أَحَدُكُم مِّنَ الْأَرْضِ ) الغبراء ( ذات الطول والعرض ) والارجاء ( قيد قده ) وقامته ( منعبرا على خده ) وجنته .

اعملوا ( الآن ) واغتنموا الفرصة في هذا الزمان يا ( عباد الله والخناق مهملاً والروح مرسل ) أي عنان نقوسكم مهملاً من الأخذ بخناق الموت وأرواحكم متراكمة من الجدب بحبال الفناه والفتور ( في فينة الارشاد ) والهدایة إلى الجنان ( وراحة الأجساد ) واستراحة الأبدان ( وباحة الاحتشاد ) أي ساحة اجتماع الأشباء والأقران ( ومهل البقية وانف المشيّة ) أي مهملاً بقيّة الحياة وأول أزمنة الإرادات .

وأشار بذلك إلى أنّ اللازم على الإنسان أن يجعل أول زمان إرادته وميل خاطره إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل ويكون همته يومئذ مصروفة في اتيان الطاعات واقتناء الحسنات ليكون ما يره على لوح نفسه من الكمالات وارداً على لوح صاف من الكدورات سالم عن رين الشبهات إذ لو انعكس الأمر وجعل أو ايل ميوله وإرادته منصرفة إلى اتيان المعاصي والخطيئات تسود وجه نفسه بسوء الملائكة فلم يكدر يقبل بذلك الاستفادة بنور الحق والاهتداء إلى الخيرات .

( وانتظار التوبة وانفساح الحوبة ) أراد به إمهال الله لهم لأجل تحصيل التوبة وإعطائهم لهم اتساع الحالة ووسيعة المجال لاكتساب الحسنات الأعمال ( قبل الضنك والمضيق ) أي قبل ضيق الزمان ومضيق المكان ( والروح والزهوق ) أي الفزع وخروج الروح من الأبدان ( وقبل قدموم ) الموت الذي هو ( الغائب المنتظر وأخذه ) الذي هو ( العزيز ) الغالب ( المقدير ) فإنه إذا قدم الموت بطل التكليف واستحال تدارك الذنوب ولا ينفع الندامة .

ولذلك قال أبو جعفر عليه السلام : قال رسول الله عليه السلام : الموت الموت ألا ولا بد من الموت ، جاء الموت بما فيه جاء بالروح والرحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لا هل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ، وجاء الموت بما فيه

بـالشـفـوة وـالنـدـامـة وـالـكـرـة الـخـاسـرـة إـلـى نـار حـامـيـة لـأـهـل دـار الـغـرـور الـذـين كـانـوا سـعـيـهـم وـفـيهـا رـغـبـتـهـم .

ثـم قـال : وـقـال إـذـا اسـتـحـقـت ولـاـيـة الله وـالـسـعـادـة جـاء الـأـجـل بـيـن الـعـيـنـيـن وـذـهـبـ الـأـمـل وـرـاء الـظـهـر ، وـإـذـا اسـتـحـقـت ولـاـيـة الشـيـطـان جـاء الـأـمـل بـيـن الـعـيـنـيـن وـذـهـبـ الـأـجـل وـرـاء الـظـهـر .

قال ﷺ : وـسـئـل رـسـول الله ﷺ أـيِّ الـمـؤـمـنـيـن أـكـيـس ؟ فـقـال : أـكـثـرـهـم ذـكـرـا لـلـمـوـت وـأـشـدـهـم لـه اـسـتـعـادـاـ .

قال السـيـدـر (ره) وـفـي الـخـبـر أـنـه لـمـا خـطـب بـهـذـه الـخـطـبـة اـقـسـعـتـهـ لـهـ الـجـلـوـهـ وـارـعـدـتـ وـبـكـتـ الـعـيـونـ وـاسـكـبـتـ (١) وـرـجـفـتـ الـقـلـوبـ وـاضـطـرـبـتـ وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـسـمـيـ هـذـهـ الـخـطـبـةـ الغـرـاءـ .

أـفـوـلـ : وـهـىـ حـقـيقـةـ بـهـذـهـ التـسـمـيـةـ لـكـونـهـاـمـ خـيـارـخـطـبـهـ وـشـرـايـفـهـاـوـجـوهـهـاـ لـمـاـ تـضـمـنـهـ مـعـناـهـاـ مـنـ الـحـكـمـةـ وـالـمـوـعـظـةـ الـحـسـنـةـ وـهـىـ كـافـيـةـ فـيـ الـهـدـاـيـةـ وـالـاـرـشـادـ لـلـطـالـبـ الرـأـبـ إـلـىـ الشـوـابـ وـوـافـيـةـ فـيـ مـقـامـ التـحـذـيرـ وـالـاـنـذـارـ لـلـهـارـبـ الرـأـبـ مـنـ الـعـقـابـ .

وـلـمـاـ اـشـتـملـتـ عـلـيـهـ الـفـاظـهـاـ مـنـ انـوـاعـ الـمـحـسـنـاتـ الـبـيـانـيـةـ وـالـبـدـيـعـيـةـ مـنـ الـانـسـجـاهـ وـالـتـرـصـيـعـ وـالـتـجـنـيـسـ وـالـسـجـعـ وـالـمـقـاـبـلـةـ وـالـمـواـزـنـةـ وـالـمـجـازـ وـالـاستـعـارـةـ وـالـكـنـيـاـتـ وـغـيـرـهـاـ .

وـنـاهـيـكـ حـسـنـاـ قـوـلـهـ ﷺ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ: هـلـمـنـاـنـ أـوـ خـلـاـصـ أـوـ مـعـاذـ أـوـ مـلـاـذـ أـوـ فـرـارـ أـوـ محـارـ ، وـقـوـلـهـ فـيـ الفـصـلـ الرـأـبـ ، فـاتـقـواـ اللهـ تـقـيـةـ مـنـ سـعـمـ فـخـشـ وـاقـتـرـفـ فـاعـتـرـفـ وـوـجـلـ فـعـلـ إـلـىـ آخـرـ مـاـقـالـهـ .

فـانـنـكـ إـذـاـ لـاحـظـ كـلـ لـفـظـةـ مـنـهاـ وـجـدـتـهاـ آخـذـةـ بـرـقـةـ فـرـيـنـتـهاـ ، جـاذـبـةـ لـهـ إـلـيـهاـ دـالـلـةـ عـلـيـهاـ بـذـاتـهـاـ وـمـحـسـنـاتـ كـلـامـهـ غـنـيـةـ فـيـ الـاـنـظـهـارـ غـيـرـمـحـتـاجـةـ إـلـىـ التـذـكـارـ إـذـ تـكـلـفـ الـاسـتـدـلـالـ عـلـىـ أـنـ الشـمـسـ مـضـيـةـ يـتـعـبـ وـصـاحـبـهـ يـنـسـبـ إـلـىـ

السفه وليس جاحدا لأمور المعلومة بالضرورة باشد سفها معن رام الاستدلال عليها

تکملہ

اعلم أنَّ بعض فضول هذه الخطبة مرويٌّ في البحار من كتاب عيون الحكماء  
والمواعظ لعليٍّ بن محمد الواسطي باختلاف يسير لما هنا، وهو من الفصل الخامس  
إلى آخرها ولا حاجة لنا إلى ايراده نعم روى كلام آخر له عليه السلام فيه من الكتاب  
الذي أشرنا إليه بعض فضول هذه الخطبة مدرج فيه وأحببت ايراده لاقتضاء  
المقام ذلك.

قال (ره) ومن كلام له تَبَلَّغُ إِنْكُم مخلوقون افتداراً، ومربو邦ون ايتساراً  
إلى آخر ما يأتى إنشاء الله في تكملة الشرح الخطبة المأتين والرّابعة والعشرين

الترجمة

ای بندگان خدا که جایند آنکسانیکه معمّر شدند پس منع شدند بناز و نعمت، و تعلیم شدند پس فهمیدند بذکاء و فقطن، و مهلت داده شدند پس غفلت ورزیدند از طاعات، و سالم گردانیده شدند پس فراموشی اختیار کردند بر تذکیرات حذر نمایید از ذنویی که میاندازد بورطه هلاکت، و از عیوبی که باعث میشود بخشش حضرت عزت .

ای صاحبان دیده‌های بینا و گوشهای شنوا و خداوندان سلامتی و متعای دنیا آیا هیچ پناه کاهی هست از عذاب ، یا خلاصی هست از عقاب ، یا هیچ ملجمائی هست از شدت ، یا ملاذی هست از عقوبت ، یا هیچ کریزی هست از آتش جحیم ، یا مرجعی هست از عذاب أَلِيم ، یا اینکه چاره و علاج نیست و مفرّ و مناص نه ؟ پس چگونه گردانیده میشوید از فرمان خدا ، یا کجا صرف کرده میشوید یا بچه چیز مغور میباشید و جزاً نیست که نصیب هر یکی از شما از زمینی که صاحب طول است و عرض مقدار قامت اوست در حالتی که خاک آلوده باشد بر رخسار خود . عمل بکنید و فرصت غنیمت شمارید الآن ای بندگان خدا و حال آنکه

آنچیزی که با آن اخذ کرده میشود کردنی‌های نقوس شما که مر کست و اگذاشت شده است، و روحهای شما ترک کرده شده است در ساعت رشادت یعنی کسب کردن چیزهایی که باعث رشد است و در راحت بدنها و در مهلت بقیه حیات و در اول ازمنه ارادات و در مهلت دادن بجهت تحصیل توبه و در وسعت و فراخی حالت پیش از زمان کوتاه و مکان تنک، و قبل از ترس ورقتن جان از بدن و پیش از آمدن غایب انتظار کشیده شده که عبارتست ازموت، و پیش از اخذ نمودن خدای غالب صاحب قدرت اورا در سلسله عقوبات.

قال الشارح عفی الله عنه : ولیکن هذا آخر ما أردنا ايراده في هذا المجلد و هو المجلد الثاني (١) من مجلدات منهاج البراعة في شرح النهج ، ويتلوه إنشاء الله المجلد الثالث إن ساعدنا الوقت و المجال بتوفيق الله الملك المتعال ، وهذه هي النسخة الأصل التي كتبتها بيعيني وأرجو من الله سبحانه أن يثبتها في صحائف أعمالني ويرجح بها ميزان حسناتي وأن يؤتيها بيعيني كما أمليتها بيعيني فإنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير ، و كان الفراغ منه في فجر العشرين من شهر ربیع الآخر ١٣٥٣ .

### بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي هداانا لهذا وما كنّا لننهى لولا أن هداانا الله، والصلوة والسلام على عبده ورسوله محمد حبيب الله، وعلى آله الذين فضّلهم على العالمين وجعلهم أضل عباد الله، واحتسبهم بالأمامية والولاية فصاروا أئمة الدين وأولياء الله، وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، ولعنة الله على أعدائهم الذين جعل مأواهم جهنّم لهم فيها زفير وشهيق وسائل مقاماً ومصيرًا .

وبعد فهذا هو المجلد الثالث من مجلدات منهاج البراعة املاء راجي عفوريه الغنى « حبيب الله بن محمد بن هاشم الباشمي العلوى الموسوي » أعطاهم الله كتابه

١- هذا على حسب تجزئة المصنف (قدره) كما في الطبعة الأولى

يسمناه ، وجعل عقباه خيراً من اولاها ، والمرجو منه سبحانه أن يمن على باتمامه بقرب محمد وآلـهـ .

فأقول : قال السيد (ره) :

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص  
وهو الثالث والثمانون من المختار في باب الخطب  
وقد رواه غير واحد من المحدثين على اختلاف تطلع عليه في التذنيب  
الثاني إبان شاهله .

عجباً لابن النابغة زعيم لأهل الشام أن في دعابة وابن أمرؤ  
تلعابة أعايس وأمادس ، لقد قال باطلأ ، ونطق آينا ، أما وشر القول  
الكذب ، إنه يتقول فيكذب ، ويمد فيخليف ، ويسئل فيلحف ،  
ويستدل فيبتخل ، ويغون العهد ، ويقطع الأمل ، فإذا كان عند العرب  
فائي زاجر وآمر هو ما لم يأخذ الشيوف مأخذها ، فإذا كان ذلك كان أكبر  
مكيداته أن ينتح القوم سبته ، أما والله إنه ليمنعني من اللعب ذكر الموت ،  
وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة ، إنه لم يمسيه موعيه حتى  
شرط له أن يؤتيه أنتي ، ويتضمن له على ترك الدين رضيحة .

### اللغة

(النابغة) أم عمرو بن العاص سميت بها لظهورها وشهرتها بالبغى ، مأخوذة

من نبغ الشيء نبoga أى ظهر و (يزعم) بمعنى يقول ، قال الفيومي : و عليه قوله تعالى :

«أَوْ تُسِقْطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ»

أى كما اخبرت قال المرزوقي : أكثـر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلـاً أو فيه ارتياـب ، قال الخطـانـي : ولـهـذا قـيلـ زـعـمـ مـطـيـةـ الـكـذـبـ وـزـعـمـ غـيرـمـزـعـمـ قالـ غـيرـمـقـولـ صالحـ وـادـ عـىـ مـالـ يـمـكـنـ ، وـ قـالـ أـبـوـ الـبـقاءـ : الـزـعـمـ بـالـضـمـ اـعـتـقـادـ الـبـاطـلـ بـلاـ تـقـولـ ، وـ بـالـفـتـحـ اـعـتـقـادـ الـبـاطـلـ بـتـقـولـ ، وـ قـيلـ : بـالـفـتـحـ قـولـ مـعـ الـظـنـ وـ بـالـضـمـ ظـنـ بـلاـ قـولـ ، وـ مـنـ عـادـةـ الـعـرـبـ أـنـ مـنـ قـالـ كـلـامـاـ وـ كـانـ عـنـهـمـ كـاذـبـاـ قـالـواـ : زـعـمـ فـلـانـ قـالـ شـرـيفـ لـكـلـ شـيـءـ كـنـيـةـ الـكـذـبـ زـعـمـ ، وـ قـدـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ فـيـ كـلـ مـوـضـعـ ذـمـاـلـلـقـائـلـينـ . وـ (ـالـدـعـابـةـ) بـضـمـ الدـالـ الـمـزـاحـ مـنـ دـعـبـ يـدـعـبـ مـثـلـ مـزـحـ يـمـزـحـ وـزـنـاـ وـمـعـنـيـ وـ فـيـ لـغـةـ مـنـ بـابـ تـعـبـ وـ فـيـ الـحـدـيـثـ قـلـتـ : وـمـاـ الدـعـابـةـ ؟ـ قـالـ : هـيـ الـمـزـاحـ وـمـاـ يـسـتـمـلـحـ وـ (ـالـتـلـعـابـ) بـكـسـرـ التـاءـ كـثـيرـ الـلـعـبـ وـ الـمـزـاحـ وـ الـتـاءـ لـمـبـالـغـةـ ، وـ الـتـلـعـابـ بـالـفـتـحـ مـصـدـرـ لـعـبـ وـ (ـالـعـافـسـةـ) الـمـعـالـجـةـ فـيـ الصـرـاعـ مـنـ الـعـفـسـ وـ هـوـ الـجـذـبـ إـلـىـ الـأـرـضـ فـيـ ضـغـطـ شـدـيدـ وـ الضـربـ عـلـىـ الـأـرـضـ بـالـرـجـلـ وـ (ـالـمـارـسـةـ) الـمـعـالـجـةـ وـ الـمـزاـوـلـةـ وـ (ـالـأـحـفـ) السـائـلـ إـلـىـ الـحـافـأـ الـحـ وـ (ـالـالـ) الـعـهـدـ وـ الـقـرـابـةـ قـالـ تـعـالـىـ :

«لَا يَرْقُبُونَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً»

وـ (ـالـسـبـةـ) الـاـسـتـ وـ (ـاـتـيـةـ) الـاـلـعـطـيـةـ لـفـظـاـ وـمـعـنـيـ وـ (ـالـرـضـيـخـةـ) الـرـشـوـةـ مـنـ رـضـخـ لهـ رـضـخـاـ مـنـ بـابـ نـفـعـ وـ رـضـيـخـةـ أـعـطـاهـ شـيـئـاـ لـيـسـ بـالـكـثـيرـ .

### الاعراب

عـجـباـ منـصـوبـ عـلـىـ المـصـدـرـيـةـ بـحـذـفـ عـاـمـلـهـ ، وـ جـمـلـةـ يـزـعـمـ إـمـافـيـ مـحـلـ النـصـبـ عـلـىـ الـحـالـ مـنـ اـبـنـ النـابـغـةـ لـكـونـهـ مـفـعـوـلـ بـالـوـاسـطـةـ ، أـوـلاـ مـحـلـ لـهـ مـنـ الـاعـرـابـ لـكـونـهـ اـسـتـيـنـافـاـ بـيـانـيـاـ ، فـكـاـنـ هـلـكـلـهـ سـلـلـ عـلـةـ الـتـعـجـبـ فـأـجـابـ بـأـنـهـ يـزـعـمـ وـهـوـ الـأـظـهـرـ

وجملة اعافس وأمارس في محل الرفع صفة بعد صفة لامر، وهي في المعنى تأكيد لقوله تلعاية ولكمال الاتصال بينهما ترك حرف العطف وهو من المحسنات البينية وجملة لقد قال باطلاً قسمية و باطلاً صفة لمصدر محنوف ، و آثماً منصوب على الحال و يحتمل أن يكون صفة لمحنوف أيضاً أي بطرق نطاً آثماً فيكون أسناد آثماً إليه من باب التسويق .

قوله فـأي زاجر وآمر هو، لفظة أي منصوبة على الحالية وحذف عاملها للقرينة وهي اسم موضوع للدلالة على معنى الكمال ويستعمل في مقام التسُّعْجَب ، تقول : مررت برجل أـيّ رـجـل ، أـي كـامـل فـي الرـجـولـيـة و بـزـيـدـ أـيّ رـجـل أـي كـامـلـ فـيـهاـ قالـواـ إـنـهـ إـذـاـ وـقـعـ بـعـدـ الـعـرـفـ فـحـالـ وـإـذـاـ وـقـعـ بـعـدـ النـكـرـةـ فـصـفـةـ ، وـتـقـدـيرـ كـلامـهـ عليـهــ فـهـوـ زـاجـرـ أـيـ زـاجـرـ .

قال الرضي في شرح الكافية بعد ما حكى عنهم كون أـيـ اسمـاـمـوـضـوـعـاـ لـلـدـلـالـةـ علىـ معـنـىـ فـيـ مـتـبـوعـهـ :ـ وـالـذـيـ يـقـوـيـ عـنـدـيـ أـنـأـيـ رـجـلـ لـاـ يـدـلـ بـالـوـضـعـ عـلـىـ معـنـىـ فـيـ مـتـبـوعـهـ ،ـ بـلـ هـوـ مـنـقـولـ عـنـ أـيـ الـاسـتـفـهـامـيـةـ ،ـ وـذـلـكـ أـنـ الـاسـتـفـهـامـيـةـ لـلـسـؤـالـ عـنـ التـسـعـيـنـ ،ـ وـذـلـكـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ عـنـ جـهـالـةـ الـمـسـئـوـلـ عـنـهـ فـاستـعـيـرـتـ لـوـصـفـ الشـيـءـ بـالـكـمـالـ فـيـ مـعـنـىـ مـعـانـيـ وـالتـسـعـجـبـ مـنـ حـالـهـ ،ـ وـالـجـامـعـ بـيـنـهـمـاـ أـنـ الـكـامـلـ الـبـالـغـ غـاـيـةـ الـكـمـالـ بـحـيـثـ يـتـسـعـجـبـ مـنـهـ يـكـوـنـ مـجـهـولـ الـحـالـ بـحـيـثـ يـحـتـاجـ إـلـىـ السـؤـالـ عـنـهـ .

### المعنى

اعلم أنَّ عمرو بن العاص اللعين ابن اللعين لما كان عدوًّا لاً مير المؤمنين سلام الله عليه وآلِه، معلناً بادواته كما كان أبوه العاص بن وائل عدوًّا لرسول الله ﷺ لا جرم كان همة اللعين مصروفة في الكذب والافتراء عليه عليـهـ و كان يروم بذلك أن يعييه عند الناس ويسقط محلته عليـهـ من القلوب ومن جملة ما افترى عليه كذباً أنه قال لأهل الشام : إنما أخرنا علياً لأنَّ فيه هزاً لا جدًّ معه ، فنسبه عليـهـ إلى الدعابة و كثرة المزاح كما نسبه عليـهـ إلى ذلك عمر بن الخطاب وهذه النسبة من عمرو سيئة من سيئات عمر .

فَاراد بِكَلَامِهِ بـكـلامـهـ ذـلـكـ دـفـعـ هـذـهـ النـسـبـةـ وـ اـثـبـاتـ أـنـهـ اـفـتـرـاءـ وـ بـهـتـانـ فـيـ حـقـهـ  
وـ ذـكـرـ أـوـ لـاـ ماـ قـالـهـ اـبـنـ العـاصـمـ ثـمـ اـتـبـعـهـ بـرـهـهـ قـالـ :

( عـجـبـاـ لـابـنـ النـابـغـةـ ) وـ إـنـمـاـ كـنـىـ عـنـهـ بـأـمـهـ إـذـ مـنـ عـادـةـ الـعـرـبـ النـسـبـةـ  
إـلـىـ الـأـمـ إـذـ كـانـتـ مـشـهـورـةـ بـالـبـخـسـةـ وـ الـدـنـائـةـ يـرـيـدـونـ بـذـلـكـ ذـمـهـ وـ الـقـدـحـ فـيـهـ ، وـ قـدـ  
يـنـسـبـونـهـ إـلـيـهـ إـذـ كـانـتـ مـعـرـوفـةـ بـالـشـرـفـ يـرـيـدـونـ بـذـلـكـ شـرـفـهـ وـ مـدـحـهـ ( يـزـعـمـ لـأـهـلـ  
الـشـامـ ) وـ يـقـولـ لـهـمـ قـصـداـ لـلـقـدـحـ وـ التـعـيـيـبـ ( انـ فـيـ ) مـزـاحـ وـ ( دـعـابـةـ وـ اـنـ اـمـرـهـ  
تـلـعـابـةـ ) وـ كـثـيرـ المـماـزـحةـ حـتـىـ أـنـيـ ( أـعـافـسـ ) وـ أـصـارـعـ ( وـأـمـارـسـ ) وـ أـعـالـجـ فـعـلـ  
مـنـ اـتـصـفـ بـفـرـاغـ الـقـلـبـ فـاسـتـغـرـقـ أـوـقـاتـهـ بـالـلـهـوـ وـالـلـعـبـ ، وـالـلـهـ ( لـقـدـقـالـ ) قـوـلاـ ( بـاطـلاـ  
وـ نـطـقـ ) عـاصـيـاـ ( آـنـمـاـ ) لـأـنـهـ كـذـبـ فـاذـنـبـ وـافـتـرـىـ فـعـىـ ( أـمـاـوـشـرـ ) القـوـلـ الـكـذـبـ)  
وـ الـاقـتـرـاءـ مـنـ حـيـثـ الـعـقـلـ وـ الـنـقـلـ وـ الـدـيـنـ وـ الـدـيـنـيـاـ كـمـاـسـتـطـلـعـ عـلـيـهـ فـيـعـالـيـكـ يـتـلـيـ .  
وـ هـذـاـ الـمـلـعـونـ قـدـ اـتـصـفـ بـذـلـكـ وـ بـغـيـرـهـ مـمـاـيـوـقـعـهـ فـيـ الـمـهـالـكـ وـ لـقـدـ كـانـ جـامـعاـ  
لـجـمـلـةـ مـنـ الـمـصـفـاتـ الـخـيـبـيـةـ الشـيـطـانـيـةـ وـ مـتـصـفـاـ بـجـمـعـةـ مـنـ الرـذـايـلـ الـخـيـسـةـ الـنـفـسـانـيـةـ  
مـنـافـةـ إـلـىـ مـاـفـيـهـ مـنـ فـسـادـ الـاعـقـادـ وـ الـكـفـرـ وـ الـعـنـادـ وـهـيـ عـلـىـ مـاـنـبـهـ عـلـيـهـ أـمـورـ :  
الـأـوـلـ ( اـنـهـ لـيـقـولـ فـيـكـذـبـ ) وـ رـذـالـهـ هـذـهـ الصـفـةـ وـ قـبـاـحـتـهـ مـعـلـومـةـ مـنـ حـيـثـ  
الـعـقـلـ وـ الـنـقـلـ .

أـمـاـ الـعـقـلـ فـلـأـنـ الـوـجـدانـ شـاهـدـ بـأـنـ الـكـذـبـ يـوـجـبـ اـسـوـدـاـهـ لـوـحـ الـقـلـبـ وـيـمـنـعـهـ  
مـنـ اـنـتـقـاشـ صـورـ الـحـقـ وـ الـسـدـقـ فـيـهـ وـيـفـسـدـ الـمـنـامـاتـ وـ الـالـهـامـاتـ ، وـربـماـيـكـونـ سـبـباـ  
لـخـرـابـ الـبـلـادـ وـفـسـادـ اـمـرـ الـعـبـادـ ، جـالـبـاـلـلـعـداـوـةـ وـالـبـغـضـاءـ ، باـعـثـاـلـىـ سـفـكـ الدـمـاـ وـلـذـلـكـ  
اـتـقـقـ الـعـلـاـمـ مـنـ الـمـلـيـيـنـ وـغـيـرـهـمـ عـلـىـ قـبـحـهـ ، وـقـالـتـ الـمـعـتـزـلـةـ : قـبـحـهـ مـعـلـومـ بـالـضـرـورةـ .  
وـ أـمـاـ النـقـلـ فـقـدـ قـالـ سـبـحـانـهـ :

« يـاـ أـئـمـةـ الـذـيـنـ أـمـنـواـ أـتـقـوـاـ اللـهـ وـ كـوـنـواـ مـعـ الصـادـيقـينـ » وـقـالـ فيـ  
صـفـةـ الـمـؤـمـنـينـ : « وـ الـذـيـنـ لـاـ يـشـهـدـوـنـ الرـزـوـرـ وـإـذـ مـرـواـ بـالـلـغـوـ مـرـواـ  
كـرامـاـ ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا كَمْ وَالْكَذْبَ «فَإِنَّ الْكَذْبَ ظُلْمٌ» يَهْدِي إِلَى الْفَجُورِ وَالْفَجُورِ  
يَهْدِي إِلَى النَّارِ - رَوَاهُ فِي جَامِعِ الْأَخْبَارِ .

وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ إِذَا كَذَبَ مِنْ غَيْرِ عَذْرٍ  
لِعِنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَخَرَجَ مِنْ قَلْبِهِ تَنْتَهِيَ إِلَى بَلْعَلِ الْعَرْشِ فَيَلْعَلُهُ حَمْلَةُ الْعَرْشِ وَكَتَبَ  
اللَّهُ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْكَذْبَةِ سَبْعِينَ زَنِيَّةً أَهْوَنَهَا كَمْ يَزْنِي مَعَ اسْمِهِ .

وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبَّ أَيْ عِبَادَكَ خَيْرٌ عَمَلاً؟ قَالَ: مَنْ لَا يَكْذِبُ لِسَانَهُ  
وَلَا يَفْجُرُ قَلْبَهُ وَلَا يَزْنِي فِرْجَهُ .

وَقَالَ الْعَسْكَرِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: جَعَلْتُ الْخَبَائِثَ كَلْسَهَا فِي بَيْتِ وَجَعَلْتُ مَفْتَاحَهَا الْكَذْبَ  
وَفِي عَقَابِ الْأَعْمَالِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلشَّرِّ  
أَقْفَالًا وَجَعَلَ مَفَاتِيحَ تِلْكَ الْأَقْفَالِ الشَّرَابَ وَالشَّرَّ مِنَ الشَّرَابِ الْكَذْبَ .

وَفِي الْوَسَائِلِ مِنَ الْكَافِي بِاسْنَادِهِ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْذِبُ الْكَذَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ الْمَلَكَانِ الْلَّذَانِ مَعَهُمْ هُوَ  
يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ عَمْنَذِ كَرْهَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:  
الْكَذْبُ هُوَ خَرَّابُ الْإِيمَانِ .

وَعَنْ عَبِيدِ بْنِ زَرَأْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ مَا أَعْنَانَ اللَّهُ بِهِ  
عَلَى الْكَذَابِ بَيْنَ النَّسِيَانِ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِيهِ عَمْنَذِ كَرْهَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ  
عِيسَى بْنُ مُرِيمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كَثَرَ كَذْبُهُ ذَهَبَ بِهَاوَهُ .

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ وَفِيمَا أُورِدَنَاهُ كَفَايَةٌ لِمَنْ لَهُ دِرَايَةٌ وَسِيَّاطِي  
تَحْقِيقُ الْكَلَامِ فِيهِ وَفِي أَقْسَامِهِ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْخَامِسَةِ وَالْشَّمَائِينَ فَانتَظِرْ .

(و) الثَّانِي أَنَّهُ (يُعَدُّ فِي خَلْفِ) وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَوْنَاتِ الْكَذْبِ فِيهِ مَا فِيهِ  
وَزِيادةٌ، وَيَقْبَلُهُ الْوَفَاءُ وَهُوَ تَوَأْمِ الصَّدْقِ كَمَا قَدَّ مِنْ مَشْرُوحًا فِي الْخُطْبَةِ الْحَادِيَةِ  
وَالْأَرْبَعِينِ (و) الثَّالِثُ أَنَّهُ (يُسَأَلُ فِي لِحَفِ) وَدِنَائِهُ هَذِهِ الصَّفَةُ أَيْضًا وَاضْحَى إِنَّ الْأَصْرَارَ

في المطالبة والالحاح في السؤال من أوصاف الأرذال موجبة للابتدال لا محالة (و) الرابع أنه (يسأل فيدخل) يعني أنه يمنع السائل وينههه ويدخل من أداء الحقوق الواجبة وصرفها في جهتها ، وقد قال سبحانه :

« وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَهْزُ » وقال أيضاً : « وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِسَائِلٍ وَالْمَخْرُومٌ » وقال في موضع آخر : « وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَلَيْسِرُهُ لِعُسْرِيٍّ » وفي سورة آل عمران : « وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَنْخَلُونَ بِإِيمَانِهِمْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيِطُوْقُونَ مَا بَغَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِهِ مِنْ إِرَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » وفي سورة التوبه : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُوهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُعْلَمُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكَوِّيُّهُمْ بِهَا جِيَاهُهُمْ وَجَنُودُهُمْ وَظَهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لَا تُفْسِدُمْ فَذُوُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » .

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن مساعدة بن صدقة عن جعفر عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلا يقول : إن الشح يعذر من الظالم ، فقال له : كذبت إن الظالم قد يتوب و يستغفر ويرد الظلمة على أهلها ، والشح يعذر إذا شح من الزكاة والصدقة وصلة الرحم وفري الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البر ، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح .

وفيه عن عبد العالى عليه السلام بن أعين عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن البخيل من كسب

مala من غير حلّه وأنفقه في غير حقه .

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ مَعْلُومٌ لِسَائِلٍ وَالْمَحْرُومٌ »

أَهُو سُوْى الزَّكَاةِ ؟ فَقَالَ : هُوَ الرَّجُلُ يُؤْتَيْهِ اللَّهُ الثُّرُوَةَ مِنَ الْمَالِ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْأَلْفَ وَالْأَلْفَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَالْأَقْلَ وَالْأَكْثَرَ فَيُصِلُّ بِهِ رَحْمَهُ وَيَحْمِلُ بِهِ الْكُلَّ عَنْ قَوْمِهِ .  
وَيَجِيءُ اشْبَاعُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فِي شَرْحِ الْمَأْمَةِ وَالتَّسْسَعِ  
مِنَ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَةِ اِنْشَاءِ اللَّهِ (وَ) الْخَامِسُ أَنَّهُ (يَخُونُ الْعَهْدَ) وَهِيَ رَذِيلَةُ  
دَاخِلَةٍ تَحْتَ الْفَجُورِ ، وَيَقَابِلُهَا الْوَفَاءُ قَالَ سَبِّحَانَهُ :

« وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا  
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ، وَلَا تَكُونُوا كَاتِئِي تَقْضَتْ غَزْلَهَا مِنْ  
بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثًا » .

وَقَدْ مَضِيَ تَفَصِيلُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي شَرْحِ كَلْمَاتِهِ السَّابِعَةِ وَالسَّبْعِينِ (وَ) السَّادِسِ أَنَّهُ  
(يَقْطَعُ الْأَلْ ) إِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِالْأَلِّ الْعَهْدَ فَالْعَطْفُ بِمِنْزَلَةِ التَّفْسِيرِ وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ  
بِهِ الْقِرَابَةِ كَمَا هُوَ الْأَظَهَرُ فَالْمَقْصُودُ بِهِ قَطْعُ الرَّحْمِ ، وَيَقَابِلُهُ الْصَّلَةُ وَقَدْ مَضِيَ  
الْكَلَامُ فِيهِمَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنَ الْبَخْطَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعَشْرِينِ .

وَالسَّابِعُ الْجِنْ وَيَقَابِلُهُ الشَّجَاعَةُ وَإِلَيْهِ أَشَارَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ ( فَإِذَا كَانَ عِنْدَ  
الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ ) بِالْقَتَالِ وَبِرَازِ الْأَبْطَالِ ( مَالِمُ يَأْخُذُ السَّيِّفَ مَا مَأْخُذُهَا )  
وَالرَّمَاحُ مِرَاكِزُهَا ( فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ) وَالتَّحْمُ الْحَرْبُ وَشَبَّ لَظَاهِرًا وَعَلَاسِنَاهَا ( كَانَ  
أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ ) فِي الدَّبْعِ عَنْهُ وَأَعْظَمُ حِيلَتِهِ فِي الْخَلاصِ عَنْ حَدَّ السَّيِّفِ وَالنَّجَاهَةِ  
مِنْهُ ( أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سُبْتَهُ ) كَمَا سَطَعَ عَلَيْهِ فِي التَّسْدِينِ الْأَتِيِّ .

ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَى ابْطَالِ دُعَوَى عُمَرٍ وَبِيَّنَ وَجْهَ الْبَطَلَانَ بِأَمْرِيْنِ :  
أَحَدُهُمَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ ( أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيْمَنْعِنِي مِنَ اللَّعْبِ ذَكْرُ الْمَوْتِ )

فإن مذاكرة الموت ومراقبة الآخرة تكون شاغلة عن الدّنيا معرضة عن الالتفات إلى شهوتها من اللعب ونحوه لكونه وجلاً من الله ومترصداً لهجوم الموت وهو واضح بالمشاهدة والعيان ويشهد عليه البداهة والوجدان ، وثانيها راجع إلى عمره وهو قوله (وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة) فان نسيان الآخرة يوجب صرف الهمة إلى الدّنيا وطول الأمل فيها ويعنى على الانهماك في الشهوات والانغماس في الذّذات ومن كان هذه حاله لا يبالى بما قال وما يقول ويقدم بداعي شهواته الكاذب على الصدق والباطل على الحق ليصل غرضه وينال منه .

ثم نبيه عليه السلام على بعض ما ترتب على نسيان الآخرة بقوله (انه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتى به على البيعة أنتي ويرضخ له على ترك الدين) والعدول عن الحق (رضيحة) فأعطاه مصر ثمناً وطعمه على ما قد مضى مفصلاً في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السادسة والعشرين .

### تذفيات الأول

في ذكر نسب عمرو بن العاص اللعين ابن اللعين عليه لعنة الله و الملائكة والنّاس أجمعين أبد الآدرين و بيان بعض حالاته الدالة على كفره و شقاوته مع الاشارة إلى ما صدر عنه في صفين من كشف سوئته فأقول :

اعلم أنَّ العاص بن وائل أبوه كان من المستهزئين برسول الله ﷺ و المعالين له بالعداوة والأذى ، وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى .

**«إِنَّمَا كَفَرُوكُمْ مُّسْتَهْزِئُونَ» .**

وكان يلقب في الاسلام بالآخرة قال لقريش : سيموت هذا الاخرة غداً فينقطع ذكره ، يعني رسول الله ﷺ ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة ، لأنَّه ذا الآخرة كان يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالکعبة فكان يجعل الحجارة في طريقه ليغث بها ، وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله ﷺ لما خرجت من مكة

مهاجرة إلى المدينة فروعوها وقرعوا هوجها بكعوب الرّماح حتى اجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن ربيع بعلها ، فلما بلغ ذلك رسول الله نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنة ، رواه الشارح المعتزلي عن الواقدي .

وروى عنه وعن غيره من أهل الحديث أنّ عمرو بن العاص هجا رسول الله ﷺ هجا كثيراً كان تعلمه صبيان مكة فيندشونه ويصيرون رسول الله ﷺ إذا من بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال رسول الله ﷺ وهو يصلّي بالحجر : اللهم إنّ عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فالعنـه بعدد ما هجاني .

قال : وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلا (١) جمل فرفعوه بينهم ووضعوا على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسأل عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكي في سجوده ودعا عليهم فجأته ابنته فاطمة عليها السلام وهي باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي فرفع رأسه ﷺ وقال : اللهم عليك بقريش قالها ثلاثة ، ثم قال ﷺ رافعا صوته : إني مظلوم فانتصر ، قالها ثلاثة ، ثم قام فدخل منزله وذلك بعد وفات عمّه أبي طالب بشهرين .

قال : ولشدّة عداوة عمرو بن العاص رسول الله ﷺ أرسله أهل مكة إلى النجاشي ليزدهه في الدين وليطرد عن بلاده مهاجرة حبشه وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله ، فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السير .

**فاما النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الآخر قال :** كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمّة لرجل من عنزة فسبّيت فاشتر لها عبد الله بن جذعان التسيمي بمكة فكانت بغيّاً ، ثم اعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و أمية بن خلف الجهمي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن الحرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرأً فادعاه كلّهم فحكمت أمّه فيه فقالت : هو من العاص

ابن وائل ، و ذلك لأن العاص بن وائل ينفق عليها كثيراً ، قالوا : و كان أشبه بأبي سفيان .

قال : وروى أبو عبيدة معمربن المثنى في كتاب الأنساب أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان : أبو سفيان بن الحرب والعاص بن وائل ، فقيل : لتحكم أمته فقللت أمته : من العاص بن وائل ، فقال أبو سفيان : أما أنا لأشك أنني وضعته في بطنه (رحمه الله) أمه فأبأته إلا العاص فقيل لها : أبو سفيان أشرف نسبياً ، فقالت : إن العاص بن وائل كثير النفقة على أبو سفيان شحيح ، ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافأة له عن هجاء رسول الله ﷺ :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت	لنا فيك منه يتناثر الشمائيل
ففاخر به إماماً فخرت ولا تكن	وإن التي في ذاك ياعمر وحكمت
تفاخر بال العاص الهاجرين بن وائل	من العاص عمرو تخبر الناس كلما
فقالت رجاء عند ذاك لن ايدل	
تجمعت الأفواه عند المحافل	

و في البحار من الاحتجاج في حديث طويل قال الحسن عليه السلام مخاطباً لابن العاص : وأما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتر فاما أنت كلب أول أمرك أملك لبغية أنت ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعثمان بن العارث والنضر بن العارث بن كلدة والعاص بن وائل كلهم يزعم أنت ابنه فقل لهم عليك من بين قريش ألا هم حسباً وأخيتهم منصباً وأعظمهم بغية ثم قمت خطيباً وقلت أنا شاني محمد ، وقال العاص ابن وائل : إن مثداً رجل أبتر لأولده فلو قدمات انقطع ذكره فأنزل الله تعالى تبارك وتعالى « إن شانتك هو الأبتر » .

وكانت أمرك تمشي إلى عبد قيس يطلب البغية تأثيرهم في دورهم وفي رحالهم وبطون أوديهم ، ثم كنت في كل مشهد يشهد رسول الله صلوات الله عليه وسلم من عدوه أشدّهم له عداوة وأشدّهم له تكذيباً ، الحديث .

وفي البحار من كتاب سليم بن قيس الهملاي عن أبان بن أبي عيماش عن سليم

قال : إن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال : بعثني رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر و عمر فظنت أنه إنما بعثني لكرامتى عليه فلما قدمت قلت يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟ فقال ﷺ : عاشرة ، فقلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، وهذا على يطعن على أبيه : بكر و عمر و عثمان ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله ضرب بالحق على لسان عمر و قلبه ، و قال في عثمان : إن الملائكة تستحيي من عثمان .

و قد سمعت علياً و إلا فسمتها يعني أذنيه يروى على عهد عمر إن نبي الله نظر إلى أبيه بكر و عمر مقبلين ، فقال : يا علي هذا سيدها كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ماخلا النبىين منهم و المرسلين ولا تحدّثهما بذلك فيهم لكا .

فقام علي عليه السلام فقال : العجب لطغاء أهل الشام حيث يقبلون قول عمر و ويصدقونه و قد بلغ من حديثه و كذبه و قلة و رعاه أن يكذب على رسول الله ﷺ و لعنه رسول الله ﷺ سبعين لعنة ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن .

و ذلك أنه هجا رسول الله ﷺ بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني لا أقول الشعر ولا أحلم فاللعنة أنت و ملائكتك بكل بيت لعنة ترى على عقبه إلى يوم القيمة .

ثم لمات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال : إن محمدأ قد صار أبتر لا عقب له وإنني لأنشأ الناس له وأقول لهم فيه سوء فأنزل فيه :

«إن شاتك هو الأبتر».

يعنى هو الأبتر من الإيمان من كل خير ما فيت من هذه الأمة من كذا فيها ومنافقها الكاذب بالقراء الضعفة المتهجددين رووا حديثه و صدّقوه فيه و احتجّوا علينا أهل البيت بكذبه : أنا نقول خير هذه الأمة أبو بكر و عمر ولو شئت لسميت الثالث ، والله ما أراد بقوله في عاشرة و انتهى الارضاء معاوية بسخط الله عزوجل ، ولقد استرضاه بسخط الله .

و أمّا حديثه الذي يزعم أنه سمعه مني فلا الذي فلق الحبة و برئ النسمة

ليعلم أنه قد كذب على يقيناً وإن الله لم يسمعه حتى سرّاً ولا جهراً، اللهم العن عمرأ والععن معاوية بصدق هماعن سبيلك كذبهم على كتابك واستخفافهم بنيك عَلَيْكَ الْحَمْدُ وَكَذَبُهُمَا عَلَيْهِ وَعَلَىْكَ :

وفي تفسير علي بن ابراهيم القمي دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ المسجد وفيه عمرو ابن العاص والحكم بن أبي العاص قال عمر : يا أباالاً<sup>بتر</sup> وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد سمى ابتر ثم قال عمرو : إنني لأنشأ مهدأً أي ابغضه فأنزل الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ :

**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْفَةَ** إِلَى قَوْلِهِ : «إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» .

أي مبغضك عمرو بن العاص لادين له ولا حسب ، وبما ذكر كلّه ظهر كفر ابن العاص اللعين وكفر أبيه كما ظهر عداوته لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَبَغْضُهُ وَهُوَ لِيْسُ بِبَعِيدٍ مِّنْ أَوْلَادِ الزِّنَا وَلَنْعَمْ ما قال الشاعر :

وتنزّل كون النفوس وتصفو البخار	بحبّ عليٍّ تزول الشكوك
فثم الذّاكه (الزكاء) وثُمَّ الفخار	و مهـما رأيت محـباً له
ففي أصله نسب مستعار	و مهـما رأيت عدوـاً له
فحـيطـان دارـ أـبيـهـ قـصارـ	فلا تعـذـلـوهـ عـلـىـ فعلـهـ

وأمـا خـبرـ عمـروـ فـيـ صـفـينـ فـفـيـ الـبـحـارـ مـنـ الـمـنـاقـبـ وـبـرـزـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَدَعَـاـ مـعـاوـيـةـ قـالـ : وـأـسـأـلـكـ أـنـ تـحـقـنـ الدـمـاءـ وـتـبـرـزـ إـلـىـ وـأـبـرـزـ إـلـيـكـ فـيـكـ فـيـكـ أـمـرـ لـمـنـ غـلـبـ ، فـبـهـتـ مـعـاوـيـةـ وـلـمـ يـنـطـقـ بـحـرـفـ ، فـحـمـلـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عَلَيْهِ الْحَمْدُ عـلـىـ الـمـيـمـنـةـ فـأـزـالـهـاـ ، ثـمـ حـمـلـ عـلـىـ الـمـيـسـرـ قـطـعـتـهـاـ ، ثـمـ حـمـلـ عـلـىـ الـقـلـبـ وـقـلـلـ مـنـهـ جـمـاعـةـ وـأـنـشـدـ

لـعـلـ اللهـ يـمـكـنـ منـ قـفـاكـ	فـهـلـ لـكـ فـيـ أـبـيـ حـسـنـ عـلـيـ
وـلـوـ بـارـزـتـهـ تـرـبـتـ يـدـاكـ	دـعـاكـ إـلـىـ الـبـرـازـ فـعـكـتـ عـنـهـ

فـانـصـرـفـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عَلَيْهِ الْحَمْدُ ثـمـ بـرـزـ مـتـنـكـرـاـ فـخـرـجـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـ مـرـتـجـزاـ

يـاـ قـاتـلـيـ عـشـانـ ذـاكـ المـؤـمـنـ	يـاـ قـادـةـ الـكـوـفـةـ مـنـ أـهـلـ الـفـقـنـ
أـضـرـبـكـمـ وـلـاـ أـرـىـ أـبـاـ الـحـسـنـ	كـفـيـ بـهـذـاـ حـزـنـاـ عـنـ الـحـزـنـ

## ما فعله عمر وبن العاص وبسر بن أرطاة من كشف العورة

فتنا كل عنه على <sup>عَلَيْهِ الْحَسْنَةُ حَتَّى تَبْعَدْ عَمْرُوا ثُمَّ ارْتَجَزْ :</sup>  
أنا الغلام القرشي المؤمن العاجد لا يبغض ليث كالشيطان  
يرضى به السادة من أهل اليمن أبو الحسين فاعلمون أبو الحسن  
فولى عمرو هارباً فطمعته أمير المؤمنين <sup>عَلَيْهِ الْحَسْنَةُ</sup> فو قفت في ذيل درعه فاستلقا  
على قفاه وأبداً عورته فصفح <sup>عَلَيْهِ الْحَسْنَةُ</sup> استحياء وتسكر ما ، فقال معاوية : أَحْمَدَ اللَّهُ عَافَاك  
وأحمد استك الذى وفاك ، قال أبو نواس :

فلا خير في دفع الرّدّ بمذلة كما ردّ هايموا بسوئهم وهو  
قال ويرز عليٰ ودعا معاوية فنكل عنه فخرج بسرّين أرطاة يطمع في عليٰ فصرعه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه وكشف عن عورته فانصرف عنه عليٰ فقالوا : ويلكم يا أهل الشّام أما تستحيون من معاملة المخانيت لقد علمكم رأس المخانيت عمرو ، ولقد روى هذه السيرة عن أبيه عن جده في كشف الاستاء وسط عرصه الحروب .

قال الشارح المعتزلي : وللشعراء فيما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر الكلبي والمدايني قول الحرث بن نضر المخعمي وكان عدوأً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة :

أفي كل يوم فارس ليس يتقى (يغتلى خل)  
يكف لها عنه على سناه  
بدت أمس من عمرو قنفع رأسه  
قحولا لعمرو ثم بسرألا انظرا  
ول لا تحمد إلأ الحيا و خصا كما  
ولولا هما لم تنجوا من ستانه  
متى تلقيا الخيل المشيبة صيحة  
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنة  
قال نفر بن مزاحم : حدثنا عمرو بن شمر عن النخعى عن ابن عباس قال :

تعرض عمرو بن العاص لعله عليه السلام يوماً من أيام صفين وظن أنّه يطمع منه في غرفة فيمسه فحمل على عليه السلام فلما كاد أن يخالطه أذى نفسه عن فرسه ودفع ثوبه وشفر برجله فبدت عورته فضرب عليه السلام وجهه عنه وقام مغفرأً بالتراب هازما على رجليه معتمداً بصفوفه فقال أهل العراق : يا أمير المؤمنين أفلت الرجل ، فقال عليه السلام أتدرون من هو ؟ قالوا : لا ، قال عليه السلام : فانه عمرو بن العاص تلقاني بسوئه فصرفت وجهي عنه ، ورجع عمرو إلى معاوية فقال : ما صنعت يا أبا عبدالله ؟ فقال : لقيني على فصر عنى قال : احمد الله وعورتك ، والله إنني لأظنك لو عرفته لما أقمحت عليه ، وقال معاوية في ذلك :

يعاتبني على تركي برازي	ألا لله من هفوات عمرو
فأب الوائل ماب خازى	فقد لا في أبا حسن عليهما
بمجهته قوادم أى بازي	فلو لم يبد عورته لطارت
فقد غنى بها أهل الحجاز	فإن تكون المنية أخطئه

وروى الواقدي قال : قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة لعمرو بن العاص ياباعبدالله لا أراك إلا ويفلبني الفشك ، قال : بماذا ؟ قال : أذكـر يوم حمل عليك أبوتراب في صفين فاذريت نفسك فرقاً من شبا سنانه و كشفت سوئتك له ، فقال عمرو : أنا منك أشدّ ضحـكاً إـنـي لا أـذـكـرـ يوم دعـاكـ إـلـىـ البرـازـ فـانتـفـعـ منـخـرـ كـورـ بـاـ لـسانـكـ فـيـ فـمـكـ وـعـصـبـ رـيقـكـ وـارـتـعـدـتـ فـرـائـصـكـ وـبـدـاـ منـكـ مـاـ أـكـرـهـ ذـلـكـ ،ـ قـالـ مـعـاوـيـةـ :ـ لـمـ يـكـنـ هـذـاـ كـلـهـ وـكـيـفـ يـكـوـنـ وـدـونـ عـمـكـ وـالـأـشـعـرـوـنـ ،ـ قـالـ :ـ اـنـكـ لـتـعـلـمـ أـنـ الذـيـ وـضـعـتـ دـوـنـ مـاـ أـصـبـكـ وـقـدـ نـزـلـ ذـلـكـ بـكـ وـدـوـنـكـ عـمـكـ وـالـأـشـعـرـوـنـ فـكـيـفـ كـانـ حـالـكـ لـوـجـمـعـكـمـ مـاـقـطـ الـحـرـبـ ؟ـ قـالـ :ـ يـابـاعـدـالـلـهـ خـضـ بـنـاـ الـهـزـلـ إـلـىـ الجـدـ إـنـ الجـبـنـ وـالـفـرـارـ مـنـ عـلـيـ لـاعـارـ عـلـيـ أـحـدـ فـيهـماـ .ـ

### الثانية

اعلم أنّ مارواه السّيّد (ره) من كلامه عليه السلام مروي في غير واحد من الكتب

المعتبرة ، ففي الاحتجاج مثل الكتاب ، و في البحار من أمالى المفید عن محمد بن عمران عن الحسن بن عليّ عن أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الزَّبِيرِ بْنِ بَكَارٍ عَنْ عَلَىٰ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالٌ : كَانَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ : إِنَّ فِي عَلَىٰ دُعَابَةً ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : زَعَمَ ابْنُ النَّابِغَةِ أَنِّي تَلَعَّبَتْ مَزَاحَةً ذُو دُعَابَةٍ أَعْفَاسٍ وَأَمَارِسٍ ، هَيَّاهَا يَمْنَعُ مِنْ اعْفَاسِ وَالْمَرَاسِ ذَكْرَ الْمَوْتِ وَخَوْفَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَفِي هَذَا عَنْ هَذَا لِهِ وَاعْظَمُ وَزَاجِرٍ ، أَمَّا وَشَرَّ القَوْلِ الْكَذَبِ وَأَنَّهُ لِيَحْتَثُ فِي كَذَبٍ وَيَعْدُ فِي خَلْفِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْبَأْسِ فَأَئِيْ زَاجِرٍ وَأَيْنَ هُوَ مَالِمُ يَأْخُذُ السَّيْفَ هَامُ الرِّجَالُ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَعْظَمُ مَكْيَدَتِهِ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَمْنَعَ الْقَوْمَ اسْتِهِ .

وفيه من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي قال : بلغ عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ابْنَ الْعَاصِ يَنْتَقِصُهُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ ، فَصَعَدَ الْمَنْبِرُ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَنَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا عَجَباً لَا يَنْقُضِي لَابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ ، إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ وَجَمْعِ بَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ .

وَكَيْفَ كَانَ فَقَدْ ظَهَرَ وَتَحَقَّقَ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَمِمَّا قَدَّمَنَا فِي التَّذْكِيرِ الْأَوَّلِ أَنَّ نَسْبَةَ ابْنِ الْعَاصِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الدُّعَابَةِ كَانَ مُنْشَاهًا شَدَّةً لِالْعَنَادِ وَالْمَعَاوَةِ كَمَا قَدْ ظَهَرَ كَذَبُ الْلَّعِينِ ابْنِ الْلَّعِينِ فِي ذَلِكَ بِتَكْذِيبِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ مَا ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْبَيِّنَةِ وَالْبَرْهَانِ عَلَىِ كَذَبِهِ ، وَهُوَ أَنَّ كَانَ قَلْبَهُ مُسْتَغْرِفًا بِذِكْرِ الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا لَا يَكُونُ لَهُ فَرَاغٌ إِلَى التَّلْفُتِ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ .

قال الشّارح المعتزلي : وأنت إذا تأمّلت حال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ وَآلِ الْمُنْبَغِيِّ وَجَدْتَهُ بَعِيدًا عَنِ الْدُّعَابَةِ وَالْمَزَاحِ لَا نَهَىٰ لَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا لَا فِي الشِّيَعَةِ وَلَا فِي كُتُبِ الْمَحْدُثَيْنِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَأْمَلْتَ حَالَهُ فِي أَيَّامِ أَبِي بَكْرٍ وَعُسْرٍ لَمْ تَجِدْ فِي كُتُبِ السِّيرَةِ حَدِيثًا وَاحِدًا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ مَتَعَلِّقٌ فِي دُعَابَتِهِ وَمَزَاحِهِ إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَعْمَرَ اللَّهُ لَقَدْ كَانَ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْ وَقْتٍ كَانَ يَتَسَعَ لِعَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَكُونَ فِيهِ عَلَىِ الصَّفَاتِ ، فَانْ زَمَانَهُ كَلَّهَا فِي الْعِبَادَةِ وَالْذِكْرِ وَالصَّلَاةِ وَالْفَتاوِيِّ

و العلم و اختلاف الناس إلية في الأحكام وتفسير القرآن ، و نهاره كلّه أو معظمه مشغول بالسّوم ، وليله كلّه أو معظمّه مشغول بالصلوة ، هذا في أيام سلمه فأمّا أيام حربه فالسيف الشهير و النّشاب الطريّر و ركوب الخيل و قود الجيش و مبادرة الحروب .

ولقد صدق <sup>عليه الله</sup> قوله إنّه ليمنعني من اللعب ذكر الموت ولكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيّناً أو يبعدوا عليه وصمة لابدّ أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف يجعلون عذرًا له في دمه و يتسلون به على أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتهم الانحراف عنه ، و ما زال المشركون و المنافقون يضعون لرسول الله <sup>عليه الله</sup> الموضوعات و ينسبون إليه ما قد يزيده الله سبحانه إلا رفعة وعلوّا .

غير منكر أن يعيّب علينا <sup>عليه الله</sup> عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمّله المتّائل علم أنّهم باعتمادهم و تعلّقهم به قد اجتهدوا في مدحه و الثناء عليه لأنّهم لو وجدوا غيره عيّبوا الذّكره .

أقول : ولعله إلى ذلك ينظر الشاعر في قوله :

و إذا أنتك منقتي من فاقض  
فهي الشهادة لي بائي كامل  
ولعمري أنه لا بيان فوق ما أتى به الشارح من البيان في توضيح براة ساحته <sup>عليه الله</sup>  
 مما قاله ابن العاص في حقه من الكذب والبهتان إلا أنه لو انصف لعلم أن كلّ  
الصّيد في جوف الفراؤن أول من فتح أمثل ذلك الباب لابن العاص و نظرائه هو  
عمرو بن الخطاب لذا هو أول من صدر عنه هذه اللّفظة فهذا ابن العاص حنوه كما  
سبق ذلك في التذليل الثاني من تذليلات الفصل الثالث من فصول الخطبة الثالثة  
المعروف بالشقشيقية .

و قد اعترف به الشارح نفسه أيسّاً هنا حيث قال : و أمّا ما كان يقوله  
عمرو بن العاص في علي <sup>عليه الله</sup> لأهل الشام : إنّ فيه دعاية يروم أن يعيّبه بذلك عندهم

فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها أعداؤه حتى جعلها أعداؤه عيباً له وطعنا عليه . واستند في ذلك إلى رواية أحمد بن يحيى في كتاب الأمازي قال : كان عبد الله ابن عباس عند عمر فتنفس عمر نفساً عالياً قال ابن عباس حتى ظنت أن أضلاعه قد انفرجت قلت له : ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديدي ؟ قال : إى والله يا ابن عباس فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا إلا من بعدي ، ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً ؟ قلت : وما يمنعه من ذلك من جهاده و سابقته وقرباته وعلمه قال : صدقت ولكنك امرء فيه دعابة

ثم ذكر الخمسة الباقية من أمر أهل الشورى وأثبت لكل منهم عيباً نحو ما تقدم ذكره في شرح الخطبة الشفചية ثم قال : إن أحراهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك والله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم .

ثم اعتذر الشارح عن جانب عمر بأن عمر لما كان شديد الفلظة ، وعرا الجانب خشن الملمس ، دائم العبوس ، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشرة وساحة الخلق لكن يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعله وخلق على عيوبه حاصل له لقال في علي لولا شرارة فيه ، فهو غير ملوم عندي فيما قاله ولا منسوب إلى أنه أراد الفرض من علي عيوبه والتقدح فيه ولكنك أخبر عن خلقه ظاننا أن الخلافة لاتصلح إلا للشديد الشكيمة العظيم الوعورة .

إلى أن قال : وجملة الأمر أنه لم يقصد عيب على عيوبه ولا كان عنده معيناً ولا منقوصاً ، الاترى أنه قال في آخر الخبر إن أحراهم أن يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك ، ثم أكد ذلك بأن قال لئن ولها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم ، فلو كان أطلق تلك اللفظة وعني بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله ، انتهى ما أردنا ايراده من كلامه .

وأقول : لا أدرى إلى م يتغنى بهذا الرجل في حق عمر ؟ وختام يستصلح

عشراته ؟ و أي شيء رأى منه حتى افترى به ؟ وأى داع له إلى تأويل كلامه ؟ فان لفظة الدعاية في كلام ابن العاص و ابن الخطاب واحدة فلم يقيها في حق ابن العاص على ظاهرها ويجرئها على أقبح وجهها ويأول لها في حق ابن الخطاب و يخرّ جهها على أحسن وجهها مع أن الشمس لا يشتر بالحجاب و الحق لا يخفى على أولى الألباب .

و أهل المعرفة يعرف أن كل ما يتوجه في هذا الباب على ابن العاص يتوجه على ابن الخطاب بل وزيادة إذ هو أول من صدر عنه هذا التشريع وأول من اتهمه عليه السلام بهذا الأمر الفظيع .

ثم أقول : كيف خفي عن الشارح التناقض في كلام عمر مع وضوحه حيث إنه صدق ابن عباس أو لا في كون أمير المؤمنين عليه السلام أهلاً للخلافة إلا أنه استدرك بقوله : ولكن فيه دعاية فجعل الدعاية مانعة له عنها موجبة لسقوطه عن أهليتها وذلك ينافق صريح قوله في آخر الرواية لثن وليها ليحملنهم على المحاجة البيضاء و بعبارة أخرى إن كانت الدعاية التي نسبها إليه عليه السلام أمراً خارجاً عن حد الاعتدال مخالفًا للشريعة الغراء كيف يمكن معها حمل الناس على المحاجة البيضاء وعلى الكتاب والسنّة والطريقة المستقيمة وإن لم يكن أمراً منافيًا لحملهم على ما ذكر فأيّ ما نعية له عن استحقاق الخلافة والولاية .

و أمّا ما اعتذر به الشارح من أن عمر إنما قال ذلك بمقتضى شدة غلظه وخشونة جبنته ظاناً أن الخلافة لا تصلح إلا للشديد الشكيمة العظيم الوعورة . ففيه أن الشدة والفلطة لو كانت شرطاً للخلافة كما ظنه عمر لوجب أن يكون شرطاً للنبيّة بطريق أولى مع أنه سبحانه قال :

« وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا قَلْبًا لَا تَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ »

و مدح نبيه عليه السلام بقوله : « و إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ».

فاللازم لعمر الذي جعلوه خليفتهم أن يكون سيره و سلوكه على طبق الكتاب

لا أن ينفي الكتاب وراء ظهره ويتكلّم بمقتضى طبيعته ويجانب الاقنعة، بنبيه وَالْمُؤْمِنُاتُ في أفعاله وأعماله « وأخلاقه خ ل ». .

والانصاف أنّ من لا حظ وجنات حال عمر يعرف أنّ كلّ ما صدر عنه من الأقوال والأفعال أو أغلبه كان ناشئاً من فرط قوته الغضبية والشهوية ومقتضى هوى نفسه الأُمارة، ولم يكن ملاحظاً جانباً الشريعة و مقدماً لها على دواعي نفسه ومقتضى جبلته، بل من راجع محاوراته عرف أنّه كان مثل حيّة سمه في لسانه تلسع المخالف والمُؤَالف، وعقرب عوجاء لا تفرق بين البر والفاجر.

و كفى بذلك شاهداً ما قاله رسول الله وَالْمُؤْمِنُاتُ حين وفاته وَالْمُؤْمِنُاتُ على ما قدّ منه مفصلاً في شرح الكلام السادس والستين في التنبية الثاني منه، وما قاله لأهل الشّورى حين وصيته كما مر في ثانية تذبيّلات الفصل الثالث من شرح الخطبة الثالثة، وما توعّد به جبّة بن الأبيّهم حتى عاد إلى النصرانية حسب ما مر في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثالثة ومر هناك أيضاً أنّ ابن عباس أصرّ على بطلان القول بالغول في حياته وأظهره بعد وفاته خوفاً منه وأنّه أساء الأدب في الكلام بالنسبة إلى رسول الله وَالْمُؤْمِنُاتُ في صلح الحديبية إلى غير ذلك مما لو أردنا إشباع الكلام فيها لطال .

ويؤيد ذلك كلّه ما رواه الشارح في شرح هذا الكلام من أنّه إذا غضب على أهله لم يسكن غضبه حتى يغضّ يده عصياً شديداً حتى يدميها .

وبعد ذلك كله لا يكاد ينقضى عجبـي من الشارح وأمثالـه حيث إنـهم يوردون مثلـ ما أوردـناه في كتبـهم و يذـكرـون مثـالـب عمر و مـطاـ عنـه ثمـ يـغمـضـون عنـها و لا يـعرـفـون معـ فـضـلـهم و ذـكـائـهم فيـ العـلـومـ أنـ أـدـبـيـ شيءـ منـ ذـلـكـ يـوجـبـ سـقوـطـ الرـجلـ عنـ مرـتـبةـ الـكمـالـ وـ عنـ درـجـةـ الـقـبـولـ وـ الـاعـتـبارـ فـكـيفـ بـذـلـكـ كـلـهـ وـ كـيفـ بـمـرـتـبةـ الـخـلـافـةـ وـ منـصـبـ الـوـلـايـةـ .

ولا أدري بأـيـ منـاقـبـه يـجـعـلـونـه قـابـلاـ لـوـلـايـةـ اللهـ ، وـ مـسـتـحـقاـ لـخـلـافـةـ رسولـ اللهـ ، ولاـ بـقـاـ لـرـيـاسـةـ الدـيـنـ ، وـ أـهـلـاـ لـأـمـارـةـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـبـحـسـنـ حـالـهـ ؟ أـمـ مـزـيدـ كـمـالـهـ ؟ أـمـ

شرافة نسبه ؟ أم كرامة حسبي ؟ أم عنوبة لسانه ؟ أم فساحة بيانه ؟ أم علو قدره ؟  
أم طهارة هولده ؟ أم كثرة علمه ؟ أم وفور فضله ؟

«**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيمَةِ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاً  
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفِيهِ حِسَابٌ وَ اللَّهُ  
سَرِيعُ الْحِسَابِ**».

### الثالث

في تحقيق الكلام في جواز المزاح وعدمه فأقول إن الأُخبار في طرف النفي  
والأثبات كثيرة جداً إلا أن مقتضى الجمع بينها هو حمل أدلة النفي على الكثير  
منه الخارج عن حد الاعتدال وأدلة الجواز على القليل كما قال الشاعر :  
أَفْدَ طَبِيعَكَ الْمَصْدُورَ بِالْجَدَّ رَاحَةً يَجِمَّ (١) وَ عَلَّهَ بِشَيءٍ مِنَ الْمَرْحَبِ  
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتِهِ الْمَزَحُ فَلَيْكَنْ بِمَقْدَارِ مَا يَعْطِيَ الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ  
وَيَدِلُّ عَلَى هَذَا الْجَمْعِ الْأَدَلَّ الْمُفْصَلَةُ وَالسَّيَرُ الْمُسْتَمِرَةُ ، فَإِنَّ الْمُشَاهِدَ مِنْ  
حَالَاتِ النَّبِيِّ وَالْأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ يَمْزُحُونَ إِدْخَالًا لِلسَّرُورِ فِي قَلْبِ  
الْمُؤْمِنِينَ وَمَدَارَةً لِلْخُلُقِ وَمُخَالَطَةً مَعْهُمْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَ كَذَلِكَ نَوْأِبَهُمُ الْقَائِمُونَ  
مَقَامَهُمْ مِنَ الْمُجَتَهِدِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَالَمِينَ ، فَإِنَّهُمْ مَعَ كَثْرَةِ زَهْدِهِمْ وَشَدَّةِ وَرَعِيَّهُمْ  
رَبِّا يَمْزُحُونَ وَيَدْعُبُونَ .

وبالجملة فالحق في المقام هو الجواز في الجملة للأدلة الدالة على ذلك قوله  
وفعلاً و تقريراً .

فمنها ما في الوسائل عن الكليني باسناده عن معمر بن خلاد قال : سألت أبا  
الحسن عليه السلام فقلت جعلت فدائل الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون  
ويضحكون ، فقال ، لا بأس ما لم يكن ، فظننت أنه عن الفحش ثم قال : إن رسول

الله وَالْمُلْكُ كان يأتيه الأعرابي فيأتيه إليه الهدية ثم يقول مكانه أعطنا ثمن هديتنا فيتحققك رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان إذا اغتنم يقول ما فعل الأعرابي ليته أثنا .

وعن إبراهيم بن مهزم عمن ذكره عن أبي الحسن الأول عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : كان يحيى بن زكر يا يسكي ولا يتحققك ، وكان عيسى بن مرير يتحققك ويسكي ، وكان الذي يصنع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل من الذي كان يصنع يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وعن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : قال : ما من مؤمن إلا وفيه دعاية ، قلت : وما الدعاية ؟ قال : المزاح .

وعن يونس بن الشيباني قال : قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت : قليل قال : فلا تفعلوا فان المداعبة من حسن الخلق و إنك لتدخل بها السرور على أخيك ، ولقد كان رسول الله وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يداعب الرجل يريد أن يسره . أقول : ويستفاد من هذه الرواية استحبها بها لشمول أدلة استحباب حسن الخلق وإدخال السرور في قلب المؤمن عليها .

روى في الوسائل عن الصدوق في المجالس مسندأ عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال : قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فاني سمعت رسول الله وَالْمُلْكُ يقول إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها بأخلاقكم .

وفي شرح المعترض لروى الناس قاطبة أن رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال إني أمزح ولا أقول إلا حقاً .

وفيه أنت عجوز من الأنصار إليه وَالْمُرْسَلُونَ فسألته أن يدعوه الله تعالى لها بالجنة فقال وَالْمُلْكُ إن الجنة لا تدخلها العجز ، فصاحت قتيس عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال :

«إِنَّا نَسَأَنَا هُنَّ إِنْشَاءَ فَجَعَلْنَا هُنَّ أَنْكَارًا»

قال وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يمازح ابني بنته مزاحا مشهوراً وكان يأخذ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيجعله على بطنه وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ نائم على ظهره ويقول ترقه ترق عين بقة .

قال : وجاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام وعيسي متبرسم فقال يحيى مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال أراك عابساً كأنك آيس قال : لأنبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبكم إلى الطلاق البسام أحسنكم ظننا بي . قال : ورأى نعيمان يبيع أعرابي عكّة عسل فاشترأها منه فجأها إلى بيت عايشة في يومها ، وقال خذوها فظن رسول الله عليهما أنّه أهدأها إليه ومضى نعيمان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إمّا أن تعطونا ثمن العسل أو تردد و هي علينا ، فعلم رسول الله عليهما بالقصة وأعطى الأعرابي الثمن وقال يا نعيمان : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : رأيتك يا رسول الله تحب العسل و رأيت العكّة مع الأعرابي ، فضحك رسول الله عليهما ولم ينكرا .

وفي زهر الربيع تأليف السيد نعمة الله الجزائري «فده» روى أنه كان يأكل رطباً مع ابن عمّه أمير المؤمنين عليهما السلام وكان يضع النوى قدام على عينيه فلما فرغ من الأكل كان النوى مجتمعاً عنده ، فقال عليهما السلام : يا علي إنت لا كول ، فقال : يا رسول الله لا كول من يأكل الرطب والنواة .

وروى أنه أتته امرأة في حاجة لزوجها فقال لها : و من زوجك ؟ قالت : فلان فقال عليهما السلام : الذي في عينيه بياض قالت : لا ، فقال : بلـي فانصرفت عجلـا إلى زوجها وجعلـت تتـأمل عينـه فقال لها : ما شـأنـك ؟ قـالتـ : أخـبرـنيـ رسـولـ اللهـ عليهـماـ السلامـ إنـ فيـ عـينـكـ بيـاضـ ، قـالـ : أـمـاـ تـرـيـنـ بـيـاضـ عـيـنيـ أـكـثـرـ مـنـ سـوـادـهـ ؟ قال : واستدبر عليهما السلام رجالـا من ورائهم وأخذ بعضـهـ وقال من يشتري هذا العبد يعني أنه عبد الله .

وقال : قال عليهما السلام لرجلـ : لا تنـسـ يـازـاـ الاـذـنـينـ .

ورأى جملـا يـمشـيـ وـعـلـيـهـ حـنـطةـ قـالـ عليهـماـ السـلامـ : تمـشيـ الـهـرـيـسـةـ . وجـاءـ أـعـرـابـيـ قـالـ : يا رسـولـ اللهـ عليهـماـ السـلامـ بلـغـناـ أـنـ الدـجـالـ يـأـتـيـ بالـشـرـيدـ وـ قـدـ هـلـكـواـ جـمـيـعـاـ أـقـتـرـيـ بـأـبـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ أـنـ أـكـفـعـنـ شـرـيـدـهـ تـعـفـفـاـ ؟ فـضـحـكـ رسـولـ اللهـ عليهـماـ السـلامـ ثمـ قـالـ : بـلـ يـغـنـيـكـ اللهـ بـمـاـ يـغـنـيـ بـهـ المـؤـمنـينـ .

وَقَبْلَ خَالِدَ الْقَسْرِيِّ خَدَّ أُمَرْتَهُ فَشَكَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَاعْتَرَفَ وَقَالَ : إِنْ شَاءَتْ أَنْ تَقْتَصِصَ فَلَتَقْتَصِصَ فَإِنَّ دِينَكَ الْقَصَاصَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُو قَالَ : أَوْلَا تَعُودُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَفَى وَأَنْظَلَهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ : أَحْمَلْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَافِةَ فَقَالَ : مَا أَصْنَعَ بَوْلَدَ نَافِةً ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَهُلْ يَلِدُ الْأَبْلَ إِلَّا التَّنْوِقُ ؟

## الرابع

في طايفة من طرائف الكلم وظرائف الحكم ونواذر الأخبار ، وغرايب الآثار، أردت أن أوردها هنا ليترفع بها الكلال ويرجع إليها عند الملال، فإن القلوب قد تملّ والأرواح تتكلّل كما تتكلّل الأبدان فتحتاج إلى التنشّه والارتياح والتفسّر والسرّاح.

فأقول : روى إنّ أبا حنيفة قال يوماً لمؤمن الطاق : يابا جعفر أنت قائل بالرجعة ؟ قال : نعم ، قال : فاقرر لي خمسة دينار أوديك في الرّجعة ، فأجاب «ره» إنّ من جملة أحكام الرّجعة عندنا أنّ بعض مبغضي آل محمد سلام الله عليه وعليهم يرجعون بصورة الكلاب والخنازير فلا بدّ أن تؤتمني ضامناً على أنّك ترجع بصورة الإنسان وأخاف أن ترجع بصورة الخنزير .

وقال أيضاً له يوماً : يابا جعفر لو كان لعلي حق في الخلافة فلم لم يطالبه ؟

قال : خاف أن يقتلها الأجيزة بحماية أبي بكر وعمر كما قتلت سعد بن عبادة .

قال الراغب في المحاضرات : إنّ بقزوين قرية أهلها متناهون بالتشييع فمرّ بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال : عمر ، فضربوه ضرباً شديداً ، فقال : ليس اسمى عمر بل عمران ، فقالوا : هذا أشدّ من الأول فانّ فيه عمر وحر فان من عثمان فهو أحق بالضرب .

ومضى رجل إلى بغداد فاتّسّه وهو بسب الشّيّخين فأخذوه إلى القاضي فسألته القاضي ، فقال : كدبوا على أنا رجل عاقل أعرف أنّ هذه البلاد بلاد أهل الخلاف لا ينبغي اللعن والسبّ والطّعن فيها هذا شيء يجوز في بلادنا أمّا هذه البلاد فلا

وكان القاضي منصفاً فضحه وخلأه.

روى في حواشى المغني عن أبي بكر الأنصاري يسنه إلى هشام بن الكلبي قال : عاش عبيد بن شرية الجرهمي ثلاثة سنين فأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بالشام وهو خليفة ، فقال : حدثني بأعجب ما رأيت ، فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفون ميتاً لهم فلما انتهت إليهم أغرى رقت عيناه بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكر  
يا قلب إنك من أسماء مغورو  
حتى جرت لك اطلاقاً محاضير  
قد بحث بالحب ماتخفيه من أحدٍ  
أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير  
تبغي أموراً فما تدرى أعاجلها  
فيينما العسر إذ دارت مياسير  
فاستقدر الله خيراً وارضين به  
إذ صار في الرّمس يغفوه الأعاصير  
ويبكي عليه الغريب ليس يعرفه  
وابينما المرة في الأحياء مغتبط  
قال : فقال لي رجل : أتعرف من قال هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قال : إن قائله  
هو الذي دفناه السّاعة وأنت الغريب تبكي عليه ولا تعرفه ، وهذا الذي خرج من  
قبره أمس الناس رحمة به وأسرّهم بمותו فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً فمن الميت  
قال : هو عنتر بن لبيد الغمري .

روى أن مؤمن الطاق كان بينه وبين أبي حنيفة مزاح وكان يمشي معه يوماً  
فنادى رجل : من يدلّني على صبيٍّ ضالٍّ ؟ فقال مؤمن الطاق أمّا الصبيُّ الضالُّ فلا  
أدري إن كنت تبغى الشيخ الضال فهو هذا . وأشار إلى أبي حنيفة ،  
وقيل إنّ أبي حنيفة كان جالساً مع أصحابه فجاء مؤمن الطاق فقال أبو حنيفة  
لأصحابه : جاءكم الشيطان وسمعه مؤمن الطاق فقرأ .

« إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْهِيْمًا زَّارًا (١) »

أقول : مؤمن الطاق لقب هشام بن الحكم عند الشيعة وهو من أصحاب الصادق عليهما السلام ويسمهونه المخالفون شيطان الطاق وله بسطة يد في المناظرات .

قيل : مكتوب في خاتمة التوراة هذه الكلمات : كل غني لا راحة له من ماله فهو والأجير سواه ، وكل امرأة لا تجالس في بيتها فهري والأمة سواه ، وكل فقير تواضع الأغنياء لغناه فهو الكلب سواه ، وكل ملك لا عدل له فهو وفرعون سواه ، وكل عالم لا يعمل بعلمه فهو وإبليس سواه .

المدايني ، رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغل ثم رأيته راجلا في سفر قلت له : تمشي ويركب الناس ؟ فقال : ركبت حيث يمشي الناس وحق على الله أن يرجلنـي حيث يركـب الناس .

ارسطاطاليـس ، حر كة الأقبال بطئـة حر كة الأداء بسرـيعة لأنـ المـقبل كالصـاعد من مرـفـاة إلى مرـفـاة والمـدبـر كالـمـقـدـوف بهـ من عـلـوـ إلى سـفـلـ .

أرسل رجل سنـي إلى شـيعـي مـقدـارـاً منـ الحـنـطة وـكانـ حـنـطة عـتـيقـة فـردـ هـاعـلـيهـ ثمـ أـرسـلـ إـلـيـهـ عـوـضاـ جـديـدةـ وـلـكـنـ فـيـهاـ تـرـابـ فـقـبـلـهـاـ وـكـتـبـ إـلـيـهـ بـهـذـاـ الشـعـرـ :

بعثـتـ لـنـاـ بـدـالـ البرـ بـرـ آـ  
رجـاءـ لـلـجـزـيلـ مـنـ الشـوـابـ  
بـهـإـذـ جـاهـ وـهـوـ أـبـوـ تـرـابـ

أقول : وغير خـفـيـ لـطـفـهـ فـاـنـ عـتـيقـ اسمـ أـبـيـ بـكـرـ وـأـبـوـ تـرـابـ كـنـيةـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عليهـماـ السـلـامـ سـئـلـ نـصـرـانـيـ عـيـسـىـ عليهـماـ السـلـامـ أـفـضـلـ أـمـ مـوسـىـ ؟ـ فـقـالـ :ـ إـنـ عـيـسـىـ يـحـيـيـ الموـتـيـ وـمـوسـىـ وـكـزـ رـجـلاـ فـقـضـىـ عـلـيـهـ ،ـ وـعـيـسـىـ تـكـلـمـ فـيـ الـمـهـدـ صـبـيـاـ وـمـوسـىـ قـالـ بـعـدـ ثـمـانـينـ سـنـةـ :ـ وـاحـلـ عـقـدـةـ مـنـ لـسـانـيـ فـاـنـظـرـ إـلـيـهـماـ أـفـضـلـ .

نقلـ أـنـهـ لـمـاـ مـاتـ عمرـ بـنـ عـبـدـ العـزـيزـ وـتـخـلـفـ بـعـدـهـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ قـالـ لـوزـرـائـهـ :ـ دـلـوـنيـ عـلـىـ خـرـائـنـ اـبـنـ عـبـدـ العـزـيزـ فـدـلـوـهـ عـلـىـ حـجـرـةـ كـانـ يـخـلـوـ فـيـهاـ ،ـ فـلـمـاـ فـتـحـوـاـ قـفـلـهـاـ رـأـوـهـاـ قـاعـاـ بـيـضـاءـ وـفـيـ وـسـطـهـاـ تـرـابـ مـتـحـجـرـ مـنـ بـكـائـهـ وـفـيـهاـ ثـيـابـ خـشـنةـ وـغـلـ منـ الـحـدـيدـ يـضـعـهـ فـيـ عـنـقـهـ وـيـبـكـيـ إـذـ تـفـرـ دـ بـنـفـسـهـ .

قيلـ إـنـ أـهـلـ خـرـاسـانـ عـلـمـوـاـ بـمـوـتـهـ بـالـشـامـ يـوـمـ وـفـاتـهـ قـالـوـاـ :ـ كـنـاـ نـرـىـ الذـئـبـ

مع الغنم والسباع مع الانعام حتى افترقت ذات يوم من الايام فعلمـنا أنه قد مات وقال الشـيخ الرئـيس : النساء من ثلاثة إلى عشر سنين لعـبة اللاـعبـين ، ومن عشرة إلى خمسة عشر هـنـ حورـعين ، ومن خمسة عشر إلى عـشـرين هـنـ لـحـم وـشـحـم ولـين ، ومن عـشـرين إلى ثـلـاثـين هـنـ أـمـهـاتـ الـبـنـاتـ وـالـبـنـينـ ، ومن ثـلـاثـينـ إـلـىـ أـرـبعـينـ هـنـ عـجـوزـ فـيـ الـغـابـرـينـ ، وـمـنـ أـرـبعـينـ إـلـىـ خـمـسـينـ اـقـتـلـوـهـنـ بـالـسـكـينـ ، وـمـنـ خـمـسـينـ إـلـىـ سـتـيـنـ عـلـيـهـنـ لـعـنةـ اللـهـ وـالـمـلـائـكـةـ وـالـتـاسـ أـجـمـعـينـ .

قيل دخلت امرأة على داود النبـيـ صلـوة اللـهـ عـلـىـ نـبـيـهـ فقالـتـ : يا نـبـيـ اللـهـ ربـكـ عـادـلـ أـمـ ظـالـمـ ؟ فـقـالـ عـلـيـهـ الـحـلـالـ : ويـحـكـ هوـ العـدـلـ الـذـيـ لاـ يـجـورـ ثـمـ قـالـ لـهـاـ : ماـ قـسـتكـ ؟ قـالـتـ : أـنـيـ اـمـرـأـةـ أـرـمـلـةـ وـعـنـدـيـ ثـلـاثـ بـنـاتـ وـإـنـيـ أـقـوـمـ عـلـيـهـنـ مـنـ غـزـلـ يـدـيـ فـلـمـ كـانـ أـمـسـ شـدـيـتـ غـزـلـيـ فـيـ خـرـقـةـ حـمـراءـ وـأـرـدـتـ أـنـ أـذـهـبـ بـهـ إـلـىـ السـوقـ وـأـبـيـعـهـ فـأـشـتـرـىـ الطـعـامـ لـلـأـطـفـالـ فـاـذـاـ بـطـاـيـرـ قـدـ اـنـقـضـ عـلـيـهـ وـأـخـذـ الـخـرـقـةـ وـالـغـزـلـ وـطـارـ ، وـبـقـيـتـ حـزـينـةـ مـاـلـيـ شـيـءـ أـبـلـغـ بـهـ أـطـفـالـيـ .

قالـ الرـاوـيـ فـبـيـنـماـ اـمـرـأـةـ مـعـ دـاـوـدـ عـلـيـهـ الـحـلـالـ فـيـ الـكـلـامـ فـاـذـاـ بـطـارـقـ يـطـرـقـ الـبـابـ فـأـذـنـ دـاـوـدـ عـلـيـهـ الـحـلـالـ بـالـدـخـولـ وـإـذـاـهـمـ عـشـرـةـ مـنـ التـجـارـ وـمـعـ كـلـ وـاحـدـ مـأـدـيـنـارـ قـالـوـاـ : ياـ نـبـيـ اللـهـ بـمـسـتـحـقـهاـ فـقـالـ عـلـيـهـ الـحـلـالـ لـهـمـ وـمـاـ سـبـبـ إـخـرـاجـكـمـ هـذـاـ المـالـ ؟ قـالـوـاـ : كـنـّـاـ فـيـ مـرـكـبـ فـهـاجـتـ عـلـيـنـاـ الـرـيحـ فـعـابـ الـمـرـكـبـ وـأـشـرـفـنـاـ عـلـىـ الـغـرـقـ وـإـذـاـ نـحـنـ بـطـاـيـرـ قـدـ أـلـقـيـ إـلـيـنـاـ خـرـقـةـ حـمـراءـ وـفـيـهـاـ غـزـلـ فـسـدـنـاـ بـهـ عـيـبـ الـمـرـكـبـ فـانـسـدـ وـنـذـرـنـاـ أـنـ يـصـدـقـ كـلـ وـاحـدـ مـنـّـاـ مـأـدـيـنـارـ مـنـ مـالـهـ ، وـهـذـاـ المـالـ بـيـنـ يـدـكـ تـصـدـقـ بـهـ عـلـىـ مـنـ أـرـدـتـ ، فـالـتـفـتـ دـاـوـدـ إـلـىـ اـمـرـأـةـ وـقـالـ عـلـيـهـ الـحـلـالـ : ربـكـ يـتـسـجـرـ لـكـ فـيـ الـبـحـرـ وـتـجـعـلـيـنـهـ ظـالـمـاـ ؟ ثـمـ أـعـطـاهـاـ الـأـلـفـ دـيـنـارـ وـقـالـ : اـذـهـبـيـ بـهـاـ وـأـنـقـيـهـاـ عـلـىـ أـطـفـالـكـ وـالـهـ أـعـلـمـ بـحـالـكـ .

حـكـيـ إـنـ جـمـاعـةـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ لـعـنـهـمـ اللـهـ تـقـبـواـ فـيـ جـوـارـ رـوـضـةـ النـبـيـ صلـوة اللـهـ عـلـىـ نـبـيـهـ وـقـسـدـوـاـ إـخـرـاجـ جـسـدـهـ الشـرـيفـ وـنـقـلـهـ إـلـىـ مـصـرـ وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ نـصـفـ الـلـيـلـ فـسـمـعـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ الـجـوـ : اـحـفـظـوـاـ نـبـيـكـمـ صلـوة اللـهـ عـلـىـ نـبـيـهـ ، فـأـوـقـدـوـ الـسـرـاجـ وـطـافـوـاـ فـرـأـواـ ذـلـكـ النـقـبـ

في الجدار وحوله الجماعة موتى .

قال السيد الجزائري : حكى لي جماعة من الثقات أنه في بعض السنين نزلت صاعقة فيها نار من السماء على الضريح المقدس النبوي عليه السلام في المدينة فاحرق طرفاً منه فقال بعض النواصي شعراً :

و لكل شيء مبتدأ و إزار  
ذاك الجناب فطهرته النار

لم يحرق حرم النبي صلوات الله عليه وسلم لحادث  
لكنّما أيدى الرّواضن لامست

فقال بعض الشيعة في الجواب :

و لكل شيء مبتدأ و عوّاقب  
ولكل شيطانين قد نز لا به

لم يحرق حرم النبي صلوات الله عليه وسلم لحادث

روى في البحار أن يحيى بن خالد البرمكي سأله مؤمن الطّلاق هشام بن الحكم بمحضر من الرّشيد فقال : أخبرني يا هشام هل يكون الحق في جهتين مختلفتين ؟ قال هشام : الظاهر لا قال فأخبرني عن رجلين اختصما في حكم في الدين و تنازعا هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو أن يكون أحدهما محقّا والآخر مبطلا ؟ فقال هشام : لا يخلو من ذلك .

قال يحيى : فأخبرني عن علي عليه السلام والعباس لما اختصما إلى أبي Becker في الميراث أيهما كان المحق ومن المبطل إذ كنت لا تقول أنهما كانا محقّين ولا مبطلين ؟ قال هشام : فنظرت فإذا أنتي إن قلت إن عليه السلام كان مبطلا كفرت وخرجت من مذهببي ، وإن قلت : إن العباس كان مبطلا ضرب الرّشيد عنقي ووردت على مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لها جوابا .

فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام يا هشام لاتزال مؤيدا بروح القدس مانصرتنا بلسانك فعلمت أنّي لا أخذل وعن لي الجواب في الحال فقلت له : لم يكن لأحدهما خطأ حقيقة وكانا جميعا محقّين ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود عليه السلام يقول الله عز وجل :

« هَلْ أَتَيْكَ بَنُو الْخَصِيمِ إِذْ تَسْرُّوا الْمِحْرَابَ » إِلَى قَوْلِهِ : « خَصْمَانٍ بَغْيَ بَقْضَنَا عَلَى بَعْضٍ ». .

فَأَيُّ الْمُلْكِينَ كَانَا مُخْطَنًا وَأَيُّهُمَا كَانَ مُعِيَّبًا أَمْ تَقُولُ أَنَّهُمَا كَانَا مُخْطَنِينَ فَجُوَابُكَ فِي ذَلِكَ جُواهِبِي فَقَالَ يَحْيَى : لَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الْمُلْكِينَ أَخْطَلُوا بَلْ أَقُولُ إِنَّهُمَا أَصَابَا وَذَلِكَ إِنَّهُمَا لَمْ يَخْتَصُمَا فِي الْحَقِيقَةِ وَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي الْحُكْمِ وَإِنَّهُمَا أَظَهَرَا ذَلِكَ لِيَنْبَهِ سَاعِيَ دَاؤِدَّ عَبْلَةَ فِي الْخَطِيشَةِ وَيَعْرِفُ فَاهُ الْحُكْمُ وَيَوْقَاهُ عَلَيْهِ .

قَالَ هَشَامٌ : قَلْتُ لَهُ كَذَلِكَ عَلَيَّ عَلَيَّ وَالْعَبَاسُ لَمْ يَخْتَلِفَا فِي الْحُكْمِ وَلَمْ يَخْتَصُمَا فِي الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا أَظَهَرَا الاختِلَافُ وَالْخَصْوَمَةُ لِيَنْبَهِ سَاعِيَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى خَطَايَاهُ وَيَدْلِيلَهُ عَلَى أَنَّ لَهُمَا فِي الْمِيرَاثِ حَقًّا وَأَمْ يَكُونُ نَافِي رِيبٍ مِنْ أَمْرِهِمَا وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَلَى حَدِّ مَا كَانَ مِنَ الْمُلْكِينَ ، فَاسْتَحْسَنَ الرَّشِيدُ ذَلِكَ الْجَوابَ . صَلَّى أَعْرَابِيَّ خَلْفَ إِمَامٍ فَقَرَأَ .

« إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمٍ ». .

ثُمَّ وَقَفَ وَجَعَلَ يَرْدَدُهَا ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَرْسَلَ غَيْرَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَأَرْحَنَا وَأَرْحَنَا نَفْسَكَ وَصَلَّى آخِرُ خَلْفَ إِمَامٍ فَقَرَأَ .

« فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ». .

فَوَقَفَ وَجَعَلَ يَرْدَدُهَا ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا فَقِيهِ إِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَكَ أَبُوكَ فِي هَذِهِ الدِّلِيلَةِ نَظَلَّنَّ نَحْنُ وَقَوْفًا إِلَى الصَّبَاحِ ؟ ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ .

فِي الْأَثْرَانَ الْجَاحِظُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّوَاصِبِ وَهُوَ قَبِيحُ الصُّورَةِ حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ يَمْسَخُ الْخِنْزِيرَ مَسْخًا ثَانِيًّا  
مَا كَانَ إِلَّا دُونَ قَبْحِ الْجَاحِظِ  
قَالَ يَوْمًا لِتَلَامِذَتِهِ : مَا أَخْجَلْتِي إِلَّا امْرَأَةً أَنْتِ بِي إِلَى صَائِغٍ فَقَالَتْ : مِثْلُ هَذَا ، فَبَقِيتِ حَائِرًا فِي كَلَامِهَا ، فَلَمَّا ذَهَبَتِ سَأْلَتِ الصَّائِغَ فَقَالَ : اسْتَعْمَلْتِنِي لَا صَوْغَ لَهَا

صورة جنّي قلت : لا أدرى كيف صورته فأنت بك .

في الحديث إنّ شيطاناً سميّنا لقى شيطاناً مهزوّلاً ف قال : لم صرت مهزوّلا ؟  
 قال : إنّي مسلط على رجل إذا أكل أو شرب أو أتى أهله يقول : بسم الله فحرمت  
 المشاركة معه فصرت مهزوّلا ، وأنت لم صرت سميّنا ؟ قال : إنّي مسلط على رجل  
 غافل عن التّسْمِيَة يأكل ويشرب ويأتي أهله غافلاً فشاركته فيها كما قال تعالى  
 « وَشَادَ كُنْجُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ » .

حكى إن عالما سئل عن مسألة فقال : لا أدرى فقال السائل: ليس هذا مكان الجهال، فقال العالم: المكان لمن يعلم شيئاً ولا يعلم شيئاً فاما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له. وسئل أبو بكر الواعظ عن مسألة فقال : لا أدرى قيل له : ليس المنبر موضع الجهال ، فقال : إنما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء . دخل لص دار رجل يسرق طحيناً في الليل فبسط رداءه ومضى إلى الطحين فقطن به صاحب المنزل ومد يده وجرأ الرداء إليه فأتاى اللص بالطحين وضعه يطن أنه فوق الرداء وإذا هو في الأرض فصاح به صاحب الدار سارق فانقلب اللص هارباً وهو يقول قد علم أيتنا السارق أنا أو أنت .

**قال الأصمي :** دخلت البادية ومعي كيس فأودعته عند أمرأة منهم فلم اطلبته أنكرته فقدمتها إلى شيخ فأقامت على إنكارها ، فقال : ليس عليها إلا يمين فقلت كأنك لم تسمع قوله تعالى :

ولو حلفت برب العالمين  
ولا تقبل لسارقة يميناً

فقال : صدقـت ثم تهـدـدهـا فـأـقـرـت وـرـدـت إـلـى مـالـي ثـم التـفـت إـلـى السـيـخ فـقـال فـي أـي سـوـرـة تـلـك الـآـيـة ؟ فـقـلت فـي سـوـرـة .

أَلَا هُبَيْ بِصَحْنَكَ فَاصْبِحْنَا  
وَلَا تَبْقِي خَمُورًا نَدْرِينَا (١)

٦- البيت لعمرو بن كلثوم التلبي هب من نومه يهب هب اذا استيقظ و المصحن اللدح المظيم  
والجمع الممعون والصبع سقى الصبوح والأفضل صبع يصبح والاشرعون قري بالشام يقول الاستيقظى  
من نومك ايتها الساقية واستيقنى الصبوح بقدحك المظيم ولا تذكري خبر هذه القرى، هكذا قال  
شارح الآيات، منه

قال : سبحان الله لقد كنت ظننت أنها في سورة إنا فتحنا لك فتحاً مبينا .  
ونظيره إنَّ رجلاً أحضر ولده إلى القاضي فقال : يا مولانا إنَّ ولدي هذا يشرب  
الخمر ولا يصلي ، فأنكر ولده ذلك فقال أبوه : أتكون صلاه بغير قراءة ؟ فقال  
الولد إنَّى أقرُّ القرآن وأعرف القراءة فقال له القاضي : اقرُّه حتى أسمع فقال :  
علق القلب ربباً  
بعد ما شابت وشابة  
إنَّ دين الله حقٌّ  
لا ترى فيه ارتياها

قال له أبوه : إنَّه لم يتعلَّم هذا إلَّا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه  
قال له القاضي : قاتلوكم الله يتعلَّم أحدكم القرآن ولا يعمل به .  
قيل : ما وضعت سرَّى عند أحد فأفشاه فلمته لآنِي أحق باللّوم منه اذ كنت  
أضيق صدر أمنه قال الشاعر :

إذا المرء أفشى سره بلسانه  
فصدر الذي يستودع السر أنيق  
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه  
رأى الحسن عليه السلام يهودي في أبهى زيه وأحسنه واليهودي في حال ردئ وحال  
رثة ، فقال : أليس قال رسولكم : الدّنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ؟ قال عليه السلام  
نعم ، فقال : هذا حالك وهذا حالك ، فقال عليه السلام : غلطت يا أخا اليهودي ولو رأيت  
ما وعدني الله من الشّواب وما أعد لك من العقاب لعلمت أنك في الجنة وانتي  
في السجن .

حکی صاحب الأغاني قال : صلی دلآل يوما خلف إمام بمكة فقال :  
« وَمَا لِي لَا أَبْعُدُ الَّذِي فَطَرْنِي ».

قال : ما أدرى والله ، ففتحك الناس وقطعوا الصّلاة ، فلما فرغوا عاتبه الإمام  
وقال : ويلك لا تدع الجنون و السفه قال : كنت عندي أنك تعبد الله فلما سمعتك  
 تستفهم ظننت أنك قد شككت في ربك فتب إليه .

قيل : دخل أعرابي في الجامع ليصلّي و كان اسمه موسى و وجد في طريقه

كيساً فيه دنانير فقرأ الإمام : « و ما تلك بييمينك يا موسى » فرمى إليه الكيس وقال : والله إنك لساحر .

حکی ان بعضهم تمنی فی منزله وقال : يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال : اغرفوا لنا فيه فليلا من المرق ، فقال . إنّ جیر انتا يشمون رایحة الاًمانی .

قال أبو علي بن سينا في رسالة المراج : إنّ أمیر المؤمنین علی بن أبي طالب عليه السلام من كنز الحکمة وفلك الحقيقة وخزانة العقل ، ولقد كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس .

روى ان طایفة من العامة تناظرروا مع شيخنا بهاء الملة والدین فقالوا : كيف تجوزون قتل عثمان مع ما ورد من قوله : مَنْ قَاتَلَهُ مِنْ أَصْحَابِي كمثل التجوم بايتم اهتديتم ؟ فقال : جوّزا قتيله بهذا الحديث لأنّ بعض الصحابة افتقى بقتله وبعضهم باشر قتيله .

قال الحجاج يوماً لرجل : اقرء شيئاً من القرآن فقال :  
**«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا»**.

قال : ليس كذلك بل هي يدخلون في دين الله ، قال : ذلك قبل ولا يتكل ولكلنهم الآن يخرجون بسببيك ، فضحك وأعطاه .

صلی معرفو الكرخي خلف إمام فلمّا فرغ من صلاته قال الإمام لمعرفو من أين تأكل ؟ قال : اصبر حتى اعيد صلاتي خلفك لأنّ من شرك في رزقه شرك في حالقه .

قال في مجمع البيان في ذكر حكم لقمان : إنّ مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأئته بأطيب مضقي منها ، فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان ، فسألته عن ذلك فقال : إنّهما أطيب شيء ، إذا طابا وأحيث شيء إذا خبنا .

وفيه قال عبدالله بن دينار : قدم لقمان من سفر فلقى غلامه في الطريق فقال :  
ما فعل أبي ؟ قال : مات ؛ قال : ملكت أمري ، قال : ما فعلت أمرأتي ؟ قال : ماتت ، قال :  
جدد فراشي ، قال : ما فعلت اختي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتي ، قال : ما فعل  
أختي ؟ قال : مات ، قال : انقطع ظهري .

عن كشكول البهائي (ره) إن أباء حسين بن عبد الصمد الحارثي وجد في  
مسجد الكوفة فص عقب مكتوب عليه :

أنا در من السماء شروني  
كنت أصفى من اللجين بياضا

يوم تزويع والد السبطين  
صبتني دماء نهر الحسين

قال نعمة الله الموسوي الجزائري (ره) : وجدنا في نهر تستر (١) صخرة  
صغيرة سفراء آخر جها المغاربون من تحت الأرض وعليها مكتوب بخط من لونها:  
بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولـي الله لما قتل الحسين بن  
علي بن أبي طالب بأرض كربلا كتب دمه على أرض حصباء : وسيعلم الذين ظلموا  
أي منقلب ينقلبون .

في رياض الجنّة تأليف بعض أصحابنا أنّ الباري عزّ وجلّ قال لعزرايل :  
هل رحمت أحداً وهل هبت من أحد ؟ فقال : يا ربّ أنت أعلم ، فقال سبحانه تعالى  
صدقت يا عزرايل ولكن احبّ أن تقول ذلك ، فقال عزرايل : إني يا ربّ رحمت  
طفلان يرتفع ثدي امه و كان هو و امه في مركب في البحر ففرق المركب فأمرتني ان  
أقبض روح امه فقبضتها وبقي الولد في البحر طيفاً على صدر امه فرحمته، و إني  
يا ربّ خفت ( هبت خ ل ) من رجل أمرتني أن أقبض روحه وكان ذا سلطان و مملكة  
و غلمان كثيرة و هو جالس على سريره في نهاية العافية فلما اردت قبض روحه  
دخلني خوف ورعب ، فقال الباري سبحانه : يا عزرايل الذي رحمته هو الذي خفت  
منه ، ثم قال : المشهور أنّ الرجل المذكور هو الشداد المعروف ، و العلم  
عند الله .

و فيه و في غيره أنّ بهلول وقت جنونه من يوماً على باب دار أبي حنيفة فوق عند الباب ساعة فسمع أبا حنيفة يحدث أصحابه ويقول : إنّ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : إن الله لا يمكن رؤيته و محال عليه الرؤية ، و أيضاً إن العبد فاعل مختار يفعل فعله بالاختيار ، ويقول : إن الشيطان يعذب بالنار وهذه الأقوال الشّاثة غير معقوله عندي .

أما الأوّل فلأن الله تعالى موجود وكلّ موجود يمكن رؤيته ، والثاني إن العبد لا اختيار له ، والثالث إن الشيطان خلق من النار فلا يعذب إذ النار لا يعذب ببعضها بعضاً .

فلما سمع البهلول ذلك الكلام اغتاظ وأخذ مدرأ من الأرض فضرب أبا حنيفة فأصاب رأسه وأوجعه ومضى يudo ، فتلحقه أصحاب أبا حنيفة وجاؤوا به إليه ولا جل قربته من المنصور الخليفة لم يقدروا أن يصلوا إليه بشيء من الضرب قال أبو حنيفة : اذهبوا به إلى الخليفة وأخبروه بما فعل ، فلما أخبر المنصور بالقصة عاتبه وقال له : لم فعلت ذلك وطلب أبا حنيفة يعتذر إليه بحضور البهلول ، فطلب البهلول الرخصة منه في التكلم مع أبا حنيفة فأذن له .

قال : يابا حنيفة ما أصحابك مني ؟ قال : ضربتني بالمدر فوجع رأسي ، فقال البهلول : أرني الوجع حتى أنظر اليه ، فقال أبو حنيفة : يا مجنون الوجع كيف يرى ؟ وكيف يمكن أن تنظر اليه ؟ فقال بهلول : يا ملعون الوجع موجود أم لا ؟ قال : بل موجود ، قال بهلول : إنك أدعيت أن الله يرى لأنّه موجود والوجع أيضاً موجود فلم لا يرى ؟ فلما سمع أبو حنيفة ذلك أطرق رأسه وافح .

ثم قال : يابا حنيفة ينبغي أن لا يوجد المدر رأسك لأنك خلقت من التراب وهو تراب ، ثم قال : يابا حنيفة العبد لا فعل له ولا اختيار حسب ما زعمت فلا شيء تؤاخذني بما صدر مني ولا قدرة لي عليه ؟ فلما سمع الخليفة أقواله استحسن مقاله ورخصه في الانصراف بغير عتاب .

في زهر الـ بيع ان أبا العلي المعربي كان يتتعصب لأبي الطيب فحضر يوماً مجلس المرتضى «ره» فذكر أبو الطيب فأخذ المرتضى في ذمه والازراء عليه

فقال المعرّى : لولم يكن له من الشعر إلّا قصيده اللامية وهي :

لَكْ يَا مَنَازِلَ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلَ  
أَفْرَتْ أَنْتَ وَهَنَّ مِنْكَ أَوَاهِلَ  
لِكْفِي فِي فَضْلِهِ ، فَغَبَّ الْمَرْتَضِيُّ وَأَمْرَ بِسَحْبِ الْمَعْرِّى فَسَحْبٌ وَضَرْبٌ ، فَلَمَّا  
أَخْرَجَ قَالَ الْمَرْتَضِيُّ لِمَنْ بِحُضْرَتِهِ : هَلْ تَدْرُونَ مَا عَنِ الْأَعْمَى إِنَّمَا عَنِ قَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ  
فِي اثْنَاءِ قَصِيَّدَتِهِ :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمَتِي مِنْ ناقصٍ فَهِي الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ  
وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرَ إِلَى أَبِي الْعَلَى قَالَ : قاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشَدَّ فَهْمَهُ وَذَكَاهُ ، وَاللَّهُ مَا  
عَنِيتُ غَيْرَهُ .

أَقُولُ : أَبُو الْعَلَى ذَلِكَ كَانَ مِنَ النَّوَاصِبِ فَصَارَ مِنَ الْزَنَادِقَهُ وَمَعْرُوفٌ أَنَّ  
الْمَرْتَضِيَّ «رَه» أَمْرَ بِقْلَعِ عَيْنِيهِ وَلَهُ اعْتِراضَاتٍ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَحُكْمَةِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ  
وَمِنْ جُملَتِهَا قَوْلُهُ :

يَدٌ بِخَمْسِ مَئِينٍ عَسْجَدٌ وَدَيْتٌ  
وَأَجَابَهُ الْمَرْتَضِيُّ بِقَوْلِهِ :  
هَزَّ الْأَمَانَةَ أَغْلَاهَا وَأَرْخَمَهَا  
ذَلِكَ الْخِيَانَةُ فَانْظُرْ حُكْمَةَ الْبَارِيِّ  
وَرَبِّمَا يَنْسَبُ هَذَا الْجَوَابُ إِلَى أَخِيهِ الرَّضِيِّ «رَه» .

فِي الْبَحَارِ مِنْ كِتَابِ الْفَرْدَوْسِ عَنْ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : سَلْ رَسُولَ  
اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَأَيْتَ حَيَّةً فِي الطَّرِيقِ فَاقْتُلْهَا فَإِنِّي قَدْ شرَطْتُ عَلَى الْجِنِّ أَنْ لَا يَظْهِرُوا  
فِي صُورَةِ الْحَيَاةِ فَمَنْ ظَهَرَ فَقَدْ أَحْلَّ بِنَفْسِهِ .

أَقُولُ : وَيَنْسَبُ ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرَهُ شَارِحُ دِيْوَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي فَوَاتِحِهِ  
عَنْ اسْتَادِهِ جَلالِ الدِّينِ الدَّوَانِيِّ عَنِ السَّيِّدِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْلَايِجيِّ أَنَّهُ  
قَالَ : ذَكَرَ لِي الْعَالَمُ الْفَاضِلُ الْمُتَقْبِيُّ شَيْخُ أَبُو بَكْرٍ عَنِ الشَّيْخِ بِرْهَانِ الدِّينِ الْمُوَصَّلِيِّ  
وَهُوَ رَجُلُ عَالَمٍ فَاضِلٌ وَرَعٌ أَنَا تَوَجَّهُنَا مِنْ مَصْرٍ إِلَى مَكَّةَ نَرِيدُ الْحِجَّةَ وَنَزَلْنَا مِنْ زَلا  
وَخَرَجَ عَلَيْهِ ثَعَبَانٌ فَمَارَ النَّاسَ إِلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ أَبْنَى عَمِّي فَاخْتَطَفَ وَنَحْنُ نَرِي سَعِيهِ  
وَتَبَادَرَ النَّاسُ عَلَى الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ يَرِيدُونَ رَهْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ فَحَصَلَ لِلنَّاسِ

من ذلك أمر عظيم .

فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ جَاءَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فَسَأَلَنَا مَا شَأْنُكُ ؟ فَقَالَ :  
 مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَتَلْتَ هَذَا الشَّعْبَانَ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فَصَنَعْ بِي مَا رَأَيْتُمْ ، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ قَوْمٍ  
 مِّنَ الْجِنِّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ قَتَلَ أَبِيهِ وَبَعْضُهُمْ قَتَلَ ابْنَ عَمِّي فَتَكَاثَرُوا عَلَىٰ وَإِذَا رَجَلٌ  
 لَصُقَ بِي وَقَالَ لِي قَلْ : أَنَا أَرْضَى بِاللَّهِ وَبِالشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَالْمُنْكَرِيَّةِ فَقَلَتْ ذَلِكَ فَأَشَارَ  
 إِلَيْهِمْ أَنْ سِيرُوا إِلَى الشَّرِيعَةِ فَسَرَنَا حَتَّىٰ وَصَلَنَا إِلَى شِيخٍ كَبِيرٍ عَلَىٰ مَصَطَبَةٍ ، فَلَمَّا  
 صَرَنَا بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ : خُلُّوا سَبِيلَهُ وَادْعُوا عَلَيْهِ قَالَ الْأَوْلَادُ نَدْعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قُتِلَ  
 أَبَانًا قُتِلَتْ : حَاشَ اللَّهُ أَنَا نَحْنُ وَفَدَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ نَزَلْنَا هَذَا الْمَنْزِلَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا شَعْبَانَ  
 فَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَى قَتْلِهِ فَضَرَبَتْهُ فَقَتَلَتْهُ فَلَمَّا سَمِعَ الشِّيْخُ مَقَاتْلَتِي قَالَ : خُلُّوا سَبِيلَهُ  
 سَمِعْتُ بِبَطْنِ نَحْلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَزِيَّاً بِغَيْرِ زِيَّهِ فَقُتِلَ فَلَادِيَّةُ وَلَا قَوْدُ .

فِي الْبَحَارِ عَنْ حَيْوَةِ الْحَيْوَانِ ، رُوِيَ الْبَيْهِقِيُّ فِي دَلَائِلِ النَّبِيَّةِ عَنْ أَبِيهِ وَجَانَةِ  
 وَاسْمَهُ سَمَاكَ بْنَ خَرْشَةَ قَالَ : شَكُوتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي نَمَتْ فِي فَرَاشِي فَسَمِعْتُ  
 صَرَيْرًا كَصَرَرِ الرَّحِيْ وَ دَوَيْرًا كَدَوَرِ النَّحْلِ وَ لِمَعَانًا كَلِمَعَانِ الْبَرْقِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي  
 فَإِذَا أَنَا بِظَلَّ أَسْوَدٌ يَعْلُو وَ يَطْوُلُ بِصَحْنِ دَارِي فَمَسَسْتُ جَلْدِهِ فَإِذَا هُوَ كَجَلْدِ الْقَنْفَذِ  
 فَرَمَى فِي وَجْهِهِ مُثْلِ شَرِّ النَّتَارِ فَقَالَ ﷺ : عَامِرُ دَارِكَ يَا بَادِجَانَةَ ثُمَّ طَلَبَ دَوَاتَّا  
 وَ قَرْطَاسًا وَ أَمْرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِّنْ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ مِنْ طَرِيقِ  
 الدَّارِ مِنَ الْعَمَارِ وَ الزَّوَارِ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بَخِيرَ أَمَّا بَعْدُ فَانْ لَنَاوِلَكُمْ فِي الْحَقِّ  
 سَعَةَ فَانِ يَكْنِ عَاشَقًا مَوْلَعًا فَاجْرًا مَقْتَحِمًا فِي هَذَا كِتَابَ اللَّهِ يَنْطَقُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنَا  
 كَنَا نَسْتَسْعِي مَا كَنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ رَسْلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكِرُونَ ، اتَرْ كَوَا صَاحِبُ  
 كَتَابِي هَذَا وَ انْطَلَقُوا إِلَى عِبَدَةِ الْأَصْنَامِ إِلَىٰ مِنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْهَا آخِرٌ لِإِلَهٍ إِلَّا هُوَ  
 كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ لِلْحُكْمِ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ حَمَّ لَا يَنْصُرُونَ حَمْعَسْقَ تَفْرِقُ  
 أَعْدَاءَ اللَّهِ وَ بَلْغَتْ حَجَّةَ اللَّهِ وَ لَا حُولَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَسِيمَكِيفِكِهِمُ اللَّهُ وَ هُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

قال أبو دجانه فأخذت الكتاب وأدرجهته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبـٰ ليلتي فـما نتبـٰهـت إلـٰا من صرـاخـ صارـخـ يقول : يا بـادـجـانـهـ أـحـرقـتـناـ هـذـهـ الكلـمـاتـ فـبـحـقـ صـاحـبـكـ إلـٰا ما رـفـعـتـ عـنـاـ هـذـاـ الكـتـابـ فـلـاـ عـوـدـلـنـاـ فـيـ دـارـكـ وـ لـاـ فـيـ جـوـارـكـ وـ لـاـ فـيـ مـوـضـعـ يـكـوـنـ فـيـ هـذـاـ الكـتـابـ قـالـ أـبـوـ دـجـانـهـ لـاـ أـرـفـعـهـ حـتـّـىـ اـسـتـأـذـنـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ السـلـامـ .

قال أبو دجانه و لقد طالت على ليلتي مما سمعت من أنين الجن و صراخهم وبكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ و أخبرته بما سمعت من الجن و ما قلت لهم فقال ﷺ : يا بـادـجـانـهـ اـرـفـعـ عـنـ الـقـوـمـ فـوـالـذـيـ بـعـشـنـيـ بـالـحـقـ نـبـيـاـ إـنـهـمـ لـيـجـدـونـ أـلـمـ الـعـذـابـ إـلـىـ يـوـمـ الـقيـامـةـ .

في المحسن مسند أعن أبي بصير عن أبي جعفر ع : إذا ضللتك في الطريق فناد : يا صالح يا بـاصـالـحـ أـرـشـدـنـاـ إـلـىـ الطـرـيـقـ وـ حـسـكـمـ اللـهـ ، قال عبد الله : فأصابنا ذلك فامرنا بعض من معنا أن يتخفي و ينادي كذلك قال : فتخفي فنادي ثم أتانا فأخبرنا أنه سمع صوتاً يرز و فيقا يقول : الطريق يمنة أو قال يسرة، فوجدناه كما قال .

في البخار قال رسول الله ﷺ : إذا أصاب أحداً منكم وحشة أو نزل بأرض مجننة فليقل : أعود بكلمات الله التسamt التي لا يجاورهن بر و لا فاجر من شر ما يلتج في الأرض وما يخرج منها و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها و من فتن الليل ومن طوارق النهار إلـٰا طارقا يطرق بخيـرـ

إذا قـلـ مـاـلـ المـرـءـ قـلـ بـهـاؤـهـ وـ خـصـاقـتـ عـلـيـهـ أـرـضـهـ وـ سـمـاؤـهـ  
إذا قـلـ مـاـلـ المـرـءـ لمـيـرـضـ عـقـلـهـ بنـوـهـ وـ لـمـ يـعـصـ لـهـ أـولـيـاـوـهـ  
فـيلـ كـلـ عـضـوـ مـنـ الـأـعـضـاءـ فـهـوـ مـذـگـرـ إـلـٰاـ الـكـبـدـ وـ الـطـحالـ وـ كـلـ  
ما كان في الجسد اثنين فهو مؤنث إلـٰا الحاجـبـ وـ الخـدـ وـ الـجـنـبـ .

في الأثر أن الربيع بن خثيم حفر في داره قبراً فكان إذا وجد من قلبه قسوة اضطجع فيه فمكث ما شاء ثم يقول رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت

ثم يرد على نفسه فيقول قد ارجعتك فجدّ.

قيل كان ملك يسير ومعه نديم له فبینا هما كذلك إذا بکل بال على قبر فقال الملك : لعل هذا قبر راضي يقول عليه الكلب ، فقال نديمه : ان كان هذا راضيا فالكلب لا بد أن يكون سنيا .

قال الرشيد للبهلوان : أتحب أن تكون خليفة ؟ قال : لا ، و ذلك إنني رأيت موت ثلاث خلفاء ولم ير الخليفة موت بهلوانين .

و في زهر الربيع دخل رجل من أهل حمص إلى بلد فرأى فيها منارة فقال لصاحبها : ما أطول قامة من بنا هذه المنارة ، فقال له صاحبها : يا أخي هل في الدنيا من يكون قامته مثل هذه المنارة وإنما بنوها في الأرض وهي نائمة ثم أقاموها .

في زهر الربيع رأيت رسالة في المشهد الرضوي على مشرف السلام سنة ثمان بعد المأة والألف للإمام الجويني من أكابر علماء مذهب الشافعى رد بها على مذهب الحنفية وذكر فيها أشياء كثيرة من أكاذيب أبي حنيفة وزخارفه وخلافه على ملة النبى ﷺ وذكر من جملة الطعون عليه : أن السلطان محمود بن سبكتكين كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعا بعلم الحديث يقرء بين يديه وهو يسمع فوجد الأحاديث أكثرها موافقا لمذهب الشافعى فالتمس من العلماء الكلام في ترجيح أحد المذهبين فوق الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركتعين على مذهب الشافعى وركعتين على مذهب أبي حنيفة لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو أحسن فصلى القفال المرزوقي من أصحاب الشافعى ركتعين على مذهب الشافعى

بالأركان والأذكار والطمأنينة والطهارة مما لم يجوزه غير الشافعى ، ثم أمر القفال أن يصلى بين يديه ركتعين على ما يجوزه أبو حنيفة ، فقام ولبس جلد كلب مدبوغ ولطخ ربعه بالنجاسة لأن أبو حنيفة يجوز الصلاة على هذا الحال ، وتوضاً بنبيذ التسمير فاجتمع عليه الذباب وتوضأ ممعكوساً منكوساً ثم استقبل القبلة فأحرم بالصلاحة من غير نية وأتى بالتكبير بالفارسية ثم قراء آية بالفارسية

دو برك سبز (١) ثم نقر تين كنقر الدّيك من غير فصل و من غير ركوع  
و تشهد .

فقال القفال أيها السّلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السّلطان ان لم تكن  
هذه لقتلك فأناكر أصحاب أبي حنيفة هذه صلاته فأمر القفال باحضار كتب العراقيين  
وأمر السّلطان نصراوياً يقرأ كتب المذهبين فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة  
كما حكا القفال فعدل السلطان إلى مذهب الشافعى وهذه المقالة نقلها عليُّ بن  
سلطان الهروي الحنفي .

ثم عارض الشافعية بأنهم يقولون : إذا كان جماعة معهم من الماء قلتين وذلك  
لأنكفيهم لطهارة لهم ولو كملوا ببولهم لكافاهم فاته يجب عليهم تكميله بالبول أو  
الغائط وهذا مما تمجه العقول وتدفعه النقول .

ثم عارض تلك الصلاة بما جوزه الشافعى في الصلاة فقال : إن واحداً منهم  
إذا اجتمع عندهم ماء بالوعة نجس حتى صار قلتين فتمضمض به واستنشق منه ثم  
قال نويت أن اطهر بهدا الماء الظاهر المطهر للصلاة ثم غسل وجهه ويديه ومسح  
برأسه على شرة أو شعرتين ثلاثة أو من تين وغسل رجليه ثم انغمس فيه معكوساً  
ومنكساً لكمال الطهارة و مع هذا رعف وقاء وفقد واحتجم و لبس جلد خنزير  
بحري ، وتحنى في اليدين والرجلين مشبها بالمخانيث والنساء ، ولطخ جميع  
بدنه وثيابه بما مني منفصل عن ذنب حمار حتى اجتمع عليه الذباب وهو فوق جبل  
أبي قبيس يقتدي بامام عند الكعبة ، ومع هذا همز الله أباً كبر ثم وقف والامام انتقل  
من ركن إلى ركن وهو يقول : بس بس بسم الله ونحوه و هو جاهل بالقرآن غير  
عالِم بمخارج الحروف ثم يقول : ملك يوم الدين باسكن اللام والمستقيم بالغين  
والذين بالزا وأنعمت بتحريرك النون ويختتم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضاللين  
بالقفال عوض الغين أو بالذال بدل الفضاد هذه صفة صلاة الشافعى وأطال في التشريع

عليه قال الشاعر :

ومصطنع المعروف من غير أهله يلاقي كما لاقي مغيث أم عامر  
 فيل (١) إن أم عامر كنية الضبع وان صياداً أراد صيدها فطردتها  
 فالتجاء إلى بيت أعرابي فأجراها فلما جاء الليل أطعمنها وأنامها فقامت في الليل  
 إلى صبي فمزقت بطنه وأكلت رأسه وخرجت ليلاً قال أبو الطيب :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى هضر كوضع السيف في موضع الندى  
 قال بعض الخلفاء لبعض الزهاد : إنك لعظيم الزهد ، فقال : إنك أزهدت مني  
 لأنك زهدت في نعيم الآخرة وهو نعيم دائم عظيم وزهدت أنا في نعيم الدنيا  
 الحقير المنقطع .

كان بعضهم في أيام صغره أشد منه ورعاً في أيام كبره فقال :  
 عصيت هو نفسي صغيراً وعند ما أتنى الليالي بالمشيد وبالكبر  
 أطعت الهوى عكس القضية ليتنى خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر  
 الترجمة

از جمله کلام آنچنانب ولايت مآب است در ذکر عمر و بن عاص بي اخلاص  
 میفرماید : تعجب میکنم تعجب کردنی به پسر تابغه باگیه میگوید باهل شام  
 بدستیکه در من است مزاحی و بدستیکه هن مردی هستم بسیار بازی کننده  
 شوخی میکنم و بازی مینمایم ، بتحقیق که گفته است آن روسياه حرف باطل و تباہ  
 را ، و گویا شده است در حالتی که گناه کننده است .

١- و قيل انه كان من حديثه ان قوما خرجوا الى الصيد فى يوم حار فعرضت لهم ام عامر  
 فطردوها فالجاؤها الى خباء اعرابي فاقتحمت فخرج اليهم الاعرابي وقال : لا تصلون اليها ما  
 ثبت قائم سيفي بيدي ، فرجعوا و تركوها فأسقاها وأطعمها حتى استراحت ، فيبينما الاعرابي قائم  
 اذا و ثبت اليه فقررت بطنه و شربت دمه ، فجاء ابن عمه فرآه مقتولا فأخذ قوسه و تبعها حتى  
 ادر كها فقتلها و انشأ يقول :

يلاقي الذى لا قى مجرم ام عامر  
 بدا يصنع المعروف فى غير شاكر ، منه

ومن يصنع المعروف مع غير أهله  
 فقل لنؤى المعروف هذا جزاء من

آگاه باشید که بدترین گفتار دروغ است و بدرستی آن بد بنیاد حرف میزند پس دروغ میگوید و وعده هیدهد پس خلف وعده میکند، و سؤال میکند پس اصرار مینماید در سؤال، و سؤال کرده میشود پس بخل میورزد از قضاe آمال، و خیانت میکند در عهد و پیمان، وقطع رحم میکند از خویشان، پس اگر واقع شود آن بدخصال در نزد قتال و جدال پس چه بزرگ نهی کننده است وامر نماینده مادامیکه شمشیرها شروع نکرده اند در محل شروع خود.

یعنی مادامی که نایره حرب مشتعل نشده است دعوی سر کردگی میکند و مشغول امر و نهی میشود، پس چون زمان ضرب و شست رسید و شجاعان روز گار مشغول کارزار گردید میباشد بزرگترین حیله آن با تزویر اینکه بذل کند بمدمان دبر خود را و باین واسطه و تدبیر از دم شمشیر آبدار نجات یابد چنانچه در جنگ صفين امام عالمیان قصد آن بد بخت بی دین را نمود و او خودش را از اسب بزمیں انداخت و آنمردود ابتر علاجی از مرک بغیر از کشف از قبل و دبر خویش نیافت پس آن معدن حیا و عفت از سوئ آن بد بخت رو بتافت و بازگشت. پس میفرماید آگاه باشید بخدا سوکند که بازمیدارد مرا از بازی کردن ذکر موت، و بازمیدارد این نایره را از گفتار حق فراموشی آخرت، و بدرستی که آن بیعت نکرده بمعاویه تا اینکه شرط کرد از برای وی که عطا کند باو عطا قلیلی و ببخشد او را بر ترک دین رشوت حقیری که عبارت باشد از حکومت دو روزه مص .

### وَمِنْ خُطْبَةِ لِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ الرَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونَ مِنَ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَةِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، الْأَوَّلُ لَا شَيْءٌ قَبْلَهُ  
وَالآخِرُ لَا غَائِيَةٌ لَهُ ، لَا تَقْعُدُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ، وَلَا تَعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ

عَلَى كَيْفِيَّةِ، وَلَا تَنَاهُهُ التَّجْزِيَّةُ وَالتَّبْعِيْضُ، وَلَا تُجْبِطُ بِهِ الْأَبْصَارُ  
وَالْقُلُوبُ.

منها

فَاتَّعْظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَبْيَ السَّوَاطِعِ،  
وَازْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ الْبَوَالِغِ، وَانْتَفَعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَانَ  
قَدْ عَلِيقَةً كُمْ مَحَالِبُ الْمُنَيَّةِ، وَانْقَطَّتْ مِنْكُمْ عَلَاقَةُ الْأَمْنِيَّةِ، وَدَهْمَتْ كُمْ  
مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمُؤْرُودِ، وَكُلُّ قَسٍْ مَعْهَا  
سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْسُرَهَا، وَشَاهِدٌ يَشَهِدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

وَمِنْهَا فِي صَفَةِ الْجَنَّةِ

دَرَجَاتٌ مُمْتَاضَاتٌ، وَمَنَازِلٌ مُمْتَاضَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا  
يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَنْأِسُ «يَمَاسُ خَل» سَاكِنُهَا.

اللغة

(العبر) جمع عبرة وهي ما يعتبر به أى يتعظ و (الآى) جمع آية وهي العالمة و آية القرآن كل كلام متصل إلى انقطاعه، و قوله يحسن السكوت عليه و (سطع) الشيء يسطع من باب منع ارتفاع و (النذر) بضمتين جمع نذير وهو المند رأى المخوف ، قال الشارح المعتزلي : والأحسن أن يكون النذر هي الانذارات نفسها ، لأنّه قد وصف ذلك بالبالغ و ببالغ لا تكون في إلاّ كثرا إلاّ صفة المؤذن .

أقول : وعليه حمل قوله سبحانه :

«وَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٌ» .

أى كيف رأيتم انتقامي منهم و انداري ايّاهم مرّة بعد اخرى فالجمع لل مصدر باعتبار اختلاف الأجناس والأنواع و (علق) الشوك بالثوب من باب تعب إذا نشب و (المخلب) من الحيوان بمنزلة الظفر للإنسان و (مفظعات الأمور) بالفاء والطاء المعجمة شدائد الشنيعة و (ظعن) ظعننا من باب نفع ارتاحل (ولا ييأس) بالباء الموحدة مضارع يئس كسمع يقال بئس فلان إذا أصاب بؤساً وهو الضر والشدة، وفي بعض النسخ لا ييأس بالياء المثلثة التحتانية من اليأس بمعنى القنوط يقال ييأس ييأس من باب منع ، ومن باب ضرب شاذٌ وفي لغة كحسب .

### الاعراب

قوله : فكأن قد علقتكم مخففة كأن وملغاة عن العمل على الاستعمال الفصيح لفوات مشابهة الفعل بفوائت فتحه الآخر ولذلك ارتفع بعدها الاسم في قوله :  
ونحرٍ مشرق اللون كأن ثدياه حقان .

وان أعملتها قلت ثدييه لكنه استعمال غير فصيح ومثله قوله :

ويوماً توافينا بوجه مقسمٍ      كأن ظبية تعطوا إلى وارق السلم  
برفع ظبية على الاعمال ونصبها على الأعمال ويروى جرّها على جعل أن زايدةأى كظبية و إذا لم تعملاها ففيه ضمير شأن مقدر كما في ان المخففة ويجوز أن يقال بعدم التقدير لعدم الداعي عليها ، ثم هل هي في قوله للتحقيق كما قاله الكوفيون في قوله :

فأصبح بطن مكة مقشعراً      كأن الأرض ليس بها هشام  
أو للتقرير كما في قولهم : كأنك بالشتاء مقبل ، وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تنزل ، الوجهان محتملان و ان كان الأظهر هو الأول و قوله عليهما : لا ينقطع نعيها إما في محل النصب على الحال أو في محل الرفع على الوصف .

### المعنى

اعلم أن هذه الخطبة كما يظهر من الكتاب مأخوذة وملقطة من خطبة طويلة ولم نعثر بعد على أصلها او ما أوردته السيد «ره» هنا يدور على فصول ثلاثة .

## الفصل الأول

في الشهادة بالتوحيد وذكر بعض صفات الجمال والجلال وهو قوله : ( وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ) في ذاته وصفاته ( لاشريك له ) في أفعاله ومخلوقاته ، وقد مضى تحقيق الكلام في ذلك في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة الثانية فلا حاجة إلى الاعادة ( الأول ) بالأزلية فـ ( لاشيء قبله والآخر ) بالأبديّة فـ ( لا غاية له ) قد مضى تحقيق الأول والآخر في شرح الخطبة الرابعة والستين ، وقد منا هناك أن أوليته سبحانه لا تنافي آخريته ، وآخريته لتنافي أوليته كما تنافيان في غيره سبحانه .

و نقول هنا مضافاً إلى ما سبق : أنه سبحانه أول الأشياء وقبل كل شيء فلا يكون شيء قبله ، وذلك لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها وكمالاتها إليه ، وهو بهذه كل موجود فلم يكن قبله أول بل هو الأول الذي لم يكن قبله شيء .

قال النيسابوري في محيكي كلامه : وهو سبحانه متقدم على مساواه بجميع أقسام التقدّمات الخمسة التي هي تقدّم التّأثير والطبع والشرف والمكان والزمان ، أمّا بالتأثير ظاهر ، وأمّا بالطبع فلأن ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر إلى الممكن من حيث هو وحال الممكّن بالخلاف ، وأمّا بالشرف ظاهر ، وأمّا بالمكان فلا ن فهو إله كل الأمّاكن ومعها كقوله تعالى :

« أينما توّلوا فهم وَجْهُ اللَّهِ ».

وقد جاء في الحديث لودليلتم بجبل إلى الأرض السفلی ليهبط إلى الله ثم قرأ : هو الأول والآخر ، وأمّا بالزمان فاظهر .

وأمّا آخريته فالآن وهو الباقي بعد فناء وجود الممكّنات وإليه ينتهي كل الموجودات

فهو غاية الغايات فلا يكون له غاية .

قال بعض العارفين : هو الآخر بمعنى أنه غاية القصوى تطلبها الأشياء والخير الأعظم الذي يتضمنه الكل ويقصده طبعاً وإرادةً ، والعرف المتألهون حكموا بسريان نور المحبة له و الشوق إليه سبحانه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم وأن الكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اعتراف شوق من هذا البحر العظيم واعتراف شاهد مقر بوحدانية الحق القديم .

فهو الأول الذي ابتدأ أمر العالم حتى انتهى إلى أرض الأجسام والأشباح وهو الآخر الذي ينساق إليه وجود الأشياء حتى يرتقي إلى سماع العقول والأرواح وهو آخر أيضاً بالإضافة إلى سير المسافرين ، فانهم لا يزالون متراجعين من رتبة إلى رتبة حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبال هوياتهم ، فهو تعالى أول من حيث الوجود ، وأخر من حيث الوصول والشهود ، وقيل أوليته أخبار عن قدمه وأخريته أخبار عن استحالة عدمه .

وفي الكافي بسانده عن ميمون البان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن الأول والآخر فقال عليه السلام : الأول لاعن الأول قبله ولا عن بدئه سبقه ، والآخر لا عن نهاية كما يعقل عن صفات المخلوقين ولكن قديم الأول آخر لم يزل ولا يزول بلا بدئه ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال ، خالق كل شيء . ويأتي إنشاء الله شرح هذه الحديث في شرح الخطبة المأة .

( لا تقع الأوهام له على صفة ) أراد عليه السلام أنه لاتناله الأوهام ولا تتحققه فتقع منه على صفة إذ الوهم لا يدرك إلا ما كان ذاوضع ومادة ، فاما الأمور المجردة عن الوضع والمادة فالوهم ينكر وجودها فضلاً أن يصدق في اثبات صفة لها ، والباري سبحانه مع بساطته ذاته وتجريده ليس نـهـ صفة زايدة حتى يدركه الأوهام أو تصفعه بصفة ، وقد مر بعض القول في ذلك في شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى .

( ولا تعقد القلوب منه على كيفية ) إذ ليس لذاته تعالى كيفية حتى تعقد عليها القلوب فلا يعرف بالكيفية ، وتحقيق ذلك يتوقف على معرفة معنى الكيف فنقول : إن الكيف كما قيل هي هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار

وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في أجزائه، وبهذه القيود تفارق الأعراض الثمانية الباقية.

وأقسام الكيفيات وأوائلها أربعة، لأنها إما أن تختص بالكميات من جهة ماهيّ كـالمثلثية والمربيعة للأشكال، والاستقامة والانحناء للخطوط، والزوجية والفردية للأعداد، وإما أن لا تختص بها وهي إما أن تكون مدركة بالحس راسخة كانت كصفرة الذهب وحلوة العسل، أو غير راسخة كحمرة الخجل وصفرة الوجل، وإما أن لا تكون مدركة بالحس وهي إما استعدادات للكمالات، كالاستعداد للمقاومة والدفع وللإنفعال وتسمى قوّة طبيعية كالصلابة والممتحانية، أو للنقايص كالاستعداد بسرعة للإنفعال وتسمى ضعفاً ولا فوّة طبيعية كاللين والمراضية وإما أن لا تكون استعداداً للكمالات والنقايص بل تكون في أنفسها كمالات أو نقايص فما كان منها ثابتاً يسمى حلقة كالعلم والقدرة والشجاعة، وما كان سريعاً زوالاً يسمى حالاً كغضب الحليم وحمل الغضبان وهذه أقسام الكيف واجناسها ويتردّج تحتها أنواع كثيرة.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن من المحال أن يتّصف سبحانه بها لكونها حادثة بالذات ممكنة الوجود مفتقرة إلى جاعل يوجدها ببرئ الذات عن الاتّصال بها، إما حدوثها وإمكانها فلكونها ذات ماهيّة غير الوجود فكونها عرضاً قائماً بمحله فهي مفتقرة إلى جاعل وينتهي افتقارها بالآخرة إلى الله سبحانه، وأما برائة ذاته سبحانه من الاتّصال بها فالآن موحد الشيء متقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكّيف بالكسر أى جاعل الكيف مكيّفاً بالفتح أى منفعلاً وإلا لزم تقدّم الشيء على نفسه وكون الشيء الواحد فاعلاً وفلا شيء واحد.

(ولا تناله التجزية والتبعيض) عطف التبعيض على التجزية إما من باب التأكيد أو المراد بالأول نفي الأجزاء العقلية كالجنس والفصل وبالثاني نفي الأجزاء الخارجية كما في الأجسام، وعلى كل تقدير فالمعنى به نفي التركيب عنه إذ كل مركب ممكّن.

وأمّا ما قاله الشّارح البحرياني : من أَنْهَا اشارة إلى نفي الكمية عنه إذ كانت التجزية و التبعيض من لواحقها وقد علمت أنَّ الـكـمـ من لواحق الجسم والبارى تعالى ليس بجسم وليس بـكـمـ .

ففيه أَنَّه خلاف الظاهر إذ التجزية أعمّ من التجزية العقلية والخارجية ولادليل على التّخصيص بالثانية لولم تكن ظاهرة في الأولى حسب ما أشرنا إليه فيكون مفادها على ذلك مفاد قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة الأولى : فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه .

( ولا تحيط به الأ بصارو القلوب ) وقد مر تحقيق ذلك في شرح الخطبة الثالثة والأربعين بما لا مزيد عليه وفي شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى .

## الفصل الثاني

( منها ) في التذكير والموعظة وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ( فاتسّعوا عباد الله بالعبر النوافع ) اى اعتبروا بال عبر النافعة و اتعظوا بما حلّ بأهل القرون الخالية كيف صارت أجسادهم شحبةً بعد بضتها ، و عظامهم نخرة بعد قوتها ، وكيف انجلوا عن الرّباع و الدّور و ارتحلوا عن الضياع و القصور ، و طوّحت بهم طوايا الزّمن و هجرتهم « وأزعجتهم خـلـ عن الأموال والأولاد والوطن ( واعتبروا بالأى السـوـاطـعـ ) من آثار القدرة وعلامات الجلال والجبروت والعزّة أو بالأيات القرآنية المعذرة والمنذرة وبرا هينها الساطعة المشرقة .

( و ازدجروا بالنـذر البـوالـغـ ) أى بالانذارات الكاملة و التـخـويـفاتـ البـالـغـةـ الواردةـ فيـ الـكتـابـ وـ السـنـةـ ( وانتـقـعواـ بـالـذـكـرـ وـ الـمـوـاعـظـ ) النافـعةـ التي تـضـمـنـتهاـ آيـاتـ الـكـتـابـ الـمـبـيـنـ وـ أـخـبـارـ سـيـدـ الـمـرـسـلـينـ ( فـكـانـ قدـ عـلـقـتـكـمـ مـخـالـبـ الـمـنـيـةـ ) شـبـهـ الـمـنـيـةـ بـالـسـبـعـ مـنـ بـابـ الـاسـتـعـارـةـ بـالـكـنـايـةـ وـ اـثـيـاتـ الـمـخـالـبـ تـخيـيلـ وـ ذـكـرـ الـعـلـوـقـ تـرـشـيـحـ ( وـ اـنـقـطـعـتـ مـنـكـمـ عـلـائـقـ الـامـنـيـةـ ) لـأـنـ الـأـجـلـ إـذـاـ حلـ وـ الـمـوـتـ إـذـاـ نـزـلـ اـنـقـطـعـ الـأـهـلـ وـ ضـلـ الـحـيـلـ وـ تـنـفـصـ الـلـذـاتـ وـ اـنـقـضـ الشـهـوـاتـ ( وـ دـهـمـتـكـمـ مـفـطـعـاتـ

الامور ) أى الامور الموجبة للفطع والدّواهي الموقعة في الفزع من سكرات الموت وغمرات الفوت والجذبة المكربة والسوقه المتبعة والهجرة إلى دار الوحدة وبيت الوحشة ومايليهما من شدائد البرزخ وأهوال القيامة .

( والسيّاقة إلى الورد المورود ) أى المكان الذي يرده الخالق عليه محشرها ومنشرها ( وكل نفس معها سائق وشهيد ) اقتباس من الآية في سورة ق وهو قوله : « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » .

أى تجيء كلّ نفس من المكلفين يوم الوعيد ومعها ( سائق ) من الملائكة ( يسوقها إلى محشرها ) أى يحثها على السير إليه ( و شاهد ) منهم أو من الأنبياء والرسّل والأئمة على ما سبق في شرح الخطبة الواحدة والسبعين أو من الأعضاء والجوارح كما ورد في غير واحد من الآيات و يأتي النصريح به في الكلام المأة والثمانين والتسعين إنشاء الله ( يشهد عليها بعملها ) وبما يعلم من حالها .

### الفصل الثالث

( منها في صفة الجنة ) وهو قوله ( درجات متفاصلات ومنازل متفاوتات ) كما قال سبحانه :

« يَرْفَعُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »  
وقال : « هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » و قال : « أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » .

وتفاوت الدّرّجات وتفاصل المنازل إنّما هو بتفاوت أهل الإيمان في مراتب المعرفة والكمال ، فالمؤمنون الكاملون في مراتب العمل والأخلاق ذوي الدّرّجات العلي و الناقصون فيهم دووال درجات السفلی وقد جاء في الخبر أنّ أهل الجنة ليرون

أهل علیّين كما يرى النجم في افق السماء .

و في الحديث إنّ في الجنة مأة درجة بين كلّ درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض وأعلى درجاتها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس .

و في بعض الروايات إنّ أقلّ ما يعطي المؤمن فيها ما يقابل الدنيا وأشرف المنازل وأرفع المراتب هو مرتبة الرضوان كما قال سبحانه :

« وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

أى رضاء الله عنهم ومحبته أياهم أكبر من كلّ لذات الجنة ، وهذه اللذة لا يدركها كلّ أحد وإنما هي مختصة بالأولياء التامين في مقام المحبة الكاملين في العبودية وفي روایة زرارة الواردة في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام عن الصادق عليه السلام ومامن عبدٍ يحشر إلاّ وعيشه باكية إلاّ الباكين على جدي فانه يحشر وعيشه فريدة والبشرة تلقاه والسرور على وجهه والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين تحت العرش و في ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم : ادخلوا الجنة فياً بون ويختارون مجلسه وحديثه ، وأنّ الحور لترسل إليهم إننا قد اشتقتناكم مع الولدان السخليدين فما يرثون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة الحديث .

فلا تظنن أنّ أعلى الدرجات هو أعلى الجنان والجلوس مع الحور والفلمان فانّ هذا من لذات البدن والرضاوان من لذات الروح ، ولذا كان مطعم نظر الآئمة عليهم آلاف المسلاة والتحية تلك اللذة المعنوية كما يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك وتقابل هذه المرتبة أعني مرتبة الرضوان لأهل السعادة مرتبة الخذلان لأهل

الشقاوة كما يشير إليه قوله تعالى حكایة عنهم :

« رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ».

فإنّ قوله أخزيته دون أحرقته أو عذّبته دليل على أنّ ألم الخزي عندهم أشدّ وأفظع من ألم الاحتراق بالنار ، وذلك لأنّ الخزي عذاب روحاني وعذاب الاحتراق والافاعي والعقارب وساير ما أعدّ في جهنّم عذاب جسماني ، ولا شكّ أنّ الأول أشدّ وآكد .

ثم أشار عليهما إلى دوام نعيم الجنّة بقوله : (لا ينقطع نعيمها) وقد أُشير إلى ذلك في غير واحدة من الآيات مثل قوله سبحانه :

« مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقْبَلُونَ تَبَرِّي مِنْ تَحْقِيمَهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلْلُهَا » وقوله : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْيٍ مَنْضُودٍ ، وَظَلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ لَا مَمْنُوعَةٍ » وقوله : « إِنَّ هَذَا لَرِزْ قُنَامَالَهُ مِنْ نَفَادٍ » وإنّما لم يكن لنعيمها نفاد وانقطاع لأنّ استحقاق تلك النعم إنّما نشأ من ملكات ثابتة في جوهره لا تتغير ولا تتبدل ومهما دام الاستحقاق القابل للنعمنة والوجود وجب دوام الأفاضة والانعام من واجب الوجود ، إذ هو العجود المطلق الذي لا يخل من جهته ولا نفاد في خزاناته (ولا يطعن مقيمها) أى لا يسير عنها والمراد به إماماً نفی سيره عنها إلى الخارج فيكون المقصود به الاشارة إلى أنها دار خلوه ودوامه وعلى ذلك فهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة ، وإنّما نفی السير عن مقامه إلى مقام آخر فيها طلب الماهو أحسن منه وإلى الأول أُشير في قوله تعالى :

« لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَبَرِّي مِنْ تَحْقِيمَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا » الآية و على الثاني أُشير في قوله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَعْوَنَ عَنْهَا حِوَلًا

قال في مجمع البيان : أى دائمين فيها لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر يطلبها وحصول مرادهم فيها ( ولا يهرم خالدها ولا يبأس ساكنها ) لأن الهرم والبؤس متلازمان للتعب والنصب المنفيين في حق أهل الجنة كمالا سبحانه حكاية عنهم :

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِذْ رَبَّنَا لَفْقُورًا شَكُورًا ، الَّذِي أَحْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ قَضْيَاهُ لَا يَمْسَنَا فِيهَا نَصْبٌ وَلَا يَمْسَنَا فِيهَا لُغُوبٌ ». أى لا يمسنا فيها عناء ومشقة ولا يصيبنا فيها اعياء ومتعبة

### الترجمة

ازجمله خطبهای آن حضر تست که مشتمل است بسه فصل

**فصل اول** در مقام شهادت بتوحید میفرماید : و گواهی میدهم که نیست هیچ معبدی بسرا بجز خدا در حالتی که یگانه است و نیست شریک اورا ، او لی است که نیست هیچ چیزی پیش ازاو در بدایه ، و آخریست که نیست مرا اورا غایه و نهایت ، واقع نمیشود و همها از برای او برصفتی ، و بسته نمیشود عقلها از او بر کیفیتی ، از جهه اینکه او منزه است از صفة زایده برذات ، و مبر است از کیفیه و چگونگی حالات ، و نمیرسد بدایره ذات او تجزی و تبعض بجهه اتصاف او بوحدت ، و نمیتواند احاطه کند باو ابصار و قلوب و ادرار کنند اورا بحقیقت .

**فصل دوم** در مقام موعظه و نصیحت میفرماید : پس قبول موعظه نمائید اى بند کان خدا باعترتهای نافعه ، و عبرت بردارید با آیات باهره ، و منزجر بشوید با ترسانیدنهاى بي پایان ، و منتفع باشید بد کرو متذکران و موظھای واعظان ، پس گویا فرو رفته است بشما چنگالهای مرک خون آشام ، و بریده شده است از شما

علاقهای آرزوها بنکام ، و رسیده است ناگهان بشما فضع آورنده کارها ، و راندن بسوی محشر که محل ورود خلائق است آنجا ، و هر نفس اور است راننده و گواهی دهنده که گواهی میدهد بعمل ناپسندیده او .

فصل سیم در صفة جنت میفرماید : درجهای بهشت بعضی تفاضل دارد بعضی وبعض دیگر منازل آن باتفاق است با یکدیگر ، بریده نمیشود نعیم بهشت ورحلت نمیکند مقیم بهشت ، و پیر نمیشود کسیکه مخلد است در آن ، و محزون نمیشود یاماً یوس نمیگردد کسیکه ساکن است در آن بلکه ساکنان آن جوانان تازه ورعناست ، و مقيمان آن ملتذند بالذايد بحد و اتها .

## وَمِنْ خُطْبَةِ لِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ الْخَامِسَةُ وَالثَّمَانُونَ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

قَدْ عَلِمَ السَّرَايْرُ، وَ خَبَرَ الصَّهَّارَ، لَهُ الْإِحْاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَ الْفَلْقَةُ  
لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ الْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيَعْمَلِ الْعَالِمُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ  
مَهِلَّةٍ قَبْلَ إِزْهاقِ أَجْلِهِ، وَ فِي فِرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَ فِي مُشَتَّسِهِ قَبْلَ  
أَنْ يُؤْتَخَذْ بِكَظِيمِهِ، وَ لَيُمَهَّدْ لِنَفْسِهِ وَ قَدِيمِهِ، وَ لَيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظُفْنَيْهِ لِدَارِ  
إِقْامَتِهِ .

فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالنَّاسِ فِيهَا أَسْتَخْفَطُكُمْ مِنْ كُتُبِهِ، وَ اسْتَوْدَعُكُمْ مِنْ  
حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْلُقْكُمْ عَنَّا، وَ لَمْ يَنْهُوكُمْ مُسْدَنِي، وَ لَمْ يَدْعُكُمْ  
فِي جَهَالَةٍ وَ لَا عَيْنَ، قَدْ سَعَى أَمَارَكُمْ، وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ

وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَانًا ، وَعَمَرَ فِيمْكُمْ نَيْهُ أَزْمَانًا ، حَتَّى  
 أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيهَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهُ  
 إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَايَةٌ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوْامِرُهُ ،  
 فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمُعْذِرَةَ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ،  
 وَأَنْذَرَكُمْ يَنْ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاسْتَدِرْ كُوَا بَقِيَّةً أَيَامِكُمْ ، وَاصْبِرُوا  
 لَهَا أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ «فِيهَا خَ» الْقَلْةُ ،  
 وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ ، وَلَا تُرْخِصُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، فَقَذَّبَ بِكُمُ الرَّحْمَنُ  
 فِيهَا مَذَاهِبُ الظَّلَمَةِ ، وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِمُ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْعَقْصِيَّةِ .  
 عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ، وَإِنَّ أَغْشَهُمْ لِنَفْسِهِ  
 أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غَيْنِ نَفْسَهُ ، وَالْغَبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ ،  
 وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيقُ مَنْ انْجَدَعَ لِهَوَاهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ  
 الرِّيَاءُ شِرْكٌ ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهُوَى مَنْسَأَةٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَخْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ  
 جَانِبُ الْسَّكِنْبِ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَافِ مُنْجَاهٍ وَكَرَامَةِ  
 وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرْفِ مَهْوَاهٍ وَمَهَانَةِ ، وَلَا تُحَايِسُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَا كُلُّ  
 الْإِيمَانِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ، وَلَا تُبَايِضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ، وَاعْلَمُوا  
 أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْفَقْلَ ، وَيُنْسِي الدُّكْرَ ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ

وَصَاحِبُهُ مَفْرُورٌ .

### اللغة

( السّرُّ والسريرة ) ما يكتتم وجمع الأُولُّ أسرار والثاني السّراير (خبرت) الشيء من باب قتل علمته وامتحنته ، وفي القاموس خبر كرم وفي بعض النسخ خبر الضمائر بكسر الباء ، قال الشارح المعتزلي : خبر الضمائر امتحنها وابتلاها ومن رواه بكسر الباء أراد علم انتهى فافهم .

و (ضمير) الانسان قلبه و باطنه كما في المصباح و الجمع الضمائر ، وفي القاموس الضمير السّرُّ وداخل الخاطر ، وعلى ذلك فهو إما حقيقة في الأُولُّ مجاز في الثاني أو بالعكس بعلاقة الحال والم محل و (المهل) محركة المهلة و (الارهاق) الاعجال و (الكظم) محركة مخرج النفس و (الظعن) الارتحال و (الانهاء) الاعلام والبلاغ و (الرّخصة) التسهيل في الأُمر و الجمع رخص كغرفة و غرف و (الادهان) والمداهنة اظهار خلاف ماتضمر والغش .

و (المنساة) و (المحضر) محل النسيان والحضور ، والتاء فهم المثلثة كما يقال أرض مسبعة أي كثيرة فيها السباع و (الشفا) طرف كل شيء و (الشرف) محركة المكان العالى و (المهوا) محل السقوط و (المهانة) الذلة و الحقاره و (الحالقة) البخلة التي فيها حلقة اي شئ قال في القاموس : و الحالق المشؤوم كالحالقة فالناء للمبالغة و في القاموس أيضا الحالقة قطيعة الرحم والتي تحلق رأسها في المصيبة ، قال شارح القاموس ومنه الحديث دب اليكم داء الأمم البغضاء الحالقة ، وهي قطيعة الرحم انتهى .

وأيضاً تفسير الحالقة بالمستأصلة للشعر كما في شرح المعتزلي والبحراني فلم أجده في كتب اللغة وكذلك لم أجده تفسير الحالقة بما يحلق به الشعر بل المستفاد من القاموس خلافه حيث ذكر للحالق معانٍ ولم يذكر ذلك فيها ، وقال : المحلق كمنبر الموسى فيفهم منه أن ما يحلق به الشعر ويستأصل به على وزن مفعل لاعلى وزن الفاعل والفاعلة .

### الاعراب

الفاء في قوله : فليعمل فسيحة ، فالله منصوب على الاغراء أى فاتقوا الله ، وتكثير اللفظ نيابة عن الفعل المقدّر ، وتبيننا منصوب على الحالية، وازمانا على الظرفية ، والباء في قوله بالوعيد زايدة ، وبقيّة أيامكم منصوب على الطرف ، واصبروا لها اللام بمعنى على بدل لقوله: فما أصبرهم على النار ، وقوله فانها قليل أى شيء قليل فحذف الموصوف كما حذف في قوله تعالى :

« وَحَسْنُ أُولَئِكَ رَفِيقًا ». .

أى قبيلاً رفيقاً ، ونفسه بالتناسب مفعول غبن ، ودينه بالرفع فاعل سلم .

### المعنى

اعلم أن هذه الخطبة مسوقة للتذكير و الموعظة ، و المقصود به اخذب العقل إلى طرف الحق و مصدرها بالاشارة إلى بعض أوصافه سبحانه لتكون مقدمة للمقصد فقال عليه السلام ( قد علم السرائر ) وهو كقوله سبحانه :

« وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ إِنَّهُ يَعْلَمُ السُّرَّ وَأَخْفَى » و قوله تعالى :

« يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ نَجْوَاكُمْ ». .

وقد مضى القول في ذلك في شرح الخطبة التاسعة والأربعين ، وتمام القول في علمه تعالى بالكليات والجزئيات والسرّ والأعلن في تنبیهات الفصل السابع من فصول الخطبة الأولى ونقول هنا مضافاً إلى ما سبق : ان عموم علمه سبحانه مما اتفق عليه المتكلمون والحكماء .

أما المتكلّمون فظاهر لأنّهم تابعون للشرع والشرع قد ورد بذلك حسبما عرفت مفصلاً في شرح الخطيبتين المذكورتين .

وأما الحكماء فملخص كلامهم على ما في شرح البحرياني أنه يعلم ذاته بذاته ويتحدد هناك المدرك والمدركون والأدراك لا يتعدّ إلا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية، وأماماً علمه بمعلوماته القريبة منه فيكون بأعيان ذواتها ،

ويتحدد هناك المدرك والادراك ولا يتعدّدان إلّا بالاعتبار العقلي ويغايرهما المدرك وأمّا معلوماته البعيدة كالموادّيات والمعدومات التي من شأنها إمكان أن توجد في وقت أو تتعلّق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقوله من المعلومات القريبة التي هي المدركات لها أوّلاً وبالذات وكذلك ينتهي إلى ادراك المحسوسات بارتسامتها في آلات مدركاتها .

قالوا: وذلك لأنّ الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذ ألا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، لكون ذات معلوماته القريبة مرتبطة بجميع الصور ، وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين ، وتارة بالملوح المحفوظ، وتسمى عندهم عقولاً فعالة .  
هذا ما حقّقه محققو الحكماء في كيفية علمه سبحانه ، إلّا أنّ الكلام بعد في صحة القول بالارتسام ، وقد مضى ما فيه في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى ، وكيف كان فلا ريب في عموم علمه و ان لم نعلم كيفية ذلك و لم نعرفه بكلّيه (و خبر الضمائر) اي امتحن القلوب بالخير والشرّ او أنه عالم بالقلوب و بما فيها من الأسرار و خبير بما في الصدور على الاختلاف المتقدم في بيان اللّغة قال سبحانه :

**«أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصُّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ**

**رَبُّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ» .**

قال بعض المحققين : الخبر هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملکوت شيء ولا تتحرّك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلاّ ويكون عنده خبرة ، وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفایا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبها خبيراً فهو أخصّ من مطلق العلم (له الاحاطة بكلّ شيء) أي علمًا وحفظًا ، أو استيلاه وقدرة كما قال تعالى :

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ».

وقد مضى تفسيرها في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى (والغلبة لـ كل شيء) كما قال سبحانه :

«وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أُمُرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

وقد مر بعض القول في غالبيته في شرح الخطبة الرابعة والستين وأقول هنا إن معنى غلبته بكل شيء يعود إلى تمام قدرته عليه وكونه قاهراً على جميع الأشياء، وليس قهره تعالى وغلوته على فهو ما يتصور فينا ، بل على معنى آخر .

كما أشار إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام في حديث الكافي بقوله : وأما الظاهر فليس على معنى نصب وعلاج واحتياط ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً و القاهر يعود مقهوراً ، ولكن ذلك من الله تعالى على أن جميع مخلوق ملبيس به الذل لفاعله وقلة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون والقاهر منا على ما ذكرت ووصفت .

توضيحه أن الله سبحانه لا يحتاج في قهره وغلوته إلى عمل و آلة و مدافعة وتعب وخديعة و مخالطة و حيلة كما يحتاج العباد في قهر بعضهم بعضاً إلى ذلك ، إذ هذه كلها من صفات النقص و زايدة على الذات ومن العوارض التي يجوز انفاكها عن المعروض فيجوز أن يكون القاهر في وقت ما لوقوع تدبيره على وفق مطلوبه مقهوراً في وقت آخر لعدم وقوع تدبيره على وفق مقصوده أو لوقوع تدبير المقهور على نحو ارادته و غلوته على تدبير القاهر كما هو المشاهد في تدابير المسلمين والملوك وساير الناس .

بل قاهريته سبحانه عبارة عن ذل الأخلاق لفاعليهم القديم ودخولهم في استكانة الامكان تحت غلوته واحتياجهم في اسر الحاجة إلى كمال قدرته بحيث لا يقدرون على الامتناع لما أراد من ذاتهم وصفاتهم وهيئاتهم ومقاديرهم وكمالاتهم ونفعهم

و ضرّهم و خيرهم و شرّهم للزوم حاجتهم في الذّوات والصفات و جميع الحالات إليه ورفع أيدي الامكان والافتقار لهم من جميع الجهات بين يديه .

ولعل لفظ القلة في الحديث إشارة إلى صدور الامتناع عن بعضهم قليلاً فيما أراد منهم من أفعالهم الاختيارية ، وليس ذلك لقهرهم وغلبتهم عليه ، بل لأنّه ترکهم على حالهم ولم يجرّهم تحقيقاً لمعنى التكليف والاختيار .

وقوله عَلَيْهِ الْمُنْعِلَةُ لم يخرج منه طرفة عين أن يقول أه حال عن فاعله أو عن فاعل أراد ، وضمير منه راجع إليه ، وأن يقول فاعل لم يخرج يعني لم يخرج منه سبحانه في سلطانه على الخلق وفهره عليهم طرفة عين قول كن فيكون ، فهو إشارة إلى أنه قاهر دائماً ولا يصير مقهوراً أبداً ، وفيه تنبيه على أن الممكناً في بقائه يحتاج إليه سبحانه كما يحتاج إليه في وجوده .

قال بهمنيار في محكى كلامه : إن كلّ ممكناً بالقياس إلى ذاته باطل وبه تعالى حق يرشد إليه قوله : كل شيء هالك إلا وجهه فهو آنافانا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحق كن وفيض عليه الوجوه بحيث لو أمسك عنه هذا القول والأفاضة طرفة عين لعاد إلى البطلان الذاتي والزوال الأصلي كما أن ضوء الشمس لوزال عن سطح المستضيء لعاد إلى ظلمته الأصلية .

( و القوّة على كل شيء ) وهو أيضاً يعود إلى تمام القدرة ، وليس المراد به قوّة البطش المعروفة من المخلوق الذي هو الأخذ الشديد عند ثوران الغضب والتناول عند المسؤولية أو قوّة التعلق بالشيء وأخذه على الشدة ، لأنّ القوّة بهذا المعنى من الصفات الجسمانية كالقوّة الشهويّة والغبفيّة وقابلة للزيادة والتقصّان ، فلا يمكن اتّصاف الواجب القديم بذلك بالبداهة و العيان ، لكونه من صفات الامكان كما مرّ تفصيلاً وتحقيقاً في شرح الخطبة الرابعة والستين .

ثم إنّه عَلَيْهِ الْمُنْعِلَةُ لما أشار إلى أنه سبحانه عالم بما في الصدور وغالب على كل مقدور و كان ذلك مقتضايا لا بجذاب الخلق إليه ليغزووا بما لديهم علمًا منهم بأنه سبحانه طالب كل راغب و مدرك كل هارب أمر بعد ذلك بالطاعات و حذر عن

## الخطيبات فقال :

( فليعمل العامل منكم في أيام مهلة قبل إرهاق أجله ) وهو أمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول الأجل ، لأنّ الموت إذا حلّ ارتفع التكليف وبطل ، فليبادر في أيام المهلة قبل أن يحلّ الموت وينزل وقبل أن يتحول بينه وبين العمل .

( وفي فراغه ) من شدائد الأهوال ( قبل أو ان شغله ) بفجائع الآجال ( و في متنته ) أى سعة نفسه و خلاقه ( ١ ) ( قبل أن يؤخذ بكتمه ) و خناقه ( ٢ ) ( و لي Mehid لنفسه و قدمه ) قبل أن لا ينفعه ندمه ( و ليتزود من دار طعنه ) و رحلته ( لدار إقامته ) ومحلّ فاقته ، وإنما أمر بذلك لأنّ سفر الآخرة مهول والسبيل طویل والخطر جليل فمن لم يمهيد لنفسه زاداً يتقوى به ولا لقدمه محلاً يضعها عليه مع حزونة الطريق وخشونته صعب له الوصول إلى المثلث بل تاه في المهامه ( ٣ ) و ضلّ .

( فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه ) وطلب منكم تدبّر ما فيه من تكليفه و خطابه ( و استودعكم من حقوقه ) المؤدية إلى ثوابه و عقابه ( فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ) لعباً ( ولم يتسرّ لكم سدى ) هملاً كالابل الرّتاع والجمل الرّعاع ، وإنما خلقكم على وجه الحكمة والصّواب وجعلكم عاقلاً قابلاً للتكليف والخطاب ل تستفيدوا محسن الآداب ، وتنافسوا في المكارم ، وتتسارعوا في المغانم وتحصلوا المعارف والطّاعات ، وتنتهوا عن المعاصي والسيئات .

فانه قد نصب لكم أعلام الهدى ( ولم يدعكم في جهالة ولا عمي ) فمن خبط بعد ذلك و طفى فقد ضلّ و غوى ، ومن أطاع فاتّقى فللسوف يعطيه ما يرضي و ( قد سُمِّي آثاركم ) خيرها و شرّها ورفع أخباركم نفعها و ضرّها ( و علم أعمالكم ) صغيرها وكبيرها ( و كتب آجالكم ) طويلها و قصيرها ( و أنزل عليكم الكتاب

١- الخلاق بالفتح النصيـب .

٢- والخناق بالكسر والضمّ العلق ، منه

٣- أى المفازة جمع مهمـه

تبیاناً ) و برهاناً ( و عمر فيكم نبیه ) ~~وَالْمُشَفَّلَةُ~~ آونة و ( أزماناً ) لانتظام معاشكم  
واصلاح معادكم و اقامه للحججه عليكم

« ایهلاک من هلک عن یقینه و یخیی من سعی عن یقینه ». .

( حتى أكمل له ~~وَالْمُشَفَّلَةُ~~ ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه ) وأتم  
عليكم نعمته التي اختارها له ولهم من اسلامه وشرعه كما قال عز من قائل :  
« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ شَفَاعَةٍ وَرَضِيتُ لَكُمْ  
الإِسْلَامَ دِينًا ». .

( وأنهى إليكم) وأعلمكم ( على لسانه ) سلام الله عليه وآلله ( محاابة من الأعمال )  
الحسنة ( ومكارهه ) من الأفعال القبيحة ( ونواهيه ) الموجبة للشقاقه ( وأوامره )  
المحصلة للسعادة ( فألقى إليكم العذر ) أى العذر في عقوبتكم يوم القيمة حتى  
لا يكون لكم الحججه عليه بل يكون له الحججه عليكم ( واتخذ عليكم الحججه )  
بما أنزله في كتابه لثلاث تكونوا عن آياته في غفلة ( وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم  
بين يدي عذاب شديد ) أى قدم إليكم الوعيد و خوفكم أمام العذاب الشديد  
ليكون الوعيد قبل حلول العقاب والانذار قبل نزول العقاب ، لأن العقاب من دون  
بيان فيه والتآديب بعد التكليف حسن و مليح كما قال تعالى شأنه :

« وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَثَ رَسُولاً ». .

فأول سبحانه رسنه مبشرين ومنذرين وبعث رسوله بالكتاب المبين كيلا يقولوا  
يوم القيمة : إتنا كننا عن هذا غافلين ( فاستدر كوا بقية أيامكم و أصروا لها  
أنفسكم ) أى تدار كوا ما أسلفتم من الذنوب والخطئات فيما باقي لكم من الأوقات  
و احبسو أنفسكم عليها بتحمل مشاق الطاعات . .

وفي الحديث الصبر صبر ان صبر على ماتكره وصبر عما تحب ، فالصبر الأول  
مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها و ثباتها وعدم انفعالها ، وقد يسمى سعة الصدر

وهو داخل تحت الشجاعة ، والصبر الثاني مقاومة النفس لقوتها الشهوية وهو فضيلة داخلة تحت العفة ( فايتها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم الغفلة والتشرغل عن الموعظة ) يعني أنَّ الأيام الباقيَة التي يمكن فيها الاستدراك والتدارك قليلة في جنب الأيام التي تكون فيها الغفلة والتشرغل وهي كثيرة بالنسبة إليها . و لعلَّ الاتيان بلحظة تكون دون كانت للاشعار بأنَّ غفلتهم ليست مختصة بما مضى ، بل ربما تكون فيما يأتي أيضاً ، و ذلك لمعاملم من حالهم أنَّهم لا يستغفرون أوقاتهم الآتية بالتدارك و الطاعة فأمر عليهم بالتدارك فيما هو آت إذ ما مضى قد فات فافرِم .

( ولا ترخصوا لأنفسكم فتنذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظلمة ) أي مسالكها ، والظاهر أنَّ المراد بالترخيص للذنوس المسامحة والمساهمة لها ، فيكون المقصود بالنهي المواظبة عليها ومجاهدتها .

روى الكليني بسانده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّ النبي صلوات الله عليه وسلم بعث سرية فلما رجعوا قال عليهم : مرحباً بقوم قفوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس .

وفي الوسائل عن الصدوق بسانده عن شعيب العقرقوفي عن الصادق عليه السلام قال : من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهر وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار .

وعن الكليني عن عدّة من أصحابنا عن محمد بن محمد بن خالد رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسع في طلب معيشتك فانْ نفسك رهينة بملكك ، هذا .

ويحتمل أن يكون المراد به الترخيص في الشبهات المؤدية إلى الاقتحام في الهلاكات فيكون مساقه مارواه الصدوق عنه عليه السلام قال : إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس فقال في كلام ذكره : حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك ، فمن ترك ما اشتبه عليه من الآثم فهو لما استبان له أترك ، والمعاصي حمى الله فمن

يرتع حولها يوشك أن يدخلها .

و نظيره ما رواه في الوسائل عن الكراجكي في كتاب كنز الفوائد مسندأ عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال جدي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أَيْهَا النَّاسُ حلالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وحرامي حرامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَا وَقَدْ بَيَّنَهُمَا اللَّهُ عزَّ وجلَّ فِي الْكِتَابِ وَبَيَّنَتْهُمَا لَكُمْ فِي سُنْنِي وَسِيرِي ، وَبَيَّنَهُمَا شَبَهَاتِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَبَدْعَ بَعْدِي مِنْ تَرْكِهَا صَلَحَ لَهُ أَمْرِ دِينِهِ وَصَلَحَ لَهُ مَعْرُوفُهُ وَعَرْضُهُ وَمِنْ تَلْبِيسِهَا وَوَقْعِهَا وَاتِّبَاعِهَا كَمْ مِنْ دُعَى غَنْمَهُ قَرْبَ الْحَمِيِّ ، وَمِنْ رُعَايَتِهِ قَرْبَ الْحَمِيِّ نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَرْعَى هَا فِي الْحَمِيِّ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلَكٍ حَمِيَّا أَلَا وَإِنَّ حَمِيَّ اللَّهِ عزَّ وجلَّ مَحَارِمَهُ فَتَوَقَّوْا حَمِيَّ اللَّهِ وَمَحَارِمَهُ ، الْحَدِيثُ .  
 ( وَلَا تَدَاهُنُوا فِيهِمْ بِكُمُ الْادْهَانُ عَلَى الْمُعْصِيَةِ ) وَالْمَرَادُ بِالْمُدَاهَنَةِ إِمَّا الْمَسَاهَلَةُ لِلنَّفْسِ فَيَكُونُ هَذِهِ الْجَمْلَةُ تَأْكِيدًا لِلْجَمْلَةِ السَّابِقَةِ ، وَإِمَّا تَرْكُ الْمَنَاصِحةِ وَالصَّدْقِ وَإِلَظَاهَارِ خَلَافِ مَا تَضَمِّنُ أَعْنِي النَّفَاقِ وَهُوَ الْأَظَهَرُ .  
 وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْقَدِيسُ لِعِيسَى عليه السلام قُلْ لِمَنْ تَمَرَّدَ عَلَى " بِالْعَصْيَانِ وَعَمَلَ بِالْأَدْهَانِ لِيَتَوَقَّعَ عَقْوَبَتِي .

وَمِثْلُهُ فِي حَدِيثِ الْبَاقِرِ عليه السلام قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ إِلَى شَعِيبَ النَّبِيِّ عليه السلام أَنِّي مَعْذُوبٌ مِنْ قَوْمِكَ مَائَةً أَلْفَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ شَرِّ أَهْلِهِمْ ، وَسَتِينَ أَلْفًا مِنْ خَيَارِهِمْ فَقَالَ : يَا رَبَّهُؤَلَاءِ الْأَشْرَارِ فَمَا بِالْأَخْيَارِ ؟ فَأَوْحَى إِلَيْهِ دَاهُنُوا أَهْلُ الْمَعَاصِي وَلَمْ يَغْبُبُوا لِغَضْبِي .

( عَبَادُ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسَ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ) وَذَلِكَ لَا نَهُ لِمَا كَانَ مَقْصُودُ النَّاصِحِ بِنَصْحِهِ اِيصالُ الْمَنْفَعَةِ إِلَى الْمَنْتَصِحِ وَكَانَ أَعْظَمُ الْمَنْفَعَ وَأَجْلَهُ الْسَّعَادَةُ الْأَبْدِيَّةُ وَالْعِنَاءُ الْسَّرِمَدِيَّةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ طَاعَةِ الْحَضْرَةِ الرَّبُّوِيَّةِ ، لَا جَرْمَ كَانَ أَنْصَحَ النَّاسَ لِنَفْسِهِ أَكْثَرُهُمْ طَاعَةً لِرَبِّهِ .

( وَإِنَّ أَغْشَى النَّاسَ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ) وَالْغَشُّ خَلَافُ النَّصْحِ وَهُوَ عَبَارَةٌ عَنْ دُمُودِ الْخَلُوصِ وَعَنْ اِلَظَاهَارِ خَلَافِ مَا يَضْمِرُ ، وَلَمَّا كَانَ غَرْضُ الْفَاشِيَّ مِنْ غَشِّهِ اِيصالُ الْفَسَرِ إِلَى الْمُسْتَغْشِيِّ

و كان أعظم المضار هو الشقاوة الْأَبْدِيَّةُ و العقوبة الدائمة الناشية من عصيان الحضرة الالهية ، لا جرم كان أغنى الناس لنفسه أكثرهم معصية لربه . وفي هاتين الجملتين من الاًمر بالطاعة والتحذير عن المعصية ما لا يخفى ، إذ أحب الأشياء إلى الإنسان نفس الإنسان فهو دائمًا طالب لمحابتها و منافها . حارب عن مضارها ومكارها ، فيلزم له الاتيان بالطاعة والحد من العصية لكون الأولى جالية للمحظوظ والأخرى كاسية للمكروره .

( والمغبون من غبن نفسه ) أصل الغبن هو الخداع فالغابن خادع والمغبون مخدوع و الغبن في البيع هو بيع الكثير بالقليل ، ولما كانت الشهوات الدنيوية واللذائذ العاجلة زهيدة قليلة في جنوب الشهوات الأخروية والمنافع الآجلة ، وكان المشتغل باللذات الدنية والصارف عمره في الشهوات الخسيسة قد فوت على نفسه المنافع الكثيرة والنعم الخطيرة ، فلما أنه قد باع الكثير بالقليل وفوت على نفسه الخطير بالحقير ، لا جرم كان هو غابنا لنفسه و خادعاً لها حيث بخسها ما تستحقه من ثواب الله ورضوانه ، ومنه قوله تعالى :

« يَوْمَ يَجْمِعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمِيعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّقْابُنِ ». »

قال الطبرسي في تفسيره : هو تفاعل من الغبن وهو أخذ شر وترك خير أو أخذ خير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شره وأخذ ما هو خير له فكان غابنا ، والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير وأخذ الشر فيكون مغبونا ، فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون هذا . ولما كان السعادات الأخروية أنفس متاع لا متاع فوقه ، والغبن فيها أعظم غبن لاغبن مثله ، لذلك حصر عليكما المغبون فيمن غبن في ذلك وقال : المغبون من غبن نفسه على طريق المبالغة ، ومثله قوله عليكما ( و المغبوط من سلم له دينه ) فإن سلامة الدين لما كانت أعظم نعمة لانعنة فوقها كان المنعم بذلك أحق بأأن ينبعط و يتمنى مثل ماله من غير أن تريده زواله ، وبهذا القيد يفترق الغبطة من الحسد

حسبما سترف .

(والسعيد من وعظ بغیره) أى السعيد في الآخرة من لاحظ حال الغير فاتعظ به بأن ينظر إلى حال الصالحين و مالهم و ما أعد الله لهم و بشرهم به في كتابه الكريم من الجنان و الغلمان و الدور العين والشراب من الكوثر و التسنيم فيحذوهنهم ويسلك مسالكهم ويلاحظ مصير المجرمين ومقرهم وما هيأ الله لهم وأنذهم به من الجحيم وظلّ من يحوم وشراب من الزّفون والحميم فيعدل عن جادتهم ويتناهى عن قدتهم .

(والشقي من انخدع لهواه ) وغروره كما قال سبحانه :

« وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَتَبَعَ هَوَيْهِ بَغْرِ هُدَيٍ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » وقال أيضاً : « وَمَا الْحَيْوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُرُورِ »

أى الخداع الذي لا حقيقة له وهو المتعة الردي الذي يدلّس به على طالبه حتى يشتريه ثم يتبيّن له ردائته والشيطان هو المدلّس ( واعلموا أن يسir الرّيا سرك ) فكيف بكثيره كمامضي تفصيلا في شرح الخطبة الثالثة والعشرين بمالزيد عليه ( و مجالسة أهل الهوى منساة لليمان و محضرة للشيطان ) أراد بمجالسة أهل الهوى مجالسة أهل المعاصي وقد مضى بعض الأخبار النهاية عنها في شرح كلامه الثالث عشر .

وأقول هنا : إنّ كون مجالسة أهل المعصية و مخالطتهم موجبة لنسيان الإيمان ولحضور الشّيطان واضح ، لأنّ الفساق باقبالهم إلى اللعب والهوى والفسق والفحور والسيئات بما فيهم من دواعي الهوى والشهوات يسود ألواح خاطرهم و يرین وجه قلوبهم فيغفلون بذلك عن ذكر الحق و تذكر الآخرة ويزيد الفلة شيئاً فشيئاً ويشتدّ فيخرج نور الإيمان من قلوبهم ويضمحلّ ويمحو وبحضر الشيطان في مجالسهم لاغوايهم وإضلاليهم ، فمن جالس معهم و خالطهم يكون المجالسة والمخالطة لا مجالة مؤثرة فيه ، إذ المرء على دين خليله و فرينه فيقتدى بهم

ويحذو حذوهم و يعمل عملهم فيكون ناسي لا يمان وقرين الشيطان مثلهم .  
ويدل على ذلك الا خبار المستفيضة بل المتوترة ففي الوسائل عن الكليني  
مسندأ عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليهما السلام في حديث قال : ما اجتمع ثلاثة  
من الباحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين ، فان تكلموا تكلم  
الشياطين بنحو كلامهم ، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم ، فإذا نالوا من أولياء الله  
نالوا معهم ، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك  
شيطان ولا جليس له ، فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يره هاشيء ثم قال : فإن  
لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فوق ناقة .

وعن عمرو بن يزيد عن أبي عبدالله عليهما السلام أنه قال : لا تصحبوا أهل البدع  
ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء على دين  
خليله وفرينه .

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل إياكم وصحبة  
العصاين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم .  
وفيه من علل الشرائع مسندأ عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر  
عن أبيه عليهما السلام قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام ليس لك أن تبعد عنك شئت لأن  
الله تبارك وتعالى يقول :

« وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَغْرِضْنَاهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا  
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُفْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذَّكْرِ مَمْ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » الحديث .

ومن كتاب صفات الشيعة معنعاً عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عن آبائه عن  
علي سلام الله عليه وعليهم قال : مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأئم ، ومجالسة  
الأئم تلحق الأشرار بالأئم ، ومجالسة الفجّار للأئم تلحق الفجّار بالأئم

فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه ، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، وإن لم يكن على دين الله فلاحظ لهم في دين الله ، إن رسول الله ﷺ كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافراً ولا يخالطن فاجرًا ، ومن آخى كافراً أو خالط فاجرًا كان فاجرًا كافراً ولنعم ما قيل في هذا المعنى : عن المرأة لا تسأل وسل عن قرينه فكل فرين بالمقارن يقتدي

ومن مجالس الشيخ حسن ابن شيخنا الطوسي قدس الله رمسهما مسندًا عن أبي البشير قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة مفسدة للقلوب : الخلوة بالنساء ، والاستمتاع منهن ، والأخذ برأيهن ، ومجالسة الموتى فقيل : يارسول الله وما مجالسة الموتى ؟ قال : كل ضال عن الإيمان وجائز «حائر ظ» عن الأحكام ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلىزيدة .

تم أمر بمحابية الكذب بقوله : ( جانيوا الكذب ) وقد مر الكلام في فبحه عقلا وشرعا في شرح كلامه الثالث والثمانين ويأتي تفصيل أقسامه في التذبيب الآتي ، وعلل ﻋﻠـلـ ﻋـلـلـ ﻋـلـلـ بـقـبـحـهـ هـنـاـ بـقـوـلـهـ : ( فـانـهـ مـجـاـبـ لـلـإـيمـانـ ) وـأـرـادـ ﻋـلـلـ بـذـلـكـ أـنـ كـلـ كـلـ مـنـ الـكـذـبـ وـالـإـيمـانـ مـجـاـبـ مـنـ الـآـخـرـ وـأـنـ بـيـنـهـمـ تـبـاعـدـ وـتـجـانـبـ .

وذلك على القول بكون الإيمان عبارة عن مجموع المعرفة و ما يتبعها من الأفعال الصالحة واضح ، لأن الصدق على ذلك جزء للايمان والكذب مضاد له فيكون مضاداً للايمان ، وأمّا على كونه عبارة عن نفس المعرفة فلا أن الإيمان من أعظم الفضائل المنجية والكذب من أخس الرذائل المهلكة والتبعaud بين الفضيلة والرذيلة والانجاء والاهلاك أيضاً ظاهر .

كما أشار إلى ذلك و أوضحه بقوله : ( الصادق على شفا منجاة و كرامة ) أى على طرف من النجاة والكرامة ومشارف عليها أو على طرف من محل النجاة وقرب منها يكاد أن يقع فيها وفي الكرامة الدنيوية والأخروية (والكاذب على شرف مهواه ومهانته ) أى على مكان عال من الهوى والهوان أو مشارف لمحل السقوط

والذلة يكاد أن يسقط منها إلى الجحيم ويقع في العذاب الأليم قال الشاعر :  
 لا يكذب المرء إلا من مهاته      أو عادة السوء أو من فلة الأدب  
 لعنة حيفة كلب خير رايحة      من كذبة المرء في جدّ وفي لعبِ  
 ثم نهى عن الحسد بقوله : ( ولا تحسدوا ) وهو من أعظم الموبقات على  
 ما مستعرف تفصيلاً في التذنّب الآتي إنشاء الله ، و علّله بقوله ( فان الحسد يأكل  
 الإيمان كما تأكل النار الحطب ) وهذا التعليل مما تظافرت الأخبار به عن  
 النبى ﷺ وأولاده المعصومين سلام الله عليهم .

وقد اتفق الأخبار ككلام علمائنا البار على أن الحسد مصر بالنفس  
 والجسد .

أما بالنفس فقد قال الصادق ع : الحاسد مصر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كابليس لعنه الله أورث بحسده له اللعنة و لا دم علية الاجتباء والهدا  
 والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء ، فكن محسوداً ولا تكون حاسداً ، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف يشق ميزان المحسود ، والرزق مقسم فعاذا ينفع  
 الحسد الحاسد وماذا يضر المحسود الحسد ؟

وقال العلماء : إن الحسد يذهب نفس الحاسد و يغرق فكره بالاهتمام بأمر  
 المحسود حتى لا يبقى له فراغ بتحصيل المنافع العايدة إليها بل و يمحو ما  
 حصلت لها من الملكات الخيرية والحسنات المنقوشة في جوهرها بطول تعود الحسد  
 وتمادي اشتغال الفكر فيه و كثرة الحزن والهم ، لأنَّ نعم الله سبحانه على عباده  
 غير معدودة ، وفيوضاته غير متناهية ، فإذا كان حسد الحاسد على الخلق بتلك الآلة  
 والنعيم دام عليه الهم والغم فيضيق وقته بل ينقطع عن اتياه الحسنات ويلقي نفسه  
 في المهلكات وهو معنى قولهم ع : إنه يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب  
 أى يستأصله ويفنيه ويبطله مثل استيصال النار للحطب و إفائه له .

وأما بالجسد فقد قال أمير المؤمنين ع فيما يرويه السيد «ره» في الكتاب :

صحّة الجسد من قلة الحسد .

وسرّه أن الحسود إذا دام عليه الحزن والغم بتواتر الآلام والنعيم على المتنعم أورث ذلك له طول السهر وتمادي الفكر وضيق العيش وضنك المعيشة وقلة الراحة ومضيق الباحة، فينقطع عنه الابتهاج ويؤدي ذلك إلى فساد المزاج .

ثم نهى عن العداوة والبغضاء بقوله ( ولا تباغضوا فانها الحالقة ) أى البغضاء حصلة مشؤمة كما أنّ المحبة والالفة ميمونة ، أو أنها موجبة لقطيعة الرحم ، وعلى تفسير الحالقة بما تخلق الشّعر وتستأصله من موسى و نحوه كما في شرح المعترضي والبحراني وإن لم أجده في كتب اللغة فالكلام مبني على الاستعارة ، يعني أنها مستأصلة للخلق أو للدين أو كلّيهما كما أنّ موسى مستأصلة للشّعر .  
نعم يدل على تفسيرها ما رواه الغزالى في كتاب إحياء العلوم في باب ذم الحسد عن رسول الله ﷺ قال : وقال : دب إليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشّعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحاببوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفتوا السلام بيفكم .

ومثله في الكافي باسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله ع ت وفيه قال : قال رسول الله ﷺ في حديث : ألا إنّ في التبغض الحالقة لا أعنى حالقه الشّعر ولكن حالقة الدين .

وكيف كان فيدل على كراهة هذه الصفة وشؤمتها وإيجابها لقطيعة واستيصال النفوس والدين والإيمان أنّ نوع الإنسان مدني بالطبع يحتاج في انتظام أمر معاشاته إلى الاجتماع والاتلاف والتعاون والتفاف ، وكان أقوى أسباب الاجتماع والتعاون هـ المودة والمحبّة والمؤاخاة ، ولذلك آخا رسول الله ﷺ بين الأصحاب وحثّ على الجماعة لتصفو الالفة وتخلص المحبّة ، ونهى عن التبغض لما يستلزمـه من التقاطع و عدم التعاون و تسلط أيادي الحاسدين عليهم و تحكم آراء المعاندين وأهوائهم فيهم ، بل ربما ينجر إلى حسد بعضـهم بعضاً وبغي بعضـهم على

بعض ، فلا تسلم لهم نعمة ولا تصفو لهم لذة ، ولا يكون لهم فراغ العبادة ، بل يكون بذلك بوارهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة .

ولذلك ورد في غير واحد من الأئمّة خبر النهي عنها والتحذير على التّحاب والالفة .

مثل ما رواه الغزالى قال : قال رسول الله ﷺ : سيصيب أمتي داء الأمم ،

قالوا : وما داء الأمم ؟ قال عليه السلام : الأشر والبطر والتکاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج .

وفي الكافي بسانده عن مالك بن أعين الجهني عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن المؤمنين إذا التقى فتصاحاً أدخل الله عز وجل يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدّهما حباً لصاحبه ، فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر .

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من زار أخاه في بيته قال الله عز وجل : أنت ضيفي وزائرى على قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياها .

وعن عدّة من أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المؤمن مألف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وعن حبيب الخشumi عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : فاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون اكتنافاً الذين يألفون ويؤلغون وتوطاً رحالهم .

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : المتحابون في الله يوم القيمة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

وعن سماحة بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدّهما حباً لصاحبه .

وعن أبي عبد الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : المتحابون في الله يوم القيمة على أرض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه و كلتا يديه

يمين ، وجوههم أشدّ بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرب وكلّنبي مرسلا يقول الناس : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتهاجرون في الله . وعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله الأولين والآخرين فنادى مناد يسمع الناس فيقول : أين المتهاجرون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقيهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : فيقولون : فأي ضرب أنتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتهاجرون في الله ، قال : فيقولون : وأي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحب في الله ونبغض في الله ، قال عليهما السلام : فيقولون : نعم أجر العاملين .

وعن جابر الجعфи عن أبي جعفر عليهما السلام قال : إذا أردت أن تعلم أنَّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحببك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحب هذا .

وبهذه الأخبار يعلم أنَّ المقصود بالحب والبغض في الأخبار المطلقة الآمرة بالأُول والناهية عن الثاني هو حب المؤمن وبغضه ، فيجب تقييد اطلاقها بذلك وإلا فقد علمت أنَّ بعض المنافق والكافر والعاصي مطلوب كحب المؤمن وبغضه منه عنه كحبهم ، فالمدار في الحب والبغض على ما كان الله وفي الله .

ثم إنَّه نبه على مفاسد طول الأمل ونهى عنه بقوله (واعلموا أنَّ) طول (الأَمْل) في الدنيا (يسرى العقل) ويفعله عمما يجذبه إلى الله (وينسى الذكر) أي يوجب نسيان ذكر الموت والآخرة وما هو نافع فيها .

وذلك لأنَّ طويلاً مل لا فتناته بالدنيا ولذاتها وشهواتها وحبه لها وامتنانه طول البقاء فيها يمكن أوقاته مستغرقة في ذكرها وحديثها ، وهمته مصروفة إلى تهيئة مقتضيات هواه ، ونظره مقصوراً في تحصيل ماربه ومناه ، فيوجب ذلك غفلة العقل ونسيان الذكر إذ من أحب شيئاً كره الفكر فيما يضاهى ويعانده ومتناه

العقل للهوى وذكر الآخرة لذكر الدنيا واضح لاغبار عليها كما قد مضى مفصلاً في شرح الخطبة الثانية والأربعين .

( فاكذبوا الأمل ) بكثرة ذكر الموت و دوام اخطاره بالبال في الأيام والليل، و ملاحظة أحوال المعاشر و شدائد يوم التساد ، فان ذلك يوجب ردّ الأمل و تكذيبه .

و إنما سمي ردّ الأمل تكذيباً له ، لأنّ النفس حار تمنّها للمأمول تحكم حكماً وهميّاً ببنيله وإدراكه ، فإذا رجعت إلى صرف العقل وجبرت بحكمه إمكان نزول الأجل قبل بلوغ الأمل كان تجويفه بذلك مكذباً لما جزم به الوهم من الأحكام ورادة المعن ذلك .

و علّ تكذيبه بقوله ( فانه غرور وصاحبه مغرور ) يعني أنّ الأمل موجب للغرور و الغفلة ولا أصل له ولا حقيقة إذ ربّ شيء تأمله النفس تنقطع دونه فهو في الحقيقة ونفس الأمر :

« كَسْرَابِ بِقِيَعَةِ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ مَا هُنَّ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهُ لَمْ يَجِدُهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفِيهِ حِسَابٌ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْعِسَابِ ». »

## تدنيسان الاول في الكذب

وقد مرّ شطر من الكلام في فجاته عقلاً وشرعاً مع طائفة من الأخبار الواردة فيه في شرح الكلام الثالث والثمانين ، وأردنا هنا اشباع الكلام فيه وفي تفصيل أقسامه وأحكامه .

فأقول : إنّ الكذب من قبائح الذنوب و فواحش العيوب و يتربّط عليه من المفاسد الدينية والدنيوية مالا يحصى ، مثل كونه خرّاً لليمان ، وجلّاً بالسخط الرّحمن ، و موجباً لاهرق الدّماء و انتهاء الأموال ، و باعثاً على تحليل الفرج

الحرام و تحرير فرج الحال .

إذ من دنائة الكذب أنه يرد شهادة صاحبه وإن كان صادقاً ، ومن شرافة الصدق أنه يقبل شهادة المتصرف به وإن كان كاذباً ، ومنشأ الكذب دنائة الهمة وقلة المروءة وغلبة الحرص والخسنة ، ومنشأ الصدق ارتفاع الهمة وغلبة المروءة وكمال الفتوة والكذب شعار خلق ، ومورد رنق ، وأدب سيّيٍّ ، وخلق رديٍّ ، وعادة خسيسة ، وصفة خبيثة ، وقل ما يجلب به الآلفة ، وقل من ألفه إلا أتلفه ، والصدق لباس بهي وجوهر دريٌّ؛ وصفة وصيفة ، وحالة شريفة ، جالية للآلفة ، كاسبة للمودة ، خدمته القلوب بالمحبة ، لحظته العيون بالمهابة .

و كفى لقبحه شرعاً لولم يرده بخبر إلا قول أمير المؤمنين في رواية الكافي عن أصبغ بن نباتة عنه عليه السلام لا يجدد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله و جدله « جده ظ » و كيف بذلك و الأخبار الواردة فيه فوق حد الاستفاضة كما مضى سابقاً .

ويزيد على سائر المعااصي بأن أصحاب الكبائر ربما يلحدون الحياة والخجل من سوء عملهم ، ويرجعون عن عملهم القبيح ويتبون عنه ، وأما الكاذب فلا يستحيى من كذبه لكونه كثير الاستعمال و ماؤوساً مرفوع القبح عن نظره ، ومن تعود نفسه بذلك قل أن يرتدع عنه .

و من هنا قيل رأيت شريب خمر نزع ، ولصاً أفلع ، و صاحب فواحش ارتدع وما رأيت كاذباً رجع .

إذا عرفت ذلك فنقول : إن الكذب على قسمين : شرعاً وغير شرعاً ، وأعني بالشرع ما يجوز في الشرع جوازاً بالمعنى الأعم ، وبالغير الشرعي خلافه وأعني به الحرام وهو على قسمين جليٌّ وخفيٌّ أهـ الجلى فهو على قسمين .

أحدهما الكذب في حق الناس أوفي حق نفسه وغيرهما ، بأن يقول : وعدني فلان كذا مع أنه لم يعده بشيء ، أو يقول أعطيت فلاناً كذا مع أنه لم يعطه شيئاً ، أو أني عالم بكلذا مع أنه جاهل به ، أو نحن ذاك .

ومحصّله أن يخبر عن نفسه أو عن الغير كائناً ما كان بخبر مخالف للواقع، وأكثر الأخبار الواردة فيه محمول على هذا القسم ويزيد شناعته بأن يكذب ثم يروج كذبه بالحلف باشه، وهو الذي بارز الله بالمحاربة ويمينه هذه تذر الديّار بلا قع من أهلها وتشغل الرّحم وتوجّب انقطاع النّسل وتدخل النار وتبث غضب الجبار كما ورد في غير واحد من الأخبار، وقد عقد في الوسائل ببابعليها.

وثانيهما الكذب على الله ورسوله والأئمّة قال تعالى :

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَشْتَرُوا بِهِ مَنَا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ».

ومن هذا القسم الأخبار الموضوعة والأحاديث المجعلة في زمن النبي ﷺ وبعده في زمن بني أمية وبني العباس لعنهم الله.

قال أمير المؤمنين عقبة بن أبي مالك في رواية الكافي الطويلة : وقد كذب على رسول الله ﷺ في عهده حتى قام خطيباً فقال : أيّها الناس قد كثرت على الكذابة فمن كذب على متعمداً فليتبوه مقعده من نار، هذا.

وأول من فتح باب هذا الكذب بعد النبي ﷺ هم المتخالفون الثلاثة حيث إنّهم قالوا إنّ النبي ﷺ مات ولم يوص في الخلافة بشيء فاغتصبوا بذلك الخلافة ورووا حديثاً مجعلوا من النبي ﷺ فهربوا حقّ فاطمة سلام الله عليها واغتصبوا فدك ولحقهم التابعون وحنوا حذوهم.

ومن عجيب ما روى أنّ علم الهدى (فده) وقع بينه وبين علماء العامة مناظرة فانجر الكلام إلى الأخبار التي وضعوها في فضائل مشايخهم قال (ره) : إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعة فقلّوا من يقدر أن يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فقال لهم : قد ورد في الرواية عنه أنه علّة في حياته قال في حياته : ستكتشر على الكذابة بعد موته

فمن كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار ، فهذا الحديث إما صدق أو كذب وعلى التقديرين يثبت المطلوب .

وكيف كان فأكثر من ابتلا بهذا القسم من الكذب العلماء السوء ، ويلحق به ما اعتقاد الناس في محاوراتهم من أنهم يكذبون ثم يقولون: الله رسوله أعلم . روى في الوسائل من الكافي باسناده عن وهب بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قال الله يعلم فيما لا يعلم اهتز لذلك عرشه إعظاماً له .

وعن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا قال العبد: علم الله و كان كاذباً قال الله : وما وجدت أحداً تكذب عليه غيري ؟ .

وهذا القسم من الكذب أعنى الكذب على الله ورسوله والآئمة صلوات الله وسلامه عليهم معاوره في الأخبار أنه ينقض الوضوء والصوم .

أما نقضه الصوم فهو المشهور بين علمائنا الآخيار .

وأماماً نقضه الوضوء فليس بذلك ، وحملها الشیخ قدس الله روحه على نقضه الفضل والكمال والوجه الذي يستتحق به الشواب ، وبعض من قال ببطلان الصوم ربما عممه بكونه في الدنيا و الدين سواء كان في الأحكام أو في الفتاوى ، وسواء أسنده إلى الله وإليهم عليهم السلام أم لا ، سواء كان الخبر بالقول أم بالكتابة أم الاشارة والتفصيل في كتب الفقه .

**وأما الكذب الخفي** فهو أن تخبر عن نفسك أو تخاطب ربك بما لا حقيقة له ولا أصل أو تقول شيئاً وأنت تعمل بخلافه مثل أن تقول : أستغفر الله وأتوب إليه فانت تظهر التوبة وأنت غير راجع عن الخطيئة ولا قالع عن المعصية .

ولذلك روى عن ربيع بن خثيم أنه قال : لا تقل أستغفر الله وأتوب إليه ، فإنه كذب بل قل أستغفر الله وأسائله التوبة .

أوتقوم بين يدي ربك في كل يوم وليلة وتقرء فاتحة الكتاب في صلواته وأقله عشر مرّات وتقول لربك الحمد والثناء لك أيّها المربي لنا الرحمن الرحيم

بنا المالك لأمورنا في يوم وفودنا عليك فتحن نحشك بالعبادة لا نعبد سواك ، فإنّالور جعنا إلى أنفسنا وأنفسنا نعرف أنّنا كاذب في ذلك المقال وخطيء في تلك الدعوى ، وكيف تكون صادقاً مع ما نحن عليه من إطاعة الشيطان و عبادته واقياد أمره ونهيه وإنفاذ حكمه والعمل بما يريده ، و من إطاعة النفس الأئمّة والقيام بما تهويه وتشتهيه مضافاً إلى الريّا والشرك الذي نخفيه .

ونعم ما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى :

**«وَلَا تَتَخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ» .**

إنه تعالى نهاك عن الاثنين و أنت اتّخذت الألوف فما أقلّ حياؤك  
و قال تعالى :

**«أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَيْهُ أَفَإِنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَ كِلَّا» .**

فقد جعل سبحانه إرادة النفس وامنياتها الباطلة إليها ، وإذا كان هذه حالنا فكيف يصحّ منّا دعوى تخصيصه تعالى بالعبادة ، وكيف نجرتى على مواجنته بذلك الخطاب الكاذب مع علمه بما في الصدور والضمائر وإحاطته بالبوطن والسرير ، فكانه ظننا أنه سبحانه أعجز من جميع الآلهة حتى خصمته بالكذب .

ومثله قوله : إياك نستعين ، على طريق الحصر فانا إذا رجعنا إلى وجداناً ولا حظنا حالنا عرفنا أنا نستعين في أمورنا من كلّ من سواه سبحانه نعم إذا آيسنا من الخلق رجعنا إلى الخالق فكيف نخصّه بالاستعانة ونطلب منه الاعارة ، ولو تأملنا في هذا الكذب الخفي وجدناه أضرّ بأحوالنا من الكذب الجلي لما نعيته من قبول الطّاعات ومن التأهيل للقيام على بساط المناجات ، وإنّ أثر الحسارة والندامة ولعنة النفس اللوامة يوم القيمة .

فواحرستاه على ما فرّطنا في جنب الله ، وواطّول كربتاه على ما استخفنا في عبادة الله .

أيتها النفس الخاطي، والقلب الجاهل القاسي بأنك لو واجهت أحداً من الناس وقلت له : إني لا أترد إلا إلى بيتك ، ولا ثقة لي إلا بك ، ولا عن لي سواك ، ولا رجاء لي غيرك ، ولا صديق لي دونك ، مع علمك بأنه يعلم أنك تتردد إلى كل أحد وتتلقى بكل أحد وتستعين من غيره أكثر من التردد والوثوق والاستعاة منه ، ولك أصدقاء كثيرون سواه ، لاستحقاقك من عندك وكنت خجلاً من هذا للشك في الذي واجهته به وتنفعك من ملاقاته والمراجعة إليه إلا بعد زمان طويل ومرة متطاولة وأنت هنا إذ كان أول النهار قلت إياك نستعين ، ثم إذا جاء الظهر قلت مثل ذلك ، وهكذا مع أنك تعمل بين هذين القولين وفيهما وبعد هما بخلاف ما قلت وتستعين بالخلق وتتأملهم وترجو منهم .

أفلا تعلم أن من توجه بحاجته إلى الخلق أو جعله سبب نجاحها فقد تعرض للحرمان واستحق من عنده سبحانه الخسران وفوات الاحسان .

فإن شئت أن تعرف ذلك بعين اليقين فانظر إلى موسى بن عمران فإنه توسّل بالفقر إلى الحق وقال :

« رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ».

فقيص الله له شعيباً عليه السلام حتى دعاه آواه وزوّجه بنته وأعطاه العصا واليد البيضاء وبلغ أمره إلى ما بلغ .

وانظر إلى يوسف بن يعقوب كيف خاب حيث استعان من المخلوق .

« وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجِ مِنْهَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسِيَ الشَّيْطَانُ ذَكْرَ رَبِّهِ فَلَمِّا ثَبَتَ فِي السُّجْنِ بِضُمْنَيْنِ ».

روى في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه فرق في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : وعزّتني وجلّتني ومجدني وارتفاعي على عرشي لا قطعنّ أمل كل مؤمن من الناس أمل غيري باليأس ، ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولا نحيّنه من

قربي ، ولا بعده من وصلي أيمُّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي ، ويرجو  
غيري ويقرع بالفَكِر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح  
لمن دعاني ، فمن ذا الذي أسلني لنوابيه فقطعته دونها ، و من ذا الذي رجاني  
لعظيمة فقطعت رجائه هنـي ، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي ،  
وملاـت سماواتي ممـن لا يملـ من تسبيحي ، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين  
عبادتي ، فلم يشـقـوا بقولـي ألم يعلم من طرقـته نـائـبة من نـوابـي أنه لا يملك كـشفـها  
أـحدـغـيري إـلاـ من بـعـدـإـذـني ، فـمـالـي أـرـاهـيـاـعـنـيـأـعـطـيـتـهـبـجـودـيـمـالـيـسـأـلـنـيـثـمـأـنـزـعـتـهـعـنـهـ  
فـلـمـيـسـأـلـنـيـرـدـهـوـسـأـلـغـيرـيـ ،ـأـفـيـرـانـيـأـبـدـهـبـالـعـطـاءـقـبـلـالـمـسـأـلـةـثـمـأـسـأـلـفـلـأـجـبـسـائـلـيـ  
أـبـخـيـلـأـنـاـفـيـبـخـلـنـيـعـبـدـيـ،ـأـوـلـيـسـجـوـدـوـكـرـمـلـيـ؟ـأـوـلـيـسـعـفـوـوـرـحـمـةـبـيـدـيـ؟ـأـوـلـيـسـ  
أـنـمـحـلـالـآـمـالـفـمـنـيـقـطـعـهـاـدـنـيـ؟ـأـفـلـاـيـخـشـيـمـؤـمـلـوـنـأـنـيـؤـمـلـوـغـيرـيـ؟ـفـلـوـ  
أـنـأـهـلـسـمـاـوـاتـيـوـأـهـلـأـرـضـيـأـمـلـوـجـمـيـعـاـثـمـأـعـطـيـتـكـلـوـوـاحـدـمـنـهـمـمـثـلـمـاـأـمـلـ  
الـجـمـيـعـمـاـأـنـتـقـصـمـنـمـلـكـيـمـشـقـالـذـرـةـ،ـوـكـيـفـيـنـقـصـمـلـكـأـنـاقـيـمـهـ؟ـفـيـاـبـؤـسـاـ  
لـلـقـاطـنـيـمـنـرـحـمـتـيـ،ـوـيـاـبـؤـسـاـلـمـعـصـانـيـوـلـمـيـرـأـبـنـيـهـذـاـ.

وبقي الكلام في الكذب الشرعي وأعني ما هو سايغ في الشرع المطهر  
وتحقيقه يحتاج إلى تمهيد مقدمة وهي :  
إنـاـقـدـحـقـقـنـاـفـيـاـصـوـلـأـنـالـأـحـكـامـالـشـرـعـيـةـتـابـعـةـلـلـمـصـالـحـوـالـمـفـاسـدـ  
الـوـاقـعـيـةـوـبـيـنـاـهـنـاكـأـنـحـكـمـالـشـارـعـالـمـقـدـسـبـوـجـوبـشـيـأـوـحـرـمـتـهـمـنـجـهـةـ  
أـنـهـأـدـرـكـفـيـهـحـسـنـاـمـلـزـمـاـوـاقـعـيـاـفـحـكـمـبـوـجـوبـهـ،ـأـوـقـبـحـاـمـلـزـمـاـوـاقـعـيـاـفـحـكـمـ  
بـحـرـمـتـهـ،ـخـلـافـلـلـأـشـاعـرـةـالـقـائـلـيـنـبـأـنـالـحـسـنـوـالـقـبـحـإـنـّـمـاـهـوـتـابـعـلـلـأـمـرـوـالـنـسـهـىـ  
وـبـأـنـالـصـلـاـةـمـثـلـإـنـّـمـاـهـيـحـسـنـةـلـتـعـمـقـالـأـمـرـبـهـاـوـالـكـذـبـقـبـيـحـلـتـعـلـقـالـنـهـىـعـلـيـهـ  
وـأـنـهـلـوـنـهـالـشـارـعـعـنـالـأـوـلـىـوـأـمـرـبـالـثـانـيـلـكـانـالـأـوـلـىـقـبـيـحـوـالـثـانـيـحـسـنـاـ،ـ  
وـقـدـحـقـقـنـاـبـطـلـانـهـذـاـمـذـهـبـوـفـسـادـهـذـاـقـوـلـفـيـاـصـوـلـبـمـاـلـمـزـيدـعـلـيـهـ.

إـذـاـعـرـفـذـلـكـفـنـقـولـ:ـإـنـحـرـمـةـالـكـذـبـإـنـّـمـاـهـيـمـنـأـجـلـمـاـفـيـهـمـنـ  
الـمـفـسـدـةـالـوـاقـعـيـةـ،ـكـالـضـرـرـعـلـيـالـمـخـاطـبـأـوـغـيـرـهـأـوـنـحـوـذـلـكـمـمـاـقـدـمـاـ،ـوـأـقـلـ

درجات تلك المفسدة هو إلقاء المخاطب في يباء الجهالة واعتقاده للشيء على خلاف ما هو عليه ، فتلك المفسدة فيه صارت مقتضية لحرمة .

فلو فرضنا أن هذه المفسدة الواقعية كانت متعارضة بجهة حسن و مصلحة في الظاهر متداركة بها تلك المفسدة كالكذب المتضمن لانجاه نفس محترمة من القتل مثلاً ارتقعت الحرمة قطعاً، لانتفاء سببها.

ومثله المصلحة الواقعية التي في الصدق ، فانها اقتضت وجوبها ، فلو فرضنا معارضتها لمفسدة ظاهرية راجحة عليها كالصدق المتضمن لقتل النبي مثلاً تبدل حكم الوجوب فيه بالحرمة فيكون الصدق حينئذ حرماً .

ثم أقول: إن جهات المفسدة الواقعية في الكذب لو كانت مساوية لجهات المصلحة الظاهرية فيه كان الكذب حينئذ مباحاً ، لتساوي مقتضيات الحسن والقبح ، و ذلك كالكذب في الوعد للأهل والأولاد على ما سيأتي في الأخبار ، ولو كانت جهة المفسدة راجحة فهو حينئذ باق على حرمه .

ولو كانت جهة المصلحة راجحة فاما أن تكون ملزمة له فيكون حينئذ واجباً كالكذب والخدع في الحرب توصلاً إلى قتل الكافر الواجب؛ و إما أن لا تكون ملزمة فيكون حينئذ مستحبّاً كالكذب لا صلاح ذات البين .

و إذا ظهر لك ذلك فاعلم أنه قد رخص لنا أهلُ البيت الأطهار سلام الله وصواته عليهم ما تعاقب الليل والنّهار في بعض أقسام الكذب في أخبارهم المأثورة ولا بأس بالإشارة إليها .

فأقول: روى ثقة الاسلام الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ابن عيسى عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكلام ثلاثة: صدق و كذب و إصلاح بين الناس ، قال : قيل له : جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فيحيث نفسه فلتقاوه فتقول قد سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه .

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبي مخلد السراج عن عيسى بن

حسان قال : سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول : كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا كذباً في ثلاثة : رجل كاذب في حربه فهو موضوع عنه ، و رجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ، و رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم .

بل المستفاد من الأخبار الأخرى جواز الحلف باليمين الكاذبة لدفع ظلم الظالم عن نفسه أو ماله أو نفس أخيه المؤمن أو ماله .

مثل ما رواه في الوسائل عن الصدوق باسناده عن ابن بكير عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليهما السلام : نمر بالمال على العشار فيطلبون منا أن نحلف له ثم فيخلّون سبيلنا ولا يرضون منا إلا بذلك ، قال عليهما السلام فاحلف لهم فهو أحلٌ «أحلٌ خ» من التمر والزبد ، قال : وقال أبو عبد الله عليهما السلام : التّقْيَة في كل ضرورة و صاحبها أعلم بها حين تنزل .

و عنه باسناده عن الحلبـي أنه سـأـل أـبـا عـبـدـالـهـ عليهـماـ السـلـامـ : عن الرـجـلـ يـحـلـفـ لـصـاحـبـ الـعـشـورـ يـحـرـزـ بـذـلـكـ مـالـهـ ، قالـ :ـ نـعـمـ .

قالـ :ـ وـ قـالـ الصـادـقـ عليهـماـ السـلـامـ :ـ الـيمـينـ عـلـىـ وجـهـيـنـ إـلـىـ أـنـ قـالـ :ـ فـأـمـاـ الـذـيـ يـوـجـرـ عـلـيـهـ الرـجـلـ إـذـاـ حـلـفـ كـاذـبـاـ وـ لـمـ تـلـزـمـهـ الـكـافـرـةـ فـهـوـ أـنـ يـحـلـفـ الرـجـلـ فـيـ خـلاـصـ اـمـرـهـ مـسـلـمـ أـوـ خـلاـصـ مـالـهـ مـنـ مـتـعـدـ يـتـعـدـ عـلـيـهـ مـنـ لـصـ أـوـ غـيـرـهـ .

و فيه عن الشـيـعـيـنـ باـسـنـادـهـ عـنـ السـكـونـيـ عـنـ جـعـفـرـ عـنـ أـبـيـهـ عـنـ آـبـائـهـ عـنـ عـلـيـ عليهـماـ السـلـامـ قالـ :ـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ عليهـماـ السـلـامـ :ـ اـحـلـفـ بـالـهـ كـاذـبـاـ وـ نـبـيـجـ أـخـاـكـ مـنـ القـتـلـ .ـ إـلـىـ غـيـرـهـ مـاـ روـاهـ فـيـهـ وـ عـقـدـ عـلـيـهـ بـابـاـ ،ـ وـ اـلـهـ الـهـادـيـ وـ هـوـ الـعـاصـمـ مـنـ هـفـوـاتـ الـجـنـانـ وـ سـقـطـاتـ الـلـسـانـ .ـ

## الثاني في الحسـيدـ

و هـوـ مـنـ أـعـضـلـ الدـاءـ وـ أـكـبـرـ الـمـعـاصـيـ وـ أـفـسـدـهـ لـلـقـلـبـ وـ جـرـحـ لـاـيـرـهـ ،ـ وـ الـكـلامـ فـيـ مقـامـاتـ :

## المقام الأول في حده

وقد عرف بأنه أبعاث القوة الشهوية إلى تمني مال الغير وحاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير ، وهو مستلزم لحركة القوة الغضبية وعره الفزع الذي في احياء العلوم بأنّه كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه ، ويقابلها الفبطة وهو أن لا تحب زوال النعمة ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها ، والثاني أعم من الأول لشموله مالوأحب زوال النعمة عن المنعم عليه وإن كان لا يتناسبها لنفسه ، وهو ناش عن غاية خبث الطينة وسوء السريرة وأشد مما لو أحب زوالها عنه وانتقالها إليه فالحد الثاني أولى

## الثاني في الآيات والأخبار الواردہ فيه

فأقول قال سبحانه : « وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ». .

فقد أمر نبيه ﷺ بالسعادة من شر الحاسد بعد أن أمره بالاستعاذه من شر الساحر فأنزله منزلته ، وقال في معرض التوبيخ :

« أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ كَفَلِهِ » وقال : « إِنْ تَسْسِنُكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ سَيِّئَةً يَفْرُحُوا بِهَا ». .  
فإن مسائتهم من إصابة الحسنة وفرحهم باصابة السيئة دليل على حسدهم وقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ نَوْرٌ يَدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِنْهَا نُكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ». .

وفي الكافي عن داود الرّقبي قال : سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَّاءِ يقول : اتقوا الله ولا يحسد بعضا إن عيسى بن مرريم عَلَيْهِ الْكَلَّاءِ كان من شرائعه المسيح في البلاد فخرج في بعض سيجه و معه رجل من أصحابه قصرو كان كثير المزوم لعيسى عَلَيْهِ الْكَلَّاءِ فلما انتهى عيسى إلى البحر قال : بسم الله ، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء ، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عَلَيْهِ الْكَلَّاءِ جازه : بسم الله بصحة يقين منه

فمشى على الماء ولحق بعيسى عليهما السلام فدخل العجب بنفسه فقال : هذا عيسى عليهما السلام روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضلته على قال : فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليهما السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال عليهما السلام له : ما قلت ياقصين قال : قلت : هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى عليهما السلام : لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزوجل ممتاً قلت قال عليهما السلام : كتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتّقوا الله ولا يحسدنكم ببعضكم بعضاً .

و عن معاوية بن وهب قال : قال أبو عبد الله عليهما السلام آفة الدين الحسد والعجب والفخر .

و عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : قال رسول الله عليهما السلام : قال الله تعالى لموسى بن عمران : لا تحسدن الناس على ما آتتهم من فضلي ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن كان كذلك فلست منه وليس مني .

و عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : إن المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط .

و عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليهما السلام : إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب .

وفي الوسائل من المجالس مسندأ عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله الصادق عليهما السلام أصول الكفر ثلاثة : الحرث ، والاستكبار ، والحسد .

و في الأنوار النعمة للسيد المحدث الجزائري قال رسول الله عليهما السلام : ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة : الامراء بالجور ، والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبير ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهالة ، والعلماء بالحسد قال وفي حديث آخر إن الحسد عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في الناس ولهم من ذلك الجزء الحظ الأوفر ، وروى ما رواه أولا الغزالى في

احياء العلوم عن النبي ﷺ مثله إلى غير هذه مما وردت فيه .  
وقد استفید منها ومن الآيات السابقة حرمته و كونه من أعظم الموبقات  
مضافاً إلى اجماع علماء الاسلام عليه .

فإن قلت : فكيف التوفيق بين هذه الأدلة وبين حديث رفع التسعة المعروفة  
بين الفريقين ، والمروي في الوسائل عن الصدوق في التوحيد والخصال بسنده صحيح  
عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال : قال رسول الله ﷺ : رفع عن أمتي  
تسعة أشياء : الخطاء ، و النسيان ، وما اكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون  
وما اضطرّ إلينه ، و الحسد ، و الطيرة ، و التفكير في الوسوسة في الخلق ما لم  
ينطقوا بشفهه ، فان المراد برفع تلك الأمور إما رفع جميع آثارها التي منها  
المؤاخذة عليها ، أو رفع خصوص المؤاخذة ، وعلى التقديرين فيدل على رفع المؤاخذة  
على الحسد وعدم كونه معصية فينا في الأدلة السابقة .

قلت : قد جمع بينهما شيخنا العلام المرتضى الأنباري (قد) في الرسائل  
بحمله على ماله يظهر الحسد أثر حسده بلسان أو غيره يجعل عدم النطق باللسان  
قيداً له .

قال (ره) : و يؤيده تأخير الحسد عن الكل في مرفوعة الهندي عن  
أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ المرورية في أواخر أبواب الكفر والإيمان من أصول الكافي قال :  
قال رسول الله ﷺ : وضع عن أمتي تسعة أشياء : الخطاء ، و النسيان ، وما لا يعلمون  
وما لا يطيقون ، وما اضطرّ إلينه ، و ما استكرهوا عليه ، و الطيرة ، و الوسوسة في التفكير  
في الخلق ، و الحسد ما لم يظهر بلسان أو يد الحديث .

قال (ره) : و لعل الاقتصاد في النبوى الأول على قوله ما لم ينطق لكونه  
أدنى مراتب الظهور .

قال : و روى ثلاثة لا يسلم منها أحد : الطيرة ، و الحسد ، و الظن ، قيل : فما  
نصنع ؟ قال : إذا تطيرت فامض ، و إذا حسست فلا تبغ ، وإذا ظنت فلا تحقق ،  
والبعي عبارة عن استعمال الحسد .

قال : ولا جل ذلك عد في الدّروس من الكبائر في باب الشهادات إظهار الحسد ل نفسه ، وفي الشرائع إن الحسد معصية وكذا بغض المؤمن والتظاهر بذلك قادح في العدالة ، ثم قال : و الانصاف أن في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك انتهى كلامه رفع مقامه .

أقول : أمّا استشهاده بكلام صاحب الشرّيع ففيه مالا يخفى لصراحتها في كون نفس الحسد معصية ، وكون التظاهر به قادحا في العدالة إنما هو لأجل كونه طريقاً إليه لا من حيث موضوعيته فيه ، ولعل ذلك أيضاً مراد الشهيد في الدّروس فانظر ماذا ترى .

و أمّا ما قاله من أن في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك فهو صحيح ومن جملة تلك الأخبار ، ما رواه في الوسائل من مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطوسي (ره) معنعاً عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام ذات يوم لا صحابه : ألا إنّه قد دب اليكم داء الأُمّ من قبلكم وهو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حلق الدين وينجى فيه أن يكفّ الإنسان يده ويخرجن لسانه ولا يكون ذاغمر على أخيه المؤمن .

قال صاحب الوسائل بعد روایته : وتقديم ما يدل على العفو عن الحسد الذي لا يظهر أثره .

وفيه من الكافي باسناده عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة لم ينج منها نبيٌّ فمن دونه : التفكير في الوسوسة في الخلق ، والطيرة ، والحسد إلا أن المؤمن لا يستعمل حسد هذه .

وقال شيخنا السيد قدس الله روحه في مجلس الدرس : الأقرب حمل رفع المؤاخذة على الحسد في حديث رفع التسعة على مكان من قبيل الخطرات القلبية الزائلة بسرعة وحمل مادل على حرمته وكونه من الكبائر على ما عداه مما اشتد وتأكد .

### الثالث في أسباب الحسد

وهي كثيرة وحصرها الغزالى في إحياء العلوم في سبعة : العداوة ، و التعزز ، و التكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، و حبّ الرياسة ، و خبث التنفس .

أما العداوة وهي أشدّ الأسباب ومعناها أن تكره النعمة على غيرك لكونه عدوًّا لك وكذا مبغضه فإنّ البغض إذا رsex في النفس يقتضي التشفي والانتقام وربما يعجر المبغض عن أن يتشفى بنفسه فيتمّ زوال النعمة من المبغوض ويكون زوالها منه موجباً لفرحه كما أنه يفرح إذا ابتلى بليلة أو أصابته مصيبة ويكون ذلك تشفياً لخاطره ، وقد وصف الله سبحانه الكفار بهذه الصفة في قوله :

« وَدُوا مَا عِنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ » و قوله : « إِنْ تَفْسِّرُ كُمْ حَسَنَةٌ تُسُؤِّمُ وَإِنْ تُصِيبُ كُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا ».

و هذا القسم من الحسد ربما يفضي إلى القتال والجدال واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاده وطلب أسباب زوالها على كلّ حال .

وأما التعزّز فهو أن ينفل عليه ترفع غيره عليه فإذا أصاب بعض نظرائه وأمثاله ولایة أو علماً أو مالاً خاف من تكبّره عليه و هو يشقّ عليه ذلك ولا يسمح نفسه تحمل ذلك فلا يرضي بكونه منعماً عليه بتلك النعمة حذراً من ذلك ، ومحلّه الخوف من تفاخر الغير عليه لاحبّ تفاخره على الغير وربما يرضي بمساواته له .

وأما التكبّر فهو أن يكون في طبعه أن يتكبّر على الغير ويترفع عليه ويكون الغير منقاداً له مطيناً لأمره ونهيه صاغراً عندـه ، فإذا نال نعمة خاف من عدم إطاعته و انتقاده له و عدم إمكان ترفعه عليه كما كان أو ترقّيه إلى مقام يترفع هو عليه فيكون مطيناً بعد ما كان مطاعماً، ومتكبّراً عليه بعد ما كان متكبّراً ،

ومن هذا الباب كان حسد كفار قريش في حق النبي ﷺ إذا قالوا كيف يتقى  
عليها غلام يتيم ويكون رسولا علينا ونكون مطينا له كما حكى الله عنهم بقوله :

«وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْتَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَيْنِ عَظِيمٍ»

وأرادوا بذلك نزوله على الوليد بن المغيرة لعنه الله أو أبي مسعود عروة بن مسعود الثقفي أو غيرهما لأجل كونه هؤلاً من رؤساء القبائل و ذوي الأموال الجسيمة وعظيم المنزلة عندهم لا يشق عليهم التواضع والطاعة لهم كما كان يشق عليهم طاعته .

وأما التسعيج فهو أن تكون النعمة عظيمة والمنصب جليلًا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة كما حكى الله سبحانه عن الأمم السابقة بقوله .

«إِذْ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّنْ أَنْاسٍ» «وَقَالُوا أَنْتُمْ مِّنْ أَنْاسٍ مِّنْ أَنْاسٍ»

«وَلَئِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ» .

فتعجبوا من أن يفوز بربطة الرسالة والوحى والخلفى من الله بشر مثلهم فحسدوا وأحببوا زوال النبوة عنهم إشفاقاً من أن يفضل عليهم من هو مثلهم في البشرية ولم يكن مقصودهم إظهار كبر ولا طلب رياضة ولا ينهم سابقة عداوة أو نحو ذلك من سایر أسباب الحسد .

وأما الخوف من فوت المقاصد العظيمة فهو يختص بمترافقين على مقصود واحد، فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه ويريد انفراده بذلك المقصود ، و من هذا الباب تحاسد القراءات في مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة من أجل تزاحمتهم على نيل المنزلة في قلب الآباءين للتوصيل إلى مقاصد الكرامة والشرف أو المال والعزّة كما وقع من اخوة يوسف عليهما السلام في حقه ومن قabil في حق هابيل ، ومنه أيضا تحاسد الوابطين والرائيين ونحوهما .

واما حب الرّياضة فمن شاء حب الاختصاص بنعمة لا يشاركه فيها غيره ، وحب

ثناء الناس له وفرحة بتغيره بها ، فاذا رأى مشاركاً له فيها سائمه ذلك ، وهو غالباً في العلماء والسوه فانهم يحبون أن يكونوا مرجعاً للناس وملجأً ، ويكون تردد لهم إليهم ولا يرضون بمشاركة الغير لهم .

و من هذا الباب كان حسد علماء اليهود لرسول الله ﷺ ، فافهم كانوا ينكرون معرفته ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما فسخ علمهم . و منه أيضاً كان حسد المخلفاء الثلاثة لاً مير المؤمنين عليهما مضافاً إلى العداوة و البغض التي كانت فيهم وغير ذلك من الأسباب السابقة ، إذ لا امتناع في اجتماع الأسباب المتعددة .

و الفرق بين هذا القسم و سابقه اشتراط التنازع على المقصود في السابق دون ذلك ، إذ ربما ترى عالماً أو صانعاً يختص بفن مخصوص من العلم أو الصناعة يمدحه الناس بأنه فريد دهره ووحيد عصره في ذلك الفن أو الصناعة ، فانه لو سمع في أقصى البلاد بنتظير له فيه لسانه ذلك وأحب موته أو زوال الفعمة عنه .

و أما خبث النفس فالحسد بذلك خارج عن جميع الأقسام السابقة ، فانك ترى من الناس من ليس غرضه في رياسة ولا تعزز ولا تكبر فإذا وصف عنده حال عبد من عباد الله فيها أنعم الله به عليه يشق عليه ذلك وإذا وصف له اضطراب أمره الناس وإدبارهم يفرح بذلك ، فهو دائماً يحب الآدبار لغيره ويسخر بنعم الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكته وحزانته ، وليس لذلك سبب ظاهر إلا خبث النفس و شقايتها ورذالة الطبع ودنائتها ومعاجتها شديدة إذ الحسد الشابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها ويرجي إزالته ، وهذا ناش من خبث الطينة وسوء السريرة فيعسر زواله وإلى ذلك ينظر ما قبل .

كل العداوة قد ترجى إماتتها (١) إلا عداوة من عاداك من حسد و هذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعضها أو أكثرها أو جميعها في شخص فيشتد حسد و يتضاعف ، وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب و قلما

يتجرّد سبب واحد منها ، نعود بالله من شرور النفس وشحّ الأنفس .

#### الرابع

في بيان سبب كثرة الحسد بين العلماء على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه عشرة أجزاء منها تسعه بين العلماء واحد في الناس ولهم من ذلك الجزء الحظ الأوفر .

فأقول : العلماء إما علماء الدنيا أو علماء الآخرة ، والمراد بالأول من كان غرضه من العلم هو الدنيا وتحصيل رياستها وحبّ شهواتها وفنياتها وطلب الواقع في قلوب الناس وابتغاء إقبالهم إليه ، وبالثاني هم العارفون بالله والراغبون في الآخرة والزاهدون في الدنيا المعرضون عنها .

والحسد إنما هو بين الطائفتين الأولى ، وسببه تزاحمهن على غرض واحد إذ كلّ منهم يريد الفضل لنفسه دون صاحبه ، ويتمىّز الاستهار والمرجعية والرياسة وصدّاء النعلين ونحو ذلك ، ويريد ذلك بعينه غيره من أبناء جنسه فيتزاحمان على غرض واحد .

ومن أجل التزاحم أيضًا ينشأ الحسد بين أفراد جنس واحد وأبناء نوع واحد كالتساجر للتساجر ، والواعظ للواعظ ، والبزار للبزار وهكذا ، فانّ الغالب أنّ البزار يحسد للبزار دون العطار ودون الواعظ ، والعالم يحسد العالم دون الصانع ولماذا كرناه ترى الحسد بين علماء بلدة واحدة أكثر مما بين علماء بلدتين وما بين البلدتين القريبتين أكثر مما بين البلدتين النائيتين لزيادة التزاحم في الأولى على الثانية ، ومنشأ ذلك كله هو حبّ الدنيا ، فإنّ الدنيا هي التي تضيق على المترافقين .

وإما علماء الآخرة العارفون بالله والمتبرّجون بمعرفته سبحانه فلا يكرون بينهم تحاسد ، لأنّ غرضهم هو الآخرة ومقصدهم هو المعرفة ولا ضيق في شيء منها قالّ الدنيا ألا ترى أنّ من أحبّ معرفته سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله من عجائب ملوكوت سمائه وأرضه لا يعادي ولا يبغض غيره مما من كان يحبّ معرفة ذلك أيضًا وذلك لسعة

بحر المعرفة و عدم الضيق فيه ، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم و يفرح بمعرفته و يلتفت به ولا ينتقص لذة أحدهم بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين ثمرة الافادة والاستفادة والانس والصحبة ، وغرضهم إنما هو تحصيل المنزلة عند الله و الزلفى لديه و ما عند الله أعظم من أن يضيق على الطالبين ولا يسع الراغبين ، إذ البحر لا ينفد بالقطر ، والشمس لا ينقص بالذر ، وليس كمال الدنيا إذا وقع في يد أحد دخلت عنه يد الآخر أو كجاها إذا اتصف به شخص حرم عنه غيره ، إذا الجاه عبارة عن ملك القلوب ومهما امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو تقص عنده لا محالة فيكون سببا للمحاسبة .

وبالجملة فنعم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته ، وهو دائمًا يجني ثمارها ويفتح ذي بفوائدها ، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دائمة وإن غمض العين الظاهرة فروحه ترتع كل الأوقات في جنة عالية ورياض زاهرة وكثرتهم لا يوجب تحاسدهم بل كانوا كما قال رب العالمين :

« وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِّ إِخْوَانَاهُ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلَينَ »

و هذا حالهم وهم في الدنيا فما ظننك بهم إذا انكشف عنهم الغطاء و شاهدوا المحبوب في العيني فأهل العرفان والبيقين برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا ، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليةن إلى ضيق سجين ، ولذلك وسم به الشيطان العين ، حيث أظهر الحسد والبغضاء لمارأى اختصاص آدم بالخلافة والاحتباء ولمّا دعى إلى السجود استكبر وأبى ، وتمرد وعصى ، فاستحق الجحيم وقيل له :

« اخْرُجْ مِنْهَا إِنَّكَ رَجِيمٌ » .

و إذا عرفت أنّ متشاء الحسد هو التّوارد على مقصود يضيق عن الوفاء لمن ابتغي فعليك بمقصد لاتزاحم فيه أصلاً ولذة لانفاذ لها ونعمه لا زحمة فيها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الحق تعالى ومعرفة صفاته العالية وإن لم تكن تستحق

إلى ذلك ولا تجد لذةً لذلك فأنت في ذلك معذور لأنك في يد هواك مغمور مقهور والصبي لا يعرف لذة الملك والسلطنة ، وإنما لذته في الله واللعبة ، فان هذه لذة يختص بإدارتها الرجال دون الصبيان والأطفال ، و المعرفة مختصة بأهل الكمال وهم الذين لا غرض لهم إلا الله وهم

« رِجَالٌ لَا تُلَهِّيهُمْ تِجَارَةٌ وَ لَا يَبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ». .

ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم ، لأن الشوق بعد الذوق ، ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقى مع المحروميين في أسفل الساسافلين

« وَمَنْ يَمْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تُقْيِضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ». .

#### الخامس

في معالجة الحسد الذي هو من موبقات الذنب و من الأمراض العظيمة للقلوب ، و الدواء النافع له هو أن تعرف أنه مضر عليك في الدنيا و الدين وغير مضر بالمحسود في الدنيا و الدين ، بل نافع له فيهما ، ومهما عرفت هذا عن بصيرة و كنت صديقا لنفسك شفيعا لها و لم تكن عدوأ و مبغضا لها فارقت الحسد لا محالة .

أما كونه مضرأ عليك في الدين فلما مر في الأخبار السابقة من كونه سببا لسيطرة الجن على أكل الحطب للنار ، بل الحاسد في الحقيقة ساخط لقضاء الله وغضبان على قدر الله كاره للنعم التي قسمت بين عباد الله ، وحسده في الحقيقة اعتراض على الخالق فيما منحه على المخلائق و ايراد على الحكمة وجنائية على حدة التوحيد ، و فيه متابعة الشيطان الملعين و أوليائه من الكفار والمنافقين حيث إنـه حسد وقال :

« أَسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » « فَأَبْيَ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ »

وكذلك أولياؤه لم يز الوالا حاسدين معاندين للمؤمنين ، مبغضين لهم وبعدا وتهم معلقين متآلّمين بفرحهم و بتآلّهم هسورين ، فمن كان حاسداً فهو للشيطان وأوليائه قرين ، وهو معهم في أسفل الساقفين .

وأماماً كونه مضرّاً عليك في الدنيا فلا ذلك تتألم بحسدك فيها وتنعدب به دائمًا ولا تزال فيهم وغمّ ، إذ نعم الله سبحانه في الدنيا في حق البر والفاجر والمؤمن والكافر غير معدودة ، وفيوضاته غير متناهية وأنت كلما رأيت تنعم المحسود بنعمة تألمت وتتأثرت ، فلابيحصل لك خلاص من الحزن والألم لعدم انقطاع الآلام والنعيم ، ولا يكون لك فراغ من الفكر ويطول عليك الهجود والشهر فليطرق عليك النصب والألام ، و يتراكم عليك الأوصاب والأسقام ، لسرابة المرض من القلب إلى البدن ومن الخلد إلى الجسد .

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : صحة الجسد من قلة الحسد ، و قيل الحسد يضرّ بنفس الحاسد قبل إضراره بالمحسود .

وقد روي أنّ رجلاً كان يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسن إلى المحسن باحسانه فإنّ المسيء سيكتفيكه بإسائه ، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال : إنّ هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم أنّ الملك أبخر ، فقال الملك وكيف يصحّ ذلك عندي قال : تدعوه إليك فإنه إذا دادنا منك وضع يده على أنفه لثلاً يشمّ ريح البخار فقال له : انصرف حتى أنظر . فخرج من عند الملك فدعى الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم ؛ فخرج الرجل من عنده ققام بحذاء الملك على عادته فقال : أحسن إلى المحسن باحسانه فإنّ المسيء سيكتفيكه بإسائه ، فقال له الملك : ادن مني ، فدنا منه فوضع يده على فيه حذراً من أن يشمّ الملك منه رايحة الشّوم فقال الملك : ما أرى فلاناً إلا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطّه إلا بجایزة أوصلة ، فكتب له كتاباً بخطّه إلى عامل من عماله :

إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه وأسلخه وحش جلده تبناً وابعث به إلى ،  
فأخذ الكتاب وخرج ، فلقاه الرّجل الذي سعى به فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال :  
خط الملك لي بجازية ، فقال : هبه لي فوهبه له ، فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل  
في كتابك أن أذبحك وأسلخك ، قال : إن الكتاب ليس هو لي فالله في أمرى  
حتى تراجع الملك ، فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة ، فذبحه وسلخه وحشى  
جلده تبناً وبعث به .

ثم عاد الرّجل كعادته إلى الملك وقال مثل قوله ، فتعجب الملك و قال :  
ما فعلت الكتاب ؟ فقال لقاني فلان فاستوهبه مني فوهبته له ، قال الملك : إنه ذكر  
لي أنك تزعم أنني أبخر ، قال : ما قلت ذلك ، قال : فلم وضعت يدك على فيك ؟  
قال : لأنّه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكررت أن تشمّه ، قال : صدقت ارجع إلى مكازك  
فقد كفاك المسيء إسائته .

وأمام عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدنيا والدين فواضح .  
أما الدنيا فلأن النعمة لا تزول عنده بحسدك ، بل ما قدره الله في حقه من  
النعمة والأقبال ومن طيب العيش وحسن الحال لا بد أن يدوم إلى أجل معلوم ، لاراد  
لحكمه ولا دافع لقضائه ، إذ كل شيء عنده بمقدار ، ولكلّ أجل كتاب ومهما لم  
تزول النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر .

ولعلك تقول : ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي فهذا غاية الجهالة  
والسفاهة لأنّه بلاه تستهيه أو لا لنفسك ، فانك أيضاً لا تخلو من حسد يحسدك  
فلو كانت النعمة تزول بالحسد للزم أن تقطع عنك النعم وعن كلّ أحد بل يزول  
الإيمان عن المؤمنين لأنّ الكفار حاسدون لهم في ذلك محبتون ارتفاعهم عنهم كما  
قال سبحانه :

« وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوْ نَكْمَهُ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا  
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ ». »

و ان اشتهرت أن تزول النعمة عن محسودك بحسدك و لا تزول عنك بحسد حاسدك ، فهذا غاية الغباوة والحماقة ، لأنّ كُلّ واحد من الحساد يشتهر بالختصاص بهذا الخاصية فأى ترجيح لك على غيرك ؟

فإن قلت : سلّمنا هذا كله ولكن ما تقول فيما رواه في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلي عن السّكوني عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : قال رسول الله ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً و كاد الحسد أن يغلب القدر ، فان المستفاد من هذه الرواية أن الحسد له تأثير في زوال النعمة .

قلت : هذه لا تكافيء الأدلة السابقة ، لعدم سلامتها سندها وقتتها بالنسبة إليها ، مع إمكان الجمع بينهما بأن يقال بتأثير الحسد في الجملة كالعين الصائبة إلا أنه لا يوجب زوال النعمة بالمرة فيمكن أن يزول النعمة التي صارت سبباً لحسد الحاسد عن المحسود ثم ينتقل المحسود إلى نعمة أخرى أشرف وأجل مما زالت منه ، لما قد روی في الأخبار من أن الرّزق مقسم ، ومن قوله تعالى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب فتأمل .

وأما عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدين فواضح مستغن عن البيان .

وأما انتفاعه في الدين والدنيا فظاهر أيضاً .

أما الدين فلا نهيه مظلوم من جهتك وأنت ظالم له وميزانه ثقيل و ميزانك خفيف كما مر في الأخبار ، وأيضاً فاته بصيره و تحمله على أذاك يفوز فوزاً عظيماً ويدرك ما أعد الله من عظيم الأجر للصّابرين كما يشهد به ما في الوسائل عن الصّدوق باسناده عن معاوية بن وهب عن الصّادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : اصبر على أعداء النعم فانت لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه ، ومثله رواية عمّار بن مروان عن أبي الحسن الأول عليهما السلام ونحوهما أخبار آخر .

وأما انتفاعه به في الدنيا فهو إن أهتم أغراض الخلق مسائدة لأعداء وألذ عيشهم أن يكون أعداؤهم معذّبين ، ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد

وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غمٍّ وحسرة بسببهم ، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، ولذلك لا يشتهر عدوك بـ يشتهر طول حياتك لـ تنظر ما أنعم الله به عليه وينقطع نياط قلبك حسداً كـ لـ ما رأيته ، ولذلك قيل :

لـ مـ اـ مـ اـ دـ اـ ؤـ كـ بـ لـ خـ لـ دـ وـ  
لـ اـ لـ زـ لـ مـ حـ سـ دـ وـ اـ عـ لـ مـ نـ عـ مـ

حـ تـ يـ رـ وـ اـ فـ يـ كـ الـ ذـ يـ يـ كـ مـ دـ

فـ اـ نـ اـ مـ الـ كـ اـ مـ لـ مـ

وإن شئت زيادة وضوح إضرار الحاسد بنفسه وانتفاع المحسود بـ حـ سـ دـ

فـ اـ خـ تـ بـرـ ذـ لـ كـ يـ سـ فـ يـ لـ لـ كـ لـ لـ وـ اـ خـ وـ تـ هـ حـ يـ سـ دـ وـ وـ قـ اـ لـ وـ رـ وـ وـ وـ

«اـ قـ تـ لـ وـ هـ اوـ اـ طـ رـ حـ وـ هـ اـ رـ ضـ اـ يـ خـ لـ لـ كـ مـ وـ نـ جـ هـ اـ يـ كـ مـ» «فـ اـ لـ قـ وـ هـ فـ يـ غـ يـ اـ بـ اـ

الـ جـ بـ» «وـ شـ رـ وـ هـ بـ تـ مـ نـ بـ خـ سـ» .

فـ أـ دـ رـ كـ العـ نـ اـ يـ اـ لـ زـ لـ يـةـ وـ الرـ حـ مـةـ الـ اـ لـ هـ يـةـ وـ اـ عـ طـ يـ بـ مـ حـ سـ دـ يـ تـ هـ الـ مـ لـ كـ وـ الـ مـ مـ لـ كـةـ

وـ العـ زـ وـ وـ سـ لـ طـ نـةـ وـ اـ بـ تـ لـ وـ اـ بـ حـ اـ سـ دـ يـ تـ هـ بـ الـ فـ قـ وـ الـ فـ اـ قـ اـ وـ الـ ضـ وـ الـ مـ سـ كـ نـةـ حـ تـ هـ صـ اـ رـ وـ اـ

مـ حـ تـ اـ جـ بـ اـ إـ لـ يـ هـ بـ سـ وـ اـ لـ اـ عـ مـ اـ لـ فـ دـ خـ لـ وـ اـ عـ لـ يـ هـ وـ نـ اـ دـ وـ وـ بـ لـ سـ اـنـ الـ اـ بـ تـ هـ اـ لـ :

«يـ اـ يـ هـ اـ لـ عـ زـ يـ مـ سـ نـاـ وـ اـ هـ اـ نـ اـ الـ ضـ » وـ سـ وـ اـ عـ الـ حـ اـ الـ » فـ اـ وـ اـ فـ لـ نـ اـ الـ كـ يـ لـ

وـ وـ تـ صـ دـ قـ عـ لـ يـ نـ اـ إـ زـ اللهـ يـ جـ زـ يـ اـ مـ تـ صـ دـ قـ بـ يـ »

فـ اـ صـ بـ حـ وـ اـ بـ فـ ضـ لـ هـ مـ دـ عـ نـ يـنـ وـ وـ عـ لـ وـ لـ شـ آـ نـهـ مـ فـ صـ حـ يـنـ بـ قـ وـ لـ هـ :

« تـ اللهـ لـ قـ دـ اـ لـ تـ رـ كـ اللهـ عـ لـ يـ نـاـ وـ اـ زـ كـ تـ اـ لـ خـ اـ طـ يـ هـ يـنـ ، وـ وـ خـ رـ وـ اـ لـ هـ سـ جـ دـ اـ »

بعد أن كانوا له حـ سـ دـ وأذـ أـ يـ هـ النـ اـ قـ الدـ بـ يـ وـ الـ كـ يـ الـ خـ بـ يـ إـ زـ إذا أحـ طـ خـ بـ رـ أـ

بـ ما تـ لـ وـ نـاهـ عـ لـ يـ هـ وـ عـ رـ فـ تـ مـ ضـ اـرـ الـ حـ سـ دـ وـ مـ فـ اـ سـ دـ فـ رـ اـ قـ الـ اـ نـ اـ صـ وـ جـ اـ نـ الـ اـ عـ تـ سـ اـ فـ

وـ لـ اـ حـ ظـ نـ فـ سـ كـ وـ اـ مـ حـ ضـ لـ هـ نـ اـ صـ حـ كـ وـ لـ اـ تـ كـ سـ بـ لـ هـ لـ اـ خـ سـ اـ رـةـ فيـ الـ حـ اـ الـ

الـ شـ قـ اـ وـ اـ فـ اـ وـ لـ اـ تـ بـ خـ سـ حـ ظـ كـ عـ نـدـ الـ خـ اـ لـ قـ ، وـ لـ اـ تـ سـ قـ طـ وـ قـ مـ كـ مـنـ قـ لـ وـ بـ الـ خـ اـ لـ يـ قـ ،

وـ نـ عـ مـةـ الـ مـ حـ سـ دـ دـ اـئـ مـةـ شـ ئـ اـمـ أـ بـ يـتـ ، باـ قـ يـةـ كـ رـ هـ تـ اـمـ رـ ضـ يـتـ ، فـ لـ اـ تـ كـ لـ لـ لـ شـ يـ طـ انـ

ولیاً ولا لنفسك عدوٌّاً ولا للمؤمنين خصيماً ، فلا تفت على نفسك فواید المحبة ، ولا تحرمها من منافع الالفة والمودة ، و لا توقعها في مضار البغضاء والعداوة ، أَفْمَا دریت فی شرح هذه الخطبة أَنَّهَا حالقة لللَّذِينَ الْإِيمَانَ ، ساخطة لِلرَّحْمَنَ ، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِنُ مِنْ خَبْثِ النَّفْسِ وَشَرِّ الرَّأْنَفْسِ ، وَبِهِ أَعْتَصُ مِنْ مَكَابِدِ الشَّيْطَانِ وَمُوبِقاتِ الْإِيمَانِ ، وَمِنْهُ التَّوْفِيقُ وَعَلَيْهِ التَّكَلَّانُ وَهُوَ الْمُسْتَعْنَانُ .

### الترجمة

از جمله خطب شریفه آن امام انامست که فرمود : بتحقیق که عالم است حق سبحانه و تعالی بسرّها و خبیر است بضمیرها، مر او راست احاطه بجمعیت اشیاء از حیثیت علم و حفظ و غلبه بجمعیت مخلوقات با قهر وسلطنت ، وقوّة بهمه موجودات با کمال اقتدار و قدرت ، پس باید عمل نماید عمل کننده از شما در آیام مهلت پیش از سرعت اجل او ، و در زمان فراغت قبل از اشتغال او ، و در زمان وسعت نفس زدن پیش از آنکه گرفته شود راه نفس او ، و بایست مهیاً نماید از برای نفس خود توشہ طاعات و از برای استواری قدم خود بر صراط ، و باید توشه بردارد از سرای رحلت خود برای سرای افامت خود .

پس بترسید از خدا ای بندگان خدا در آنچه که خواسته است از شما حفظ کردن آن را از کتاب خود ، و در آنچه امانت نهاده پیش شما از حقوق خود ، پس بدرستی خداوند عالم خلق نفرموده شمارا بعیث ، و فرونگذاشته است شمارا مهمل و نگذاشته است شمارا درجهالت و کوری .

بتحقیق که بلند نموده است خبرهای شمارا ، و عالم است عملهای شمارا ، و نوشته است اجلهای شمارا ، و نازل کرد برشما کتاب را بجهة بیان هر شیء ، وزندگانی داد در میان شما پیغمبر خود را زمانی چند تا آنکه کامل ساخت از برای او و از برای شما در آنچه که نازل فرموده بود از کتاب خود دین خود را که پسندیده بود از برای خود ، و اعلام نمود بشما بزبان پیغمبر خود محبوب ها و مکروههای خود را از عملها و کارها و نواهی خود را واامر خود را .

پس القا کرد بسوی شما معدتر خود را در عقوبت شما، و آخذ نمود برشما حجت خود را، و پیش انداخت بسوی شما تهدید و وعید را، و ترسانید شما را پیش از عذاب شدید.

پس تدارک نمائید در بقیه روز گار خود و باز دارید در بقیه آیام نفس خود را از عمل ناشایست، و متحمل باشید بمشقت عبادت پس بدرستی که آن بقیه ایام کم است در میان روز گار بسیار که میباشد از شما غفلت و بی خبری و مشغول شدن از پندگیری و رخصت ندهید نفس های خود را تا اینکه ببرد شمارا آن رخصتها در راه های ظالمان و ستم کاران، و مداهنه و مسامحه نمائید با فاسقان تا اینکه بیاورد شمارا آن مداهنه بمعصیت.

ای بند گان خدا بدرستی که نصیحت کننده ترین خلق بر نفس سر کش خود اطاعت کننده ترین ایشانست پرورد گار خود را، و بدرستی که فریب دهنده ترین خلق نفس خورا عاصی ترین ایشان است برآفرید گار خود، وزیان کار کسی نیست که زیان رساند نفس خود را، و سودمند کسی است که سالم شود از برای او دین او، و صاحب سعادت آن کسی است که پندگیره بحال غیر خود، و جناح شقاوت آنکسی است که فریب خوره بهوا و غرور خود.

و بدانید که اند کی از ریا شر کست بخدا، و همنشینی اهل معصیت و هوای محل فراموشی ایمانست و مکان حضور شیطان، و کناره جوئی کنید از کذب و بهتان که آن بیگانه است از ایمان، راستگو بر کناره نجاتست و بزر گواری، و دروغ گو بر گوش هوس است و خواری، و بریکدیگر حسد هباید، پس بدرستی که میخورد حسد دین را همچنان که میخورد آتش هیزم را.

### لیت

هر گز از آتش دوزخ نرهد  
زین عمل قدوش رف افزون کن  
بر فلک ساز چه عیسی مسکن

هر که را پیشه بود حقد و حسد  
کینه از سینه خود بیرون کن  
بیخ حقد و حسد از دل بر کن

و دشمنی نکنید بر یکدیگر پس بدرستی که عداوت تراشندۀ ایمان است و بدانید که آرزوی دور و دراز باعث سهو عقل میشود و سبب نسیان ذکر، پس تکذیب نمایید آرزوی خودها از جهت اینکه آمال و امانی دروغ است و فریب، و صاحب آن مغرور است و مفتون.

## و من خطبة له عليه السلام وهي السادسة والثمانون من المختار في باب الخطب

و شرحها في ضمن فصول :

### الفصل الأول

عِبَادُ اللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ تَقْسِيمِهِ ،  
فَأَنْتَشَرَ الْحُزْنَ وَ تَجَبَّبَ الْغَوْفَ ، فَزَهَرَ مِضَابُحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ ، وَ أَعْدَدَ  
الْقِرْبَى لِيَوْمِ النَّازِلِ بِهِ ، فَقَرَبَ عَلَىٰ تَقْسِيمِ الْبَعِيدَ ، وَ هَوَنَ الشَّدِيدَ ، نَظَرَ  
فَأَبْصَرَ ، وَ ذَكَرَ فَأَسْتَكْثَرَ ، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبِ قُرَاطِ سُهْلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ ،  
فَشَرَبَ نَهَلًا ، وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا ، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ ، وَ تَخْلَىٰ  
مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هُمَا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعُمَى وَ مُشَارِكَةِ  
أَهْلِ الْهَوَى ، وَ صَارَ مِنْ مَفَاقِيْحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَ مَغَالِقِ أَبْوَابِ الرَّدِيِّ ،  
قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَ عَرَفَ مَسْنَارَهُ ، وَ قَطَعَ غِسَارَهُ ،  
وَ اسْتَمْسَكَ مَنِ الْعُرْوَى بِأَوْقَهَا ، وَ مِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ

عَلَىٰ مِثْلِ ضُوءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ،  
مِنْ إِنْصَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْبِيرِ كُلِّ فَرِيعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُماتِ  
كَشَافُ عَشَوَاتِ، مِفْتَاحُ مُبْهَاتِ، دَفَاعُ مُعْضَلَاتِ، دَلِيلُ فَلَوَاتِ،  
يَقُولُ فِيهِمْ، وَيَسْكُنُ فِي سَلَمٍ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ  
مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ تَقْيِيُّ  
الْهَوْيِ عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَلَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّاهُ،  
وَلَا مَظْنَةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ،  
يَحْلُّ حَيْثُ حَلَّ قَلْهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

### اللغة

(الشعار) من الشوب ما يليلي شعر الجسد و (الجلباب) القميص أو غيره مما  
مضى في شرح الكلام الخامس والستين و (زهر) الشيء يزهر من باب منع صفالونه  
وأضاء و (قرى) من قرى الضيف من باب رمى قرى بالكسر و القصر و الفتح  
والمدّ أضافه ، وفي المصباح قرى بالكسر و القصر و الاسم القراء بالفتح والمدّ (فرات)  
الماء العذب وباللام اسم نهر معروف .

(نهل) البعير نهلا من باب تعب شرب الشرب الأول حتى روى و(الجده)  
بالتحريك المستوى من الأرض و (السر بال) القميص و (الغمار) بالكسر إما  
جمع الغمر كالغمور وهو الماء الكثير ومعظم البحر أو جمع الغمرة كالغمرات وهي  
الشدة والزحمة و (العرى) بالقصر مثل العروة من الدلو والكوز و نحوهما ماقبضها  
و (عشوات) بالتحريك جمع العشوة بالتشليث وهي الأمر الملتبس .

(المعطلات) الشدايد والأمور التي لا تهدى لوجهها من أعشد الأمور إذا

اشتدَّ و (المعادن) جمع معدن كمجلس و هو محل الجوهر و (أمه) إمّا من باب قتل قصده و (مطنة) الشيء المكان الذي يظنّ فيه وجوده و (الثقل) متعة المسافر وحشمه و الجمع أثقال كسب وأسباب .

### الأعراب

الفاء في قوله فاستشعر الحزن عاطفة مشعرة بسبة ما قبلها لما بعدها كما في قوله **فولك** يقوم زيد فيغضب عمرو ، وكذلك أكثر الفاءات بعدها ، و قوله فهو من اليقين على مثل آه هومبتدأ وعلى مثل خبر له ومن اليقين حال إمّا من المبتدأ والعامل فيه الخبر وهو مبني على جواز الاختلاف بين عامل الحال وعامل صاحبه ، و إمّا من الضمير المستكן في الخبر فيتّحد العاملان و إنّما قدّمت الحال على عاملها لتوسيعهم في الظروف قالوا : و من ذلك البر **الكر** بستين أى الكر منه بستين منه حال والعامل فيه بستين .

وقوله **منصوباً** : مصبح ظلمات بالرفع خبر بعد خبر ، و قوله فكان أول عدله نفي الهوى يجوز جعل أول اسم و نفي الهوى خبراً و بالعكس إلا أن مقتضى الاعراب الموجود في نسخ الكتاب هو الأول حيث اعرب الأول مرفوعا والنفي منصوباً وهو أيضا مقتضى الأصل .

### المعنى

اعلم أن هذا الفصل من كلامه **عليه السلام** مسوق بشرح حال المتقين وبيان صفات العارفين الكمّلين من عباد الله الصالحين ، وفي الحقيقة والمعنى هو شرح لحال نفسه الشريف وحال أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، إذ لا وصف الآية لم تجمع إلا فيهم ولم تشاهد إلا منهم .

وهم المتصفون بالفناء في الله والبقاء به ، و المبتغون لمرضاة الله وهم أحب الناس إلى الله والله أحب إليهم و أولى بهم من أنفسهم ، فهم التمامون في محبة الله والمخلصون في توحيد الله و المظہرون لا من الله و نبيه و عباده المكرمون

«الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ».

إذا عرفت هذا فاقول قوله ﴿إِنَّمَنْ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيْهِ عِبَادًا أَعْانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أراد بمحبّته سبحانه له إفاضته الكلمات التفسانية عليه المعدّة له بالقرب إليه تعالى والقبول بفضله وجوده، ويأتي في شرح المختار المائتين والخامس والعشرين إنشاء الله تفصيل الكلام في معنى محبّته تعالى، ومعنى إعانته له على نفسه اعانته جنود عقله على جنود جهره وتنمية عقله على فهر نفسه الأُمّارة، فاذا قوى عقله واعين له اتصف بأوصاف أشار عليك السلام إليها.

أولها أنه (استشعر الحزن) أى اتصف بالحزن وجعله ملازمًا له لزوم الشعار للجسد، وإنما صار محزوناً لما صدر منه في الأيام الماضية من التفريط في جنب الله حيث لم يكتسب فيها من موجبات القرب والاختصاص أضعاف ما اكتسبه (و) الثاني انه (تجلب الخوف) أى جعله لازماً له لزوم الجلب للبدن، وقد مضى تحقيق الكلام في الخوف وفي أقسامه في شرح الخطبة الخامسة والسبعين والثالث أنه حيث اتصف بالحزن والخوف (فما استعد بذلك لأن (زهر هضاب الهدى في قلبه) أى أضاء أنوار المعارف الحقة الإلهية في قلبه فصار سبيلاً لاهتدائه ووصوله إلى مقام القرب .

(و) الرابع أنه (أعد القرى ليومه النازل به) شبه يوم الموت وما بعده بالضيف المتوقع نزوله و كما أنّ من توقيع نزول ضيف به يهياً له قرى ليبيض به وجهه عند الضيف ويكتسب به المحمدة منه ولا ينفعه منه عند نزوله ، فكذلك الرجل الموصوف لما توقع نزول الموت وعلم أنه قادم لامحاله أعدّ له من وظائف الطاعات والعبادات ما يكون موجباً لبيان (لابيضاً خ) وجهه عند نزوله واكتسابه المحمدة والثناء ، وذلك أيضاً من ثمرات الخوف المقدم ذكره

ومن شئوناته .

والخامس أنه حيث أعدّ قرى ضيفه (قرّب على نفسه البعيد) والظاهرأنّ

المراد بالبعيد هو الموت الذي يراه الغافلون بعيداً وبتقربيه على نفسه هو مبادرته إليه وجعله له نصب عينيه وترقبه له وعدم غفلته عنه صباحاً ومساءً، لأنّه بعد ما هيأه وأعد القرى له لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وأمّا ماذكره الشارح البحرياني من احتمال كون المراد بالبعيد هو رحمة الله البعيد عن مساق تتحققها ، وبتقربيه تحسين العمل أو كون المراد به أمله الطويل في الدنيا وبتقربيه تقدير الأمل ففضافا إلى بعده في نفسه غير ملائم لظاهر العطف بالفاء وإن أمكن توجيهه بتكلّف .

(و) السادس أنه ( هو الشديد ) يحتمل أن يكون المراد بالشديد شدائد الموت ودواهيه وما يتلو ذلك، فيكون المراد بتهويتها تسهيلاً بها بالأعمال الصالحة وهو من ثمرات اعداده القرى للموت ، وأن يكون المراد به شدائد الطاعات وتكلفة المجاهدات والرّياضات ، فيكون المراد بتهويتها تحملها و الصبر لها وحبس النفس عليها ، وهو من فروع شروع مصباح الهدى في قلبه .

والسابع أنه ( نظر فأبصر ) أى تفكّر في الملائكة والملائكة فصار ذا معرفة وبصيرة كما قال سبحانه :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »

(و) الثامن أنه ( ذكر فاستكثرا ) أى ذكر الله فاستكثروا من ذكره إذ بذكره تسكن النّفوس كما قال سبحانه :

« أَلَا يَذَكِّرِ اللَّهُ قَطْمَنٌ الْقُلُوبُ ».

وبكثرة ذكره تنال المحمدة والثناء عند الله كما قال تعالى :

« رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا يَنْعِزُونَ ذِكْرَ اللَّهِ »

(و) التاسع أنه ( ارتوى من عذب فرات سهلات له موارده ) شبهه عليه السلام العلوم الحقة و المعارف الاليمية المفاضة على العارف بالماء الصافي العذب الزّلال فاستعاره لها ورشحه بذكر الارتواه كما أنته استعار في الكلام السابع عشر للعقايد

الباطلة والأراء الفاسدة لفظ الآجج حيث قال عليه السلام في ذكر أوصاف القضاة السوء : حتى إذا ارتوى من آجج ، و المراد بمسؤوله موارده عدم كونها رديعة و حلة وهو كنایة عن سرعة استعداده لقبول تلك العلوم المفاضة من محالها و مواردتها أعني الألواح السماوية وألسن الملائكة ولسان النبي صلوات الله عليه وآله وسليمه والرّوع في القلب والنّكث في القلوب ونحوها إن كان المراد بالموصوف الأئمة عليهم السلام على ماقدّمنا ، والنّبي و الأئمة سلام الله عليه و عليهم إن كان المقصود به مطلق العارف هذا و قوله عليه السلام (فسُرْبَ نَهْلًا) إشارة إلى أنه لما شرب من العذب الفرات و ارتوى اكتفى بذلك و صار شربه الأول كافيًّا ولم يتحجج بعده إلى الشرب الثاني لأنّه شرب من رحيق التحقيق ومن عين التوفيق شربة لا ظمأً بعدها أبداً .

(و) العاشر أنه ( سلك سبيلًا جددًا ) أي طريقًا مستويٍّ عدلاً مصونة عن طرفِ الافراط والتفريط إذ اليمين والشّمال مصلحة والطريق الوسطي هي الجادّة الموصولة لصالكها إلى حظيرة القدس ، وقد مضى تفصيلاً و تحقيقاً في شرح الفصل الثاني من الكلام السادس عشر فقذّكر .

و الحادي عشر أنه ( قد خلع سرابيل الشّهورات ) أي نزع لباس الشّهورات وخلى نفسه منها لكونها موجبة لصدام رأت القلب مانعة عن انطباع صور الحقّ فيها .  
 (و) الثاني عشر أنه قد ( تخلى من الهموم ) أي هموم الدّنيا كلّها لكونها مجانية للحقّ شاغلة عنه ( إلاّ همّا واحداً انفرد به ) وهو همّه بالوصول إلى مولاه الذي بهذته وبالانصراف بدركه و مناجاته سروره وبهجته و بمطالعة جلاله و كبيرة يائه شفته و فرحته .

و الثالث عشر أنه حيّثما تخلى من الهموم و انحصر همّه في الهمّ الواحد فخرج به من صفة العمى و ) عن ( مشاركة أهل الهوى ) أراد أنه باتصاله بفضيلة العلم والحكمة خرج من صفة الجهمالية وعن مشاركة أهل الهوى والشهوة لكون الاشتراك معهم موجباً للضلال ، وإليه الإشارة بقوله سبحانه :

«وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى».

(و) الرابع عشر أنه من أجل اتصافه بالعلم والحكمة أيضاً ( صار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى ) فبها ينفتح أبواب الرشاد والهداية للمهتديين، وينغلق أبواب الغوى والضلال للجاهلين ، لكونه فاتحاً لباب المعروف ساداً لباب المنكر فبنور وجوده يهتدى الجاهلون ، وبكمال ذاته يرتدع الضاللون .

والخامس عشر أنه ( قد أبصر طريقه وسلك سبيله ) أى أبصر بنور بصيرته طريقه المأمور بسلوكها فسلكها ، و إلى هذا السبيل والطريق أشير في قوله : «إِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَقَرْقَقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ» وفي قوله : «وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» كما مضى مشروحاً في شرح الفصل الثاني من الكلام السادس عشر فلتذكرة.

(و) السادس عشر أنه ( عرف مناره ) أصل المنار هو العلم المنصوب على الطريق ليؤمن به المارة من الخروج عن الجادة فمن عرف مناره أمن الضلال ، والمراد به هنا هم أئمة الدين الذينهم أعلام اليقين ، فالسلوك إلى الله بقدمي الصدق والعرفان إذا عرفهم ولزمهم وأخذ بحجزتهم أمن من الضلال ووصل إلى حظيرة القدس والجلال التي هي منتهى الآمال، هذا إن كان الموصوف بالصفات مطلق العارف وإن كان المقصود به هم كَلِيلُهُ حَسِيبُهُ حسبما أشرنا إليه سابقاً فالمراد بالمنار هو النبي وَالْقَفْطَنُ.

(و) السابع عشر أنه ( قطع غماره ) أشار بالغمار إلى ما كان مغموراً فيه من مشاق الدنيا وهمومها والتسلل بسبب فقدها ومجاذبة أهلها لها وتزاحمهم عليها ،

فإن العارف بمعزل عن ذلك وإنما هو شأن الجاهلين الذين هم في غمرة ساهون.

(و) الثامن عشر أنه ( استمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأتمتها ) والمراد

بأوثق العرى وأمتن الحبال ما اشير إليها في سورة البقرة بقوله :  
 « فَمَنِ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهِ الْوُثْقَى  
 لَا نِصَامَ لَهَا » و في سورة آل عمران بقوله : « وَاعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعًا  
 وَلَا تَنْفِرُوا » .

وقد فسر العروة في الظاهر بالإيمان والجبل به وبالقرآن ، وقد فسّرها  
 في الباطن بالولاية ، روى في البحار من كنز جامع الفوائد و تأویل الآيات قال :  
 ذكر صاحب نهج الإيمان في تأویل قوله :  
 « فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهِ الْوُثْقَى »

روى أبو عبدالله الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب  
 حديثاً مسندأ إلى الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام : من أحبّ أن يستمسك  
 بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وروى أيضاً في الكتاب  
 المذكور مسندأ عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليهم السلام قال : نحن حبل الله الذي  
 قال الله تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفِرُوا ».  
 والأخبار في هذا المعنى متظافرة .

والحادي عشر أنه لما استمسك بالعروة الوثقى والجبل الأيمن فترقى بذلك  
 إلى أعلى مدارج العلم والعرفان (ف) كان (هو من اليقين على مثل ضوء الشمس) يعني  
 أنه رأى بعين اليقين الحقائق وشاهد دقائق الملك والملائكة لا يختلجه في ذلك  
 شักٌ ووهم كما يرى بصره نور الشمس في الوضوح والجلاء .

والعشرون أنه لكمال ذاته (قد نصب نفسه) وعيشه (أ)أجل ابتغاء مرضات  
 (الله سبحانه) في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله (أراد  
عليه السلام) أنه لما كمل ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور من هداية الخلق و ارشادهم إلى

ما فيه رشادهم فقام باصدار الْجُوَبَة عن كلّ ما ورد عليه من الْأَسْوَلَة ونهض بردٌ كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعب عنه ، وفيه إشعار وتنبيه على جواز الاجتهاد واستنباط الْحُكْمُ الشَّرِعِيَّةُ عن أدلةِها التفصيلية كمعامليه ببناء الممجتهدين من أصحابنا ، خلافاً لصحابنا الْأَخْبَارِيَّين والتفصيل معنون في الأصول . والحادي والعشرون أَنَّه ( مصباح ظلمات ) يقتبس منه العالمون أنوار العلم ويهتدى به التائرون في ظلمات الجهل .

والثاني والعشرون أَنَّه ( كشاف عشوارات ) يكشف به ويميز الأمور الملتبسة وفي بعض النسخ غشوات بالغين المعجمة فالمراد أَنَّه يكشف النقاب عن وجه الحق .

والثالث والعشرون أَنَّه ( مفتاح مبهمات ) به يفتح أبواب الْحُكْمُ المبهمة المغلقة .

والرابع والعشرون أَنَّه ( دفاع معضلات ) يعني أَنَّه يدفع الْأَعْضَال عن المسائل المعيشة الشرعية ويرفع الاشكال عن الْحُكْمُ المشكلة الْأَصْلِيَّةُ والفرعية بكلامه الوافي وبيانه الشافي .

والخامس والعشرون أَنَّه ( دليل فلوات ) أراد بِلَالًا أَنَّ السالك في مسالك الفلوات كما لا يهتدى إليها إِلَّا بدلالة الْأَدَلَّةِ الَّذِين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها، فكذلك السَّاير في فلوات المعقولات الطالب لطبيّ مراحلها الباغي للنزول إلى ساحة الحقّ والوصول إلى حظيرة القدس لا يهتدى إليها ولا يمكنه النزول فيها إِلَّا بهداية دليل هاد و إرشاد مرشد يرشد إلى الرشاد ، وهو العارف المعتمد بسلوك تلك المسالك فمن لم يسلك بدلاته فهو ضالٌّ وهالك .

والسادس والعشرون أَنَّه ( يقول فيفهم ويسكت فيسلم ) يعني أَنَّه يقول : إذا اقتضت الحال فيفهم لمخاطبه المقال ويسكت في مقام السكوت فيسلم من عثرات اللسان .

والسابع والعشرون أنه ( قد أخلص الله فاستخلصه ) أى أخلص عمله الله وجعله خالما عن شوب الرياء و الشرك على ما مضى في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الأولى ، و حيث إنه أخلص الله فاستخلصه الله واختاره واختصه من بين أبناء جنسه بالرضا عنه وإفاضة الكلمات عليه وإدناه إلى مقام القدس .

والثامن والعشرون أنه إذا اتصف بالأخلاق والاستخلاص ( ف ) صار ( هو من معدن دينه وأوتاد أرضه ) شبهه عليه السلام من حيث كونه محلاً للدين و مستقرًا له بالمعدن الذي يستقر فيه الجوهر فكما أن المعدن يستخرج منه الجوهر وينتزع منه ، فكذلك الدين الذي هو جوهر عقائدي يستفاد من ذلك الموصوف ويكتسب منه ، وأمّا معنى كونه من أوتاد أرضه فهو أنك قد عرفت في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة الأولى أنه سبحانه وتعالى الصخور والجبال ميدان أرضه واضطرا به وأنت إذا أخذت بين مجامع هذا الكلام وما تقدم ظهر لك أنه عليه السلام جعل الموصوف بمنزلة جبل يكون وتدًا للأرض مانعاً لها عن الاضطراب ، وهو إمّا جار على الحقيقة إن أراد بالموصوف نفسه الشريف ومن هو بمنزلته من أولاده المعصومين الذين لولاهم لما جلت الأرض بأهلها و ساخت ، وإمّا على المجاز بأن يكون المراد به العموم فأن الرجل الموصوف لاما كان سبب الانتظام أمر الدنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كان كالوتد للأرض فافهم .

والحادي والعشرون أنه ( قد ألزم نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه ) لاما كان العدالة ملكرة تصدر بها عن النفس إلا فعال الفاضلة خلقاً لا تخلقاً و أصولها عبارة عن الحكمة و العفة و الشجاعة ، و سائر الفضائل فروعاً لها و كان العارف قد أرضى نفسه بالعبادة وغيرها حتى حصل على هذه الفضائل الخلقية لاجرم كان بسعيه في حصولها قد ألزم نفسه العدل .

قال الشّارح البحرياني : و لاما كان العدل في القوة الشّهوية الذي هو أن يصير عفيفاً لاخامد الشهوة ولا فاجرأً أصعب ( ١ ) من العدل على سائر القوى لكثرتها

موارد الشهوة وميلها بالانسان إلى طرف الافراط ، ولذلك قال أكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لاجرم (١) كان مقتضي المدح أن يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه ، لأن السالك أول ما يبذله في تكميل القوة العملية بصلاح القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتتجاوزها في مأكل أو منكر أو كسب ونحوه .

و الثالثون أنه (يصف الحق ويعمل به) أي يطابق فعله قوله ويوافق قوله عمله فأن من يأمر ولا يأتمر وينهى ولا يزدهجر لا يؤثر وعظه ولا يشمر إرشاده فأن الموعظة إذا صدرت عن اللسان لا يتتجاوز الآذان وإذا خرجت من القلب وقع في القلب وقد ذم الله أقواماً خالفت أفعالهم أقول لهم بقوله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُنَّ مَا لَا تَفْعَلُنَّ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُنَّ » .

(و) الحادى والثلاثون أنه (لا يدع للخير غاية إلا أمهما ولامظنة إلا قصدها) يعني أن همة مقصورة على سلوك مسالك الخير وقصد مظان البر ليفوز غايته ويدرك نهايته .

والثانى والثلاثون أنه (قد أمكن الكتاب) أي كتاب الله (من زمامه) أدى زمام نفسه إلى الكتاب وفوضه إليه مكتنه منه وهو كنایة عن كونه منقاداً له مطيناً لما اشتمل عليه من الأوامر والنواهى ( فهو قائد وامامه ) يقوده إلى الله و يأممه في سلوك سبيل رضوان الله (يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله) قال الشارح البحرياني : استعار ثقل الله وصفى الحلول والنزول الذين هما من صفات المسافر وكني بحلوله حيث حل عن لزوم أثره العمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره إلى الله بحيث لا ينفك عنه وجوداً وعدماً .

أقول : هذا إن كان المراد بالموصوف نفسه الشريف و من حذا حذوه ،

و أمّا إن أريد به مطلق العارف فالمراد بمحل القرآن و منزله هو بيت الرحمن سالة  
و الا مامّة أعني مهبط الوحي و معدن الذكر ، فيكون المقصود بحلول الموصوف  
ونزوله فيه كالقرآن كونه مقتدياً بالرسول ﷺ و الآئمة مقتبساً لهداهم آخذًا  
بولايّتهم صلوّات الله و تحيّاته عليه وعليهم أجمعين .

### الترجمة

از جمله خطب شریفه آن امام زمان و مقتدای عالمیان است در وصف حال  
متقین فرموده که :

ای بندگان خدا بدرستی از محبوبترین بندگان خدا است بسوی او بنده  
که اعانت فرمود و غالب نمود خدای تعالی اورا بر نفس خود پس شعار خود گردانید  
حزن را ، و سرپوش خود نمود ترس را ، پس روشن شد چراغ هدایت در قلب او ،  
ومهیا نمود مهمانی را برای روزیکه فرود آید باو ؛ پس نزدیک گردانید بر نفس  
خود دور را که عبارتست از موت و احوال آخرت ، و آسان نمود کار سخت را که  
عبارة است از کلفت و مشاق عبادت ، نگاه کرد بدیده عبرت بملک و ملکوت ، پس  
شد صاحب معرفت وبصیرت ، و ذکر کرد خداوند را پس بسیار نمود از ذکر رب  
العزّت ، و سیراب شد از آب خوش شیرین که آسان گردانیده شد از برای او موادر  
آن پس آشامید آبراً اول بار و سبقت نمود بر سایرین و محتاج نشد با آشامیدن دویین  
و سلوک کرد راه راست محفوظ از تفریط و افراط را .

بتحقیق که بر کند از خود پیراهن‌های شهوتها را ، و خالی شد از همه همّها  
و غمّها مگر همّ واحدی که منفرد شده است باو که عبارتست از همّ وصول بقرب  
حق ، پس بیرون آمد از صفت کوری و از مشارکت اهل هوا و غفلت ، و گردید از  
کلیدهای درهای هدایت و از آن‌های بستن درهای هلاکت .

بتتحقیق که دید راه صواب خود را و سلوک نمود در راه راست خود و شناخت  
نشان هدایت خود را از دلایل واضحات ، و بربید از خود آنچه فرو رفته بود در آن  
از شهوات ، و چنگ زد از بندها بمحکم‌ترین آنها و از ریسمانها باستوار ترین آنها

پس او از یقین برمثال نور آفتاب است در تابندگی و درخشندگی، پس نصب کرد نفس خود را از برای خداوند در بلندترین کارها که عبارت باشد از بازگردانیدن جواب هروارد کننده سؤال براو واژ رد نمودن هر فرع از فروع علوم بسوی اصل خود چراغ تاریکیها است، کشف کننده امرهای مشتبه است، راهنمای بیابانها است سخن میگوید پس میفهماند، و ساکت میشود پس بسلامت میمانند.

بتحقیق که خالص نمود عبادت را از برای خدا پس خالص نمود خداوند اورا از برای خود و برگزید او را بابنای جنس بافاضه فیوضات و کمالات، پس او از معدنهاي دين خدا است واز میخهای زمین حقتعالی است.

بتحقیق که لازم گردانیده بر نفس خود عذر را پس هست اول عدالت او دور نمودن هوا و هوس از نفس خود، تعریف میکند حق را و عمل میکند آن، ترك نمینماید عمل خیر را هیچ غایتی مگر اینکه قصد میکند آن را، و نمیگذارد مظنه خیری مگر اینکه آهنگ نمینماید آن را.

بتحقیق که متمکن ساخت کتاب الله المجید را از مهار خود، و جلو خود را بدست او واگذار نمود، پس کتاب عزیز قائد و پیشوای او است، حلول میکند هرجا که حلول میکند بار نفیس کتاب، و نزول مینماید هر مکانی که منزل نموده در آن کتاب، والله أعلم بالصواب.

## الفصل الثاني

وَآخْرُ قَدْ تَسْتَعِيْ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ،  
وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكًا مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلٍ  
زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى أَرَائِهِ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، مُؤْمَنٌ  
النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَمُهَوَّنٌ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ أَقْفُ عِنْدَ الشَّبَهَاتِ

وَفِيهَا وَقَعَ ، وَيَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَيَنْهَا أَضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيْوانٍ ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَبَعُهُ ، وَلَا بَابَ الْعِيْ فَيَصُدُّ عَنْهُ ، وَذَلِكَ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ .

### اللغة

(قد تسمى) بفتح التاء المثلثة الفوقيانية قال في القاموس تسمى بكذا و بالقوم وإليهم انتسب ، وفي بعض النسخ يسمى بصيغة المضارع المجهول من باب فعل وهو الأظهر (الجهائل) جمع الجهالة كالعلاقة والعلاقة و (الأضاليل) من الضلال جمع لا واحد له من لفظه و (ضلال) بضم الضاد جمع ضال كجاهل وجهال وعامر وعمار و (الأشراك) جمع الشرك محرّكة وهو ما يصطاد به و (الزّور) الكذب ومزخرف الكلام قال تعالى : واجتنبوا قول الزّور و(ضجع) ضجوعا من باب نفع وضعت جنبي بالأرض واضطجعت مثله .

### الاعراب

قوله : و آخر بالرّفع صفة لمجذوف معطوف على محلّ اسم ان السّابق في أول الفصل السابق ، قوله : و ليس به ، من زيادة الباء في الخبر و اسم ليس ضمير هستير ، واللام في الصورة والقلب إما عوض عن الضمير المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيّين وبعض البصريّين أي صورته صورة إنسان و قلبه قلب حيوان وعليه خرج الكوفيّيون قوله سبحانه : فإن الجنّة هي المأوى ، والمانعون يقولون في مثل ذلك إن اللام للعهد والضمير مجذوف أي الصورة له أو منه و قالوا في الآية : هي المأوى له .

### المعنى

اعلم أنه لما شرح حال أحب العباد إلى الله سبحانه في الفصل السابق أردف ذلك بشرح حال المبغوضين عنده تعالى فقال ( و آخر قد تسمى عالماً و ليس به ) أي وعبد آخر قد انتسب إلى أهل العلم ونسب نفسه إليهم وليس هو بذلك أوسماء

العوام عالماً (فاقتبس جهائل من جهال وأمثاليل من ضلال) أى تعلم جهالات من كبة وعقايد باطلة من أهل الجهلة واكتسب الآراء الموجبة للانحراف عن قصد السبيل عن أهل الضلال فهذا حذوهن وسلك سبيلهم وصار جاهلاً ضالاً مثلهم (ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور) يعني أنه يغير الخلق بأقواله الباطلة وأفعاله المزخرفة ويجد بهم بها إليه ويوقعهم في شركه وحبالته كما يغير الصياد الصيد يخدعه حتى يوقعه في شركه الذي نسبه له (قد حمل الكتاب على آرائه) أراد عليه السلام أنه حمل كتاب الله على مقتضى رأيه وهوه ، وذلك لجهله بفحواه ومعنىه وقد قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وآله وآله : من فسر القرآن برأيه فليتبوه مقدمه من الناس ، وكفى بكلامه عليه السلام شاهداً أنَّ كلامَ من الفرق المختلفة كالمشبهة والمجسمة والكرامية والأشعرية والمعتزلة وغيرها على كثرتها قد تعلق في إثبات مذهبها بالقرآن ، فكلَّ يأولُه على رأيه ويخرجه على معتقده مع أنَّ قول الكلَّ باطل وتأويل الجميع فاسد.

«وَمَا يَأْلِمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَرَأْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَا  
بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ».

وقوله عليه السلام (وطف الحق على أهوائه) عطف تفسير وتوضيح إذ الكتاب حق وما فيه حق ومن حمله على رأيه فقد طف الحق على هواه وجعل هو احقاً بتأويل ما .

«وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقَّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ»

(يؤمن الناس من العظام ويرون) في نظرهم (كبير الجرائم) بذكر الآيات

الدالة على الوعد والأحاديث المحصلة للطعم والرّجا كقوله تعالى :

«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَنْسَرْفُوا عَلَىٰ أَنْقُسْهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»

وقوله علي حسنة لا يضر معها سيئة ، ونحو ذلك وإنما يهونها في نظرهم ويعتمد منها استجلا بالقلوبهم وطلبًا للوقع عند الجهال من الأمرا وأرباب المناصب ونحوهم من المنهمكين في الشهوات والباغين للذات والمقطعين في الشبهات والمحرّمات الذين لا يبالون في شيء منها طمعا في أنه سبحانه قابل التوبات وغافر الخطئات وما حي السيئات .

وهذا من تسوييات الشيطان اللعين وتدليسات ذلك الفاسق المتوسّم بسمة العالم إذ الخوف توأم الرجاء والوعد ردد الوعيد ، و هو تعالى فهار كما أنه غفار ، فاللازم للعالم أن يلاحظ المقام وينظر موقع الكلام فيوره أدلة الرجاء في مجالس الخائفين ، و آيات الخوف في مجالس الآمنين كيلا ييأس الخائف من روح الله ولا يأمن الآمن من غضب الله .

( يقول أقف عند الشّبهات ) توقياً وتورعاً ( وفيها وقع ) لجهله بها وغفلته عنها والوقوف عندها فرع العلم ( ويقول أتعزل البدع ) المخالفة للقواعد الشرعية ( وبينها اضطجع ) لجهله بها أيضاً ( فالصورة صورة إنسان ) تام الأعضاء والأركان بـ هي الهيئة عذب اللسان ( والقلب قلب حيوان ) له أذنان محجوب عن إدراك حقائق العرفان .

وكان ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم ( لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه ) يعني أنه بسبب جهله المركب لا يعرف قانون الهدایة إلى الرشاد فيلزمـه ، ولا واجه الدخول في الباطل فيفترـه ، وذلك لأنـ الجاـهل المركـب لـمـا أـحد عن سـبيل الله واعـتقد بـخلاف الواقع امـتنـع مع ذلك أنـ يـعرف بـاب الـهدـى وـمبـده الدـخـول إـلـيـه فـلا يـمـكـن لـه اـتـبـاعـه ، ولـمـا اـعـتـقـدـه أـنـ مـا جـزـمـهـ منـ الـبـاطـلـ هوـ الـحـقـ اـمـتنـعـ معـهـ أـنـ يـعـرـفـ مـبـدهـ دـخـولـهـ فيـ الجـهـلـ وـهـوـ بـابـ الـعـمـىـ فـامـتنـعـ مـنـهـ أـنـ يـصـدـ عـنـهـ .

( فـذـلـكـ مـيـتـ الـأـحـيـاءـ ) يعني أنه مـيـتـ فيـ سـلـكـ الـأـحـيـاءـ ، وـ إـنـماـ كانـ مـيـتـاـ

إذ المقصود بالحياة في الحقيقة هو استكمال النفس و اكتساب الفضائل التي هي سبب السعادة الا بدية والعناية السر مدية ، و لما كان الجاهل بمعزل عن ذلك فكان بمنزلة الميت بل ميتا في الحقيقة قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت  
إنما الميت ميت الأحياء

### تنبيه

هذا الفصل من كلام الإمام عليهآلاف التحية والسلام كاف في ذم العلماء السوء والقدح عليهم والطعن فيهم ، وأعني بالعلماء السوء المتصفين بالأوصاف المذكورة في هذا الفصل ، وهم العلماء الآخذون بالبدع والأراء ، والعاملون بالمقاييس والأهواء ، كعلماء العامة وقضاتها الذين لم يأخذوا العلم من ينابيعه ، ولم يتعلّموا القرآن من أهله واستغنووا عن عترة النبي ﷺ وآله وحيثضاق بهم المجال في الوصول إلى حقيقة الحال اضطروا إلى الأخذ بالرأي والقياس ففسّروا القرآن بأرائهم ، وعطّفوا الحق على أهوائهم ، وعملوا في مسائل الحلال والحرام والحدود والأحكام بأقويسهم ، فأبدعوا في الدين ، وغيرروا شرع سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين هذا .

ومثلهم في استحقاق الذم والطعن العلماء السوء منا ، وهم الذين تعلّموا العلم من أهله ، وأخذوه من أحاديث الأئمة ، ورجعوا في تفسير القرآن إلى تفسير خير الأمة إلا أنّهم لم يتعلّموا بعلمهم ، ووصفوا الحق فخالف فعلهم ، وهم علماء الدنيا الذين قصدتهم من العلم التّنّعم بالدنيا والتّوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها .

والآيات والأخبار في ذم هؤلاء وتشديده للأمر عليهم فوق حد الاحصاء ومتجاوزة مرتبة الاستقصاء ، وينبغي أن نورد هنا شطرأ منها مما يناسب المقام .  
فأقول : روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : منهومان لا يشبعان : طالب

دنيا، وطالب علم ، فمن اقتصر من الدّنيا على ما أحلّ الله له سلم ، و من تناولها من غير حلّها هلك إلّا أن يتوب أو يراجع ، ومن أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا ، ومن أراد الدّنيا فهري حظّها :

وعن أبي خديجة عن أبي عبدالله ؓ قال : من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ، و من أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدّنيا والآخرة .

وعن حفص بن غياث عن أبي عبدالله ؓ قال : إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم ، فانّ كلّ محبّ شيء يحوط ما أحبّ و قال ؓ أوحى الله إلى داود ؓ لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتونا بالدّنيا فيصدّك عن طريق محبتي ، فانّ أولئك قطاع طریق عبادي المریدین إلى ، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم .

وعن ربعي بن عبد الله عمن حدّثه عن أبي جعفر ؓ قال : من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوء مقعده من النار ، إنّ الرّياسة لا تصلح إلّا لأهلها .

وعن حفص بن غياث عن أبي عبدالله ؓ قال : يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد .

وعن حفص أيضاً قال : قال أبو عبد الله ؓ : قال عيسى بن مريم ؓ : ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار .

وعن أبي بصير عن أبي جعفر ؓ في قوله تعالى :  
«فَكُبِّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَارُونَ» .

قال : هم قوم وصفوا عدلاً بأسلتهم ثم خالفوه إلى غيره .

وعن سليم بن قيس الهالي قال : سمعت أمير المؤمنين ؓ يحدّث عن النبي ﷺ أنه قال في كلام له : العلماء رجلان : رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج ، و عالم

تارك لعلمه فهذا هالك، وإنَّ أهل النَّار ليتأذُّون من ريح العالم التَّارك لعلمه ، وإنَّ أشدَّ أهل النَّار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة فأدخل الداعي النَّار بترك علمه واتباعه الهوى وطول الأمل ، أمما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأمما طول الأمل فينسى الآخرة و عن عبد الله بن القاسم الجعفري عن أبي عبد الله عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال : إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما ينزل المطر عن الصفا .

أقول : ونعم ما قيل في هذا المعنى :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا  
إذ عبت منهم أمورًا أنت تائثها  
أصبحت تتصحّهم بالوعظ مجتهداً  
الموبيقات لعمري أنت جائيها  
تعيب دنيا وناساً راغبين لها  
وأنت أكثر منهم رغبة فيها  
وفيه عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فسألَه عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثيلها فقال على بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعلموا بما علمتم فان العلم إذا لم ي عمل به لم يزده صاحبه إلا كفراً ولم يزده من الله إلا بعداً .  
وعن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: قلت له : بم يُعرف الناجي ؟ قال عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : من كان فعله لقوله موافقاً فثبتت له الشهادة ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فأنما ذلك مستودع .

أقول: قال الشاعر :

لاتنه عن خلق و تأتي مثله  
عار عليك إذا فعلت عظيم  
هذا والأخبار العامية في ذلك الباب كثيرة جدًا وقد أكثر أبو حامد الغزالى  
في أحياء العلوم من روایتها .

ففيه قال عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه .  
وعنه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أنه قال: لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملًا ، وقال عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : العلم علمن علم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع

و قال عليه السلام إنَّ العالم ليعذَّب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه  
وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول يُؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى  
في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرِّحْي فيطيف به أهل النار  
فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشَّرِّ وآتيه .  
وروى معاذ بن جبل موقوفاً و مرفوعاً في رواية عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال : من  
فتنة العالم أن يكون الكلام أحبَّ إليه من الاستماع ، و في الكلام تنمية و زيادة  
ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفي الصمت سلامة وعلم .

و من العلماء من يخزن علمه فلا يحبُّ أن يوجد عند غيره فذلك في الدِّرك  
الأول من النار ، و من العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن ردَّ عليه  
شيء من علمه أو تهون بشيء من حقه غضب ، فذلك في الدِّرك الثاني من النار ، و من  
العلماء من يجعل علمه و غيره حديثه لأهل الشرف واليسار و لا يرى أهل الحاجة له  
أهلاً فذلك في الدِّرك الثالث من النار ، و من العلماء من ينصب نفسه للفتياً فيقتني بالخطأ  
والله تعالى يبغض المتكلفين ، فذلك في الدِّرك الرابع من النار ، و من العلماء من يتكلّم  
بكلام اليهود والنصارى ليعزِّز به علمه ، فذلك في الدِّرك الخامس من النار ، و من العلماء  
من يتَّخذ علمه مروءة و نيلاؤذ كراً في الناس ، فذلك في الدِّرك السادس من النار ،  
و من العلماء من يستفزَّ الزَّهْو والعجب فان و عظائف ، فذلك في الدِّرك السابع  
من النار ، إلى غير هذه مما رواه فيه ، وهي كافية في الدلالة على عظم وزر العالم في  
معاصيه و كون عذابه أشدَّ و حسرته أدوم .

وسر ذلك أمران : الاول أنَّ العالم إذا عصى ينزل بعصيائه خلق كثير كما قيل :  
إذا فسد العالم فسد العالم ، فمن تناول شيئاً من المحرمات وقال للناس لا تتناولوه  
سخر به الناس واستهزأ و وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون لو لا أنه أطيب  
شيء و أذله لما كان يستأنث به نفسه و يقدم عليه فيقتدي به الخلق في سوء عمله  
ويتبعونه فيلحق به مثل وزرهم ، مضافة إلى وزر نفسه كما قال : من سن ستة سنتين  
كان له مثل وزر من عمل بها .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قسم ظهرى رجالن : عالم متبتّك ، وجاهل متنسّك

فالجاهل يغرس الناس بتنسكه والعالم يغرسهم بتنتهكه.

و الثاني أن عصيان العالم مع اتسافه بصفة العلم كاشف عن منتهى خبث طينته وسوء سيرته وغاية جرئته على مولاه ، وذلك بخلاف الجاهل فإنه إماً جاهل ساذج فلا تكليف في حقه إذ الجهل مانع من أن يتوجه إليه حكم أو خطاب ، فليس في حقه أمر ولا نهى فلا ثواب ولا عقاب ، وإماً جاهل في الجملة فليس له معرفة مثل المعرفة التي للعالم ولذلك جعل الله سبحانه ثواب المطاعات من نساء النبي ﷺ و العاصييات منهنّ ضعف ما لغيرهنّ ، لكونهنّ عارفات عالمات بادر أكهنّ حضور النبي ﷺ وصحبته كما قال عزّ من قائل :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعِفْ لَهَا الْذَّادُ  
صَفَقَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ، وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتَقْتَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرْتَبَتِنِ وَأَغْتَدَنَا لَهَا رِزْقًا كَرِبَا »  
وقال سبحانه : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » .

لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرّاً من النصارى مع أنهم ما جعلوا الله تعالى ولداً ولا قالوا : إنه سبحانه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله : « يَغْرِفُونَهُ كَمَا يَغْرِفُونَ أَبْنَائَهُمْ » وقال : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا  
كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » وفي سورة الجمعة : « مَنَّلُ الَّذِينَ  
حُمِّلُوا التَّوْرِيزَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَخْمِلُ أَسْفَارًا بِثَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ  
الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .

إذا ظهر لك أيّها العالم ذلك فلا يغرسنك الشيطان ولا يصدنك عن سبيل ربّك ولا ينبعي لك أن تعرّض نفسك للهوان ولغضب الرحمن ، ولا يجوز لك أن تؤثّر

دنياك على آخر تك ولا ان تتبع هوى نفسك أو تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك (١)، او تقول مالا تفعل ، فقد كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٢) فالويل كل الويل لمن اتبع هواه وباع آخرته بدنياه .

عجبت لمبتاع الصلاة بالهدى  
وأعجب من هذين من باع دينه

### الترجمة

وشخصی دیگری هست که نسبت داده شده باهل علم وحال آنکه عالم نیست پس کسب نمود جهالتها را از جهال روزگار و ضلالتها را از گمراهن ناپکار ، ونسب نمود از جهه فریقتن مردم دامهای حیلها را از ریسمانهای فریب واز گفتار دروغ ، بتحقیق که حمل کرده کتاب مجید را بر رأیهای باطل خود ، و میل داده حق را بر آرزوهای عاطل خود ، ایمن میگرداند مردم را از گناهان عظیم و آسان میگرداند جرمهای بزرگ را .

میگوید که وقوف میکنم و باز می ایstem از شبهه ها و حال آنکه در آنها افتاده ، و می گوید که اعتزال میکنم و کناره جوئی مینمایم از بدعتها وحال آنکه در میان آنها خواب کرده ، پس صورت آن مثل صورت انسان است و قلب آن مثل قلب حیوان ، پس نمیشناسد باب هدایت را تا پیروی کند آن را ، ونه باب ضلال را پس باز ایستاد از آن ، پس این شخص کذا ئی مردہ زنده است چه متصرف است بجهل ابدی که موت است در صورة حیاة .

### الفصل الثالث

**فَأَنِّي تَذَهَّبُونَ، وَأَنِّي تُؤْفَكُونَ، وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ**

١- قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أفسكم منه

٢- اقتباس من الآية .

واضحة، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبٌ بِهِ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ، وَبَيْنَكُمْ  
عَدْرَةٌ تَبِيكُمْ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالْأَسِنَةُ الصَّدْقَ،  
فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرَدُوْهُمْ وَرُودَ الْهِمَمِ الْمُطَاشِ، أَيْهَا  
النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُلْكُ لِلّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ- إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَا وَلَيْسَ  
بِمَيِّتٍ، وَيَبْلُى مَنْ بَلَى مِنَا وَلَيْسَ بِيَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرُفُونَ،  
إِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيهَا تُشْكِرُونَ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا  
هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيْكُمْ بِالنَّقْلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتُرْكُ فِيْكُمُ الْقُلْ الْأَنْفَرِ،  
وَرَكَزْتُ فِيْكُمْ رَايَةَ الْأَيْمَانِ، وَفَقَتَكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ،  
وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِيِّ، وَفَرَّشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي،  
وَأَرْيَتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيهَا لَا يُدْرِكُ  
قُرْبَهُ الْبَصَرُ، وَلَا يَتَغَلَّلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ.

## اللغة

(أفك) أفك كذب وافكه عنه صرفه وقلبه أو قلب رأيه و (المنار) العلم المنصوب في الطريق ليهتدى به الضال والموضع المرتفع الذي يوقد في أعلى النار و (تاه) تيها وتيهاناً ضلّ وتحير وتاه في الأرض ذهب متخيّراً ومنه قوله تعالى :

« يَتَهَوَّنَ فِي الْأَرْضِ ».

أى يحارون و يضللون و (عمه) في طغيانه عمهها من باب تعب إذا تردد متخيّراً قال سبيحانه :

## « في طُفْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ » .

ورجل عمه وعامة أئمّة متحيّر حاير عن الطريق و (وره) البعير وغيره الماء ورداً ووروداً بلغه ووافاه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه و (الهيم) بالكسر الابل العطاش و (بلى) الشوب يبلى من باب رضى بلى بالكسر والقمر وبلاه بالضم والمد و (الثقل الأكبير) في بعض نسخ الكتاب بكسر الشاء و سكون القاف و (الثقل الأصغر) بالتحريك قال بعض شراح الحديث في شرح قول النبي ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي : إنه من الثقيل سميّا بذلك لكون العمل بهما ثقيلاً والأكثر على أنه من الثقل محرّكة قال في القاموس و الثقل محرّكة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نقيس مصون ، ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين آه و (ركزت الرمح) و نحوه ركزاً من باب قتل أئبيه بالأرض فارتكتز و (فرشت) البساط وغيره فرشاً من باب قتل وضرب بسطته و (تغلغل) تغللاً أسرع .

### الاعراب

أين اسم استفهام سؤال عن المكان ، وأنني تؤفكون بمعنى كيف كما فسر به قوله « فَأَنْتُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي شَتْمُ » .

والقصد بالاستفهام التوبيخ ، والواو في قوله ﷺ : والأعلام قائمة للحال ، وكذلك في قوله وبينكم ، والفاء في قوله فأنزل لهم فصيحة ، والضمير في قوله خذوها راجع إلى ما يفهم من المقام من الفايدة والرواية ونحوهما على حد قوله : توارت بالحجاب و قوله ألم أعمل إماماً استفهام تقريري لما بعد النفي أو إنكار إبطالي وهو الأظهر ، وجملة أنه يموت آه بدل من مفعول خذوها ، فإن المشهور جواز إبدال الظاهر من الضمير إذا كان غائباً .

### المعنى

اعلم أنه ﷺ لما شرح في الفصلين السابقين حال المتقين و الفاسقين

وذكر في بيان صفات الفساق انهم أخذوا بالجهالة والضلاله من الجهال والضلال عقب ذلك بالأمر بـ ملائمة أئمّة الدين وأعلام اليقين لكونهم القادة الـ هداة أدلة على طريق النّجاة وكون لزومهم باعتماد التّقوى ومحصلة للقربى ووبخ المخاطبين أولاً بـ بـ صدّهم عن الحقّ وميلهم إلى الباطل وعدولهم عن أئمّة الأئمّة عليهم الصلاة والسلام بقوله : (فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ ) أى أى طریق تسلکون أبین من طریق الحقّ وهذه الجملة مأخوذة من قوله سبحانه في سورة التكوير :

« وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ، وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفْقِ الْبَعْدَينَ ، وَمَا هُوَ عَلَى الْقَيْبِ بِضَنِينَ ، وَمَا هُوَ بِقُولِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْأَعْالَمِينَ ، لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ». »

روى علي بن ابراهيم في تفسير هذه الآية عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : حدثنا عبد الله بن موسى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : قلت : قوله :

« وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ »

قال : يعني النبي ﷺ ما هو بمجنون في نصبه أمير المؤمنين عليهما السلام للناس  
قلت قوله :

« وَمَا هُوَ عَلَى الْقَيْبِ بِضَنِينٍ »

قال ما هو تبارك وتعالى على نبيه بغييه بضنين عليه قلت :

« وَمَا هُوَ بِقُولِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ »

قال : كهنة الذين كانوا في قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشيطان الذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم فقال : وما هو بقول شيطان رجيم مثل أولئك قلت .

« فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْأَعْالَمِينَ »

قال ﷺ أين تذهبون في عليّ يعني ولايته أين تفرّون منها إن هو إلا ذكر للعالمين  
أخذ الله ميشافه على ولايته قلت قوله :  
« لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ » .

قال في طاعة عليّ و الأئمة من بعده ( وأنى توفكون ) أى تصرفون عن  
عبادة الله إلى عبادة غيره وتقلبون عن طريق الهدى إلى سمت الضلال والردى كما  
قال تعالى في سورة الأنعام :

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبَّ وَ النَّوْرُ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَ يُخْرِجُ  
الْمَيْتَ مِنَ الْحَيَّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنِّي مُتَوَفِّكُونَ » وفي سورة الملائكة :  
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ  
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي مُتَوَفِّكُونَ » وفي سورة المؤمن :  
« ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي مُتَوَفِّكُونَ  
كَذِلِكَ يُوْقَلُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ » .

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية أى الذى أظهر هذه الدلائل وأنعم بهذه النعم  
هو الله خالقكم و مالكم خالق كل شيء من السموات والأرض وما بينهما لا  
يستحق العبادة سواه فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره معوضوح الدلة  
على توحيده هذا .

و لا يخفى عليك أن ما ذكرته في شرح هذه الفقرة إنما هو أخذًا بظاهر  
كلامه ﷺ ولكن الأظهر بمقتضى السياق أنه ﷺ أراد بها توبیخ المخاطبين  
على العدول عنه فيكون معنى قوله : أنني توفكون أنني تقلبون عنّي وعن ولايتي  
و ملازمتي .

و مثل ذلك قوله ﷺ ( والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة ) فانه يجوز أن يراد به أعلام القدرة و آيات المقدرة و آثار التوحيد و منار التفريد و أدلة الوجود من المهادم الموضوع و السماء المرفوع و اختلاف الليل والنّهار و الفلك الجاري في البحر الزخار والمطر النازل من السحاب الذي أحيني به الأرض بعد موتها وبث فيها من الدواب إلى غير هذه من دلائل التوحيد و الجلال و علامات الكمال و الجمال . إلا أنّ الأظهر أن المراد بها هو أعلام الدين و آيات اليقين و منار الهدى وأئمّة الورى ، ويشهد بذلك ماورد في حديث وصفهم ﷺ : جعلتهم أعلاما لعبادك ومناراً في بلادك أى هداة يهتدى بهم .

ويدل عليه الأخبار الواردة في أنّهم ﷺ آيات الله و بيناته ، مثل ما في البحار من تفسير علي بن إبراهيم مسندًا عن أبي حمزة قال : سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله عز وجل :

« الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَ مَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ». »

قال أبو جعفر ﷺ : نزلت في الذين كذبوا في أوصيائهم صم و بكم كما قال الله في الظلمات من كان من ولد إبليس فانه لا يصدق بالوصياء ولا يؤمن بهم أبداً ، وهم الذين أضلّهم الله و من كان من ولد آدم ﷺ آمن بالوصياء و هم على صراط مستقيم قال : وسمعته يقول : كذبوا بآياتنا كلّها في بطن القرآن ان كذبوا بالوصياء كلّهم ، ومنه في قوله :

« وَ الَّذِينَ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ». »

قال: أمير المؤمنين ﷺ والأئمّة صلوات الله عليهم ، والدليل على ذلك قوله أمير المؤمنين ﷺ : ما الله آية أكبر مني .

و منه بسانده عن داود بن كثير الرقي قال : سألت أبا عبد الله ﷺ عن قوله :

« وَمَا تُفْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ».

قال ﷺ: الآيات الأئمة والنذر الأئمّة نبياء ﷺ في قوله :

ومنه عن أبيه عن ابن أبي عمر عن هشام عن أبي عبد الله ظاهر في قوله : « إِنْ شَاءَ نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاصِّينَ »

قال تخضع رقابهم يعني بني أمية ، وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر ظاهر إلى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في تفسير الآيات القرآنية مما لا يطيل بروايتها ، فقد ظهر بذلك كله أنهم المراد بالأيات الواضحة فيكون إطلاقها عليهم باعتبار أنهم علامات جليلة واضحة لعظمة الله وقدرته وعلمه ولطفه ورحمته .

فما آية الله أكبر منهم فهم آية من دونهم كل آية

سرى سر هم في الكائنات جميعها فمن سر هم لم يخل مثقال ذرة

هذا قوله (فأين ينـاهـ بـكـمـ بلـ كـيفـ تـعمـهـونـ) تأكـيدـ لـقولـهـ فـأـينـ تـذـهـبـونـ وأـنـىـ تـؤـفـكـونـ ، فـانـهـ لـمـاـ سـأـلـهـمـ عنـ إـفـكـهـمـ وـ ذـهـابـهـمـ وـ وـبـخـهـمـ عـلـيـهـ أـكـدـهـ بـذـلـكـ

مشيراً به إلى أنّ الإفك والذهاب موجب لتجبرهم وتحيرهم وعمدهم وضلالتهم .

وأكـدـ الجـملـةـ الحـالـيـةـ السـابـقـةـ أـعـنىـ قولهـ : والأـعـلامـ قـائـمـةـ الخـ بـقولـهـ (وـبـينـكـمـ عـتـرـةـ نـبـيـكـمـ) مشـيراـ بهـ إـلـىـ أـنـهـ المـرـادـ بـالـأـعـلامـ وـالـآـيـاتـ ،ـ وـالـمـرـادـ بـعـتـرـةـ النـبـيـ

الـأـئـمـةـ ظـاهـرـهـ .

ويـدلـ عـلـيـهـ ماـ فـيـ الـبـحـارـ مـنـ الـعـيـونـ وـمـعـانـيـ الـأـخـبـارـ عـنـ الـهـمـدـانـيـ عـنـ عـلـيـ

عنـ أبيـهـ عـنـ ابنـ أبيـ عمرـ عـنـ غـيـاثـ بـنـ إـبـراهـيمـ عـنـ الصـادـقـ عـنـ آـبـائـهـ ظـاهـرـهـ .

قالـ :ـ سـئـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ ظـاهـرـهـ عـنـ معـنـىـ قولـ رـسـولـ اللهـ ظـاهـرـهـ :ـ إـنـىـ مـخـلـفـ فـيـكـمـ

الـثـقـلـيـنـ كـتـابـ اللهـ وـعـتـرـتـيـ مـنـ الـعـتـرـةـ ؛ـ فـقـالـ :ـ أـنـاـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـينـ وـالـأـئـمـةـ التـسـعـةـ

مـنـ وـلـدـ الـحـسـينـ ظـاهـرـهـ تـاسـعـهـمـ مـهـدـيـهـمـ وـقـائـمـهـمـ لـاـ يـفـارـقـونـ كـتـابـ اللهـ وـلـاـ يـفـارـقـهـمـ

حتـىـ يـرـدـواـ عـلـىـ رـسـولـ اللهـ ظـاهـرـهـ حـوـضـهـ .

وسيأتي في شرح الخطبة الثالثة والتسعين مزيد تحقيق في معنى العترة إنشاء الله (وهم أزمة الحق وألسنة الصدق) يعني أنهم عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ القائدون يقودون الخلق إلى الحق كما تقاد الناقة بالزمام إلى الطريق، وهم ترجمة الوحي كما أن اللسان ترجمان النفس ويدل على الأول وصفهم في فقرات الزيارة الجامعة بقوله: وقادة الأمم، يعني أنهم عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ قادة الأمم إلى معرفة الله ودينه يقودونهم بدعائهم وتعريفهم وأمرهم وترغيبهم إلى المعرفة والدين، فمن أجانب قادوه إلى الجنة ومن أناب ساقوه إلى النار كما قال عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ: أنا قسيم الجنة والنار، وهو نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجّار.

ويدل على الثاني وصفهم عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ في فقرات الزيارة المذكورة بقوله: وترجمة لوحيه، يعني أنهم المؤدون من الحق إلى الخلق فلا يخفى ما بين القرینتين في كلامه عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ من الحسن واللطف حيث إنّ محصل معناهما أنهم عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ دلائل للخلق على الحق ووسائل للحق إلى الخلق هذا.

ويجوز أن يكون المراد بقوله: وهم أزمة الحق أن زمام الحق بيدهم عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ فيكون مساقه قول رسول الله ﷺ الْحَقُّ مَعَهُ مَنْ شَاءَ الحق مع علي وهو مع الحق أينما دار. ومن طرق الخاصة متواترا عن النبي عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم: الحق مع الأئمة الاثني عشر، وفي فقرات الزيارة الجامعة: والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه.

وأن يكون المراد بقوله عَلَيْهِمُ الْكَبَرُ وألسنة الصدق أنهم لا يقولون إلا صدقاً وحقاً فيكون تصديقاً لدعاء إبراهيم حيث إنه دعا ربّه بما حكاه الله عنه بقوله في سورة الشعرا:

«وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدِقٍ فِي الْآخِرَينَ».

أى اجعل صدقاً من ذريتي يجد أصل ديني ويدعوا الناس إلى ما كنت أدعوه إليهم، فاستجاب الله دعوته وأصطفى من ذريته ممداً وآلها صلوات الله وسلامه عليه

وعلّهم وجعلّهم لسان صدق له .

ويؤيد ذلك ما في تفسير القمي عند قوله :

« وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدْقٍ ». .

قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام وفي مجمع البيان في تفسير قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »

قال الطبرسي في تفسيره : أى اتقوا معاصي الله واجتنبوا وكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون ، و معناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبهم ورافقوهم وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله :

« وَلَكِنَ الْبَرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » إلى قوله : « أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ». .

فأمر سبحانه بالاقداء بهؤلاء ، و قيل : المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله :

« رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ». .

يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب .

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » يعني علي بن أبي طالب عليه السلام .

وروى الكليني عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كونوا مع الصادقين مع علي عليه السلام وأصحابه .

وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله وكونوا مع الصادقين ، قال : مع آل محمد سلام الله عليهم .

ثم إنه عليه السلام بعد توصيف العترة الطاهرة بأنهم أئمة الحق وألسنة الصدق أمر بتعظيمهم وإجلالهم بقوله ( فأنزلوه بأحسن منازل القرآن ) قال الشارح المعترلي في شرحه إنه عليه السلام أمر المكلفين أن يحرروا العترة في إجلالها و إعظامها

والانقياد والطاعة لاً وامرها مجرى القرآن .

وقال الشارح البحرياني: اعلم أن للقرآن منازل: الأولى القلب وهو فيه بمنزلتين: إحداهما منزلة الأكرام والتعظيم، والثانية منزلة التصور فقط، الثالثة منزلته في الوجود اللساني بالتلاؤم، الرابعة منزلته في الدفاتر والكتب، وأحسن منازله هي الأولى فالمراد إذن الوصية بأكرامهم ومحبّتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم .

أقول: فعلى ما ذكره يكون معنى كلامه عليه السلام أنزلوهم بأحسن المنازل التي كانت للقرآن ، والأظهر عندي أن معناه أنزلوهم بأحسن المنازل التي أتبتها القرآن لهم ، فإن المنازل الثابتة لهم عليه السلام بالأيات القرآنية متفاوتة مختلفة في العلو والرقة فأمر عليه السلام بانزالهم بأحسن المنازل وأحسن المراتب ، وهو بأن يستمسكوا بأظهر الآيات دلالة على رفعة شأنهم وعلو مقامهم مثل قوله سبحانه: «إِنَّا وَلِكُمْ أَنَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آتَيْنَا الَّذِينَ يُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَمَمْ رَأَكُونُ» الدال على خلافتهم ولا ينتم (ع) قوله: «إِنَّمَا يُبَيِّدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» الدال على عصمتهم وطهارتهم قوله: «قُلْ لَا أَسأْلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» ) الدال على ملازمتهم ومودتهم

روى الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية الأخيرة من كتاب شواهد التنزيل مرفوعا إلى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله عليه السلام: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقنا أنا وعلي من شجرة واحدة فأننا أصلها وعلى فروعها

والحسن والحسين ثمارها وشيعتنا أوراقها ، فمن تعلق بغضن من أغصانها نجا ، ومن زاغ هوى ، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشنالي ثم لم يدرك محبستنا أكبشه الله على من خريه في النار ثم قال : تلا :

( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُربَىٰ ) .

قال الطبرسي وروى زاذان عن علي عليهما السلام قال : فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية وإلي هذا وأشار الكميـت في قوله :

وَجَدَنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمْ آيَةً تَأْوِلُهَا مَنْتَ تَقِيٌّ وَمَعْرِبٌ  
وَفِي الْبَحَارِ ذَكَرَ أَبُو حِمْزَةَ الشَّمَالِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ حَدَّثَنَا عُثْمَانَ بْنَ عُمَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَرٍ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَاسْتَحْكَمَ الْإِسْلَامُ قَالَتِ الْأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : نَأْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ فَنَقُولُ لَهُ إِنَّهُ تَعْرُوكُ امْرَوْ فَهَذِهِ أُمُوْ النَّاسِ فَاحْكُمْ فِيهَا غَيْرَ حِرجٍ وَلَا مَحْظُورٍ عَلَيْكَ ، فَأَتَوْهُ فِي ذَلِكَ فَنَزَلَ :

( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُربَىٰ )

فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ تَوَدَّ وَنَقْرَابِيَّ مِنْ بَعْدِي ، فَخَرَجُوا مِنْ عَنْدِهِ مُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : إِنَّ هَذَا لِشَيْءٍ افْتَرَاهُ فِي مَجْلِسِهِ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَذَلِّلَنَا لِقَرَابَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَنَزَلَتْ :

( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَىَ اللَّهِ كَذِبًا ) .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ فَبَكَوْا وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

( وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ) الآيَةُ .

فَأَرْسَلَ فِي أَثْرِهِمْ فَبَشَّرَهُمْ وَقَالَ : وَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَهُمُ الَّذِينَ سَلَّمُوا لِقَوْلِهِ ثُمَّ قَالَ سَبَحَانَهُ :

( وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدُّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ) .

أى من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بـأن نوجب له الثواب .  
و ذكر أبو حمزة الشعابي عن السدي أنه قال : اقتراف الحسنة المودة

آل محمد

وصح عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه خطب الناس فقال في خطبته : أنا من أهل البيت افترض الله مودة لهم على كل مسلم فقال :  
( قُلْ لَا أَنْسَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَةُ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدُّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ) .

فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

وروى اسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبدالله عليهما السلام أنه قال : إنها نزلت  
فينا أهل البيت أصحاب الكساء اتهى كلامه رفع مقامه .

وقال الفخر الرازى في التفسير الكبير نقل صاحب الكشاف عن النبي عليهما السلام  
أنه قال : من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا و من مات على حب آل محمد مات  
مغفوراً له ، ألا و من مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا و من مات على حب آل محمد  
مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا و من مات على حب آل محمد بشارة ملك الموت بالجنة  
ثم منكر و نكير ، ألا و من مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما يزف العروس  
إلى بيت زوجها ، ألا و من مات على حب آل محمد فتح له في قبره باباً إلى الجنة ، ألا  
و من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمة ، ألا و من مات على  
حب آل محمد مات على السنة والجماعة .

ألا و من مات على بعض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوباً بين عينيه آيس من  
رحمة الله ، ألا و من مات على بعض آل محمد مات كافراً ، ألا و من مات على بعض آل محمد  
لم يشم رايحة الجنة ، قال : هذا هو الذي رواه صاحب الكشاف .

وأنا أقول: آل محمد بِالْقَطْنَةِ هم الذين يُؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ولا شكّ أنّ فاطمة وعليها والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلقات ، وهذا كالعلم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل ، وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب ، وقيل هم أمتهم فان حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الامة الذين قبلوا دعوه فهم أيضاً آل، ثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل مختلف فيه .

قال: وروى صاحب الكشاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من فرابتكم هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال بِالْقَطْنَةِ على و فاطمة وابنها ، ثبت أنّ هؤلاء الأربع أقارب النبي بِكَلِيلِ بَعْلَيْهِ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم

ويدلّ عليه وجوه : الأول قوله تعالى «إلا المودة في القربي» والثاني لا شكّ أنّ النبي بِالْقَطْنَةِ كان يحبّ فاطمة عليها السلام قال بِكَلِيلِ بَعْلَيْهِ : فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ، وثبت بالنقل المتواتر من محمد بِالْقَطْنَةِ أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الامة مثله لقوله :

( وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) ولقوله: ( فَلَيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) ولقوله: ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُعِظِّبُكُمُ اللَّهُ ) ولقوله سبحانه: ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ) .

الثالث أنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشديد في المسألة وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدًا وآل محمد ، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمد واجب ، وقال الشافعي:

ياراكباً قف بالمحصب من مني  
سحرأ إذا فاض الحجيج إلى مني  
إن كان رفضاً حب آل محمد  
انتهى كلام الرازي خذله الله

واهتف بساكن خيفها والناهض  
فيضاً كما نظم الفرات الفائض  
فليشهد الشقلان أني راضى

اقول : ولا يكاد ينقضى عجبى من هذا الناصب أنه مع نقله تلك الأخبار  
المستفيضة المتفق عليها بين الفريقين واقراره بهذه الفضائل للآل كيف يتعمّص  
في حق أمته ويرضى بخلاقتهم ويدع عن باماتهم مع أن دلالة هذه الأخبار على كفرهم  
وشقاوتهم غير خفية إذ بغضهم لأهل بيته الرّسول في حياته وبعد وفاته ظاهر ،  
وأذاهم لبعضه في إحرارها وإسقاط جنينها وغصب فدك منها واضح ، وتسلیطهم  
بني امية وبني أبي معیط على رقاب أهل البيت و ماجرى من الظلم والجور بسبب  
ذلك عليهم فالليلة غنى عن البيان ، وإنما أنطق الله لسانه على الحق إتماماً للحجّة  
وإكمالاً للبيان لئلا يقول يوم القيمة :

(إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» «وَمَنْ  
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) .

ثم إن الشّارح المعترلى قال في شرح هذه الفقرة أعني قوله عليه السلام : فأنزلوهم  
بأحسن منازل القرآن بعد كلامه الذي قدّمنا ذكره :  
فإن قلت : فهذا القول منه عليه السلام يشعر بـأن العترة معصومة فما قول أصحابكم  
في ذلك ؟

قلت : نص أبو محمد بن شنويه في كتاب الكفاية على أن عليه السلام معصوم  
وإن لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الامامة لكن أدلة النصوص قد دلت  
على عصمته و القطع على باطنها ونفسه وإن ذلك أمر اختص هو به دون غيره من  
الصحابة ، والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم وبين قولنا زيد واجب العصمة ، لأنّه  
امام و من شرط الامام أن يكون معصوما فالاعتبار الأول مذهبنا والاعتبار الثاني

مذهب الامامية انتهى كلامه هبط مقامه .

وفيه أنسك قد عرفت في مقدمات شرح الخطبة الشقشيقية بما لا يزيد عليه وفي غيرها أيضاً أن العصمة شرط في الامامة ، ومحصل ما قلناه هناك : أن غير المعصوم لا يؤمن منه الخطأ والضلال فكيف يأمنه الناس في ضلالته وخطائه ، وإن شئت زيادة الاستئصال فارجع ثمة .

وأماماً قوله عليه السلام ( و رودهم ورودالهيم العطاش ) فأشار به إلى اقتباس العلوم و اكتساب الأُنوار منهم ، فانهم ( ع ) لما كانوا ينابيع العلوم وكان علمهم بمنزلة العذب الفرات و كان الخلق محتاجين إليهم في ذلك حسن منه عليه السلام أن يأمرهم بورودهم ويشبهه ورودهم بورود الابل الظمان على الماء وهو نظير قوله سبحانه .  
 ( فَاسْتَلِوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) .

قال الحارث سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية قال : والله إننا نحن أهل الذكر نحن أهل العلم نحن معدن التأويل والتنزيل .

ثم إنّه عليه السلام لما ذكر فضائل الأَلْ و مناقبهم عقب ذلك وأكده بذكر منقبة أخرى وفضيلة عظمى رواها عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال ( أيّها الناس خذوه عن خاتم النّبيّين ) وسيّد المرسلين ( صلوات الله عليه وآله وسلامه ) أجمعين ( إنّه يموت من مات مثـا و ليس بميـت ويبـلى من بـلى مـثـا و ليس بـيـال )

اعلم أنّ هذا الحديث من مشكلات الأحاديث ومتشابهاتها وقد اختلف في توجيهه أنظار الشرّاح و تأوّلـه كلـ بما يقتضيه سليقهـ و مذاقهـ ، و أعظمـهم خطـطاـ وأشدـهم وهمـ الشارح البحرانيـ مع فضلـه وذـكائهـ وبراعـتهـ في علمـ الحـكمـةـ حـسـبـماـ تطلعـ عليهـ و لاـ غـرـ وفيـهـ فـانـ الحـكمـةـ بـعيـدةـ عنـ مـذاـقـ الـأـخـبارـ وـ حـاجـةـ منـ اـقـتـبـاسـ الـأـنـوارـ وـ الـأـسـرـارـ المـوـدـعـةـ فـيـ كـنـوزـ أـحـادـيـثـ الـأـئـمـةـ الـأـطـهـارـ .

و أنا أتمسـكـ فيـ شـرـحـ المـقامـ بـحـمـلـ العـنـيـةـ الـأـزـلـيـةـ وـ أـسـتـمـدـ منـ الحـضـرةـ الـإـلـهـيـةـ وـ أـسـتـمـكـ بـذـيـلـ أـهـلـ بـيـتـ الـعـصـمـةـ وـ الـطـهـارـةـ ، وـ أـبـيـنـ أوـ لـاـ جـهـةـ الـأـشـكـالـ وـ هوـ

أن كلامه عليه السلام بظاهره متناقض حيث إنّه نفى الموت والبلا عنهم بعد إثباته عليهم والإيجاب ينافي السلب والسلب للإيجاب، وأيضاً أنّهم عليهم الصلاة والسلام هل يحكم بموتهم وبلاتهم في الواقع ونفس الامر على ما هو مقتضى الشطر الإيجابي من القضيتين أولًا يحكم بشيءٍ منها في حقّهم على ما يقتضيه الجزء السلبيّ منها، فأقول وبالله التوفيق: إن حلّ الاشكال في المقام موقف على تحقيق الكلام في كلّ من القضيتين وبه يرتفع التناقض من البين.

فاما القضية الأولى فمحصل القول فيها أن النبى و الأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلا الحجّة المنتظر عجل الله فرجه قد انتقلوا من دار الدّنيا إلى دار الآخرة وخرجت أرواحهم من أجسادهم وجرى الموت عليهم حقيقة كما هو نصّ الجزء الإيجابي من هذه القضية ، ونفي الموت عنهم إنما هو من مفتريات عبد الله ابن سبا ومن حذوه من الغلاة مخالف لاجماع الأمة و لنص الكتاب والسنة وقد قال سبحانه :

( إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ) وقال: ( وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّشْدُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ) .

وأما سبب الموت عنهم عليه السلام في الجزء الثاني من القضية فهو محمول على حياتهم بأجسادهم المثالية كما هو مذهب جمّع من أصحابنا على ما حکى عنهم الطبرسي في مجمع البيان في تفسير قوله:

( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاهُ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ) .

وإليه ذهب المحدث المجلسي في كتاب حق اليقين ونسبة فيه على ما بيالي إلى المفيد (ره) .

وقال في البحار في المجلد الرابع عشر منه: ونحن لا ننكر إلا جساد المثالية

و تعلق الاً رواح بها بعد الموت بل تشتتها لدلالة الاً حاديث المعتبرة عليها ، بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضاً فتتعلق بها الاً رواح في حال النوم و شبهه من الاً حوال لضعف تعلقها بالأُ جساد الاُ صلية في sisir بها في عوالم الملك والملائكة ولا تستبعد في الاً رواح القوية تعلقها بالأجساد المثالية الكثيرة ، و تصرّفها في جميعها في حاله فلا يستبعد حضورهم ﷺ في آن واحد عند جمع كثير من المحضررين و غيرهم .

و قال (ره) في المجلد التاسع منه بعد نقله رواية البرسى في مشارق الاً نوار استقبال أمير المؤمنين و حضوره جنازة نفسه في ظهر الكوفة عند تشيم الحسينين عليهما السلام :  
ولَا أردّ هذه الرّواية لورود الاُ خبار الكثيرة الدالّة على ظهورهم ﷺ بعد موتهم في أجسادهم المثالية كما نقلنا عنه في شرح الكلام التاسع والستين ، ولا بعد في ذلك أى في ثبوت الاُ أجساد المثالية لهم ، فقد ثبت ذلك في حقّ المؤمنين الذينهم من فاضل طينتهم وأشعة أنوارهم فكيف وهو عليهما السلام أمير المؤمنين و هو أولاده المعصومون سادات أهل الإيمان واليقين بهم سعد من سعدوا بولائهم فاز من فاز وكلُّ الكلمات فيهـم ومنهم وبـهم وإـليـهم .

روى الكليني في الكافي باسناده عن القاسم بن محمد عن الحسين بن محمد عن أبي عبد الله عليهما السلام فـقال : ما يقول الناس عن يونس بن طبيان قال : كنت عند أبي عبد الله عليهما السلام فقال : ما يقول الناس في أرواح المؤمنين ؟ فـقلـتـ : يقولـونـ تكونـ فيـ حـوـاصـلـ طـيـورـ خـضـرـ فيـ قـنـادـيلـ تـحـتـ العـرـشـ ، فـقـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ عليهما السلامـ : سـبـحـانـ اللهـ الـمـؤـمـنـ أـكـرـمـ عـلـىـ اللهـ مـنـ أـنـ يـجـعـلـ رـوـحـهـ فيـ حـوـصـلـةـ طـيـرـ ، يـاـ يـوـنـسـ إـذـاـ كـانـ ذـلـكـ أـتـاهـ مـحـمـدـ وـعـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ وـالـمـلـائـكـةـ الـمـقـرـ بـونـ ﷺ فـإـذـاـ قـبـضـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ صـيـرـ تـلـكـ الرـوـحـ فـيـ قـالـبـ كـفـالـبـهـ فـيـ الدـنـيـاـ فـيـأـكـلـونـ وـيـشـرـبـونـ ، فـإـذـاـ قـدـمـ عـلـيـهـمـ الـقـادـمـ عـرـفـوهـ بـتـلـكـ الـسـوـرـةـ الـتـيـ كـانـتـ فـيـ الدـنـيـاـ .

ورواه في مجمع البيان عن تهذيب الأحكام للشيخ عن القاسم بن محمد نحوه .  
وفي الكافي باسناده عن أبي بصير قال قلت لاً بي عبد الله عليهما السلام : إنـاـنـتـحدـعـ عنـ أـرـواـحـ

المؤمنين أنها في حوصل طيور خضر ترعى في الجنة وتأوى إلى فناديل تحت العرش فقال عليهما السلام : لا إذن ماهى في حوصل طير ، قلت : فأين هي ؟ فقال عليهما السلام في روضة كهيئة الأجساد في الجنة .

وفي مجمع البيان والصافي من التهذيب عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليهما السلام عن أرواح المؤمنين ، فقال : في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان . و كيف شأن فلا غبار على ذلك ، و إطباقي المشايخ على القدر في يونس بن طبيان و نسبتهم له إلى الغلو و الكذب مع مدح بعضهم له وتلقى جمع منهم روایته هذه بالقبول وبنائهم على مضمونها مع اعتقادها بالرّوايات الآخر لا يقدح في روایته هذه والعمل عليها ، هذا هو الذي يقتضيه النظر الجليل في توجيه سلب الموت عنهم (ع) . وأمّا الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن يقال بحياتهم بعد موتهم بأجسادهم الأصلية التي كانت في الدنيا ، ولا غرو فيه بعد دلالة الأخبار المعتبرة عليه .

مثل ما في الوسائل في باب كراهة الأشراف على قبر النبي عليهما السلام من فوق عن الكليني عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن جعفر بن المثنى الخطيب قال : كنت بالمدينة و سقف المسجد الذي يشرف على القبر قد سقط ، و الفعلة يصعدون و ينزلون ونحن جماعة ، قلت لأصحابنا : من منكم له موعد يدخل على أبي عبدالله عليهما السلام الليلة ؟ فقال مهران بن أبي نصر : أنا ، وقال إسماعيل بن عمّار الصيرفي : أنا ، قلنا : سلاه عن الصعود لنشرف على قبر النبي عليهما السلام ، فلما كان من الغد لقيناهما فاجتمعنا جميعاً ، فقال إسماعيل : قد سألناه لكم عما ذكرتم فقال : ما أحب لأحد منهم أن يعلوه فوقه ولا آمنه أن يرى منه شيئاً يذهب منه بصره أو يراه قائماً يصلّي أو يراه مع بعض أزواجه .

و في البخار من المناقب لابن شهر آشوب عن عبد الله بن سليمان و زياد بن المنذر و الحسن العباس بن حرثش كلّهم عن أبي جعفر عليهما السلام وأبان بن تغلب و معاوية ابن عمّار و أبو سعيد المكاري كلّهم عن أبي عبدالله عليهما السلام أن أمير المؤمنين عليهما السلام لقى الأول فاحتج عليه ثم قال : أترضى برسول الله عليهما السلام بيني وبينك ؟ فقال :

وَكَيْفَ بِذَلِكَ ؟ فَأَخْذَ بِيَدِهِ فَأَتَى بِهِ مَسْجِدًا قَبَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ فَقْضَى لَهُ عَلَى الْأَوَّلِ .

وَفِيهِ مِنْ إِرْشادِ الْقُلُوبِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ ذَكَرَ فِيهِ احْتِجاجَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِحَدِيثِ الْغَدِيرِ وَغَيْرِهِ قَالَ أَبُوبَكْرٌ : لَقَدْ ذَكَرْتُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ الْوَيْكُونِ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام شَاهِدًا فَأَسْمَعَهُ مِنْهُ ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِذَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام حَيًّا وَيَقُولُ لَكَ إِنَّكَ ظَالِمٌ لِي فِي أَخْذِ حَقِّي الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِي وَلِرَسُولِهِ دُونَكَ وَدُونَ الْمُسْلِمِينَ أَتَسْلِمُ هَذَا إِلَّا مِنْ إِلَيْهِ وَتَخْلُصُ نَفْسَكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ أَبُوبَكْرٌ : يَا أَبَا الْحَسْنَ وَهَذَا يَكُونُ أَرْيَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام حَيًّا بَعْدَ مَوْتِهِ يَقُولُ لَيْ ذَلِكَ . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، قَالَ : فَأَرَنِي ذَلِكَ إِنْ كَانَ حَقًّا ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام : اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ إِنَّكَ تَفَى بِمَا قُلْتَ ؟ قَالَ أَبُوبَكْرٌ : نَعَمْ فَضَرَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى يَدِهِ وَقَالَ : تَسْعِي مَعِي نَحْوَهُ مَسْجِدًا وَرَدَاهُ تَقْدِمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَأَبُوبَكْرٍ مِنْ وَرَائِهِ فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَبْلَةِ الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا رَأَهُ أَبُوبَكْرٍ سَقَطَ لَوْجَهُ كَالْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام : ارْفِعْ رَأْسَكَ أَيْهَا الْفَلِيلُ الْمَفْتُونُ ، فَرَفَعَ أَبُوبَكْرٍ رَأْسَهُ وَقَالَ : لَبِسْكِيْ يَا رَسُولُ اللَّهِ أَحْيَا بَعْدَ الْمَوْتِ يَا رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عليه السلام : وَيْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ

( إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْ يَحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) الْحَدِيثُ

وَنَحْوُهَا أَخْبَارُ اخْرَى .

وَأَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ لَوْ سَنَحَتْ بِخَاطِرِكَ سَوَانِحُ الشَّهَابَاتِ وَخَالِجَاتِ الشَّكُوكَ وَاحْتَمَلَتْ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ بِالْأَجْسَادِ الْمَثَالِيَّةِ وَأَرْدَتْ أَنْ يَطْمَئِنَ قَلْبُكَ بِجُوازِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَجْسَادِ الْأَصْلِيَّةِ

فَرَاجَعْ إِلَى مَارْوَاهَ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْمَنَاقِبِ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبِ وَالْحَسِينِ بْنِ مَعاوِيَةِ وَسَلِيمَانَ الْجَعْفَرِيِّ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ كَلِمَهُمْ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام

قال : لما حضر رسول الله الممامة دخل عليه علي عليه السلام فأدخل رأسه معه ثم قال : ياعلي إذا أنامت فغسلني وكفني ثم أقعدني وسائلني واكتب ومن تهذيب الأحكام فخذ بمجامع كفني ثم اسألني عما شئت فوالله لا تسألني عن شيء إلا أجبتك . ورواه فيه من البصائر والكافي والخرابي عن البزنطي عن فضيل عن أبي عبد الله عليه السلام مثله ، وفيه وفي رواية أبي عوانه بسانده قال علي عليه السلام ففعلت فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة .

وفي البخار أيضاً من الخرایج عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : قال علي بن أبي طالب عليهما السلام : أمرني رسول الله عليهما السلام إذا توفى أن استسقى سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها ، فإذا غسلته وفرغت من غسله أخرجت من في البيت قال : فانا أخر جتهم فضع فالك على في ثم سلني عمما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من أمر الفتنة ، قال علي عليه السلام : فعلت ذلك فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة ، وما من فتنة تكون إلا وأنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقها .

ومن الخرایج أيضاً عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليهما السلام قال : قال رسول الله عليهما السلام لا مير المؤمنين : إذا أنا مت فغسلني وكفني وما ملئي عليك فاكتب قلت : فعل ؛ قال : نعم .

ويزيد توضيحاً لذلك الأخبار الواردة في كتب المقاتل من أن الرأس الأطيب الأطهر الأنور للسيد الشهداء روحي و جسمى له الفداء كان ينظر ويتحرج و يتكلّم بعد قتله عليه السلام فيكبّر تارة و يحوقل أخرى و يقرء من القرآن آية الكهف وغيرها على السنان و يخبر عن ما سمع بخاطر ابن وكيدة بالكوفة ، إلى غير هذه مما شوهدت منه من المعجزات والكرامات ، أفييمكن لك أن تقول إن ذلك لم يكن رأسه الأصلي وانتما كان رأسه المثالي ؟ فإذا جاز الحياة على الرأس الذي هوجزه من البدن الشريف سلام الله عليه فكيف بالبدن تماماً .

وقد روى غير واحد من أرباب المقاتل المعتبرة جلوس الجسد المذبوح عند وداع أهل بيته عليهما السلام له ومعاقنته لينته الصغيرة ووصيته إليها بأن يقول لشيعته :

شيعتي ما إن شربتم ماء عذب فاذكروني  
أو سمعتم بغرير أو شهيد فاندبوني  
إلى آخر الآيات التي خرجت من الحلقوم الشّريف لعن الله قاتليه و ظالميه أبد  
الآ بدين ودهر الادهرين .

فحاصل الكلام وفذلكة المرام أني لا أمنع من تصرّفات أرواحهم الكلية  
في أجسادهم الأصلية كتصرّفها في الأجساد المثالية على ماعليه أباطين العلماء  
بقدار من الله سبحانه وإفاضة منه الحياة عليهم بعد موتهم إظهاراً لشرفهم ورفعتهم  
وكرامتهم وإتماماً للحجّة في بعض المقامات

( لِيَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَقِنَةٍ وَ يَعْيَسِي مَنْ حَيَ عَنْ يَقِنَةٍ ).

ولا أرى مانعاً من ذلك إلاّ ما في المجلس التاسع عشر من كتاب أسرار الشهادات  
من أنّ القول بتعلق الأرواح بال أجساد الدّنيوية الأصلية قبل قيام الساعة أو قبل  
الرّجعة مما قام الاجماع على بطلانه

ولكنك خبير بما فيه إذ المسألة غير معنونة في كلام الأصحاب فكيف  
يمكن دعوى الاجماع وبعد الفضّ عن ذلك غایته أنه إجماع منقول بخبر الواحد  
وهو على القول بحجّيته لا يكافئ الأخبار المستفيضة الدالّة على خلافه .  
ويؤيد ما ذكرته ويقرّ به ما في مجمع البيان في تفسير الآية السابقة أعني قوله:

( وَلَا تَقُولُوا لَمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ )

فأنه بعد ما اشـكـلـ في حـيـةـ الشـهـداءـ بـقولـهـ :ـ فـانـ قـيلـ :ـ فـتحـنـ نـرـىـ جـثـةـ الشـهـداءـ  
مـطـرـوـحةـ عـلـىـ الـأـرـضـ لـاـ تـنـصـرـفـ وـلـاـ يـرـىـ فـيـهـ شـيـءـ مـنـ عـلـامـاتـ الـأـحـيـاءـ ،ـ قـالـ (رهـ)  
ما نـصـ عـبـارتـهـ :

فالجواب أـمـاـ عـلـىـ مـذـهـبـ منـ يـقـولـ مـنـ أـصـحـابـنـاـ أـنـ الـأـنـسـانـ هـوـ النـفـسـ إـنـ اللـهـ  
يـجـعـلـ لـهـمـ أـجـسـامـ كـأـجـسـامـهـ فـيـ دـارـ الدـنـيـاـ يـتـنـعـمـونـ فـيـهـاـ دـوـنـ أـجـسـامـهـ التـيـ فـيـ  
الـقـبـورـ فـانـ النـفـسـ وـالـعـذـابـ إـنـمـاـ يـحـصـلـ عـنـدـهـ إـلـىـ النـفـسـ التـيـ هـيـ الـأـنـسـانـ الـمـكـفـ

عنه دون الجثة إلى أن قال : فأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الإنسان هذه الجمل المشاهدة وإنّ الروح هو النفس المتردّ في مفارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ فالقول أنه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ مما يوصل إليها النّعيم وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها ، لأنّه لا يعتبر الأطراف وأجزاء السّمن في كون الحيّ حيّاً ، فانّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً . وربّما قيل : بأنّ الجثة يجوز ان يكون مطروحة في الصورة ولا يكون هيّة فتصل إليها اللذات كما أنّ النائم حيّ وتصل إليه اللذات مع أنه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك ، فيرى في النوم ما يجد به السرور والانتداز حتى يود أن يطول نومه فلا ينتبه .

وقد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره ويقال له نم نومة العروس ، وقريب منه ما في التفسير الكبير للفخر الرّازى حيث قال :  
فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم هيّة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ .  
قلنا: أما عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة ولا امتناع في أن يعيده الله الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلى التّكليف والتّأليف ، وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيده الله إلى الأجزاء التي لا بدّ منها في ماهية الحيّ ولا يعتبر بالأطراف ويحتمل أيضاً أن يحييهم إذا لم يشاهدوها .

وبالجملة فقد تقرّر ممّا ذكرنا جواز الحياة على الأبدان الأصلية في الجملة وارتفاع بعد ذلك في نظرك بما نسبه الطبرسي إلى جمع من أصحابنا والفارخر الرّازى إلى المعتزلة مع أنه لا يبعُد باستبعاد العقول بعد دلالة نصّ الآية وقيام الأخبار المستفيضة عليه هذا .

وأمّا القضية الثانية أعني قوله : و يبلى من بلى مثّا وليس ببال ، فقد ظهر تحقيق الكلام فيها مما سبق إذ بعد القول بحياة الأبدان على الوجه الذي قلناه

لا يتصور البلى لمنافاتهاله ، نعم لا ينافيها على الوجه الذي اختاره الأشاعرة والوجه الذي ذهب إليه المعتزلة وجمع من أصحابنا على ما عرفت في نقل كلامهم .  
ويidel على ذلك أى على عدم البلى ظواهر الأخبار السابقة مضافة إلى ما في الكافي عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن زياد بن أبي الجلال عن أبي عبدالله عليهما السلام قال : ما مننبي ولا وصيٌّ نبىٌ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه إلى السماء وإنما يؤتى مواضع آثارهم وينبغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب .

وفي الوسائل عن الشیخ باسناده عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال : دخلت على أبي عبدالله عليهما السلام فقلت له : إني اشتاق إلى الغربى فقال : ما شوقك إليه ؟ قلت : له إني أحب أن أزور أمير المؤمنين عليهما السلام ، فقال عليهما السلام : هل تعرف فضل زيارته ؟ قلت : لا إلا أن تعرّفني ، فقال عليهما السلام : إذا زرت أمير المؤمنين عليهما السلام فاعلم أنك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليهما السلام الحديث .  
وما في شرح المعتزلية عن النبي عليهما السلام أن الأرض لم تسلط على وأنها لا تأكل لحمها ولا تشرب لها دمها .

وفي الفقيه عن الصادق عليهما السلام إن الله عز وجل حرم عظامنا على الأرض وحرم لحومنا على الدود أن يطعم منها شيئاً .

وقال النبي عليهما السلام حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ، قالوا : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال عليهما السلام : أما حياتي فأن الله عز وجل يقول : وما كان الله ليعذ بهم وأنت فيهم ، وأمّا مفارقتي إياكم فأن أعمالكم تعرض على كل يوم فما كان من حسن استزدت الله لكم وما كان من قبيح استغفرت الله لكم ، قالوا : وقدرمت يا رسول الله عليهما السلام يعني صرت رميماً فقال عليهما السلام : كلا إن الله تبارك وتعالى حرم لحومنا على الأرض أن يطعم منها شيئاً ، هذا .

ومقتضى الجمع بين هذه الأخبار والأخبار الدالة على نقل عظام آدم عليهما السلام

إلى الغزيّ وعظام يوسف إلى الأرض المقدسة هو اختصاص حكم عدم البلى بهذه الشجرة المباركة أعني خاتم النبّيين وأوصيائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين . فان قلت : فاذأ قلت بعدم البلى على ما يقتضيه قوله لَا يَكُلُّهُ لِيْسَ بِبَالِ ليس ببال فكيف التوفيق بينه وبين قوله ويبلي من بلى من المقتضي لثبت البلى ؟

قلت : ذلك محمول على زعم أغلب الخلق فان اسراء عالم الحواس من الناس لما زعموا أنّ الموت ملازم للبلى وقادوا أولياء الله وعباده المصطفين بساير الخلق ولم يعرفوا أنّهم لا يقاس بهم أحد فأثبتو البلى في حقّهم ولذلك عقب لَا يَكُلُّهُ لِيْسَ بِبَالِ الآية بحسب الارجح بالسلب كما أنّ الله سبحانه ردد حسبان الخلق و زعمهم لكون القتل مستلزم للموت في سورة البقرة بقوله :

( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ) وفي سورة آل عمران بقوله : ( لَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ إِنَّ رَبَّهُمْ يُرْزَقُونَ ) فان قوله : ( وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ) .

في الآية الأولى دليل على أنّهم لم يكن لهم شعور بحياتهم فاذأ لم يكن لهم شعور بذلك فلا يكون لهم شعور بعدم البلى البينة من حيث الملازمة بينه وبين الموت في نظرهم كملازمة الموت للقتل عندهم ، هذا .

وأما حمل البلى على بلى الأّ كفان فبعيد ، وأبعد منه حمله على بلى الأّ بدان وحمل عدم البلى على عدمه للأرواح كما يظهر من شرح البحرياني حيث قال في شرح هاتين الفقرتين مانص عبارته: وإشارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى :

( وَلَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ) الآية .

لما اتفقت عليه كلمة العلماء و نطقـت به البراهين العقلية أنّ أولياء الله لا

يموتون ولا يبلون وإن بليت أجسادهم .

قال بعض المخاوفين فيما لا يعنيه : قوله : و يبلى من بلى هنّا ، نص جل على أن أجساد الأولياء تبلى ، و ذلك يخالف ما يعتقد الناس من أن أجسادهم باقية إلى يوم القيمة .

قلت : الاعتقاد المذكور لبعض الناس إنما نشأ من قول الرسول ﷺ في قتلى بدر : زملوهم بكلوهم و دمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة وأوداجهم تشخب دمًا ، قوله تعالى : ولا تحسّبُ الذين قتلوا ، الآية وليس ولا واحد منهم بدار على أن الأجساد لا تموت ولا تبلى .

أما الخبر فليس مقتضاها أنها تبقى صحيحة تشخب دمًا إلى يوم القيمة ، بل ذلك مما يشهد ببطلانه الحسن ، بل يحمل على أنها كما تعاد يوم القيمة تعاد مجروبة تشخب جراحها دمًا كهيئتها يوم موتها .

وأما الآية فالذي أجمع عليه علماء المفسرين أن الحياة المذكورة فيها هي حياة النّفوس ، وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس (رض) قال : قال رسول الله ﷺ : لما صيّبت إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجوف طيور خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيباً مأكولاً و مشربها و مقليها قالوا من يبلغ إخواننا عنّا أنا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلّموا عند الحرب ؟ فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم فنزلت : ولا تحسّبُ الذين قتلوا ، الآية .

فاذن لا منافاة بين كلامه عليهما السلام وما ورد في القرآن والخبر ، ومقصوده عليهما بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم وأنهم أولياء باقون عند ربهم في ظلّ كرامته انتهى كلامه .

وقد تتحقق منه أنه (ره) يحمل الموت والبلى في كلامه عليهما على بلـيـاـجـسـادـ وموتها و يحمل عدم الموت والبلى فيه على حـيـاـةـ النـفـوـسـ وـالـأـرـوـاحـ وـبـقـائـهـ وأـنـتـ

خير بما فيه

أمساً أو لاً فلان القول بلى أجساد الأئمة وموتها خلاف ما هو المستفاد من الأخبار المستفيضة السابقة.

و ثانياً أن الإمام عليهما السلام إنما أتى بالحديث النبوي عليهما عليهما إظهاراً للرقة والكرامة ومقصوده عليهما به المفاخرة وبيان فضيلة ومنقبة مختصة بهم عليهما ، ومن المعلوم أن بقاء الأرواح مع بلى الأجساد ليس فضيلة مخصوصة بأهل بيته الرسالة بل هي جارية في حق سائر الناس من المؤمنين والكافار، وقد مر في شرح الخطبة الثانية والثمانين أن أرواح المؤمنين في وادي السلام وأرواح الكفار في البرهوت ، فائى معنى لحمل عدم البلى فيه على عدم بلى الأرواح ، مع أن استعمال لفظ البلى وعدم البلى إنما هو مصطلح في الأجساد والأجسام دون الأنفس والأرواح وهو واضح لا يخفى ، بل الأرواح لا يتصور في حقها البلى فلامعنى لنفي البلى عنها إلا

على وجه السالبة بانتفاء الموضوع

وثالثاً قوله ره : قلت : الاعتقاد المذكور إنما نشأ من قول الرسول عليهما آه فيه أن سند الاعتقاد المذكور ليس منحصراً فيما ذكره بل قد دل عليه ما قد منه من الأدلة .

ورابعاً أن دعوى اتفاق المفسرين على كون الحياة المذكورة في الآية هي حياة النفوس ممنوعة ، لما عرفت سابقاً اختلاف المفسرين فيها ، فمنهم من يحملها على الحياة بالأجسام المثلالية ، ومنهم من يحملها على الحياة بالأبدان الأصلية ، ومنهم من يحملها على حياة النفوس فكيف يمكن مع هذا الخلاف دعوى الاتفاق ، وما أبعد ما بين هذه الدعوى وبين إنكار البعض حديث الأرواح مستدلاً بكون الروح عرضاً لا يتنعم ، فان دعوى الشارح للاتفاق واقع في طرف الإفراط كما أن إنكار هذا البعض في جانب التفريط من حيث أن الروح جسم لطيف هوائي حساسة فعالة وليس عرضاً كما توهّمه فيجوز أن يتنعم ويلتذ .

وخامساً أنَّ الحديث الذي نقله عن ابن عباس في مقام الاستظهار به قد عرفت رد الصادق عليهما السلام له في روايتي يونس بن ظبيان وأبي بصير المتقدّم تین ، والله العالم بحقائق الأمور ، والمحصل لما في الصدور وانسماً أطنبت الكلام في المقام لكونه من مز الق الأقدام محتاجاً إلى كشف الحجاب عن المرام وقد وضع لك فيه ما اقتضى الأدلة من الكتاب والسنة ومن الله سبحانه أسأل العصمة والسداد من الخطأ في القول والاعتقاد بمحمد وآل الأطهار الأمجاد .

ثم إنَّه عليهما السلام لما ذكر مناقب آل العباء ومن خصمه الله بالولاية والولاء وأكده بحديث سلب الموت والبلى وكان ذلك بعيداً عن مذاق العوام وأمراً عجيباً عند العقول والأوهام ومظنة للردد والإنكار لاجرم أردفه بقوله (ولا تقولوا بما لا تعرفون فان أكثر الحق فيما تنكرن) وهو نهى لهم عن القول في حق العترة بما لا يعرفون وعن التسرع إلى رد ما يستعجبون معللاً بأن أكثر الحق فيما ينكرون

والمقصود به أنَّ صاحب الولاية لا يقاوم بالتساس إذ شؤونات الولاية المطلقة بعيدة عن الوهم والقياس وإدراكات الخلق أغلبها مقصورة على عالم الحواس ، والجاهل ربما ينكر بداء جهالته الحق إذا خالف طبعه أو عجز عن إدراكه فهمه أو سبق إليه اعتقاده ضده بشبهة أو تقليل أو بما انقدح في وهمه من شك وتردد ، فلا يجوز الخوض في اللجاج والعناد بمجرد الاستغراب والاستبعاد.

وقوله : (واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو) ، إنما من الاعذار بمعنى الانصاف من أذنر الرجل إذا أنصف ، أو من الاعذار بمعنى إثبات العذر وهو الانسب الأظهر ، فالمعنى أنه عليهما السلام كان مأموراً من الله سبحانه و من رسوله عليهما السلام بالإبلاغ والتذكير والانذار والتحذير ، وقد بلغ وذكر وأنذر وحدر ، فكان له الحجة على المخاطبين وثبت له العذر في مقام السؤال كما أنَّ الله وكذلك رسوله الحجة على جميع الخالقين حيث احتاج بما نهج و أذنر بما أنذر ، وهذا بخلاف ما لو فرط عليهما السلام وقصر في الإبلاغ والتذكير فيكون حينئذ لهم الحجة عليه ويثبت لهم العذر فيما يلحقهم من العذاب بأن يقولوا :

(رَبُّنَا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ )

وبه جاهلين ، فلا يجوز لك أن تؤاخذنا بمال نعلم وتعذّبنا بما لم نفهم ، فطلب عليك اللهم منهم أن يثبتوا له العذر فيما يلحقهم من العذاب ونكل العقاب لا لأنفسهم حيث أوضح لهم المحجة البيضاء ولهم على الطريقة الوسطى وهدامم إلى الشريعة الفراء . كما أفصح عليك اللهم عن ذلك بقوله ( ألم أعمل فيكم بالشَّقْل الْأَكْبَرِ وَأَتَرَكَ فيكم الشَّقْل الْأَصْغَرِ ) وهو استفهام تقريري يقول عليك اللهم إني قد عملت فيكم بكتاب الله و بما فيه من الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وتركت فيكم عترة رسول الله عليك اللهم وحفظت وصيته بالاعزاز والاكرام ، وعبر عنهم بالتقفين تبعاً للحديث النبوي عليك اللهم المعروف بين الفريقين .

و إنما سمي بذلك إما لعظم خطرهما وجلاله قدرهما من الشَّقْل وهو المتعاف النفيض ، وإما لكون العمل بهما ثقيلاً (١) وإما لأجل أن الشَّقْل متعاف المسافر و حشمه فكانه عليك اللهم لما شارف الانتقال إلى جوار ربِّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه ، لأنَّهما أخص " الأشياء به ، قاله الشارح المعترض .

و الأَظَهَرُ مَا قلناه إذ متاع المسافر و حشمه يكونان معه ولا يختلفان بعده ، هذا .

و أمّا تسمية القرآن بالشَّقْل الْأَكْبَرِ والعترة بِالْأَصْغَرِ مع كون العترة أفضل من القرآن عندنا وكونهم قيمين له فقد قال الشارح البحرياني : أشار بكونه أكبـرـاً إلى أنه الأصل المتـبعـ المقـتدـىـ بهـ .

أقول : و ليس بشيء إذ العترة أيضاً أصل متـبعـ مقـتدـىـ ، و يـحـتمـلـ أنـ يـكـونـ عليـكـ اللـهـ و صـفـهـ بهـ منـ جـهـةـ أنهـ لـماـ كانـ مـعـجزـاًـ لـالـرسـالـةـ وـ سـنـدـاًـ لـهـاـ وـ الـولـاـيـةـ وـ أـسـاسـاًـ لـالـدـينـ وـ سـنـادـاًـ لـلـشـرـعـ الـمـبـيـنـ وـ لـوـلـاـهـ لـمـ يـثـبـتـ رسـالـةـ وـ لـاـ شـرـيـعـةـ وـ لـاـ ولـاـيـةـ وـ لـاـ دـيـنـ وـ لـاـ إـيمـانـ

لا جرم وصفه به .

و يمكن استظهار ذلك مما رواه أبوسعيد الخدري قال : قال النبـي ﷺ إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكـبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، و عترتي أهل بيتي لن يفترقا حتـى يردا علىـ الحوض .

وأظـهر منه ما في رواية أبي جعفر عليهـ السلام عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ يا أيـها النـاس إـنـي تـارـك فـيـكـمـ الثـقـلـيـنـ التـقـلـلـاـنـ الـأـكـبـرـ وـالـثـقـلـ الـأـصـغـرـ إـذـ تمـسـكـتـ بـهـمـاـ لـنـ تـضـلـلـوـاـ وـلـنـ تـبـدـلـلـوـاـ ، فـانـيـ سـأـلـتـ اللهـ اللـطـيفـ الـخـبـيرـ لـاـ يـفـتـرـقـانـ حتـىـ يـرـدـاـ عـلـىـ الـحـوضـ فـاعـطـيـتـ ، فـقـيـلـ : فـمـاـ الـثـقـلـ الـأـكـبـرـ وـمـاـ الـثـقـلـ الـأـصـغـرـ ؟ فـقـالـ : الـثـقـلـ الـأـكـبـرـ كـتـابـ اللهـ عـزـ وـجـلـ سـبـبـ طـرـفـ يـبـدـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـطـرـفـ بـأـيـديـكـمـ وـالـثـقـلـ الـأـصـغـرـ عـقـرـتـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ .

و يمكن أن يقال : إنـ كـتـابـ اللهـ لـمـاـكـانـ حـجـةـ عـلـىـ عـمـومـ الـخـلـقـ مـنـ النـبـيـ ﷺ وـالـأـمـمـ عـلـىـ الـعـلـمـ وـأـمـتـهـنـ ، وـ حـجـيـةـ الـعـتـرـةـ كـانـتـ مـخـصـصـةـ بـالـأـمـمـ فـقـطـ جـعـلـهـ أـكـبـرـ لـذـلـكـ هـذـاـ .

و في قولـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـلـمـ أـعـمـلـ فـيـكـمـ آـهـ تـعـرـيـضـ وـ إـشـعـارـ بـعـدـ عـمـلـ غـيـرـهـ بـهـ وـهـوـ كـذـلـكـ .

و يوضحـهـ مـاـ فـيـ غـايـةـ الـمـرـامـ مـنـ تـفـسـيـرـ عـلـيـ بـنـ إـبـراهـيمـ قـالـ حـدـثـنـيـ أـبـيـ عـنـ صـفـوانـ بـنـ يـحـيـيـ عـنـ أـبـيـ الـجـارـوـدـ عـنـ عـمـرـانـ بـنـ مـيـثـمـ عـنـ مـالـكـ بـنـ ضـمـرـهـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ(رـهـ) قـالـ : لـمـاـنـزـلـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ :

( يـوـمـ تـبـيـضـ شـوـجـوـهـ وـ تـسـوـدـ وـ جـوـهـ )

قالـ رسولـ اللهـ ﷺ تـرـدـ عـلـىـ أـمـتـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ عـلـىـ خـمـسـ رـاـيـاتـ :

فـرـاـيـةـ مـعـ عـجـلـ هـذـهـ الـأـمـمـ فـأـسـأـلـهـمـ مـاـ فـعـلـتـمـ بـالـثـقـلـيـنـ مـنـ بـعـدـيـ : فـيـقـولـونـ :

أـمـاـ الـأـكـبـرـ فـحـرـقـنـاهـ وـ نـبـذـنـاهـ وـ رـاءـ ظـهـورـنـاـ ، وـ أـمـاـ الـأـصـغـرـ فـعـادـيـنـاهـ وـ أـبـغضـنـاهـ وـ ظـلـمـنـاهـ .

فـأـقـولـ : رـدـ وـ إـلـىـ النـارـ ظـمـاـ مـظـمـئـنـ مـسـوـدـةـ وـ جـوـهـكـمـ .

ثم ترد على رأية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم ما فعلتم بالشَّقِيلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكابر فحرّقناه ومزقناه وخالفنناه ، وأمّا الأصغر فعاديننا وقاتلناه ، فأقول : ردوا إلى النار ظمآن مظمئين مسودة وجهكم .

ثم ترد على رأية هي مع سامرٍي هذه الأمة فأقول لهم : ما فعلتم بالشَّقِيلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكابر فعصيناه وتركناه ، وأمّا الأصغر فخذلناه وضيعناه فأقول : ردوا إلى النار ظمآن مظمئين مسودة وجهكم .

ثم ترد على رأية ذي الثدبة مع أول الخوارج وآخرين وأسئلهم : ما فعلتم بالشَّقِيلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكابر فمزقناه وبرئنا منه وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه فأقول : ردوا إلى النار ظمآن مظمئين مسودة وجهكم .

ثم ترد على رأية مع إمام المستقيمين وسيد المسلمين وقائد الغر المُحَجَّلين ووصي رسول رب العالمين فأقول لهم : ما فعلتم بالشَّقِيلين من بعدي ؟ فيقولون : أمّا الأكابر فاتبعناه وأطعنناه ، وأمّا الأصغر فأحببناه واليئناه وزرناه ونصرناه حتى اهريقت فيهم دمائنا ، فأقول : ردوا إلى الجنة رواه مرويّين مبيضة وجهكم ثم تلى رسول الله ﷺ :

( يَوْمَ تَبَيَّنُ وُجُوهُهُ وَجْهٌ وَجْهٌ وَجْهٌ قَاتَمَ الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُو قُوَّا عَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ أَيَّدَّتْ وُجُوهُهُمْ فَقَيْرَحَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

وقد أخذ السيد إسماعيل البجميري مضمون هذا الحديث في أبيات من قصيدة له المعروفة وهي هذه الأبيات :

خمس منها هالك أربع

وسامرٍي الأمة المشنع

عبد لئيم لگع أکوع

و الناس يوم الحشر رأياتهم

فرأية العجل و فرعونها

و رأية يقدمها أبكم

لا برد الله له مضجع  
للز وروبهتان قدأبدع  
ووجهه كالشمس اذطلع  
والنار من إجلاله يفرغ  
يروا من الحوض ولم يمتعوا  
ياشيعة الحق فلاتجزعوا  
وراية يقدمها نعشل  
وراية يقدمها حبشر  
وراية يقدمها حيدر  
مولى له الجنة معمورة  
إمام صدق وله شيعة  
بذاك جاء الوحي من ربنا

ثم قال ﷺ ( وركزت فيكم راية اليمان ) شبه ﷺ اليمان بالراية لأنَّه يهتدى به إلى سلوك سبيل الحق كمَا يهتدى بالراية أمام الجيش ونحوها، وذكر الرَّكز ترشيح للتشبيه والمقصود أنَّه أثبت فيكم اليمان ( ووقفتكم على حدود الحال والحرام ) أى جعلتكم واقفين عليهما مطلعين على جهاتهما ( وابتستكم العافية من عدلي ) أراد بالعافية السلامَة من الظلم و من أذى الظالمين و استعار لفظ اللباس لها ( وفرشتكم المعروف من قولي و فعلِي ) المعروف اسم لكل ماعرف من طاعة الله و التَّقْرُبُ إِلَيْهِ و الاحسان إلى الناس و كل ما ينذر به الشرع من المحسنات والمقبحات ، وإن شئت قلت: المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنَه بالشرع والعقل يقول ﷺ : بسطت لكم بساط المعروف بالآقوال و الآفعال ( و أريتكم كراميماً  
الأخلاق من نفسي ) أى أوضحتها لكم و شاهدت تموها مني متكررة .  
و قد سئل الصادق ﷺ عن مكارم الأخلاق فقال ﷺ العفوع عن ظلمك ،  
وصلة من قطعك ، وإعطاء من حرملك ، وقول الحق ولو على نفسك .

و في حديث آخر في الكافي عن الصادق ﷺ قال إنَّ الله عز وجلَّ خصَّ رسُلَه بِمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدو الله و اعلموا أنَّ ذلك من خير و إلا تكون فيكم فاسألو الله و ارغبو إِلَيْهِ فيها فذكرها عشرة : اليقين والقناعة، والصبر، والشکر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروة وفي الدِّيوان المنسوب إليه ﷺ  
فالدين أولها و العقل ثانية إنَّ المكارم أخلاق مطهرة

والعلم ثالثها والحلم رابعها  
 والبر سابعها والصبر ثامنها  
 والنفس تعلم أني لا أصادفها  
 و كيف كان فكونه عليه السلام مكارم الأخلاق و منشأ محاسن الآداب مما  
 لا ريب فيه بل ذلك غني عن البيان ، و لا بأس بالاشارة إلى بعض ما ورد في حسن  
 خلقه وبشره وحلمه وعفوه وإشفاقه وعطفه صلوات الله عليه تيمناً وتوضيحاً .  
 ففي البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن مختار التّسّمار عن أبي مطر البصري  
 أنَّ أمير المؤمنين مرَّ بأصحاب التّسّمر فاذ هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت:  
 بعثني مو لاي بي درهم فابتعدت من هذا تمر فأفأتيتهم به فلم يرضوه فلما أتيته به أبى أن يقبله ،  
 قال عليه السلام: يا عبد الله إنّها خادم ليس لها أمر فاردء إليها درهمها وخذ التّسّمر ، فقام إليه الرّجل  
 فلكلّزه فقال الناس هذا أمير المؤمنين عليه السلام فر بالرّجل واصفر وأخذ التّسّمر ورد إلىها  
 درهمها ، ثم قال يا أمير المؤمنين أرض عني فقال : ما أرضانى عنك أن أصلحت أمرك .  
 و في فضائل أمير المؤمنين أرض عني فقال : ما أرضانى عنك أن أصلحت أمرك .  
 فخرج فوجده على باب البيت فقال عليه السلام: ما حملك على ترك إجابتي ؟ قال : كسلت  
 اجابتك و أمنت عقوبتك ، فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممْنَ تأمنه خلقه امض  
 فأنت حر لوجه الله .

و جاءه أبو هريرة و كان تكلّم فيه وأسمعه في اليوم الماضي وسأله حواريه  
 فقضيّها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السلام: إني لا أستحيي أن يغلب جهله علمي  
 وذنبه عفوی ومسئلته جودی .

و لما ادرك عمرو بن عبدود لم يضر به فوقوا في علي فرده عنه حذيفة فقال  
 النبي عليه السلام: مه ياخذ حذيفة فان عليه سيد كرسب وفته ثم إنّه ضربه فلما جاء سأله  
 النبي عن ذلك فقال عليه السلام: قد كان شتم بي وتفل في وجهي فخشيت أن أضر به  
 بحظ نقسي فتركته حتى سكن مابي ثم قتلته في الله .

وكان عليهما بشره دائم وثغره باسم غيث لمن رغب وغياثاً من ذهب مآل الأَمْل  
و ثمال الأَرْامل يتعطف على رعيته ويتصرف على هشيمته ويكتفه بحجته وكفيه  
بمُهْجِّته .

ونظر إلى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها  
وسألها عن حالها فقالت بعث عليُّ بن أبي طالب زوجي إلى بعض الشعور فقتل وترك  
على صبياناً يتامى وليس عندي شيء فقد ألجأني الضرورة إلى خدمة الناس ،  
فانصرف عليهما وبات ليته قلقاً فلما أصبح حمل زبيلاً فيه طعام فقال بعضهم : أعطني  
أحمله عنك ، فقال عليهما : من يحمل وزرى عنى يوم القيمة فأتأتي وقرع الباب فقالت  
من هذا ؟ قال : أنا لك العبد الذي حمل معك القربة فافتتحي فانْ معى شيئاً للصبيان  
قالت : رضى الله عنك وحكم بيني وبين عليٍّ بن أبي طالب ، فدخل وقال : إني أحببت  
اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لا أخبن أذا فقلت  
أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ولكن شاذك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز .  
قال : فعمدت إلى الدقيق فعجنه وعمد عليٌّ عليهما إلى اللحم فطبوخه وجعل يلقم  
الصبيان من اللحم والتمر وغيره ، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له : يا  
بني أجعل عليٍّ بن أبي طالب في حلّ مما أمر في أمرك فلما اختبر العجين قال :  
يا عبدالله اسجر السنور ، فبادر عليهما بسجهه فلما أشعله ولقح في وجهه يقول : ذقيا  
عليّ هذا جزء من ضيع الأَرْامل واليتامى ، فرأته امرأة تعرفه عليهما ، فقالت :  
ويحك هذا أمير المؤمنين عليهما ، قال : فبادرت المرأة وهي تقول واحيائي منك يا

أمير المؤمنين ، فقال عليهما بل واحيائي منك يا أمير الله فيما قصرت في أمرك .

ثم إنَّه عليهما بعد ما أشار إلى جملة من فضائله ومناقبه أردفه بقوله : ( فلا  
 تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل ) اي لا يسرع ولا يدخل  
( إليه الفكر ) والمقصود بذلك النهي عن استعمال الرأي فيما ذكره عليهما من  
خصائص العترة الطّاهرة وعجائب ما خصم الله به من الأُنوار الباهرة .

يقول ﷺ إنَّ أَمْرَنَا صعبٌ لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْعُقُولُ وَالْأَنْظَارُ، وَلَا تَدْرِكُ قُوَّرَهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا تَغْلِفُ فِيهِ الْأَفْكَارُ، فَلَا يَجُوزُ الْمِبَادِرَةُ إِلَى رَدِّ مَا تَأْبَى عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَانْحَدَرُهُمْ صَعْبٌ مُسْتَصْعِبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلْكٌ مَقْرُّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مَرْسُلٌ أَوْ عَبْدٌ مَؤْمَنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ.

### قُتُبِّيهِ

لما كان هذا الفصل من كلامه ﷺ مسوقاً لاظهار مناقب الآل ومشتملا على فضائل العترة الطّاهرين سلام الله عليهم أجمعين أحببت أن أوردهنا شطراً من كراماتهم ومعجزاتهم وعجائب شؤون نعمتهم المرويّة بالأسانيد الغريبة.

### فمنها

ما في المجلد التاسع من البحار وجادة في بعض الكتب قال: حدثنا محمد بن زكريا العلا قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار المعروف بابن المعافا عن وكيع عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

كنا مع مولانا أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن أرى من معجزاتك شيئاً، قال صلوات الله عليه: أفعل إن شاء الله عز وجل، ثم قام ودخل منزله وخرج إلى وتحته فرس أدهم وعليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء، ثم نادى يا قنبر اخرج إلى ذلك الفرس فاخترج فرس آخر أدهم فقال ﷺ أركب يا با عبد الله.

قال سلمان: فركبته فاذاله جناحان متتصقان إلى جنبه قال: فصاح به الإمام صلوات الله عليه فتعلق في الهواء و كنت أسمع خفيف أجنحة الملائكة وتسبيحها تحت العرش، ثم خطونا على ساحل بحر عجاج مغطّط (١) الْمَوَاجِ فنظر إليه الإمام شرزاً فسكن البحر من غليانه فقلت له: يا مولاي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه، فقال صلوات الله عليه: يا سلمان خشى أن آمر فيه بأمر.

ثم قبض على يدي وسار على وجه الماء والفرسان تتبعان لا يقودهما أحد، فوالله ما ابتلى أقدامنا ولا حوافر الخيل.

قال سلمان : فعبرنا ذلك البحر فدفعنا إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأثمار والأطيار والأنهار ، وإذا شجرة عظيمة بلا صدع ولا زهر فهزّها صلوات الله عليه بقضيب كان في يده فانشققت وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعاً وعرضها أربعون ذراعاً وخلفها قلوص صلوات الله عليه : ادن منها واشرب من لبنها .

قال سلمان : فدنت منها وشربت حتى رويت و كان لبنها أذب من الشهد وألين من الزبد و قد اكتفيت قال صلوات الله عليه : هذا حسن يا سلمان ، فقلت : مولاي حسن ؟ فقال : صلوات الله عليه ت يريد أن أريك ما هو أحسن منه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال سلمان : فنادى مولاي أمير المؤمنين اخرجني يا حسناه قال : فخرجت ناقة طولها عشرون و مائة ذراع و عرضها ستون ذراعاً و رأسها من الياقوت الأحمر وصدرها من العنبر الأشهب وقوائمها من الزبرجد الأخضر وزمامها من الياقوت الأصفر وجنبيها الأيمان من الذهب وجنبيها الأيسر من الفضة وعرفها من اللؤلؤ الربط فقال صلوات الله عليه يا سلمان اشرب من لبنها .

قال سلمان : فالتقمت الضرع فإذا هي تحلب عسلا صافياً مخلصاً ، فقلت يا سيدى هذه لمن ؟ قال عليه السلام : لك ولك ولساير الشيعة من أوليائي ، ثم قال ارجعي إلى الصخورة ورجعت من الوقت وسار بي في تلك الجزيرة حتى ورد بي إلى شجرة عظيمة عليها طعام يفوح منه رائحة المسك فإذا بطاير في صورة النسر العظيم .

قال سلمان رضي الله عنه : فوثب ذلك الطاير فسلم عليه صلوات الله عليه ورجع إلى موضعه فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذه المائدة ؟ فقال عليه السلام : هذه منصوبة في هذا المكان للشيعة من موالى إلى يوم القيمة فقلت : ما هذا الطاير ؟ قال صلوات الله عليه : ملك موكل بها إلى يوم القيمة فقلت : وحده يا سيدى ، فقال عليه السلام : يجتاز به الخضر عليه السلام في كل يوم مرّة .

ثم قبض عليه السلام على يدي وسار إلى بحرثان فعبرنا وإذا جزيرة عظيمة فيها

قصر لينة من ذهب ولينة من فضة يبضأ شرفاها من عقيق أصفر و على كل ركن من القصر سبعون صفاً من الملائكة فأتوا وسلموا ، ثم اذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم . قال سليمان رحمة الله تعالى : ثم دخل أمير المؤمنين عليهما السلام القصر فإذا أشجار وأئمار وأنهار وأطيار وألوان النبات فجعل الامام عليهما السلام يمشي فيه حتى وصل إلى آخره فوقف عليهما السلام على بر كة كانت في البستان ثم صعد إلى قصر فإذا كرسياً من الذهب الأحمر فجلس عليه صلوات الله عليه وأشرفنا على القصر فإذا ببحرأسود يقطنمط أمواجه كالجبال الراسيات ، فنظر صلوات الله عليه شرراً فسكن من غليانه حتى كان كالمدنب .

فقلت : يا سيدى سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه فقال عليهما السلام خشى أن أمر فيه بأمر أتدرى يا سليمان أى بحر هذا ؟ فقلت : لا يا سيدى ، فقال : هذا الذي غرق فيه فرعون وملائكته المذنبة حملها جناح جبرئيل عليهما السلام ثم زجها في هذا البحر فهو يهوى لا يبلغ قراره إلى يوم القيمة .

فقلت يا أمير المؤمنين هل سرنا فرسخين ؟ فقال عليهما السلام : يا سليمان سرت خمسين ألف فرسخ ودرت حول الدنيا عشر مرات .

فقلت : يا سيدى وكيف هذا ؟ قال عليهما السلام إذا كان ذو القرنين طاف شرقها وغربها وبلغ إلى سد يأجوج وmajog فأننا يتذر على وأنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ، يا سليمان أما فرأيت قول الله عز وجل حيث يقول :

( عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ )

فقلت : بلى يا أمير المؤمنين فقال عليهما السلام : أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عز وجل على غيبه أنا العالم الربانى أنا الذي هون الله له الشدائيد فطوى له البعيد .

قال سليمان رضي الله عنه : فسمعت صائحاً يصيح في السماء أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول : صدقت صدقت أنت الصادق المصدق صلوات الله عليك .

قال : ثم نهض صلوات الله عليه فركب الفرس وركبت معه وصاح بهما فطارا في الهواء ثم خططنا على باب الكوفة هذا كلّه وقد مضى من الليل ثلاث ساعات . فقال صلوات الله عليه لى : يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرفنا حقّ معرفتنا وأنكر ولا يتنا أيّما أفضل ممّا سليمان ؟ قلت : بل محمد ﷺ ثُم قال ﷺ : فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس بظرفه وعنده علم من الكتاب ولا أفعل أنا ذلك وعندى مأة كتاب وأربعة وعشرون كتاباً أنزل الله تعالى على شيث بن آدم ؟ ثم حمسين صحيفه ، وعلى إدريس النبي ؟ ثم ثلاثة صحيفه ، وعلى إبراهيم ؟ ثم العشرين صحيفه ، والتوراة ، والإنجيل ، والنّزبور و الفرقان .

فقلت : صدق يا أمير المؤمنين هكذا يكون الامام صلوات الله عليه ، فقال ﷺ إن الشّاك في أمرنا وعلومنا كالممترى في معرفتنا وحقوقنا ، قد فرض الله عزّ وجلّ في كتابه في غير موضع ، وبين فيه ما وجب العمل به ، وهو غير مكشف .

### و منها

ما فيه أيضاً من الكتاب المذكور قال : روى الاصبغ بن نباته قال : كنت يوماً مع مولانا أمير المؤمنين ؟ إذ دخل عليه نفر من أصحابه منهم أبو موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأبو هريرة والمغيرة بن شعبة وحذيفة ابن اليمان وغيرهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أرنا شيئاً من معجزاتك التي خصك الله بها .

فقال ؟ : ما أنتم بذلك وما سؤالكم عمّا لا ترضون به ؟ والله تعالى يقول وعزّ تي وجلالى وارتفاع مكاني إني لا أُعذّب أحداً من خلقي إلا بحجّة وبرهان وعلم وبيان ، لأنّ رحمتي سبقت غضبى وكتبت الرحمة على ؟ فأننا الرّاحم الرّحيم والودود العليّ ، وأنا المنان العظيم ، وأنا العزيز الكريم ، فإذا أرسلت رسولاً أعطيته برهاناً وأنزلت عليه كتاباً فمن آمن بي وبرسولي فأولئك هم المفلحون الفائزون

و من كفر بي و برسولي فاولئك هم الحاسرون الذين استحقوا عذابي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين نحن آمنا بالله و برسوله و توكلنا عليه .

قال علي عليه السلام أشهد على ما يقولون وأنا العليم الخبير بما يفعلون ، ثم قال : قوموا على اسم الله و بركاته ، قال : فقمنا معه حتى أتى بالجبانة ولم يكن في ذلك الموضع ماء قال : فنظرنا فإذا روضة خضراء ذات ماء ، وإذا في الروضة غدران وفي الغدران حيتان ، فقلنا والله إنها لدلالة الامامة فأرنا غيرها يا أمير المؤمنين وإلا قد أدركتنا بعض ما أردنا .

قال عليه السلام : حسبي الله ونعم الوكيل ثم أشار عليه بيده العليا نحو الجبانة فاذا قصور كثيرة مكللة بالدّر والياقوت والجواهر وأبواهها من الزبرجد الأخضر وإذا في القصور حور وغلمان وأنهار وأشجار وطيور ونبات كثیر ، فبقينا متبحرين متعجبين وإذا صاف وجواري وولدان وغلمان كاللؤلؤ المكنون فقالوا : يا أمير المؤمنين لقد اشتدت شوقنا إليك وإلى شيعتك وأوليائك ، فأوّلما إليهم بالسكنون .

ثم ركض الأرض برجله عليه السلام فانقلب الأرض من منبر من ياقوت أحمر فارتقي إليه فحمد الله وأثنى عليه وصلي على نبيه عليه السلام .

ثم قال عليه السلام : غمضوا أعينكم فغمضنا أعيننا فسمعوا حليف أجنحة الملائكة بالتسبيح والتهليل والتحميد والتعظيم والتقديس ، ثم قاموا بين يديه قالوا : مننا بأمرك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين صلوات الله عليك .

قال عليه السلام يا ملائكة ربّي ائتونني بابليس إلا بالسورة وفرعون القراعنة قال : فوا الله ما كان بأسرع من طرفة عين حتى أحضروه عنده

قال عليه السلام : ارفعوا أعينكم ، قال : فرفعنا أعيننا ونحن لا نستطيع أن ننظر إليه من شعاع نور الملائكة ، فقلنا : يا أمير المؤمنين الله في أبصارنا فما ننظر شيئاً منها وسمينا صلصلة السلاسل واصطكاك الأغلال وهبّ ريح عظيمة فقالت الملائكة يا خليفة الله زد الملعون لعنة وضاعف عليه العذاب فقلنا يا أمير المؤمنين الله في أبصارنا ومسامعنا فوا الله ما نقدر على احتمال هذا السرّ والقدرة قال : فلما

جرّه بين يديه قام وقال واويا له من ظلم آل محمد عليهم السلام واويا له من احترائي، عليهم ثم قال : يا سيدى ارحمنى فانى لا أحتمل هذا العذاب فقال عليه السلام : لا رحمك الله ولا غفر لك أئمها الرّجس النجس الخبيث المخبث الشيطان .

ثم التفت عليه السلام إلينا و قال : تعرفون هذه باسمه و حسبه ؟ قلنا : نعم يا أمير المؤمنين فقال : سلوه حتى يخبركم من هو ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أنا إبليس إلا بالسلو فرعون هذه الأمة ، أنا الذي جحدت سيدى و مولاي أمير المؤمنين و خليفة رب العالمين وأنكرت آياته ومعجزاته .

ثم قال أمير المؤمنين : غمضوا أعينكم فغمضنا ، فتكلّم عليه السلام بكلام أخفى فإذا نحن في الموضع الذي كنا فيه لا قصور ولا ماء ولا غدران ولا أشجار .

قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه : والذى أكرمني بما رأيت من تلك الدليل والمعجزات ما تفرق القوم حتى ارتابوا وشكوا وقال بعضهم : سحر وكهانة وافاك فقال أمير المؤمنين : إنّبني إسرائيل لم يعاقبوا ولم يمسخوا إلاّ بعد ما سأّلوا الآيات والدلائل فقد حلّت عقوبة الله بهم والآن حلّت لعنته فيكم وعقوبتهم عليهم ، قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه : إنّي أيقنت أنّ العقوبة حلّت بتكذيبهم الدلائل والمعجزات .

### و منها

ما في المجلد السابع من البحار من كتاب الاختصاص عن ابن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن حفص الأبيض التّمار قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام أيام قتل المعلى بن خنيس وصلبه (ره) فقال عليه السلام : يا حفص إنّي أمرت لمعلى بن خنيس بأمر فحالوني فابتلى بالحديد :

إنّى نظرت إليه يوماً و هو كثيّب حزين فقلت مالك يا معلى كأنّك ذكرت أهلك و مالك و عيالك ؟ فقال : أجل فقلت : ادن مني فدّن مني فمسحت وجهك فقلت : أين تراك ؟ فقال : أرانى في بيتي هذا زوجتى و هؤلاء ولدي فشركته حتى تملأ منهم واستترت منه حتى نال ما ينال الرجل من أهله .

ثم قلت له : أدن مني ، فمسحت وجهه قلت أين تراك ؟ فقال : أراني معك بالمدينة وهذا بيتك قلت له : يامعّلى إنّ لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله عليه دينه ودنياه ، يامعّلى لاتكونوا أسراء في أيدي الناس بحديثنا إن شاؤوا منتو عليهم وإن شاؤوا قتلوكم ، يامعّلى إنّ من كتم الصعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه ورزقه الله العزة في الناس ، و من أذاع الصعب من حديثنا لم يتم حتى يغضّه السلاح أو يموت بخييل ، يا معلّى فأنت مقتول فاستعدّ .  
و منها

ما فيه من الخرایج قال : روی أبو القاسم بن قولويه عن محمد بن يعقوب عن محمد بن إدريس عن محمد بن حسان عن علي بن خالد قال : كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى من ناحية الشام مكبولاً وقالوا : إنه تنبأ ، فأتيت الباب وداريت البوابين حتى وصلت إليه فاذ رجل له فهم وعقل قلت له : ما قصتك ؟ قال : إنّي كنت بالشّام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليهما السلام ، فيينما أنا ذات ليلة في موضعي قبل على المحراب أذكّر الله إذ نظرت شخصاً بين يدي فنظرت إليه ، فقال لي : قم ، فقمت معه فمشى بي قليلاً فاذ أنا في مسجد الكوفة قال : أتعرف هذا المسجد ؟ قلت : نعم هذا مسجد الكوفة فقلّى وصلّى معه ثم خرج وخرجت معه فمشى بي قليلاً وإذا نحن بمكة وطاف بالبيت فطفت معه فخرج ومشى بي قليلاً فاذ أنا في موضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشّام وغاب الشخص عن عيني فتعجبت مما رأيت .

فلما كان في العام المُقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ودعاني فأجبته وفعل كما فعل في العام الأول فلما أراد مفارقتى بالشّام قلت : سألك بالذى أدرك على ما رأيت من أنت ؟ قال : أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر ، فحدثت من كان يصير إلى بخيله

فرقى ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزّيات فبعث إلى فاجلدنى و كبلنى في الحديد و حملتني إلى العراق و حبست كما ترى وادعى على المحال فقلت : أرفع عنك القمة إليه ؟ قال : ارفع فكتبت عنه قصته شرحت أمره فيها و دفعتها إلى الزّيات فوقع في ظهرها : قل للذى أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة إلى المدينة إلى مكة أن يخرجك من حبسى .

قال علي بن خالد : فلمني ذلك من أمره و رقت له و انصرف محزوناً فلما أصبحت باكرت البحس لا علمه بالحال و أمره بالصبر و العزاء فوجدت الجندي و الحراس و صاحب السجن و خلقاً كثيراً من الناس يهرون ، فسألت عنهم وعن الحال فقيل إنَّ المحمول من الشام المتتبى فقد البارحة من البحس فلا يدرى خسف به الأرض أو اختطفته الطير و كان هذا المرسل أعنى علي بن خالد زيدياً فقال بالأمام ، و حسن اعتقاده .

### و منها

حديث البساط المعروف ورويته من نسخة قديمة عندى قال الرّاوي : خبر من خزانة مولانا مفترض الطاعة على الخلق أجمعين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام .

حدثنا أبو عبد الله بن زكريّا عن ابن جوهر بن الأسود عن محمد بن سعيد يرفعه إلى سلمان الفارسي (رض) أنه قال :  
 كنا جلوساً عند مولانا أمير المؤمنين عليهما السلام ذات يوم أنا و ولديه الحسن والحسين عليهما السلام و محمد بن حنفيه و محمد بن أبي بكر و عمّار بن ياسر و مقداد بن أسود الكندي فاذألفت إلينه الحسن عليهما السلام وقال : يا أمير المؤمنين إنَّ سليمان بن داود قال : فهو بلي من لديك ملكاً لا ينبغي لأحد من الناس وأعطيه الله تعالى ذلك ، فهل ملكت شيئاً عن ملك سليمان ؟ فقال له أمير المؤمنين : والذى فلق الحبة و برأ النسمة لقد ملك أبوك ملكاً لا يملك أحد قبله ولا بعده ، فقال الحسن عليهما السلام : إننا نحب أن ننظر مما ملكه الله إياك من الملائكة ليزيداد الناس إيمانهم .

قال ﷺ : نعم وكرامة وقام وصلّى ركعتين ثم ذهب إلى صحن داره ونحن نراه ، فعدّ يده نحو المغرب حتى بان لنا من كفه سحابة وهو يمدّها حتى أوقفها على الدّار ، وإلى جانب تلك السحابة سحابة أخرى ، ثم أشار إلى ريح وقال أهبطي علينا أيتها الريح فواهـ العظيم لقد رأينا السحاب والريح فـ هـ بطـ يـ قـ لـ اـنـ : نـ شـ هـ دـ أـنـ لـ إـ لـ إـ اللهـ وـ حـ دـهـ لـاـ شـ رـ يـ كـ لـهـ وـ نـ شـ هـ دـ أـنـ مـ حـ دـ آـ عـ بـ دـهـ وـ رـ سـ وـ لـهـ وـ نـ شـ هـ دـ أـنـ كـ وـ صـ مـ رـ سـ وـ لـ رـ كـ رـ يـ مـ حـ دـ رسولـ اللهـ وـ أـنـتـ وـ لـ يـ هـ ، منـ شـ كـ فـ يـ كـ قـ دـ هـ لـ كـ وـ مـ نـ تـ مـ سـ كـ بـ كـ فـ قـ دـ سـ لـ كـ سـ بـ يـ لـ النـ جـ اـ .

ثم تطأطـاتـ السـحـابـاتـانـ حتـىـ صـارـتـاـ كـأـنـهـمـ بـاسـاطـانـ وـ رـايـتـهـمـ كـالـمسـكـ الـاذـ قـرـ .

قال لنا أمير المؤمنين ﷺ : اجلسوا على الفعام فجلسنا وأخذنا مواضـنا .

ثم قال سلمان : إنـ أمـيرـ المـؤـمـنـينـ قالـ : أـيـتهاـ الـرـيحـ اـرـفـيـنـاـ ، فـ رـفـعـتـنـاـ رـفـعاـ رـفـيـعاـ فـإـذـاـ نـحـنـ وـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ فـيـ تـلـكـ عـلـىـ كـرـسـيـ منـ نـورـ وـ عـلـيـهـ ثـوـبـانـ أـصـفـرـ انـ وـ عـلـىـ رـأـسـهـ تـاجـ منـ يـاقـوـتـ صـفـراـ وـ فـيـ رـجـلـيـهـ شـرـاكـ منـ يـاقـوـتـ يـتـلـأـ وـ فـيـ يـدـهـ خـاتـمـ منـ درـةـ بـيـضاـ يـكـادـ نـورـ وـ جـهـهـ يـذـهـبـ الـأـبـصـارـ .

قال له : يا أبا تاءـ إـنـ سـلـيـمـانـ بنـ دـاـوـدـ كـانـ يـطـاعـ بـخـاتـمـهـ وـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ ﷺ بـعـاـذاـ يـطـاعـ ؛

فـقـالـ ﷺ ياـ ولـدـيـ أـنـاـ وـجـهـاـهـ ، وـعـيـنـاـهـ ، وـلـسانـاـهـ ، وـأـنـاـولـيـهـ اللهـ ،

وـأـنـاـ نـورـاـهـ ، وـأـنـاـ كـنـزـاـهـ فـيـ الـأـرـضـ ، وـأـنـاـ الـقـدـرـةـ الـمـقـدـرـةـ ، وـأـنـاـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ ،

وـأـنـاـ سـيـدـ الـفـرـيقـيـنـ .

ياـ ولـدـيـ أـتـحـبـ أـنـ أـرـيـكـ خـاتـمـ سـلـيـمـانـ بنـ دـاـوـدـ ؛

فـقـالـ : نـعـمـ ، فـأـدـخـلـ يـدـهـ تـحـتـ

ثـيـابـهـ وـ اـسـتـخـرـجـ خـاتـمـاـ عـلـيـهـ فـصـ منـ يـاقـوـتـ مـكـتـوبـ عـلـيـهـ أـرـبـعـةـ أـسـطـرـ ، وـ قـالـ :

هـذـاـ وـالـهـ خـاتـمـ سـلـيـمـانـ بنـ دـاـوـدـ .

قال سلمان : فـبـقـيـنـاـ مـتـعـجـبـاـ مـنـ ذـلـكـ فـقـالـ ﷺ مـنـ أـيـ تـعـجـبـونـ وـمـاـهـذـاـ الـعـجـبـ

إـنـيـ لـأـرـيـنـاـ كـمـ الـيـوـمـ مـالـمـ يـرـهـ أـحـدـ قـبـلـيـ إـلـىـ بـعـدـيـ .

قال الحسن ﷺ : ياـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ إـنـاـ تـحـبـ أـنـ تـرـيـنـاـ يـأـجـوجـ وـمـأـجـوجـ وـالـسـدـ

فـقـالـ ﷺ : لـلـرـيحـ سـيـرىـ ، فـقـالـ سـلـمـانـ : فـوـاـهـ لـمـاـ سـمـعـ الـرـيحـ قـوـلـهـ دـخـلـتـ تـلـكـ

السحاب ورفعنا إلى الهواء حتى أتينا إلى جبل شامخ في الهواء وعليه شجرة جافة وتساقط أو رأها قلنا : ما بال هذه الشجرة قد جفت وماتت ، قال : سلوها فانها تخبركم فقال الحسن عليه السلام : ما بالك أتيتها الشجرة قد حل بك ما نراه منك ؟ فما أجبت ، فقال لها أمير المؤمنين : يتحقق عليك أيتها الشجرة أجفهم .

قال سلمان : فوا الله لقد سمعناها وهي تقول لبيك لبيك يا وصي رسول الله وخليفة من بعده حقا ، فقال للحسن : يا يا محمد إن أمباك أمير المؤمنين يجيئني في كل ليلة ويسبح عندي الله عز وجل ويستظل بي فإذا فرغ من تسبيحه جاءته غمامه بيضاء تفوح منها مسك وعليها كرسى فيجلس عليها ثم يسير به فلا راء إلى وقته ذلك ، وكان يتعاهدنا كل ليلة وكانت أعيش من رائحته فقطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبرا و الذي تراه متى مما أنكرته من فقده والغم والحزن فسألته يا سيدى حتى يتعاهدنا بجلوسه عندي فقد عشت من رايته في هذا الوقت وبنظرى إليه ، قال : فبقينا متعجبين من ذلك قيام عليه السلام ومسح يده المباركة عليها

قال سلمان : والله الذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنيانا وأنا أرها وهي تخضر حتى أنت ورقا وأثمرت بقدرة الله عز وجل وببر كاته عليه السلام ، فأكلنا فكان أحلى من السكر ، قلنا : يا أمير المؤمنين هذا عجب فقال عليه السلام الذي ترون بعدها عجب ثم عاد عليه السلام إلى موضعه وقال للريح : سيري بنا ، فدخلت الريح تحت السحابة ورفعنا حتى رأينا الدنيا بمثل دور الرأس ورأينا في الهواء ملوك رأسه تحت الشمس ورجاله في قعر البحور ويده في المغرب والأخرى في المشرق فلما خبرنا به قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدأً عبده ورسوله وأنك وصيه حقا لا شك فيك ومن شك فيك فهو كافر .

قلنا : يا أمير المؤمنين من هذا الملك وما بال يده في المغرب وأخرى في المشرق ؟ فقال عليه السلام أنا أقمته بأذن الله هبنا وكلته بظلمات الليل وضوء النهار ولا يزال كذلك إلى يوم القيمة وإنني لأدبر أمر الدّنيا وأصنع ما أريد بأذن الله وأمره واعمال الخالق إلى وأنا أدفعها إلى الله عز وجل .

ثُمَّ سار بنا حتَّى وقفنا على ياجوج وماجوج ؛ فقال عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلرَّبِّ اهْبَطَنَا تَحْتَ هَذَا الْجَبَلِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى جَبَلٍ شَامِخٍ إِلَى قَرْبِ السَّدِّ أَوْ تَفَاعِهِ مَدَّ الْبَصَرِ إِذَا بَهُ سَوَادَ كَانَهُ قَطْعَةً لَيْلَةً يَفُورُ مِنْهُ دَخَانٌ فَقَالَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ : يَا بَاهْمَدُ أَنَا صَاحِبُ هَذَا السَّدِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْعَبْدِ .

فَقَالَ سَلَمَانٌ : فَرَأَيْتُهُمْ ثَلَاثَةَ أَصْنَافًا : صَنْفٌ طُولُهُ مَائَةٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا مِنْ عَرْضِ سَتِينَ ذِرَاعًا ، وَالصَّنْفُ الثَّانِي طُولُهُ مَائَةٌ وَسِبْعُونَ ذِرَاعًا مِنْ عَرْضِ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا ، وَالصَّنْفُ الثَّالِثُ أَحَدُهُمْ يَفْرُشُ أَذْنَهُ تَحْتَهُ وَالْأُخْرَى فَوْقَهُ .

ثُمَّ قَالَ لِلرَّبِّ يَسِيرِي بِنَا إِلَى قَافٍ فَسَارَتْ بِنَا إِلَى جَبَلٍ مِنْ يَاقُوتَهُ خَضْرًا وَهُوَ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ نَيْنًا وَعَلَيْهِ مَلْكٌ فِي صُورَةِ بَنِي آدَمَ وَهُوَ الْمُوْكَلُ بِقَافٍ فَلَمَّا نَزَلَ الْمَلْكُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ قَالَ تَرِيدُ أَنْ تَسْأَلَنِي أَنَّ آذْنَ لَكَ فَقَدْ أَذْنَتْ فَأُسْرَعَ الْمَلْكُ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ طَارَ .

فَقَالَ سَلَمَانٌ وَطَفَنَا فِي ذَلِكَ حَتَّى اتَّهَمَنَا إِلَى شَجَرَةٍ جَافَّةٍ مِنَ الشَّجَرَةِ الْأُولَى فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِالْأَرْضِ شَجَرَةٌ قَدْمَاتِهِ ؟ فَقَالَ سَلَوْهَا قَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ : وَقَتَ وَدَنَوْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَقَلَّتْ لَهَا أَقْسَمَتْ عَلَيْكَ بِحَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَخْبِرَنَا مَا بِالْأَرْضِ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ قَالَ سَلَمَانٌ : فَكَلَّمْتُ بِلِسَانَ طَلْقٍ وَهِيَ تَقُولُ :

يَا بَاهْمَدُ إِنِّي كُنْتُ أَفْتَخِرُ عَلَى الْأَشْجَارِ فَسَارَتِ الْأَشْجَارُ تَفْتَخِرُ عَلَى وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاكَ كَانَ يَجْيِئُنِي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَنْدَ النِّصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الدَّلِيلِ يَسْتَظِلُّ بِي سَاعَةً ثُمَّ يَأْتِيَهُ فَرْسٌ أَدْهَمٌ فَيُرْكِبُهُ وَيَمْضِي فَلَا أَرَاهُ إِلَى وَقْتِهِ وَكُنْتُ أَعْيَشُ مِنْ رَايِحَتِهِ وَأَفْتَخِرُ بِهِ فَقُطِعْنِي مِنْذَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَغَمْتُنِي ذَلِكَ فَصَرَتْ كَمَاتِرِي .

فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُ اللَّهَ فِي رَدِّهِ كَمَا كَانَتْ فَمَسَحَ يَدَهُ الْمِبَارَكَةُ ثُمَّ قَالَ : يَا شَاهِ شَاهَانَ فَسَمِعْنَا لَهَا أَنِينًا وَهِيَ تَقُولُ أَشْهِدُ أَنْكَ أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَوَصَّيَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ تَمْسِكِ بِكَ فَقَدْ نَجَا وَمِنْ خَالِفَكَ فَقَدْ غَوَى، ثُمَّ أَخْضَرَتْ وَأَوْرَقَتْ فَجَلَسْنَا تَحْتَهَا وَهِيَ خَضْرَةٌ نَفْرَةٌ .

فَقُلْنَا يَا ذَهْبَ هَذَا الْمَلْكِ الْمُوْكَلُ بِقَافٍ ؟ قَالَ عَلَيْهِ الْحَمْدُ : إِلَى زِيَارَةِ الْمَلْكِ الْمُوْكَلِ

على ظلمات الليل وضوء النهار فقلنا يا أمير المؤمنين ما يزالون عن مواضعهم إلا باذنك ؛ فقال عليه السلام : والذي رفع السماء بغير عمد ما أطعن أحداً يزول عن مواضعه بغير إذني إلا احترق .

فقلنا : يا أمير المؤمنين كنت معنا جالسا في منزلك فأي وقت كنت في قاف ؟  
قال عليه السلام : غمضوا أعينكم فغمضناها ثامن قال عليه السلام : افتحوها، ففتحناها فإذا نحن قد بلغنا مكة ، فقال عليه السلام : لقد بلغنا و لم يشعر أحد فكذلك كنت بقاف ولم يشعر أحد منكم .

فقلنا : يا أمير المؤمنين هذا العجب من وصي رسول الله فقال : والله إني أملك من الملوكوت ما لو عاينتموه لقلتم أنت أنت أنت ، وأنا أنا وأنا عبد الله مخلوق من الخالقين آكل وأشرب .

تم أتينا إلى روضة نفرة كأنها من رياض الجنة فإذا نحن بشاب يصلي بين قبرين ، فقلنا يا أمير المؤمنين من هذا الشاب ؟ فقال أخي صالح وهذا قبر أبيه يعبد الله بيدهما ، فلما نظر إليصالح أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي ، فلما فرغ من بكائه فقلنا ممّا تبكي ؟ فقال : إنّ أمير المؤمنين كان يمر بي كل يوم عند الصبح و كنت آنس به وأزداد في العبادة فقطعني منذ أربعين يوماً فآهمني ذلك ولم أملك من شدة شوقي إليه وأصابني ماتراه ، فقلنا : يا أمير المؤمنين هذا هو العجب من كل ما رأينا أنت معنا في كل يوم وتتأتي إلى هذا الفتى .

قال عليه السلام : أتحبون أن أريكم سليمان بن داود ؟ فقلنا : نعم ، فقام عليه السلام و قمنا معه فمشينا حتى دخلنا إلى بستان لم نر قط مثله وفيه من جميع الفاكهة والأنهار تجري والأطيوار تتغنى ، فلما نظرت الأطيوار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جعلت تظل على رأسه .

فإذا نحن بسير عليه شاب ملقى على ظهره وليس في يده خاتم وهند رأسه ثعبان وعند رجليه ثعبان فلما نظرا إلى أمير المؤمنين عليه السلام انكبّا على قدميه يمرغان وجوههما على التراب ثم صارا كالتراب فقلنا :

يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان ؟ قال : نعم وهذا خاتمه ثم أخرج من يده الخاتم وجعله في يد سليمان ثم قال : قم يا سليمان باذن من يحيى العظام وهي رميم وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم القهار رب السماوات والأرضين رب بي و رب آبائنا الأولين .

قال سليمان : فسمعنا سليمان يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مخلقاً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأشهد أنك وصي رسول الله الأمين الهادي ، وإنني سأله رب بي عزوجل أن أكون من شيعتك ولو لا ذلك ماملكت شيئاً .

قال سليمان : فلما سمعت ذلك وثبتت وقبلت أقدام أمير المؤمنين ثم نام سليمان وقمنادور في قاف فسألته ما زرائه قاف ؟ فقال عَلَيْكُمْ بِمَا حُرِّمَ أربعين دنيا كل دنيا مثل الدنيا التي جئنا أربعين مرّة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين كيف علمك بذلك ؟ قال عَلَيْكُمْ : كعلمي بهذه الدّنيا ومن فيها وبطرف السماوات والأرضين .

يا سليمان كتبت على الليل فأظلم ، وعلى النهار فأضاء ، أنا المحنة الواقعة على الأعداء الطامة الكبرى ، أسماؤنا كتبت على العرش حتى استند ، وعلى السماوات فقامت ، وكتبت على الأرض فسكتت ، وعلى الرياح فذررت ، وعلى البرق فلمع ، وعلى النور فسطع ، وعلى الرعد فخش ، وأسماؤنا مكتوبة على جبهة أسرافيل الذي جناحه في المشرق والمغرب وهو يقول : سبّوح قدوس رب الملائكة والروح .

ثم قال عَلَيْكُمْ لِتَأْغِمُوهُمْ أَعْيُنُكُمْ فَعَمِضُنَا ثُمَّ قال عَلَيْكُمْ : افتحوها ففتحنا فإذا نحن بمدينة لم نر أكبر منها وإذا الأسواق بايرة وأهلها قوم لم نر أطول منهم خلقاً كل واحد كالنخلة ، فقلنا من هؤلاء القوم فما رأينا أعظم منهم خلقاً ؛ قال عَلَيْكُمْ : هؤلاء قوم عاد وهم كفار لا يؤمنون بيوم الميعاد وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، فأحببت أن أريكم إياتهم في هذا الموضع ولقد مضيت بقدرة الله تعالى ، واقتلت مدینتهم وهي مدائن الشرق وأتيتكم بها وأنتم لا تشعرون ، وأحببت أن أقاتل بين يديكم .

ثُمَّ دنامنهم فدعاهم إِلَى الْإِيمَان فَأَبْوَا فَحَمِلَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَحَمَلُوا عَلَيْهِ وَنَحْن نَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَا فَتَبَاعِدُ عَنْهُمْ وَدَنَا مَنَا فَمَسَحَ يَدُهُ عَلَيْهِ عَلَى أَبْدَانَنَا وَقُلُوبَنَا وَقَالَ : ثَبَّتُو عَلَى الْإِيمَانِ ثُمَّ هَمَشَ إِلَيْهِمْ وَدَعَاهُمْ ثَانِيَةً إِلَى الْإِيمَانِ وَنَحْنُ نَرَاهُمْ فَأَبْوَا ثُمَّ زَعَقَ زَعْقَةً .

قال سلمان : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيدهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ انْقَلَبَتْ وَالْجَبَالَ قَدْ تَدَكَّدَ كَتْ وَرَأَيْتُهُمْ صَرْعَى كَأَعْجَازٍ نَخْلُ خَاوِيَّةً قَالَ : لَا اضْعَفُ إِيمَانَكُمْ .  
قال لَنَا أَتَحْبَّوْنَ أَنْ ارْبَيْنَكُمْ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا : فَقَلَّنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا النَّا قُوَّةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كَنَّا لَنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، فَعَلَى مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

ثُمَّ صَاحَ عَلَيْهِ بِالْغَمَامَةِ فَإِذَا هِيَ قَدْ أَفْبَلَتْ فَقَالَ اجْلَسُوا عَلَى السَّحَابَةِ فَجَلَسُنا وَجَلَسْتُ هُوَ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ تَكَلَّمَ بِمَا لَمْ نَفْهُمْهُ فَمَا اسْتَمَمْ كَلَامَهُ حَتَّى طَارَتْ بِنَا فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ رَفَعْتَنَا حَتَّى رَأَيْنَا الدُّنْيَا مَثْلَ دُورِ الدَّرَاهِمِ ثُمَّ حَطَطْنَا دَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ فِي أَقْلَمْ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَأَنْزَلْنَا وَالْمَؤْذَنْ يُؤَذِّنُ لِلظَّهِيرَ وَكَنَا مَضِينَا عَنْدَ طَلْوَعِ الشَّمْسِ ، فَقَلَّنَا هَذَا هُوَ الْعَجْبُ كَنَّا فِي قَافٍ وَقَطَعْنَا وَرَجَعْنَا فِي خَمْسِ سَاعَاتٍ ، فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَرَدْتَ أَطْوَفَ بِكُمِ الدُّنْيَا وَجَمِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي أَقْلَمْ مِنْ مَدَ الْيَصْرِ لَفَعَلْتُ بِقَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَّهُ وَبِرَكَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَنَا وَصِيهَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

فَقَالَ سَلَمَانُ : قَلَّنَا : لَعْنَ اللَّهِ مِنْ جِحْدِكَ وَغَصْبِ حَقِّكَ وَضَاعْفُ عَلَيْهِمِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ وَجَلَّنَا مَمَّ لَا يَفْارِقُ مِنْكَ سَاعَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمِ السَّلَامُ .

أَقُولُ : وَرَوَاهُ الْمَحْدُثُ الْعَالَمُ الْمَجْلِسِي طَابَ شَرَاهِ فِي الْمَجْلِدِ السَّابِعِ مِنَ الْبَحَارِ مِنْ كِتَابِ الْمُحْتَضَرِ لِلشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ سَلِيمَانَ مِنْ كِتَابِ مَنْهِجِ التَّحْقِيقِ إِلَى سَوَءِ الطَّرِيقِ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ الْإِمامَيَّةِ بِاسْنَادِهِ عَنْ سَلَمَانَ الْفَارَسِيِّ نَحْوَ مَا رَوَيْنَاهُ وَقَالَ بَعْدَ مَا أُورَدَهُ :

أقول : هذا خبر غريب لم نره في الأصول التي عندنا ولا نردها ونرد علمها إليهم عليهما السلام . ومنها

ما في المجلد الثامن من البخاري من كتاب المختصر عن بعض العلماء في كتاباته عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : إنَّ أمير المؤمنين كان يخرج في كل جمعة ظاهر المدينة ولا يعلم أحد أين يمضي ، قال فبقي على ذلك برهة من الزمان ، فلما كان في بعض الليالي قال عمر بن الخطاب : لا بد من أن أخرج وأبصر أين يمضي علي بن أبي طالب عليهما السلام .

قال : فقد له عند باب المدينة حتى خرج ومضى على عادته فتبعده عمر وكان كلّما وضع على عليهما السلام قدمه في موضع وضع عمر رجله مكانها ، فما كان إلا فليلاً حتى وصل إلى بلدة عظيمة ذات نخل وشجر ومياه غزيرة ثم إنَّ أمير المؤمنين عليهما السلام دخل إلى حديقة بها ماء جار قتوضاً ووقف بين النخل يصلى إلى أن مضى من الليل أكثره .

وأمّا عمر فأنه نام فلما فضي أمير المؤمنين عليهما السلام وطره من الصلاة عاد ورجع إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله عليهما السلام وصلّى معه الفجر فاتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين في موضعه فلما أصبح رأى موضعاً لا يعرفه وفاما لا يعرفونه فوقف على رجل منهم .

فقال له الرجل : من أنت ومن أين أنت ؟ فقال عمر : من يشرب مدينة رسول الله عليهما السلام فقال له الرّجل : ياشيخ تأمل أمرك وابصر ما تقول فقال : هذا الذي أقوله لك قال الرّجل : متى خرجت من المدينة ؟ قال : البارحة قال له : اسكت لا يسمع الناس بذلك فتقتل أو يقولون هذا مجنون ، فقال : الذي أقول حقّ .

فقال له الرّجل : حدثني كيف حالك ومجيئك إلى هنا ؟ فقال عمر : كان عليّ بن أبي طالب في كل ليلة جمعة يخرج من المدينة ولا نعلم أين يمضي فلما كان في هذه الليلة تبعته وقلت أريد أن أبصر أين يمضي فوصلنا إلى هنا فوقف

يصلني ونمـت ولا أدرى ما صنـع .

فقال له الرّجل: ادخل هذه المدينة وأبصر الناس واقطع أيامك إلى ليلة الجمعة فمالـكـ أن يحملـكـ إلى الموضع الذي جـئتـ منهـ إلاـ الرـجلـ الذي جاءـ بكـ، فـبـينـناـ وـبـينـ المـدـيـنـةـ أـزـيدـ مـنـ مـسـيرـةـ سـتـيـنـ فـإـذـاـ رـأـيـناـ مـنـ يـرـىـ المـدـيـنـةـ وـرـأـيـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ تـبـرـكـ بـهـ وـنـزـورـهـ وـفـيـ بـعـضـ الـاحـيـانـ نـرـىـ مـنـ أـتـىـ بـكـ فـقـتـوـلـ أـنـتـ قـدـجـتـكـ فـيـ بـعـضـ لـيـلـةـ مـنـ المـدـيـنـةـ فـدـخـلـ عـمـرـ إـلـىـ المـدـيـنـةـ فـرـأـيـ النـاسـ كـلـهـمـ يـلـعـنـونـ ظـالـمـيـ أـهـلـ بـيـتـ مـحـمـدـ ﷺـ وـيـسـمـونـهـ بـأـسـمـائـهـ وـاحـدـاـ وـاحـدـاـ وـكـلـ صـاحـبـ صـنـاعـةـ يـقـولـ ذـلـكـ وـهـوـعـلـىـ صـنـاعـتـهـ فـلـمـ سـمعـ عـمـرـ ذـلـكـ ضـافـتـ عـلـيـهـ الـأـرـضـ بـمـاـ رـحـبـتـ وـطـالـتـ عـلـيـهـ الـأـيـامـ .

حتـىـ جـاءـ لـيـلـةـ الـجـمـعـةـ فـمضـىـ إـلـىـ ذـلـكـ المـكـانـ فـوـصـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـمـ إـلـيـهـ عـلـىـ عـادـتـهـ فـكـانـ عـمـرـ يـتـرـقـبـ حـتـىـ مـضـىـ مـعـظـمـ الـلـيـلـ وـفـرـغـ مـنـ صـلـاتـهـ وـهـمـ بـالـرـجـوعـ فـتـبـعـهـ عـمـرـ حـتـىـ وـصـلـاـ الفـجـرـ الـمـدـيـنـةـ ، فـدـخـلـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ الـمـسـجـدـ وـصـلـىـ خـلـفـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ وـصـلـىـ عـمـرـ أـيـضاـ ثـمـ التـفـتـ النـبـيـ إـلـىـ عـمـرـ فـقـالـ: يـاعـمـ أـيـنـ كـنـتـ اـسـبـوـعاـ لـاـ نـرـاكـ عـنـدـنـاـ فـقـالـ عـمـرـ: يـارـسـولـ اللهـ كـانـ مـنـ شـائـنـيـ كـذـاـ وـكـذـاـ وـفـصـ عـلـيـهـ مـاـ جـرـىـ لـهـ فـقـالـ النـبـيـ ﷺـ لـاـ تـنـظـرـ لـاـ تـنـسـ مـاـ شـاهـدـتـ بـنـظـرـكـ فـلـمـ سـأـلـهـ عـنـ ذـلـكـ فـقـالـ نـقـذـفـيـ سـحـرـ بـنـيـ هـاشـمـ .

قال المجلسى (ره) أقول : هذا حديث غريب لم أره إلا في الكتب المذكورة، هذا .  
وغير ايبشـوـونـاتـهـمـ عـلـيـهـمـ الـكـلـيـلـ مـتـجـاـوزـةـ عـنـ حـدـ الـاصـحـاءـ وـلـوـأـرـدـتـ ذـكـرـ يـسـيـرـ منـ كـثـيرـ لـصـارـ كـتاـباـ كـبـيرـ الـحـجـمـ وـفـيـماـ أـورـدـتـهـ كـفـاـيـةـ لـلـمـسـبـصـرـ وـهـدـاـيـةـ لـلـمـهـتـدـيـ ، وـالـهـالـعـالـمـ التـبـيـرـ بـمـقـامـاتـ حـجـجـهـ وـأـوـلـيـائـهـ الـكـرـامـ عـلـيـهـمـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ .

### الترجمة

پس کدام راه میروید ای مردمان گمراه ، و کجا باز گردانیده میشوید ای خلق تباء ، و حال آنکه علامات هدایت بربا است ، و آیات قدرت روشن و هویداست و مغارهای بلند پایه بجهت هدایت مر کوز و منصوبست ، پس کجا حیران گردانیده میشوید در تباہی ، بلکه چگونه متعدد میباشد در گمراهی و حال آنکه در میان

شما است اهل بيت پيغمبر شما وايشان زمامهای حق اند وزبانهای صدق ، پس نازل نمائید ايشان را در نيكوترين منزلهای قرآن ، ووارد شويد بايشان مثل وارد شدن شتران عطشان به آب فرات و روان .

اي مردمان اخذ نمائید اين روایت را از حضرت خاتم الانبياء عليه التحية والثناء ، بدرستيکه هيميرد کسی که مرد از ما وحال آنکه مرده نیست بحقیقت و می پوسد آنکه پوسیده ازما وحال آنکه پوسیده نیست در الواقع ، پس قائل نشويد بچيزی که معرفت نداريد بآن زیرا که أكثر حق در آنچيزیست که شما انکار مینيمائید آنرا و معدورداريد شخصی را که حجت نیست شمارا براو و منم آنس شخص . آيا عمل نکردم در میان شما ببارگران بزرگتر که عبارت است از قرآن ، آيا نگذاشتمن در میان شما بارگران کوچکتر که عبارت است از عترت سیدالبشر ، و مرکوز ساختم در میان شما رايت ايمان و اسلام را ، و وافق گردا نید شمارا بحدود حلال و حرام ، و پوشانیدم بشما لباس عافیت را از عدل و انصاف خود ، و گسترانیدم از برای شما بساط امر معروف را از گفتار و كردار خود ، و بنمودم بشما خلقهای پسندیده از نفس خود ، پس استعمال نکنید رأی های خود را در آنچه که درك نمینيمائید نهايیت آنرا بصر ، و سرعت نمیتواند کند بسوی آن فکرهای ارباب فکر و نظر ، و آن عبارت است از مقامات نورانيه ائمه أنام عليهم الصلاة والسلام .

### الفصل الرابع

منها حتى يظنُّ الظَّالِمُونَ إِنَّ اللَّهَ نِيَّا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَّيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَ تُورِّدُهُمْ صَفْوَهَا، وَ لَا يُؤْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَ لَا سَيْقُهَا، وَ كَذِيبَ الظَّالِمُ لِذِلِّكَ، بَلْ هِيَ مَجْهَةٌ مِنْ لَذِبِّ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُهَا جُمْلَةً .

## اللغة

( عقلت ) البعير عقلا من باب ضرب حبسته بعقل و ( منح ) زيد عمرأ يمنج من باب منع أعطاه و منه المنحة بالكسر وهي الشاة أو الناقة المعادة للبنها و ( الدر ) في الأصل اللبن ثم استعمل في كل خير و نفع و منه قولهم : لله در و ( مج ) الشراب من فيه مجاناً قذفه و رماهوا نمجت نقطة من القلم ترششت ، والمجة في النسخ بفتح الميم والأنسب أن يكون بالضم وهو على ما في القاموس نقط العسل على الحجارة و ( البرهة ) مدة من الزمان لها طول .

## الاعراب

حتى لاتنتهاء الغاية وقد حذف المنيا وترك ذكره في الكتاب ، والواو في قوله : وكذب الظان حالية ، وجملة يتطلعونها في محل الرفع صفة لمجة .

## المعنى

اعلم أن المستفاد من شرح المعتزلي أن هذه الخطبة ملقة من خطبة طويله حذف السيد منها كثيراً ولم أعن بعد على تمامها ، وهذا الفصل من جملة أخباره الغريبة مسوق لبيان حال بنى أمية لعنهم الله وابتلاء الخلق بهم ، و لعل ما قبل هذا الفصل أنه :

يليكم ولاد سوه يتمادون في الطغيان والغفلة ، ويكون الناس بهم في طول عناء وشدة ( حتى يظن الظان أن الدنيا معقوله على بنى أمية ) أى محبوسة في أيديهم لا تتجاوز عنهم إلى غيرهم كالناقة المحبوسة بالعقل ( تمنحهم درها وتوردهم صفوها ) أى تعطيهم منفعتها وتبذ لهم صافي فوائدها كما أن المنحة تعطى لبنيها لحالها وتبذله له ( ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولاسيفها ) أى لا يرفع عن الامة عذاب الدنيا بهم و تجوّز بلفظ السوط والسيف عن القتل والاستعمال والعقاب لكونهما آلتين لهما ( وكذب الظان لذلك ) في ظنه وزعمه ( بل هي مجرة من

لذيد العيش) اي حقير فليلة كالريقة التي تمج من الفم (يتطعمونها برهة) من الزمان ويلتذون بها مدة ملكهم وامارتهم (ثم يلفظونها جملة) اي يرمونها بكلّيتها وهو كنایة عن زوالها عنهم بالمرة.

أقول : وقد كان الاًمر على ما أخبر به الامام عَلِيُّكُلُّهُ فان بني امية قد تسلّطوا على العباد ، وتماکروا البلاد ، ونهبوا الاًموال ، وقتلوا الرجال ، وأراقوا دماء الشیعیة بكلّ بلدة ، وقطعوا الايدي والارجل على الظنة ، ولم يخرج عليهم خارج الا وظفروا عليه وفهروه ، ولم يقم لا زالة ملكهم قائم إلا وغلبوا عليه وقتلوه ، حتى ظن الناس ان الدّنیا معقوله عليهم ، وسلطتها دائمة في حقّهم ، فاذن الله في هلاکهم وأراد زوال ملكهم فاختلّت كلمتهم وتضعضع أمرهم فزالت دولتهم :

**«کَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ».**

وقد كانت مدة ملك السلطنة ألف شهر على ما أخبر الله به نبيه عَلِيُّكُلُّهُ . كما قال الصادق عَلِيُّكُلُّهُ في رواية الكافي : أرى رسول الله عَلِيُّكُلُّهُ في منامه أن بني امية يصعدون على منبره من بعده و يتسلّلوا الناس عن الصراط القهرى فأصبح كثيباً حزيناً قال عَلِيُّكُلُّهُ : فهبط عليه جبرئيل فقال : يا رسول الله ما لي أراك كثيباً حزيناً قال : يا جبرئيل إني رأيت بني امية في ليلتي هذه يصعدون منبري يتسلّلوا الناس عن الصراط القهرى ، فقال : والذي بعثك بالحق نبياً إني ما اطلعت فرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بما من القرآن يومنسه بها :

**«قَالَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَا هُمْ سِينَنَ ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعَنُونَ»** وأنزل عليه : إنا أنزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفٍ شَهْرٍ .

ملك بنی امیة و بمعناه أخبار اخر .

### الترجمة

این فصل متضمن اخبار از ایتلاه اهل روزگار به بنی امیة کجرفتار وزوال  
ملك از آن طایفه بدکردار است میفرماید :

تااینکه گمان میکند گمان کننده این که دنیا محبوس است و مر بوطبه بنی امیه  
در حالتی که میدهد باشان منفعت خود را ، ووارد میکند ایشانرا با آب صافی خود ،  
ورفع نمیشود از این امت تازیانه دنیا و نه شمشیر آن و حال آنکه دروغ گفت گمان  
برنده آن یعنی ظن او بدوام دولت بنی امیة فاسد است بلکه آن دولت ایشان  
چیز قلیل وحیری است از لذت زندگانی بمنزله آبی که از دهن میاندازند ،  
ملتذ میشوند با آن زمانی پس بیندازند آنرا بالمر چون انداختن لقمه ازدهان ،  
واین کنایه است از زوال ملك ایشان بالکلیه .

## وَمِنْ خُطْبَةِ لِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ السَّابِعَةُ وَالثَّمَانُونُ

### مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

وهي مرويّة في كتاب الروضة من الكافي باختلاف كثير تطلع عليه إنشاء الله  
بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد (ره) في الكتاب وهو قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ :

أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقْصِمْ جَبَارِيَّ دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَهْبِيلٍ  
وَرَخَاءً، وَلَمْ يَجْبِرْ عَظِيمًا أَحَدًا مِنَ الْأَمْمَ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءً، وَفِي  
دُونِ مَا أَسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَذَابٍ، وَأَسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ حَطْبٍ مُغْتَرِّ، وَمَا كُلُّ  
ذِي قَلْبٍ بِلَهِبِّ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمْعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ

لِيَصْرُ، فَيَا عَجِبًا وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقُ عَلَى اخْتِلَافِ  
حُجَّهَا فِي دِينِهَا، لَا يَقْتَصُونَ أَثْرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ،  
لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعْفُونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشَّهَمَاتِ، وَيَسِيرُونَ  
فِي الشَّهَمَاتِ، الْمَفْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدُهُمْ مَا أَنْكَرُوا،  
مَفْزُعُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبَهَّمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ،  
كَانَ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ إِمَامٌ لَنَفْسِهِ، قَدْ أَخْذَ مِنْهَا فِيهَا بَرِيًّا وَرِقَاتِ  
وَأَسْبَابِ مُخْكَمَاتِ.

### اللغة

(قصمه) يقصد منه من باب ضرب كسره وابانه أو كسره وان لم يبين و (الجبار)  
كلّ عات و (مهله) تمهيلاً أجله و (رخي) العيش ورخو بالياء والواو رخاؤه من  
باب تعب وقرب إذا اتسع فهو رخي على وزن فعيل والرّخا اسم منه، و في بعض  
النسخ الارجاء بالجيم من باب الافعال وهو التّأخير فيكون عطفه على التّمهيل من  
باب التوضيح والتفسير و (جيبرت) العظم جبراً من باب قتل أصلحته و (الأزل)  
الضيق والشدة و (العتب) بالسكنون الموجدة ويروى بفتح التاء وهو الشدة  
والأمر الكريه و (الخطب) الأمر المعظم كما في قوله : فما خطبك يا سامي ،  
ويروى من خصب بالصاد المهملة وهو السعة ورخاء العيش .

وفي بعض النسخ استقبلتم من خطب واستند برتم من عتب ، وفي بعض النسخ  
فياعجبي بالإضافة إلى ياء المتكلّم (يقتضون) وما بعده من الأفعال في بعض النسخ  
بصيغة المذكر باعتبار المعنى وفي بعضها بصيغة التأنيث باعتبار ملاحظة لفظ الفرقـة  
وعود الضمير فيها إليها و (عف) يعفّ من باب ضرب عفّا وعفافاً وعفافة بفتحهنّ

وعفة بالكسر فهو عف وعفيف كف عما لا يحل وامتنع عنه.

وفي بعض النسخ يعفنون بسكن العين والتحفيف من العفو وهو الصفح وترك عقوبة المستحق و(المعضلات) في النسخ بفتح الضاد وكذلك في الخطبة السابقة والمضبوط في القاموس والأوقيانوس بصيغة الفاعل وهي الشدائد من أعضل الأمر إذا اشتد (العرى) جمع العروة كمدية و مدى وهو ما يستمسك به الشيء ومنه عروة الكوز لمقبضه و اذنه (السبب) العجل وما يتوصّل به إلى الاستعلاء «الغير ظ» ثم استعيير لكل شيء يتوصّل به إلى أمر من الأمور.

### الاعراب

قط من ظروف الزمان و معناه الوقت الماضي عموماً ولا يستعمل إلا بمعنى أبداً والغالب استعماله في الماضي المنفي وقد يستعمل بدون النفي لفظاً و معنى ، نحو كنت أراه قط أى دائماً قد استعمل بدونه لفظاً لا معنى ، نحو هل رأيت الذئب قط وهو مبني لأن بعض لفاته على وضع المحرف وبنائه على الفسم حملاً على أخيه عوض لأن عوض للمستقبل المنفي وهو للماضي المنفي وبني عوض على الضم لانقطاعه عن الاضافة قبل وبعد

قال الرضي: الأولى أن يقال بني لتفصنه لام الاستغرار لزوماً لاستغرافه جميع الماضي بخلاف أبداً فليس الاستغرار لازماً لمعناه ، إلا ترى إلى قولهم : طال إلا بعد على أبد ، و دون ظرف مبني على الفتح يقال هذا دون ذلك أى أقرب منه ، و منه المثل دونه خرت القتاد ، وعجبأاما منصوب على النداء والتنوين عوض عن المضاف إليه أى ياعجبي احضر ، أو منتصب على المصدرأى يانفس أعجب عجباً ، وما استفهامية ومن خطاء إما متعلق بعجباً أو أعجب على سبيل التنازع ، وعلى اختلاف إما بمعنى اللام كما في قوله :

«وَلِتَكْبِرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدِيكُمْ».

فتكون علة للخطاء ، وإما بمعنى مع كما في قوله تعالى :

«وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُجَّهِ».

بناء على عود الضمير في حبه إلى الطعام دون الله سبحانه، ويحتمل أن يكون للاستعلاء المجازي والمتعلق مهدوفاً والتقدير من خطاه هذه الفرق مبنية على اختلاف حججها، وفي دينها متصل بالخطاء، وجملة لا يقتضون استيفاف بيانى مسوق لبيان جهة الخطأ أو جهة الاختلاف على سبيل منع الخلوق ففهم جيداً، وتحتمل الحالية والأول أظهره، وكان كلّ امرء من حروف المشبّهة وفي بعض النسخ بمحذفها أو سقطها، قال الشارح المعتزلي وهو حسن أقول: بل اثباتها أحسن ويظهر وجهه بالتأمل.

### المعنى

اعلم أنّ مقصوده عليهما بهذه الخطبة توبیخ الناس وذمّهم على اختلافهم في الدين وعدولهم عن الامام المبين واستبدادهم بالأراء واعتمادهم على الأهواء فمهما عليهما أو لا مقدمة متضمنة للتّشويف والتّحذير والتّنبية والتذكير وقال:

(أمّا بعد) حمد الله والثناء عليه والصلاه على رسوله وآله (فان) عادة (الله سبحانه) قد جرت في القرون الحاليه والأمم الماضية على أنه (لم يقسم حباري دهر فقط) ولم يكسر عظام أحد منهم ولم يهلكهم (إلا بعد تمهيل ورخاء) أفلم تر أولاد سبا فقد آتاهم الله سوابع الآلام وروافع التّعماه وكان لهم في مسكنهم جنستان.

«كُلُّو امِنٌ رِّزْقٍ رَّبِّكُمْ وَانشَكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَغْرِضُوا».

فأرسل عليهم سيل العرم ومزق قهم بما كفروا كلّ ممزق.

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ».

أولم تر إلى شداد بن عاد كيف بنى :

«إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْقَادِ»  
الذى طفى في البلاد ومن حذا حذوهما ممتن ملك الرّقاب وتسليط على العباد فأكثـر  
فيهم الفساد .

«فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْنَةً لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ» .

ومقصوده عليهم بهذا الكلام إنذار من قصده بالآفهام من أهل زمانه وتحذيرهم من الانغماس في الغفلة والافتتان بالرخاء والدعة والاغترار ببضاعة الشباب وغضارة الصحة كيلا يلحقهم ما لحق من قبلهم ولا يأخذهم ربهم بسوء فعلهم فيكونوا عبرة لمن بعدهم (ولم يجبر عظم أحد من الأمم) ولم يظهرهم على عدوهم (إلا بعد أزل وباء) وضيق وعنا .

وتصديق ذلك في الأمم الماضية بما وقع لبني إسرائيل من فرعون حيث جعلهم في الأرض شيئاً يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم وفيه بلاء مبين فلما تمت البلية وعظمت الرزية جبر الله كسرهم وشدّ أزرهم وأغرق فرعون وجنوده أجمعين و من على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وفي الأمة المرحومة بما وقع يوم الأحزاب عند اجتماع العرب الأتراك إذ زانغت الأ بصار وبلغت القلوب الحناجر وابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليمياً وقال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً فلما ابتلوا بذلك وأيقنوا بالقتل والهلاك أنعم الله عليهم وأعانهم بريح وجنود لم يروها وكان الله قويّاً عزيزاً .

وفي هذا الكلام تنبيه على الشبات والصبر ورجاء الظفر والنصر وعدم اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله عند ضيق المسالك والتقدم في الممالك ، هذا .  
ويحتمل أن يكون مقصوده عليهم بالفقرة الأولى أعني قوله : لم يقصد جباري

دهراً الاشارة إلى مآل حال معاوية وأمثاله من جبابرة دعوه عليهم السلام والباغين عليه من طلحة والزبير ومن حذا حذوهما من العترة ، والتنبية على أنَّ الله يقضم ظهرهم ويكسس صولتهم ويسلبهم ملكهم ودولتهم وإن طالت مدتهم وشوكتهم كما قال تعالى :

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَا هُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ» .

وبالفقرة الثانية أعني قوله ولم يجبر عظم أحداه تسلّي هم أصحابه وكابتهم بالوهن والضعف والضيق الذي أصحابهم من المختلفين ومعاوية وأصحابه وحشهم على الاتفاق والاختلاف وتحذيرهم من التفرق والاختلاف ، إذ في الاجتماع رجاء النّصرة والاختلاف مظنة المغلوبية .

ويؤيد هذا الاحتمال في الفقرتين ويعاضده التّأمل في سائر فقرات الخطبة على رواية الرّوضة الآتية (وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر) يحتمل أن يكون المراد بالعتب الذي استقبلوه عتابه عليهم السلام وموجده عليهم بتشتّت الآراء وتفرق الأهواء ، وهو على رواية العتب بسكنون التاء ، وبالخطب الذي استدبروه الأمور المعظمة والملامح التي وقعت بعد رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم السقيفة ويوم الشورى ويوم الدّار وأن يكون المراد بالعتب الشدائيد والكرایه التي أصحابهم من المختلفين وهو على رواية العتب بفتح التاء ، وبالخطب الأهوال التي كانوا يرونها من المشركين في بدء الإسلام حيث كانوا قليلاً وكان المشركون كثيرين فأيّدتهم الله بنصره بالتأليف بين قلوب المؤمنين وأظهرهم على الكافرين . (و) كيف كان فهو عليهم السلام يقول : إنَّ فيما استقبلتم واستدبرتم من الأمور المفيدة للاتساع والاعتبار لعبرة لأولي الفهم والعقل والذكاء ، وموعظة لنبوة الأنبياء والأسماع ، وإنما يتذكر أولاً الألباب ، ويعتبر السّعْي البصير المميز للقشر من الباب ، لا أنْ هم

المنتقعون بالعبر والحاائزون قصب السبق في مضمار الاعتبار بصحيف النظر إذ (ما كل ذي قلب بليبي ولا كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر ب بصير) فرب قوم لهم أرجل لا يمشون بها ، ولهم أيد لا يبطشون بها ، ولهم عقول لا يفهون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، وفي ذلك تحريص على الاتّهاظ والاعتبار وترغيب في الإزدجاج والادّكار

(فياعجبا وما لى لا أتعجب من خطأه هذه الفرق على اختلاف حججه) وأدلتها (في دينها) تعجب <sup>عليها</sup> من اختلاف الفرق وخطائهم في الدين واقترافهم في شرع سيد المرسلين اعتماداً منهم على أدلةهم المتشتّة وحجتهم المختلفة ، واتكلاً على اصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي فصلوها، واستبداداً منهم بعقولهم الفاسدة ، وآراءهم الكاسدة ،

وبيّن <sup>عليها</sup> جهة الخطأ والاختلاف بأنّهم ( لا يقتضون أثراًنبي ) لأنّهم لو اقتضوه واتبعوه لما اختلفوا إذ ماجاء به النبي <sup>عليه</sup> واحد وشرعه واحد وكتابه واحد فلو اتفقا واصابوا حسبياً من توضيحه في الكلام الشامن عشر وشرحه ( ولا يقتدون بعمل وصي ) إذ الوصي مقتد في عمله بالنبي <sup>عليه</sup> فلو اقتدوا به لكانوا مقتدين بالنبي و به مهتدين ولم يكن هناك اختلاف وخطأ حسبياً عرفت آنفاً و حيث اختلفوا علم أنّهم كانوا تاركين اثره غير مقتدين عمله و يوضح ذلك ما في غاية المرام من أعمال الشیعی مسندأ عن المجاشعي عن الرّضا عن آبائه <sup>عليهم</sup> قال : سمعت عليه <sup>عليها</sup> يقول لرأس اليهود : علىكم افترقتم ؛ فقال : على كذا وكذا فرقة ، فقال عليه <sup>عليها</sup> : كذبت ، ثم أقبل على الناس وقال : والله لو ثنتي لى الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم ، افترقت اليهود على أحد وسبعين فرقة سبعون منها في النار واحدة ناجية في الجنة وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة إحدى وسبعين فرقة في النار واحدة في الجنة وهي التي اتبعت شمعون وصي عيسى (ع) ، و تفترق هذه الامة على ثلاث

وبعدين اثنان وبسبعين فرقة في النار واحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصي محمد ﷺ وضرب بيده على صدره ثم قال لِلْمُؤْمِنِينَ ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وبعدين فرقة كلها تتحول مودتي وحبي واحدة منها في الجنة وهم النمط الأول وسط واثنتا عشرة في النار .

و (لا يؤمنون بغير ) المراد بالغيب إما القرآن الذي يصدق بعضه بعضاً .

**« وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا »**

وإما مطلق ما غاب من الحواس من توحيد الله ونبوة الأنبياء و ولادة الأولياء والرجعة والبعث والحساب والجنة والنار وسائر الأمور التي يلزم الإيمان بها مما لا يعرف بالمشاهدة وإنما يعرف بالبراهين والأدلة التي نسبها الله عليه ، وعلى أي تقدير فاتقاء الإيمان بالغيب أيضاً من أسباب اختلاف الفرق وجهات خطائهما في المذاهب إذ لو كانوا يؤمنون بالغيب وبه مذعنين كانوا مهتدين إلى الحق والصواب في كل باب فان :

**« هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ » و « ذٰلِكَ الْكِتَابُ لِرَبِّهِ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْنَّبِيِّ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَأَزَ قَنَاعُهُنُّفُونَ » .**

(ولا يغفون عن عيب) إذملكة العفاف والوقوف عند المحرمات والشبهات مانعة عن الاستبداد بالأراء التي نشأت منها الفرق والاختلاف موجبة للفحص عن الحق والاهتداء إلى صوب الصواب، وحيث لم يكن لهم عفاف وحایطة في الدين لم يبالوا في أي واديهيمون، وعلى رواية لا يغفون بالتحفيف فالمراد به عدم العفو عن عيوب الناس ، وعلى هذه الرواية فهو من فروعات الخطأ في الدين إذ العفو عن عيوب المذنبين من صفات المتقيين والمصيبيين من المؤمنين كما شهد به الكتاب المبين :

**« وَسَارُوا إِلَى مَفِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**

**أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».**

(يعملون في الشبهات) أى لا يقفون في ما اشتبه عليهم أمره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما أدى هواهم وإيه الإشارة في قوله تعالى :

«وَالَّذِينَ كَسَبُوا السُّيُّورَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهُقُهُمْ ذِلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيمٍ» وفي قوله : «هَلْ تُبْشِّرُونَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ أَصْلَلُ سَعْيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ صُنْعًا» .

روى في الوسائل من تفسير علي بن إبراهيم عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليهما السلام في تفسير الآية الأولى قال عليهما السلام : هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسود الله وجدهم يوم يلقونه .

وعنه عن أبي جعفر عليهما السلام في تفسير الآية الثانية قال : هم النصارى والقسيسون والرّهبان وأهل الشبهات والآهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع .

(ويسيرون في الشهوات) لما لاحظ عليهما ميل طباعهم إلى اللذات الدنيوية وانهما كتمهم في الشهوات التفسانية قاطعين مراحل الأوقات بالتلذذ بتلك اللذات والشهوات لاجرم جعل الشهوات بمنزلة طرق مسلوكة وجعل اشتغالهم بها بمنزلة السير في تلك الطرق (المعروف فيهم ما عرفوا) بعقولهم الفاسدة وإن لم يكن معروفاً في الشريعة (والمنكر عندهم ما أنكرو) بأرائهم الكاسدة وإن لم يكن منكراً في الحقيقة (مفرغ لهم في المضلالات إلى أنفسهم) دون الأئمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (وتعويذهن في المهامات على آرائهم) دون أهل الذكر الذين أمر بسؤالهم بقوله :

«فَانسِلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»

( كان كل امرء منهم امام نفسه ) و كان دليلاً كل واحد منهم رأيه و هو اه ( قد أخذ منها فيما يرى ) و يظن ( بعرى و ثقات ) لانفصام لها ( واسباب محكمات ) لا يضل من تمسك بها و إنما مثلهم في ذلك :

«كَمَنَلَ الْغَنَّاكُبُوتُ اتَّخَذَتْ يَيْتَأً وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتَ لَبَيْتَ الْغَنَّاكُبُوتِ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضِرُّ بُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ»

تمكملة

هذه الخطبة مروية في كتاب الروضة من الكافي باختلاف كثير عن أحمد بن محمد الكوفي عن جعفر بن عبد الله المحمدي عن أبي روح فرج بن فرة عن جعفر بن عبد الله عن مساعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمد الله فأثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام ثم قال عليه السلام :

أَمَّا بعد فان الله تبارك وتعالى لم يقسم جباري دهر إلا من بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر كسر عظم من الامم إلا بعد أزل وبلاه، أيها الناس في دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كل ذي قلب بليبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ذي ناظر عين بصير .

عباد الله أحسنوا فيما يعنيكم النظر فيه ثم أنظروا إلى عرصات من قد أفاده الله بعلمه كانوا على سنة من آل فرعون أهل جنات وعيون وزروع ومقام كريم، ثم أنظروا بما ختم الله لهم من النصرة والستور والأمر والنهي و لمن صبر منكم العاقبة في الجنان والله مخلدون والله عاقبة الأمور .

فياعجبًا وما لي لا أعجب من خطا هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقترون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغير ولا يغفون عن عيب ، المعروف فيهم ما عرفوا ، والمنكر عندهم ماأنكروا ، وكل امرء منهم امام نفسه وأخذ منها فيما يرى بعرى وثنيات وأسباب محكمات فلا يزيد الون بجور ولم «لن - حل»

يَزَادُوا إِلَّا خطاء لainاللون تقرّ بـاً ولن يزدادوا إِلَّا بعد أَمْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْسٌ بعضاً  
بعض وتصديق بعضهم البعض ، كل ذلك وحشة مما ورث النبـي الـأمـي عـلـى اللـهـ ونقولـاـ  
مـمـا أـدـى إـلـيـهـمـ منـ أـخـبـارـ فـاطـرـ السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـ .

أهـلـ حـسـرـاتـ وـكـهـوـفـ شـبـهـاتـ ، وـأـهـلـ عـشـوـاتـ وـضـلـالـةـ وـرـبـيـةـ ، مـنـ وـكـلـهـ اللـهـ  
إـلـىـ نـفـسـهـ وـرـأـيـهـ فـهـوـ مـأـمـونـ عـنـدـ مـنـ يـجـهـلـهـ غـيـرـ المـتـهـمـ عـنـدـ مـنـ لـاـ يـعـرـفـهـ ، فـمـاـ أـشـيـهـ  
هـؤـلـاءـ بـأـنـعـامـ قـدـغـابـ عـنـهاـ رـعـاـءـهـاـ .

وـوـأـسـفـاـ مـنـ فـعـلـاتـ شـيـعـتـيـ منـ بـعـدـ قـرـبـ مـوـهـ تـهـاـ الـيـوـمـ كـيـفـ يـسـتـذـلـلـ بـعـدـيـ  
بعـضـهاـ بـعـضاـ ، وـكـيـفـ يـقـتـلـ بـعـضـهاـ بـعـضاـ ، الـمـتـشـتـتـةـ غـدـاـ عـنـ الـأـصـلـ النـازـلـةـ بـالـفـرـعـ  
الـمـؤـمـلـةـ الـفـتـحـ مـنـ غـيـرـ جـهـةـ ، كـلـ حـزـبـ مـنـهـمـ آخـذـ بـغـصـنـ أـيـنـمـاـ مـاـ الـغـصـنـ  
مـاـلـ مـعـهـ .

إـنـ اللـهـ وـلـهـ الـحـمـدـ سـيـجـمـعـ هـؤـلـاءـ لـشـرـ يـوـمـ لـبـنـيـ أـمـيـةـ كـمـاـ يـجـمـعـ قـزـعـ الـخـرـيفـ  
يـؤـلـفـ بـيـنـهـ ثـمـ يـجـعـلـهـ رـكـامـ السـحـابـ ، ثـمـ يـفـتـحـ لـهـمـ أـبـوـابـاـ يـسـيـلـوـنـ مـنـ  
مـسـتـشـارـهـمـ كـسـيـلـ الـجـنـتـينـ سـيـلـ الـعـرـمـ ، حـيـثـ بـعـثـ عـلـيـهـمـ فـارـقـلـمـ يـثـبـتـ عـلـيـهـ اـكـمـةـ  
وـلـمـ يـرـدـ سـنـنـهـ رـضـ طـوـدـ يـذـعـذـهـمـ اللـهـ فـيـ بـطـوـنـ أـوـدـيـةـ ثـمـ يـسـلـكـهـمـ يـنـابـيعـ فـيـ الـأـرـضـ  
يـأـخـذـ بـهـمـ مـنـ قـوـمـ حـقـقـ قـوـمـ ، وـيـمـكـنـ مـنـ قـوـمـ لـدـيـارـ قـوـمـ ، تـشـرـيـدـاـ لـبـنـيـ أـمـيـةـ ،  
وـلـكـيـلاـ يـغـتـصـبـواـ مـاـ غـصـبـواـ ، يـضـعـضـ اللـهـ بـهـمـ رـكـنـاـ وـيـنـقـضـ اللـهـ بـهـمـ طـىـ الـجـنـادـلـ مـنـ اـرـمـ  
وـيـمـلـاهـ مـنـهـمـ بـطـنـانـ الزـيـتونـ .

فـوـ الـذـيـ فـلـقـ الـحـبـبـ وـبـرـهـ النـسـمـةـ لـيـكـوـنـ ذـلـكـ وـكـانـيـ أـسـمـعـ صـهـيلـ خـيـلـهـمـ  
وـطـمـطـمـةـ رـجـالـهـمـ وـأـيـمـ اللـهـ لـيـذـوبـنـ مـاـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ بـعـدـ الـعـلوـ وـالـتـسـمـكـيـنـ فـيـ الـبـلـادـ كـمـاـ  
تـذـوـبـ الـأـلـيـةـ عـلـىـ النـارـ ، مـنـ مـاتـ مـنـهـمـ مـاتـ ضـلـالـاـ وـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ يـقـضـيـهـمـ مـنـ  
دـرـجـ وـيـتـوـبـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ عـلـىـ مـنـ تـابـ ، وـلـعـلـ اللـهـ يـجـمـعـ شـيـعـتـيـ بـعـدـ التـشـتـتـ لـشـرـ يـوـمـ  
لـهـؤـلـاءـ ، وـلـيـسـ لـأـحـدـ عـلـىـ اللـهـ عـزـ ذـكـرـهـ الـخـيـرـةـ بـلـ اللـهـ الـخـيـرـةـ وـالـأـمـرـ جـمـيعـاـ  
أـيـهـاـ النـاسـ إـنـ الـمـنـتـحـلـيـنـ لـلـاـمـامـةـ مـنـ غـيـرـ أـهـلـهـاـ كـثـيرـ وـلـوـلـمـ تـخـاذـلـوـاـ عـنـ مـرـ

الحق ولم تهنو عن توهين الباطل لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ، و لم يقومن فوى عليكم على هضم الطاعة و ازوائها عن أهلها ، لكن تهتم كما تاهت بنو اسرائيل على عهد موسى عليه السلام ، ولعمري ليضاعف عليكم البنة بعدي أضعاف ما تاهت بنو اسرائيل

ولعمري أن لو قد استكملت من بعدي مدة سلطان بنى امية لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الفسالة وأحييتم الباطل وخلفتم الحق وراء ظهوركم ، وقطعتم الاًدنى من أهل بدر ووصلتم الاً بعد من أبناء الحرب لرسول الله .

ولعمري أن لو قد ذاب حافي أيديهم لدنا التمحيص للجزاء وقرب الوعد وانقضت المدة وبدا لكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق ، ولاح لكم القمر المنير ، فاذا كان ذلك فراجعوا التوبة واعلموا أنكم ان اتبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول عليه السلام فتداویتم من العمى والسمم والبكم ، وكفيتم مؤنة الطلب والتعسّف و نبذتم الثقل الفادح من الاًعناق ، ولا يبعد الله إلا من أبي و ظلم واعتسف و أخذ ما ليس له

**« وَسَيَقْلِمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . هذا .**

ورواها المفيد في الارشاد عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام إلى قوله بدل الله الخيرة والاً من جميماً باختلاف كثير و زيادات كثيرة على رواية الروضة ، و روى قوله عليه السلام لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحق إلى آخر رواية الروضة في ضمن خطبة أخرى رواها عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال انه خطبها بالكوفة وبينها وبين رواية الروضة أيفاً اختلاف كثير من أراد الاطلاع فليراجع الارشاد .

### توضيح

« العرصات » جمع العرصة وهي كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء « أفاده الله بعلمه » في بعض النسخ بالفاء من أفتت المال أعطيته وفي بعضها بالقفاف

من أفاده خيلاً أعطاه ليقودها ولعل المعنى أنه أعطاه الله زينة الحياة الدنيا مع علمه بحاله بحسب اقتضاء حكمته ومقتضى عدالته كما قال في سورة هود تَعَالَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ :

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَغْنَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ، أَوْلَئِكَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ» الآية.

والمراد بمن أفاده الله هو المتخلفون الغاصبون للخلافة ، و في رواية الارشاد أباده بدل أفاده وهو الا نسب وعليه فالضمير في بعلمه راجع إلى من اى كان علمه سبباً للهلاكة «والمسنة» الطريقة أى كانوا على طريقة من طرائق آل فرعون و «أهل جنات» بالكسر عطف بيان لآل فرعون .

وقوله «في الجنان» متعلق بقوله مخلدون ، والقسم معترض بين الطرف ومتعلقه «فلا يز الون بجور» الباء إمّا بمعنى في أو للمصاحبة والملاسة «كل ذلك» بالتنصب مفعول به لل فعل الممحوف و «وحشة» مفعول له أى ارتكبوا كل ذلك وحشة .

والمراد بما ورث النببي تَعَالَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ما ورثه آله المعصومين من الخلافة والولاية «والفاطر» المخترع «أهل حسرات» خبر ممحوف المبتداء أى هم أهل حسرات في الآخرة و «الكهوف» جمع كهف وهو الغار الواسع في الجبل ، وفي بعض النسخ كفوف شبهات وهو جمع كف الكلام جار على الاستعارة والتّاقة «العشواء» لا تبصر امامها و «من وكله الله» مبتدا وخبره « فهو مأمون» ووكله إلى نفسه تركه إليها ، وفي هذا كلّه تعريف على الخلفاء كما لا يخفى «والرّعا» بكسر الراء جمع الراعي و «الفعلات» جمع الفعلة وهي العادة «المتشتّة» إما بالجرّ صفة لشيعي و إمّا بالرفع على أنه خبر حذف مبتدائه أى هم المتشتّه .

ولعل المراد بتشتتهم عن الأصل وبنزولهم بالفرع ما صدر من بعض الشيعة كالزيدية والافطحية والاسماعيلية ونحوهم حيث عدلوا عن الامام الأصل و تعلقون بالفرع وأملوا الفتح من غير جهة فاختلطوا و «القرع» محركة قطع من السحاب

والواحدة قزعة و «الرّ كام» الأولى بالضم من الرّ كم وهو جمع شيءٍ فوق آخر ، والثانية بالفتح وهو السحاب المترافق و «المستشار» محل الاستشارة من الثور و هو الهميجان والوثوب ونهوض القطا والجراد .

و «سيل العرم» جمع عرمة كفرحة وهو سد يعترض به الوادي جمع عرم أو هو جمع بلا واحداً وهو الأحباس تبني في الباادية الأودية والحرن الذكر والمطر الشديد وواد وبكلّ فسر قوله تعالى سيل العرم و «الاكمة» كالقصبة التلّ الصغيرة و «لم يرد سننه» من سن الماء صبّها أو من سن الطريقة سارها و «الرض» هنا الحجارة و «الطود» الجبل أو عظيمه و «ذعدع» المال وغيره فرقه و بدده و «ضعضعه» هدمه حتى الأدن و «ينقض الله» من النقض بالفناه المعجمة .

ولعله عليه السلام كنى بـ «طى الجنادل من ارم» القصور والبساتين المشرفة المطوية بالحجارات المسندة التي كانت لبني امية و «بطنان الزيتون» كنایة عن الشام كما في قوله تعالى والتین والزیتون و «الطمطممة» العجمة في اللسان و «درج» يدرج من باب فعد و سمع درجاً و دروجاً مشى و «المنتخلين للامامة» المدعين لها لنفسه وهو لغيره و «من غير أهلها» بيان للمنتخلين و «ازوائها عن أهلها» اي صرفها وطيسها عنه و «التمحيص» بالصاد المهملة الابتلاء .

و اعلم أن هذه الخطبة الشّريفة متضمنة لجملة من الأخبار الغيبة وقرأتها الأخيرة من قبيل المتشابهات و علمها مو كول إليهم السلام إذ أهل البيت أدرى بما فيه إلا أنا نورد في تفسيرها على سبيل الاحتمال ما أورده الخليل القزويني في شرحه على الروضة بتغيير يسيرهنا ، فأقول :

لعله مراده عليه السلام بقوله مع أن الله وله الحمد - اه أنه سبحانه يجمع هذه الفرق المختلفة على اختلافهم لاستعمال بنى امية و هو شرّ يوم لهم وقد كان ذلك في سنة اثنين وثلاثين ومأة حسبما أخبر عليه السلام به حيث انقرضت سلطنة بنى امية لعنهم الله لظهور دولة العباسية واجتماع الجنود من خراسان على أبي مسلم المرزوقي لكن

دفعوا الفاسد بالأُفساد .

و شبهة عليهم اجتماعهم باجتماع سحاب الخريف المترافق يقول عليهم : إن الله يفتح لهم بعد اجتماعهم أبواباً يهيجون من مكانتهم ، كسيل الجنين اللذين كانتا لأولاد سبا ، وهو سيل العرم حيث بعث الله الجرز وهو الفارة الكبيرة على السد الذي كان لهم فقلع الصخر منهم و خرب السد فسال الماء و غشיהם السيل و خرب دور اولاد سبا و قصورهم و بساتينهم ولم يثبت عليه التسلال ولم يرد أحجار الجبال .

وكذلك هؤلاء يخرجون على كثرتهم واحتشامهم لاستعمالبني أمية وتخريب الدور والقصور منهم من مستشارهم وهو خراسان وقد وقع ذلك على ما أخبر عليهم حيث اجتمع الجيش واتفقوا على أبي مسلم المرزوقي وجعلوه أميراً لهم وتوجهوا نحو مروان الحمار وهو آخر خلفاءبني أمية .

وقوله عليهم يذعن لهم الله اه إشارة إلى تفرقهم في الأودية وكونهم كتاب مختلفة يسلكون فيها سلوك اليابس في الأرض وجريانها فيها . يأخذ بهم من قوم حقوق قوم اه أى يأخذ الله بيني العباس منبني أمية حقوقبني هاشم ويقاضى بهم منهم و يجزيهم بهم جزاء ما ظلموا في حق آل محمد ذلة المؤمنين وإن لم يصل الحق إليهم ويمكّن بهم عليهم لقوم منبني العباس في ديار قوم منبني أمية كل ذلك طرداً لبني أمية وابعداً لهم ، ولكيلا يغتصبوا ما غصبو منبني هاشم وبني عباس وغيرهم يهدم الله بهم أركانبني أمية ويكسر بهم قصورهم المسندة المطوية بالأُحجار التي كانت بالشام ويملاه من جيوشهم بلاد الشام .

فوالله الفالق الباري ان ذلك لكائن لامحالة وكأنني أسمع أصوات خيولهم وطمطمة رجالهم ، أى كلماتهم العجمية وذلك أن لسانهم كان لسان العجم .

وقوله عليهم : وأيم الله ليذوبن اه بيان لحالبني العباس بعد القهر والغلبة يقول عليهم : إنهم بعد العلو والتتمكّن في البلاد وقوام الأُمر و تمام السلطنة ينفرضون ويفنون كما تقنى وتدوب الالية على النار ، وقد كان ذلك في سنة

خمسين وستمائة حيث قتل المستعصم وهو آخر خلفاء العباسية على يدها لا كوفي يحمل أن يكون إشارة إلى حال بنى أمية.

وقوله ﷺ : والله عز وجل يفضي منهم من درج، في النسخ بالفاء والظاهر أن يكون تحريفاً ويكون بالقاف أي الله يميت من سعى من بنى أمية فيكون كنایة عن أن من أراد الخروج منهم يقتله الله، وفي بعض النسخ وإلى الله يقضي وهو الصحيح أي وإلى الله ينتهي منهم من درج فيكون كنایة عن ما ذكرنا وإشارة إلى أن من تاب منهم تاب ضالاً وأمره إلى الله يعذ به كيف يشاء ويتوب على من تاب كمعاوية بن يزيد ونحوه من بنى أمية.

ولعل الله يجمع شيعتي بعد التشتت، لعله إشارة إلى ظهور دولة الحق القائمة ولا يلزم اتصالها بملوكهم.

وليس لأحد إلى قوله جميماً إشارة إلى كون هذه الأمور سهلاً بيد الله سبحانه إذ هو القاهر القادر فوق عباده وهو المختار الفعال لما يشاء ليس لأحد معه الاختيار وهو على كل شيء قادر.

و قوله ﷺ أيها الناس اه إشارة إلى اغتصاب الخلافة و توبيخ لهم على التناقل والتخاذل يقول ﷺ : إن المدعين للخلافة من الذين لم يكونوا أهلاً لها كثير و لولم يكن منكم التناقل يوم السقيفة والشورى عن إقامة الحق والوهن عن توهين الباطل لم يجر علىكم أحد ولم يقدر على غلبة الطاعة و صرفها عن أهلها ولكنكم تحييرتم بعد رسول الله ﷺ كما تحييرت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران ﷺ و ليس كونن تحييركم بعدي أضعف ما تحييرت بنو إسرائيل.

وقوله : لقد اجتمعتم على سلطان الداعي إلى الضلال ، أراد به اجتماعهم على بنى العباس و دعائهم إلى الضلال لترويجهم مذهب الزنادقة .

وقطعتم الادنى من أهل بدر ، أراد به أولاده المعصومين ﷺ حيث إن الظفر

في بدر لم يكن إلاً بأيديهم سلام الله عليه وكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ وكذلك أولاده ؓ .

ووصلتم الأَ بعد من أبناء الحرب، أراد به بنى العباس حيث أنَّ أباهم كان من جملة المحاربين لرسول الله ﷺ في غزوة بدر ثم تاب وأسلم والمراد بقطع الأُولين ووصل الآخرين أخذهم بنى العباس خلفاء لهم دون الأئمة ؓ .

ثم قال: ولعمري أن لو قد ذاب مافي أيديهم، أي أيدي بنى أمية وهو الشام وما والاها وأشار ؓ بذوبانها إلى قتل وليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان لعنهم الله واختلاف أهل الشام واضطراـب دولة بنى أمية وقد كان ذلك في السنة ست وعشرين ومائة وامتدت سلطنتهم بعد ذلك إلى ست سنين بمنتهى التزلزل والاضطراب ولذلك قال ؓ لدني التمجيـص للجزاء، أى قرب ابتلائهم بجزاء أعمالهم وذلك بقتل الأحياء منهم وإخراج الأموات منهم من القبور كما هو في السير مشهور و في الكتب مسطور .

وانقضت المدة، أراد به المدة المقدرة لبني أمية وكانت ألف شهر .

وبدا لكم النجم ذو الذنب ، أراد به أبا مسلم المروزى حيث خرج من خراسان وهو من بلاد المشرق مع جنوده نحو الشام وتسويـيـته بالنجـم لكونـه كالنجـم يرمـيـ به الشياطين من بنى أمية وتصـيـيفـه بذـى الذـنب لـكونـ ظـهـورـه لاـتـصـارـ بـنـىـ العـبـاسـ دونـ آلـ محـمـدـ سـلامـ اللهـ عـلـيـهـ .

و لاح لكم القمر المنير، أراد به أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه و على آبائه آلاف التـحـيـةـ والـثـنـاءـ فقد طـلـعـ فيـ المـشـرـقـ وـانتـشـرـ أـنـوارـ عـلـمـهـ فيـ الـآـفـاقـ .  
ثم غاب هناك بغير المأمون الملعون .

فـاـذـاـ كـانـ ذـلـكـ ، أـىـ ذـوـبـانـ ماـ فـيـ أـيـديـهـمـ أـوـ اـنـقـضـاءـ المـدـةـ أـوـ طـلـوعـ القـمـرـ المنـيرـ ،

فـراـجـعواـ التـوـبـةـ .

ثـمـ قـالـ ؓ : واعـلـمـواـ أـنـكـمـ إـنـ اـتـبـعـتـمـ طـالـعـ المـشـرـقـ ، أـرادـ بـهـ القـمـرـ المنـيرـ

سلك بكم منهج الطّريقة انبساطه والصراط المستقيم ، فتقداو يتم من الضلاله والغواية وكفيتمن مؤنة طلب العلم من غير مظانه ، وسلمتم من التعسّف والأخذ على غير الطريق المستقيم ، ونبذ تم ثقل استنباط التكاليف الشرعية. من اعتناقكم حيث انّكم تأخذونها من أهلها فيكفيفكم مؤنته ولا يبعد الله من رحمته إلا من أبي من قبول الحقّ وظلم أهل الحقّ وأخذ على غير الطريق وانتحل ماليس له بحقّ .

« وَسَيِّدَ لَمُ الدِّينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » هذا .

وبنحو ما قلناه في شرح هذا الحديث الشريف فسره المحدث العلام مجلسى ره في البحار إلا أنّه خالفنا في شرح الفقرات الأخيرة حيث قال : قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : لو قد ذاب ما في أيديهم أى ذهب ملك بنى العباس ، لدنى التمحيص للجزاء أى قرب قيام القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيه التمحيص والابتلاء ليجزى الكافرين ويعذّ بهم في الدنيا ، وقرب الوعد أى وعد الفرج ، وانتقضت المدة أى قرب انتقامه مدّة أهل الباطل ، والنجم ذو الذنب من علامات ظهور القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والمراد بالقمر المنير القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكذا طالع المشرق إذ مكة شرقية بالنسبة إلى المدينة ، أو لأنّ اجتماع العساكر إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ وتوجهه إلى فتح البلاد من الكوفة وهي كالشرقية بالنسبة إلى الحرمين و لا يبعد أن يكون ذكر القمر ترشحه للاستعارة أى القمر الطالع من مشرقه .

والثقل الفادح الذيون المثقلة والمظالم أوبيعة أهل الجور وطاعتهم وظلمهم إلا من أبي أى من طاعة القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ أو ربّ تعالى ، واعتسب أى مال عن طريق الحقّ إلى غيره أو ظلم على غيره انتهى كلامه فيكون هذه الفقرات على ما ذكره أيضاً إشارة إلى ظهور دولة الحقّ والله العالم .

### الترجمة

اين خطبه شريفه متضمن توبيخ ومذمت خلق است بجهت اختلاف ايشان در

دین و تشتت آراء شان در احکام شرع مبین و عدول ایشان از تمسک حبل المین که عبارتست از امام زمان وزمین هیفرماید :

أَعْلَمُ بِعَذَابِهِمْ وَثَنَاءُهُمْ وَصَلَواتُهُمْ بِرَحْمَةِ رَسُولِهِ مَنْهَايَيْهِ پس بدرستیکه خداوند تعالی نشکست هر گز گردنشکان روزگار را مگر بعد از مهلت و وسعت در حیات ، و اصلاح نفرموده است استخوان شکسته احدی را از امتهای پیغمبران مگر بعد از شدت و تنگی و امتحان ، و در نزد آنچه استقبال نمودید از هلامت و عتاب من و استدبار کردید از أهواز و کارهای بزرگ ز من عبرتست صاحب عبرت وبصیرت را ، و نیست هر صاحب قلب عاقل و دانا ، و نه هر صاحب گوش سمیع و شنوایا و نه هر صاحب نظر بصیر و بینا .

پس ای نفس تعجب کن و چیست مرا که تعجب نکنم از خطای این فرقهای بی ادب بر اختلاف حجت‌های ایشان در دین و مذهب که متابعت نمی‌کنند بر اثر خیرالبشر ، واقتنا نمی‌مایند بر عمل وصی پیغمبر ، ایمان نمی‌آورند بغایب ، و عفت نمی‌ورزند از گناه و عیب ، عمل می‌کنند در شباهها ، و سیر مینمایند در شهوتها ، معروف در میان ایشان چیزی است که خود شناخته اند اورا بمیل طبیعت ، و منکر نزد ایشان چیزیست که خود انکار کرده اند آنرا نه بمقتضای شریعت .

مرجع ایشان در شداید بنفس خودشان است نه بر ائمه ، و اعتماد ایشان در هبہمات برآی خودشان است نه بعترت خیرالبشر ، گویا هر مردی از ایشان امام و مقتدای خودش هست در دین ، بتحقیق که تمسک نموده است از نفس خود در چیزی که ظن می‌کنند به بندهای استوار و ریسمانهای محکم تابدار ، یعنی اعتقادش اینست آنچه اخذ نموده است آنرا از نفس خود در احکام در استحکام مانند حکم الهی است .

## ومن خطبة له عليه السلام وهي الثامنة والثمانون من المختار في باب الخطب

وأول فقراتها مرويّة في الكافي وفي دبياجة تفسير علي بن إبراهيم القمي  
أيضاً باختلاف تطلع عليه .

أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينَ قَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسْلِ، وَطُولَ هَجْجَةٍ مِّنَ الْأُمَمِ،  
وَاعْتِزَامٌ مِّنَ الْفِتْنَةِ، وَانْتِشارٌ مِّنَ الْأُمُورِ، وَتَنَظِّيْرٌ مِّنَ الْحُرُوبِ،  
وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْفَرُورِ، عَلَىٰ حِينَ اسْفَارٍ مِّنَ وَرَقِها،  
وَإِيَّاسٍ مِّنْ ثَمَرِها، وَأَغْوِرَارٍ مِّنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسْتَ مَنَارَ الْهُدَىِ،  
وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَىِ، فَهِيَ مُتَهَجِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا،  
ثَمَرَتْهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشَعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِتَارُهَا السَّيْفُ،  
فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَادْكُرُوا تِبْيَكُ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ،  
وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ، وَلَعْنَرِي مَا تَقَدَّمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعَهُودُ، وَلَا خَلَقْتُ  
فِيهَا يَنْكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَخْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ  
فِي أَصْلَابِهِمْ يَبْعِيدُ، وَاللَّهُ مَا أَسْمَعُهُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمِ  
مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شَفَقْتُ  
لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَلَا جَعَلْتُ لَهُمُ الْأَفْنَدَةَ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَيْتُمْ  
مِنْهُمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَوَاللَّهِ مَا بُصْرَتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهْلُوهُ، وَلَا أَصْفَيْتُمْ  
بِهِ وَحْرُمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَّلْتُ بِكُمْ الْبَلِيلَةُ جَاءَ لَا خَطَامُهَا، رَخْوَا بِطَاهُمَا،

فَلَا يَغْرِّنُكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْفُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَيْ  
أَجَلٍ مَقْدُودٍ.

## اللغة

(الفترة) ما بين الرسولين من رسول الله (الهجرة) بفتحها وسكن الجيم  
الثومة ليلاً من الهجوع بالقسم كالجلسة من الجلوس (الاعتراف) العزم من اعزمه  
وعليه وتعزمه أراد فعله وقطع عليه ويروى واعتراض بالرأي المهملة من عرام الجيش  
بالضم كفراب حد تهم وشد تهم وكثرتهم والعرام من الرجل الشراسة والاذى  
(التلظى) التلذب (كسف) الشمس والقمركسوفاذهب نورهما واحتيجبا (اغور)  
الماء اغور اراً كاحمر وتغور ذهب في الأرض واغورت الشمس غابت قال سبحانه :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَنَّ يَأْتِيكُمْ بِيَاءٌ مَعِينٌ ». »

أى صار ماؤكم غايراً ( فهي متهرجة ) من هجم عليه هجو ما انتهى إليه بفتحه وهجم  
البيت انهم وفي بعض النسخ متوجهة بتقديم الجيم على الباء من توجهه فلان  
استقبله بوجه كريه ، وبهما روى بيت الصديقة الطاهرة سلام الله عليها وعلى أبيها  
وبعلها وبنيه عند غصب فدك :

تهجمتنا رجال واستخفنا بنا لما فقدت وكل الأرض مغتصب  
و(الأحقاب) جمع حقب بضم الجاء والكاف و بسكن القاف أيضاً ثمانون سنة  
أو أكثر و قيل الدهر و قيل السنة و قيل السنون و (القرون) جمع القرن قال  
الفيروز آبادي أربعون سنة أو عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستون أو  
سبعون أو ثمانون أو مائة أو مائة وعشرون (ولا أصفيفتم) على البناء للمفعول من  
باب الافعال ، قال سبحانه :

« أَفَأَصْفِيفُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ». »

أى آثركم و (جائلا خطامها) أى مضطرباً غير مستقرٍ من الجolan والخطام من الدابة بالخاء المعجمة والطاء المهملة مقدم أنفها وفهمها ، ويطلق على الزمام ، وهو المراد هنا باعتبار أنه يقع على الفم أو الأنف وما يليه ، ومنه الحديث كان خطام جمله عليك السلام ليف و (البطان) حزام القتب يقال أبطن البعير أى سدّ بطانه .

### الاعراب

على حين فترة للاستعلاء المجازى ، و جملة والدّنيا كاسفة النور ، منصوبة المحل على الحالىة من ضمير أرسله ، و على حين اصفرار ظرف مستقرٍ خبر ثان للدّنيا ويحتمل الحال أيضاً و جملة قد درست حال أيضاً ، ولعمرى جملة قسمية ، قوله وما أنتم اليوم ما حجازية عاملة عمل ليس ، و أنتم اسمها و ببعيد خبرها زيد فيه الباء كما تزاد في خبر ليس مطرداً ، واليوم متعلق به ، وكذلك من يوم وجملة جهلوه صفة لشيئاً .

و جملة و حرموه حال من ضمير به و فيه دليل على عدم لزوم قد في الجملة الحالىة الماضوية المشتبة كما عليه جمهور علماء الأدب ، اللهم إلا أن يقال : إن الجملة في معنى النفي إذ مقصوده عليك السلام نفي الاصفاء عن المخاطبين والمحرومية عن الغائبين معاً وكذلك جيء بالواو والضمير ، والفاء في قوله فلا يغير تسلكم فصيحة

### المعنى

اعلم أن مقصوده عليك السلام بهذه الخطبة هو التذكير والموعظة والتنبية عن نوم الغفلة والتحذير من الفرور والفتنة ، و مهدأ أو لا مقدمة متضمنة للاشارة إلى حالة الناس حين البعثة وأيام الفترة و أنه سبحانه أرسل إليهم رسولًا يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و آثرهم بتلك النعمة العظيمة والموهبة الجسيمة بعد ما كانوا في شدة الابتلاء و المحنـة و منتهى الاضطراب و الخشية و سوء الحال والكابة ، ليتذكـر السـامعون بتلك النـعمة العـظمـى و المـنـحة الكـبـرى فيـشـكـروا

الله و يلـزمـوا طـاعـةـ الله و يـسـلـكـوا سـبـيلـ الله سـبـحانـه فـقـالـ عليك السلام :

( أرسله ) أى مـحمدـاً صلـوةـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـهـ ( علىـ حينـ فـتـرةـ منـ الرـسـلـ ) أـىـ علىـ حينـ سـكـونـ

و اقطاع من الرّسل و ذلك أَنَّ الرّسل إِلَى وقت رفع عيسى كانت متواترة و بعد رفعه (ع) اقطع الوحي و الرّسالة خمسة سنة على ما في بعض روایات أصحابنا أو ستّة سنة كما عن البخاري عن سلمان ، و الأَوْلَ أشهر و أقوى ويأتي حديث آخر في ذلك إنشاء الله في شرح الفصل السادس من الخطبة العاشرة والحادية والتسعين وهي الخطبة المعروفة بالقصعة ثم بعث الله مُحَمَّداً عليه السلام

**و إنما قيد عليه السلام نعمة الارسال والانزال بتلك الحال وما يتلوها من الأحوال بياناً للواقع وإظهاراً لجلالة تلك النعمة و جزءة ذلك الموهبة حسبما أشرنا إليه فانّ النعمة يتزايد قدرها بحسب تزايد منافعها، ولاريب أنّ خلو الزمان عن الرّسول يستلزم ظهور الفساد والشّرور وانتشار البغي والفساد وكثرة الهرج و المرج، و تلك أحوال مذمومة وأفعال مشئومة توجب تبدل النظام و اختلال الأحكام و الانهيار في الجهالات والتّورّط في الفضلات و لحقوق الذّم بهم بمقدار ما يلحقهم من المدح في حال الطاعة والقيام بوظائف العبادة المتفّرة على وجود الدليل وبعث الرّسول عليه السلام**

( و طول هجعة من الام ) استعار لفظ الهجعة التي هي عبارة من التّنوم في الليل لأنّ ما هم في ظلمة الجهالة والضّلال، و رشحها بذكر الطول الذي هو من ملابيمات المستعار منه على حد قوله:

**« وَالَّذِينَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحُتْ تِجَارَتُهُمْ » .**

( و اعتزام من الفتن ) نسبة الاعتزام إلى الفتن مجاز كنّى به عن وقوعها بينهم كأنّها قاصدة لهم مريدة إياهم و على روایة الاعتراف بالرّأي المهملة فالمراد كثرتها و شدّتها و تأذّي الناس بها ( و انتشار من الأمور ) أي تفرق امور الخلق في معاشهم و عدم جريانها على قانون منتظم ( وتلظّ من الحروب ) شبهه العرب بالنّصار في الافساد والاهلاك و أنسد إليها التلظّ الذي هو الاشتغال و الالتهاب على سبيل الاستعارة و كنّى به عن هيجانها و ثورانها أيام الفترة ففي الكلام استعارة مكنية و تخيلية

( والدّنيا كاسفة النّور ) استعار النور للعلم المقتبس من الأنبياء والحجج بشباهة أنَّ كلاًًاً منهما سبب لهداية الأئمَّة في الضلالَةِ والظلام ، ورَسَّحها بذكراً الكسف الذي من ملاليمات النّور وأراد به عدم وجود هذا النّور في ذلك الزمان ( ظاهرة الغرور ) أراد ظهور اغترار الناس بها وشيوخ افتانهم بشهواتِها ولذاتها ( على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائتها ) شبهه عليها الدنيا بشجرة مثمرة مورقة في اشتتمالها على ما تشهيه الأنفس وتلذّل الأنفُس على سبيل الاستعارة بالكتابية وذكر الورق والثمر والماء تخيل . و إثبات الاصفرار والإياس والاغورار ترشيح ، وأراد بذلك الترشيحات بيان خلوّ الدنيا يومئذ عن آثار العلم والهداية وما يوجب السعادة في البداية والنهاية .

ويمكن جعله من كتبًا من استعارات متعددة و يكون المراد بيان خلوّ الدنيا حينئذ من الأمان والرفاهية والمنافع الدّنيوية ليكون ما يذكر بعده تأسيساً .

و توضيح ذلك الوجه ما ذكره الشارح البحرياني حيث قال استعار لفظ الشمرة والورق لمعانها و زينتها و لفظ الاصفرار لتفريح تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت و عدم طرأة عيشهم اذاً و خشونة مطاعهم كما يذهب حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر إليها ، و عنى بالإياس من ثمرها انقطاع مآل العرب اذاً من الملك والدولة وما يستلزم من الحصول على طيبات الدّنيا .

وكذلك استعار لفظ الماء لموادّ متع الدّنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارة والمكاسب وعدم التملّك للأمسار وكل ذلك لعدم النظام العدل في بينهم وكلّها استعارات بالكتابية

و وجه الاستعارة الأولى أنَّ الورق كما أنه زينة الشجر وبه كماله كذلك لذات الدّنيا و زينتها ، و وجه الثانية أنَّ الثمر كما أنه مقصود الشجرة غالباً وغايتها كذلك متع الدّنيا وانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها كثرة الخلق ، ووجه الثالثة أنَّ الماء كما أنه مادة الشجرة و به حياتها و قيامها في الوجود

كذلك مواد تلك المذّات هي المكاتب والتجارات والصناعات ، و قد كانت العرب خالية من ذلك و وجوده بافي الاستعارات ظاهرة .

(قد درست منار الهدى) كناية عن فقدان حجج الدين و انتفاء أدلة الحق (و ظهرت أعلام الرّدّي) كناية عن غلبة أدلة الباطل و ظهور أئمّة الضلال (فهي متهجّمة لأهلهما) أي داخلة عليهم عنفاً لكونها غير مواقفه لرضاهما أو منهدمة عليهم غير باقية في حقّهم أو ملاقيّة لهم بوجه كريه وهو على رواية متّجهّمة بتقدّيم الجيم على الهاء (عايبة في وجه طالبها) أراد به عدم حصول بغية الطالبين منها كما لا تحصل من الرجل المنقبض الوجه الذي يلوى بشرته قال سبحانه:

«عَبَسَ وَتَوَلَّ إِنْ جَاءَهُ الْأَغْنِي» .

(ثمرتها الفتنة) أي الضلال عن طريق الحق والتّيه في ظلمة الباطل و فيه استعارة مكنية و تخيلية حيث شبه الدنيا بشجرة مشمرة وأثبت الشّمرة لها وجعل ثمرتها الفتنة إما من باب التّهكم أو من حيث إنّ الشّمرة كما أنها الغاية المقصودة من الشّجرة فكذلك غاية الدنيا عند أهلها هي الفتنة والضلال (وطعامها الجيفة) يحتمل أن يكون المراد بالجيفة الميتة والحيوان الغير المزكى مما كان العرب يأكلها في أيام الفتره حتى حرمتها الآية الشريفة أعني قوله :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ» .

أي المضروبة بالخشب حتى تموت ويبيقى الدّم فيها فيكون أطيب كما زعمه المجووس «والمردّية» أي التي ترددت من علوّ فماتت وقد مرّ في شرح الخطبة السادسة والعشرين أن أكثر طعام العرب كان الخشب والخبائث ، و يجوز أن يراد بالجيفة الاعمّ من ذلك أعنى مطلق ما لا يحلّ في الشّريعة المطهّرة سواء كان من قبيل الخبائث والميتات أو من قبيل الأموال المغضوب عليهما منها مأخوذة بالنسب

والغارة والسرقة ونحوها على ما جرت عليه عادة العرب وكانت دابة لهم (وشعارها الخوف ودثارها السيف) الشاعر ما يلي شعر الجسد من الشيب والدثار ما فوق الشعاع من الأثواب و مناسبة الخوف بالشعار والسيف بالدثار غير خفية على ذوي الأنظار .

ثم إنّه بعد ما مهد المقدمة الشريفة و فرغ من بيان حالة العرب في أيام الفترة شرع في الموعظة والنصيحة بقوله : (فاعتبروا عباد الله ) بما كانت عليه الاخوان والآباء والأقران والأقرباء (واذ كروا تيك ) الأعمال القبيحة والأحوال الذميمة ( التي آبائكم و اخوانكم بها مرتهنون ) و محبوسون و عليها محاسبون وما خذلوك .

ثم أشار عليهم السلام إلى تقارب الأزمان و تشابه الأحوال بين الماضين والقابرين بقوله : ( ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ) حتى تغلوا ( ولا خلت فيما بينكم و بينهم الأحقيات والقرون ) حتى تذهلوا (وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم بعيد ) حتى تنسوا و لا تعبروا فلكم اليوم بالقوم اعتبار و فيما جرت عليهم تبصرة وتذكرة .

( والله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلاّ وها أناذا مسمعكموه ) فليس لكم على حجة بعدم البلاغ والاسماع ( وما إسماعكم اليوم بدون إسماعهم بالأمس ) فليس لكم معدنة بالوقر في الآذان والأسماع ( ولاشتقت لهم الأ بصار ) المبصرة ( ولا جعلت لهم الأقدمة ) المتذبذبة ( في ذلك إلاّ وان إلاّ وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان ) فلا يمكن لكم أن تقولوا إنا كنا في عمي من هذا و كنا به جاهلين ، و لا أن تعذرنا بأنّه لم يجعل لنا أقدمة و كنا منه غافلين .

( والله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه ) بل علموا ما علّمتم ( ولا اصفيتم ) واوثرتم ( بهو حromo ) بل منحوا ما بذلتم فلم يبق بينكم و بينهم فرق في شيء من الحالات و كنتم مثلهم في جميع الجهات فإذا انتهى الفارق فما بالكم لا تسمعون ولا تبصرون

ولاتفهمون ولا تذكرون ، وقد اسمع اسلافكم فسمعوا ، وبصروا فتبصروا وذكروا  
فتذكروا وعمرروا فنعموا ، وعلموا ففهموا .

ثم حذرهم وأنذرهم باشراف الابتلاء والمحنة ونزول البلية بقوله ( ولقد  
نزلت بكم البلية ) لعله أراد بها فتنة معاوية ودولة بنى أمية ( جائلا خطاها رخوا  
بطانها ) استعارة بالكتنائية عن خططها وصعوبة حال من يعتمد عليها ويركز إليها  
كما أنّ من ركز إلى النّاقة التي جال خطاها ولم تستقر في وجهها وانفها  
وارتخى حزاماها فركبها كان في معرض السقوط والهلاك .

ثم أردف ذلك بالنهي عن الاغترار بالدّنيا فقال ( ولا يغرنكم ما أصبح فيه  
أهل الغرور ) من الاغترار بزخارفها ولذاتها والانهماك في شهواتها وطيباتها  
بظن دوامها وثباتها ( فاتّها هو ظلّ ممدود إلى أجل ) محدود ( معدود ) بينما ترونه  
سابقاً حتى قلس وزايداً حتى نقص .

### تكلمة

فداشرنا سابقاً إلى أنّ أول فقرات هذه الخطبة مرويّة في الكافي باختلاف  
لما هنا فأحبيب أن اوردها على ما هود يدتنا في الشرح فأقول :

روى الكليني عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن  
مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام أيها الناس  
إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرّسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ، وأنزل عليه الكتاب وأنتم  
أميّون عن الكتاب ومن أنزله وعن الرّسول ومن أرسله على حين فترة من الرّسل ،  
وطول هجعة من الامم ، وانبساط من الجهل ، واعتراض من الفتنة ، وانتهاض عن  
المبرم ، وعمى عن الحق ، واعتساف من الجور ، وامتياق من الدين ، وتلظّ من  
الحروب ، على حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا ، ويبس من أغصانها ، وانتشار  
من ورقها ، وایاس من ثمارها ، واغورار من مائتها .

قد درست أعلام الهدى ، وظهرت أعلام الردى ، فالدّنيا متهجّمة «متجمّحة»  
في وجوه أهلها ؛ مكفرة مدبرة غير مقبلة ، ثمرتها الفتنة ، وطعمها الجيفة ،

وثارها الخوف ، وثارها السيف ، مزق كل ممزق ، وقد أعمت عيون أهلها ، وأظلمت عليها أيامها ، قد قطعوا أرحامهم ، وسفكوا دمائهم ، ودفعوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم ، يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهية خفوض الدنيا ، لا يرجون من الله ثواباً ، ولا يخافون والله منه عقاباً .

حيثما أمعن نجس ، وحيثما هم في النار مبلس ، فجاءهم بتل الفتن بنسخة ما في الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحال من ريب الحرام ، ذلك القرآن فاستنبطوه و لن ينطق لكم أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى و علم ما يأتي إلى يوم القيمة و حكم ما بينكم و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون ، فلو سألتمنوني عنه لعلّمكم .

ورواه علي بن إبراهيم الفمي أيضاً في ديساجة تفسيره نحوه و لقلة موارد الاختلاف لم نظر برأيتها .

### بيان

قال في النهاية : إنّ امّة أميّة لا نكتب ولا نحسب أراد أنّهم على أصل ولادة أسمّهم لم يتعلّموا الكتاب والحساب فهم على جبلتهم الأولى ، وفيه : الأميّ الذي لا يكتب ومنه الحديث بعثت إلى أمّة أميّة قيل للعرب : أميّون لأنّ الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة انتها .

قال بعض شراح الحديث ولعل المراد هنا من لا يعرف الكتابة والخط والعلم والمعارف وضمن معنى ما يعدهي بعن كالنّوم والغفلة ، قوله : واعتراض من الفتنة يحتمل أن يكون عروضاً وانتشارها في الآفاق ، قوله : وانتقاد عن المبرم المبرم المحكم وقد أشار به إلى ما كان الخلق عليه من استحكام امورهم بمتابعة الأنبياء وأراد بانتقاده فساده .

والملفهـ من الوجوه من اـكـفـهـ على وزن اـقـشـعـ القـلـيلـ اللـحـمـ العـلـيـظـ الذي لا يستحيي والمتعبـسـ ، قوله: مـزـقـ قـلـمـ كـلـ مـمزـقـ التـفـاتـ منـ الغـيـبةـ إـلـىـ الخطـابـ والمـمزـقـ مصدرـ بـمعـنىـ التـمزـيقـ وـهـوـ التـفـرـيقـ وـالتـقـطـيعـ ، والـمـرـادـ بهـ تـفـرـقـهـمـ فـيـ

البلدان للخوف أو تقرّ فهم في الأديان والأراء ، والمؤودة البنت المدفونة حيّة وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية بينما لهم لخوف الاملاق أو العار كما قال سبحانه :

**« وَإِذَا أُمْوَادَةُ سُيْلَتُ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » .**

يجتازونهم طيب العيش و رفاهيّة خفوض الدّنيا ، يجتاز بالجيم والزاء المعجمة من الاجتياز وهو المرور والتجاوز ، والرفاهيّة السعة في المعاش ، والخفوض جمع الخفض وهي الدّعوة والرّاحّة أى يمرّ طيب العيش والرّفاهيّة التي هي خفض الدّنيا أو في خفوضها متجاوزاً عنهم من غير تلبّث عندهم ، قوله : أعمى نجس بالتنون والجيم و في بعض النسخ بالحاء المهمّلة من التّحوسة والمبلس من الإblas و هو الايس من رحمة الله ومنه سمّي ابليس ، قوله : بما في الصّحف الأولى أى التّوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب المنزّلة و هو المراد بالذّي بين يديه كما قال تعالى :

**« وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التُّورِيهِ وَالْأَنْجِيلِ » .**

وفوله : فاستنطقوه الْأَمْر للتّعجّير ، وساير الفقرات واضحة مما قدّمنا .

### الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضر تست که متضمّن میباشد بعثت حضرت خاتم رسالت را در ایام فترت و بیان حالت خلق را در ایام جاهلیت و مشتمل است به موعظه و نصیحت و تنبیه ازنوم غفلت وجهالت میفرماید :

فرستاد حق سبحانه وتعالی پیغمبر آخر الزّمان را در حین فتور و انقطاع از پیغمبران ، ودر زمان درازی خواب غفلت از امّتان ، ودر هنگام عزم از فتنه ها ، و در وقت انتشار از کارها ، ودر حین اشتعال از نائّره حروب و کارزارها ، و در حالتی که دنیا منکسف بود نور او ، ظاهر بود غرور او ، ثابت بود بر زردی برگ خود ، وماًیوسی از ثمر خود ، و فرورقتن آب خود ، بتحقیق که مندرس شده بود علم های هدایت ، و ظاهر گشته بود نشانهای ضلالت .

پس دنیا هجوم آورنده بود بر اهل خود ، و عبوس بود در روی طالبان خود ،  
میوه او فتنه بود ، و طعام او جیفه ، و پوشش او ترس بود از دشمنان ، ولباس بیرونی  
او شمشیر بر آن ، پس عبرت بردارید ای بندگان خدا ویاد آورید آنحالات را که  
بود پدران شما و پرادران شما بسبب آنحالات مر هون و محبوس ، و بجهت آن محاسب  
و مأخذون ، و قسم بزنندگانی خود که دیر نشده است بشماونه بایشان عهدها و زمانها ،  
ونگذشته است در مابین شما و ایشان روزگارها و قرنها ، و نیستید شما امروز از  
روزیکه بودید در پشت های ایشان دور ، یعنی مدتی نیست که شما در اصلاح آباء  
خود بودید ایشان با سایر خویشان از شما مفارقた کردند و شما هم در اندک زمانی  
بایشان ملحق خواهید شد .

بخدا سو گند که نشنوانید بشما رسول خدا علیه التّحیة والثّناء چیزی را  
مگر اینکه من شنو انده ام بشما آنرا ، و نیست سمعهای شما امروز کم از سمع های  
ایشان دیروز ، و شکافته نشد ایشان را دیده ها ، و گردانینه نشد ایشان را قلبها در  
آن زمان مگر اینکه عطا شدید شما مثل آن ادراین زمان .

وبخدا قسم که نموده نشیدید شما بعد از ایشان چیزی را که ایشان جاهل آن  
بوده باشند ، و بر گزیده نشیدید بچیزی در حالتی که ایشان محروم بوده باشند از  
او ، و بتحقیق که فرود آمد بشما بالاها در حالتیکه جولان گفته است مهار آن ،  
مسنت بی ثبات است تنه آن ، پس مغروف نسازه شمارا آنچه که صباح کرده در آن اهل  
غور و ارباب شرور ، پس اینست و جز این نیست که آن دنیا سایه ایست کشیده  
شده تا مدت شمرده شده ، مشخون بانواع قصور و محتوى بكمال ضعف و قبور .

## و من خطبة له عليه السلام وهي التاسعة والثمانون

### من المختار في باب الخطب

**الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَاةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوْيَاةٍ، الَّذِي**

لَمْ يَمْلِنْ قَانِيْنَا دَائِيْنَا، إِذْ لَا سَيِّئَاتُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجْبُ ذَاتُ أَرْتَاجٍ، وَلَا  
 لَيْلُ دَاج، وَلَا بَغْرُ سَاج، وَلَا جَبَلُ دُو فُجَاج، وَلَا فَجُ دُو أَعْوِجَاج،  
 وَلَا أَرْضُ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقُ دُو اِعْتِمَادٍ، ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَوَارِثُهُ،  
 وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازُقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِيْنَانِ فِي مَرْضَاتِهِ، يُبَلِّيَانِ كُلَّ  
 جَدِيدٍ، وَيُقْرِبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، قَسْمَ أَرْزَاقِهِمْ، وَأَحْصَى آثارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ  
 وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَخَاتَمَةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّيْرِ، وَمُسْتَقْرَرُهُمْ  
 وَمُسْتَوْدَعُهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهِي بِهِمُ الْفَaiَاتِ، هُوَ  
 الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَاءِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لَا وِلِيَانِهِ  
 فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، فَاهِرُ مَنْ عَازُهُ، وَمُدَمَّرُ مَنْ شَاقُهُ، وَمُذْلُ مَنْ نَاوَاهُ،  
 وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَفْرَضَهُ  
 قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ، عِبَادُ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا  
 وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضَيقِ الْخِنَاقِ، وَانْقادُوا  
 قَبْلَ عُنْفِ السَّيَاقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ  
 مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ.

## اللغة

(الروية) من روات في الأئمَّةِ تفكّرت فيه وأصلها روئيته واستعمالها في  
 لسان العرب بغيرهم ومثلها بريته (الأبراج) جمع البرج كالآركان والرّكن للفظ أو معنى  
 (الارتاج) إما مصدر باب الأفعال من ارتاج الباب أغلقه أو جمع الربح محرّكة

كالاسباب والسبب وهو الباب العظيم (١) .

قال الشّارح المعتزلي : و يبعد روایة من رواه ذات ارتاج لأنّ فعالاً قلّ أن يجمع على أفعال «انتهى» وأراد به أن أرتاج على تقدير جمعيّته واحدة رتاج و جمعه عليه قليل ، وفيه أنه يرتفع الاستبعاد بجعله جمعاً للرّتاج حسبما قلنا وهو كثير .

و (دجى) اللّيل دجوّاً ودواجاً أظلم فهو داج وليلة داجية و (سجي) البحر سجواً سكن و (الفجاج) جمع الفجّ فهو الطريق الواسع بين جبلين و (المهاد) الفراش و (عاذه) معاذة غالبه قال سبحانه : وعزّني في الخطاب أى غلبتي و (دمّره) تدميراً أهلاكه و (شاقّه) مشاقّة وشقاقاً خالفة و عاداه و (نواه) أى عاداه وللفظة مهموزة و إنما لينها للحركة السّجع وأصلها من النواه و هو النّهوض لأنّ كلّ المتعاديّين ينهض إلى قتال الآخر و (العسف) بالضمّ ضدّ الرفق .

### الاعراب

قوله : إذ لاسماء إذ ظرف للزمان الماضي و ملازم للإضافة إلى الجمل ، ولا يمعنى ليس ، وسماء اسمها و خبرها محذوف منصوباً على الاعمال كما هو مذهب أهل الحجاز ، أو سماء مرفوع على الابتداء و خبره موجود بالرّفع على الاعمال وهو مذهببني تميم والأول أقوى ، و جملة والشمس والقمر اه مستألفة ، و جملة يبليان في محل النصب على الحال من ضمير دائم ، و عدد أنفاسهم في بعض النسخ بحر أنفاسهم على إضافة العدد إليها و كونه اسماً فيكون عطفاً على آثارهم و في بعضها ينصبها على كونه مفعولاً للعدد و جعله فعلاً مجرّداً من باب التفعيل أي أحصى أنفاسهم وعلى هذا فتكون الجملة معطوفة على الجملة السابقة ، و خائنة بالتنصب عطف على آثارهم أو أنفاسهم على الاحتمال الثاني أو عدد على الاحتمال الأول ، وكذلك مستقرّهم و مستوى دعهم ، و من الأرحام والظهور متعلق بالمستقرّ و المستودع على إرادة التّشكّر و قوله : حتى يكون قيداً للمنفيّ أعني يعن دون النفي .

## المعنى

اعلم أنه عليه السلام صدر هذه الخطبة الشّريفة بجملة من الصفات الجمالية والجلالية الإلهية ، و ذيلها بالموعظة والنّصيحة والتحثّ على التزوّد والاستعداد لآخرة فقال عليه السلام : ( الحمد لله المعروف من غير رؤية ) يعني أنه سبحانه معروف بدلائل الملك والملائكة وآثار القدرة والجبروت ومدرك بحقائق الإيمان من غير رؤية و مشاهدة باليقين ، لكونها من لواحق الامكان كما هو توضيحاً و تحقيقاً في شرح الخطبة التاسعة والأربعين ( والخالق من غير رؤية ) أراد أنه تعالى خالق لأشياء بنفس قدرته التامة الكاملة غير محتاج في خلقها إلى رؤية و فكرة كما يحتاج إليها نوع الإنسان في إيجاد شيء ، وذلك أنْ فايضة القوّة المفكرة تحصيل المطالب المعهولة من المبادي المعلومة والجهل محال على الله سبحانه ( الذي لم يزل قائماً أئمّا ) أمّا دوامه سبحانه فلا نّ وجوب الوجود يستحيل عليه العدم في الأزل والأبد ، و أمّا قيامه فالمراد به إما الدّوام والبقاء و إما القيام بأمور العالم والقيمومة على كل شيء بمراعاة حاله و درجة كماله والحافظ لكل شيء والمدّ بر لاً أمره أو الريّق ب على كل شيء والحافظ عليه وبه فسر قوله سبحانه :

« أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ».

والأول أنساب بقوله ( إذ لاسماء ذات أبراج ) لأنّ القيمة بالمعنى الأول من صفات الذّات وبالمعنى الثاني من صفات الفعل وبعد السّماء وجود العالم لأنّه إذا لم يكن العالم مخلوقاً بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوّة لا بالفعل فافهم المراد بالابراج إما الأركان كما هي معناها في اللغة وإما ما مفسر به قوله تعالى :

« وَ السَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ ».

ولهم في تفسيره ثلاثة أقوال : أحدها أنها هي البروج الائنة عشر التي فيها عجيب الحكمة ، إذ سير التّسمّس فيها و مصالح العالم السّفلي مرتبطة بسير الشمس

وَثَانِيهَا أَنَّ الْبُرُوجَ هِيَ مَنَازِلُ الْقَمَرِ وَ ثَالِثَهَا أَنَّهَا هِيَ عَصَامُ الْكَوَاكِبِ سَمِّيَتْ بِرُوْجًا لظُهُورِهَا وَسِيَّاتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ فِي شَرْحِ الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنَ الْخُطْبَةِ الْآتِيَةِ (وَلَا حَجْبٌ ذَاتٌ ارْتَاجٌ) أَيْ ذَاتٌ أَبْوَابٌ أَوْ ذَاتٌ أَغْلَاقٌ .

وَاعْلَمُ أَنَّهَا قَدْ كَثُرَ فِي الْأَخْبَارِ الْعَامِيَّةِ وَالْخَاصِيَّةِ ذِكْرُ الْحَجْبِ وَالسَّرَّادِقَاتِ وَتَظَافَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي وُجُودِهَا وَمِنْ جَمْلَةِ تَلْكَ الرِّوَايَاتِ رَوَايَةُ الْحُسْنِ الْبَكْرِيِّ الَّتِي تَقْدِمُ فِي التَّذْيِيلِ الْأَوَّلِ مِنْ تَذْيِيلَاتِ الْفَصْلِ الْأَمَنِ مِنْ فَصُولِ الْخُطْبَةِ الْأُولَى .

وَمِنْهَا مَا فِي الْبَحَارِ مِنَ الدَّرِّ الْمُنْشُورِ لِلْسَّيُوطِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دُونَ اللَّهِ سَبْعُونَ أَلْفَ حَجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظَلْمَةٍ مَا يُسْمِعُ مِنْ نَفْسٍ مِنْ حَسْنِ تَلْكَ الْحَجَبِ إِلَّا زَهَقَتْ نَفْسُهُ .

وَمِنْهَا مَا فِيهِ عَنْ شَرْحِ النَّهَجِ لِلْكَمِيرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ قَالَ : فَخَرَجَتْ مِنْ سَدْرَةِ الْمَنْتَهِيِّ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى حَجَابِ مِنْ حَجَبِ الْعَزَّةِ ثُمَّ إِلَى حَجَابِ آخِرٍ حَتَّى قَطَعَتْ سَبْعِينَ حَجَابًا وَأَنْاعَلَى الْبَرَاقَ وَبَيْنَ كُلَّ حَجَابٍ وَحَجَابٍ مَسِيرَةٌ خَمْسَمَائَةٌ سَنةٌ إِلَى أَنْ قَالَ : وَرَأَيْتَ فِي عَلَيْيَنِ بَحَارًا وَأَنْوَارًا وَحَجَابًا غَيْرَهَا لَوْلَا تَلْكَ لَا حَرَقَ كُلُّ مَا تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ .

قَالَ : وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ جَبَرَ تَبَّاعَلَ : قَالَ : اللَّهُ دُونَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حَجَابًا لَوْ دَنَوْنَا مِنْ أَحَدِهَا لَا حَرَقْنَا سَبَحَاتَ وَجْهِ رَبِّنَا .

أَقُولُ : قَالَ النَّسُوْيِّ فِي الْمُحْكَمِ عَنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ : سَبَحَاتٌ بِضْمِ السَّيْنِ وَالْبَاءِ أَيْ نُورُهُ وَأَرَادَ بِالْوَجْهِ الذَّاتِ ، وَقَالَ فِي الْبَحَارِ : سَبَحَاتُ اللَّهِ جَلَّهُ وَعَظَمَهُ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ جَمْعُ سَبْحةٍ ، وَقِيلَ : أَضْوَاءُ وَجْهِهِ ، وَقِيلَ : سَبَحَاتُ الْوَجْهِ مَحَاسِنَهُ لَا ذَكِّرْ إِذَا رَأَيْتَ الْوَجْهَ الْحَسَنَ قُلْتَ سَبِّحَانَ اللَّهِ هَذَا .

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ رَوَى شَطْرَاً مِنْهَا فِي الْبَحَارِ وَقَالَ بَعْدَ رَوَايَتِهَا :

وَالْتَّحْقِيقُ أَنَّ تَلْكَ الْأَخْبَارَ ظَهِيرًا وَبَطْنًا وَكَلَاهِمَا حَقًّا .

فَأَمَاظِهِرُهَا فَإِنَّهُ سَبِّحَانَهُ كَمَا خَلَقَ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ مَعَ دُمُّ احْتِيَاجِهِ إِلَيْهِمَا كَذَلِكَ

خلق عندهما حجباً وأستاراً وسراقات ، وحشاها من أنواره الغربية المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته ، ولعل اختلاف الأعداء باعتبار أنَّ في بعض الاطلاقات اعتبرت الأنواع ، وفي بعضها الأصناف والأشخاص أوضم بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو أكثفى بذلك بعضها في بعض الروايات .  
وأمّا بطنها فلان الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته

وصفات سبحانه أمور كثيرة :

منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وفواه ومداركه بسبب الامكان والافتقار والاحتياج والحدوث وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز وهي الحجب الظلمانية .  
ومنها ما يرجع إلى نور يسنه وتجره وقدسه ووجوب وجوده وكمال عظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانية وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال ، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء ، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانية والتخلق بالأخلاق الرّبانية بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقة ، فترتفع الحجب بينه وبين الله سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيناهم وإراداتهم وشهواتهم فيرون بعين اليقين كما له سبحانه وتقهم ، وبقائه وفنائهم ، وعزهم وذلهم ، وغناه وافتقارهم ، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عندما ، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم فيتصرفون فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه ، فلا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، ولا يريدون سوى ما أراد الله ، ويتصرفون في الأشياء بقدرة الله ، فيحيون الموتى ويرددون الشمس ويشقون القمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما قلت بباب خير بقوّة جسمانية بل بقوّة ربانية ، والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى .

وبعبارة أخرى الحجب النورانية المowanع التي للعبد عن الوصول إلى قربه وغايتها ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرّياء والمحجب والسمعة وأشباحها والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه ، فإذا ارتقت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه وأحرق محبتة ماسواه حتى نفسه عن نفسه ، وكل ذلك لا يوجب عدم الإيمان بظواهرها ، إلا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأول الالحاد سلوك التأويل من غير دليل والله الهادي إلى سوء السبيل ، انتهى كلامه رفع مقامه هذا.

والأشبه أن يراد بقوله تَعَالَى : ولا حجب ذات ارتاج المعاني الظاهرة لها وإن أمكن إرادة معانيها الباطنة في الجملة ، وأما احتمال أن يراد بالحجب الستمادات كما في شرح المعتزلي والبحراني فبعيد مع سبق قوله تَعَالَى إذ لا سمادات ابراج (ولا ليل داج) أى مظلوم (ولا بحر ساج) أى ساكن (ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج) وهو مأخوذ من قوله سبحانه:

«اللّهُ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا مُبْلًا فِجاجًا»

أى طرقاً واسعة ، وقيل : طرقاً مختلفة عن ابن عباس ، وقيل : سبلًا في الصحاري وفجاجاً في الجبال (ولا أرض ذات مهاد) وهو مأخوذ من قوله سبحانه :

«وَالْأَرْضَ فَرَشَنَا هَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ»

أى مهدناها ليستقرّوا عليها فنعم الماهدون نحن ، و في سورة النباء .

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا»

أى وطأً و فراراً أو مهيئاً للتصرف فيه من غير أذية ، والمصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغة أو المعنى ذات مهاد (ولا خلق ذو اعتماد) أى صاحب قوة وبطش .

(ذلك) المتّصف بالصفات الأزلية والموصوف بأوصاف السر مدّيّة (مبتدع

الخلق ) و مخترعه على غير مثال سبق أو موجوده من العدم الممحض ( ووارثه ) الباقي بعد فنائه ( وإله الخلق ) ومعبوده ( ورازقه ) بجميل آلائه و جزييل نعمائه ( والشمس والقمر دلائين في مرضاته ) هو مأخوذ من قوله سبحانه :

**« وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَلَائِيْنِ »**

و أصل الدلتب هو مرور الشيء في العمل على عادة مطردة أراد عَلَيْهِ الْحَمْدُ أن الشّمس والقمر يدّلّان في سيرهما وإنارتّهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة و في إصلاح النبات والحيوان على ما فيه رضاوه سبحانه و يقتضيه حكمته البالغة و يرتضيه تدبّره التام الكامل ( بيليان كلّ جديد و يقرّبان كلّ بعيد ) نسبة إبلاء الجديد و تقريب البعيد إليهما باعتبار كون حر كاهنها من الأسباب المعدّة لحدوث الحوادث في هذا العالم وفيهما تنبئه على وجوب التجافي عن الدّنيا والاستعداد للآخرة ، و إشارة إلى أنّ ما يتتجدد و يحدث من لذات الدنيا و زخارفها فهو في معرض البلى والزوال وأنّ ما يستبعده أهل الغفلة من الموت والفناء قريب إليه و إن كان بعيداً في نظره (قسم أرزاقهم ) بينهم على وفق مجرى عليه قلم التقدير و كتبه يد التدبّير في الكتاب المكتنون واللوح المحفوظ كما قال سبحانه :

**« نَحْنُ قَسْمُنَا يَبْنُونَ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ». »**

( وأحصى آثارهم وأعمالهم ) و إحصائهم كناية عن العلم بهما كما قال سبحانه :

**« وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارُهُمْ »**

أى ما قدّموا من الأفعال و ما سنّوه بعدهم حسنة كانت أو قبيحة و منه :

**« عَلِمْتَ نَفْسَكَ مَا قَدَّمْتَ وَآخَرَتْ »**

و قيل آثارهم أى أقدامهم في الأرض وأراد مشيّهم إلى العبادة وخطاهم إلى المساجد

( و عدد أذفانهم و خائنة أعينهم و ما تخفي صدورهم من الضمير ) و هو اقتباس من

قوله تعالى :

«يَعْلَمُ خَائِنَةً أَلَا عَيْنٌ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»

قال في مجمع البيان : أى خيانتهاهى مسارة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه والخائنة مصدر كما أن الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل إن تقديره يعلم الأعين الخائنة ، وقيل هو الرمز بالعين وفيه أقوال اخر ( و مستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور) و فيه ملامحة إلى قوله سبحانه :

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلُّ شَيْءٍ كِتَابٌ مُبِينٌ».

أى يعلم موضع قرارها والموضع الذى أودعها فيه من أرحام الأمهات وأصابع الآباء وظهورهم، ويعلم كل أحوالهم من حين ابتدائهم (إلى أن تناهى بهم الغايات) ويقف كل عند غايته المكتوبة من خير أو شر ( هو الذى اشتدت نقمته على أعدائه فى سعة رحمته و اتسعت رحمته لا ولیائه في شدة نقمته) لا يخفى ما في هذه القرينة من حسن المقابلة.

قال الشارح للبحراني : و أشار بذلك إلى كمال ذاته بالنسبة إلى ملوك الدنيا مثلاً ، فإن أحدthem في حالة غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره ، وكذلك في رحمته لا ولیائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ؛ ولما ثبت أنه تعالى هو الفنى المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وأنه المعطى لكل قابل مايسحقه من غير توقف في وجوده على أمر من ذاته ، و كان أعداء الله مستعدون ببعدهم عنه لقبول سخطه و شدة نقمته في الآخرة ، لاجرم أولاهم ذلك و ان كانوا في الدنيا في سعة رحمته و شمول نعمته ، و كذلك أولاهم لما استعد والقبول برحمته و شمول نعمته أفضها عليهم فهم في حظيرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة و ضروب الكرامة وإن كانوا بأجسادهم في ضروب من العذاب و شقاوة الفقر والفنك في الدنيا ، و ذلك لا يملكه إلا حليم لا يشغله غضب عن رحمته ، عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال

عقوبته سبحانه ليس إلا هو.

(فاهر من عازم) أى غالبه وعنى عن أمره كفر عون إذ قال أنا ربكم الأعلى فأخذته الله نكل الآخرة والأولى و غيره من العتاة والطغاة ، حيث قسم الله سبحانه ظهرهم وكسروا عظمهم و قهرواهم بالموت والاذلال ، وأنزل عليهم شديد النكال (ومد متر من شاقه) أى مهلك من كان مشاقله ومنحرفاً عن طريق الهدى إلى سمت الردى (ومذلة من نواه) يجعله محتاجاً إلى غيره ( و غالب من عاده) أى المستولى عليه بقهره (من توكل عليه كفاه ) كما قال في كتابه العزيز:

**«وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»**

أى الكافي له يكفيه أمر دنياه و آخرته ( و من سأله أعطاءه ) إذ لا تقوى خزانةه السؤال ، ولا تدخل عليها نقص ولا زوال.

و في الحديث القدسى : يا عبادي لو أنّ أوّلكم و آخركم و انسكم وجنتكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله مما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلا كما ينقص المحيط إذ أدخل البحر.

أى لا ينقص شيئاً وإنما ضرب المثل بالمحيط والبحر لأنّه وإن كان يرجع شيء، فليل محسوس لكن لفلته بالنسبة إلى أعظم المرئيات عيانا لا يرى ولا يعد شيئاً فكانه لم ينقص منه شيء.

( و من أقرضه قناء ) أى من أتفق ماله في سبيله و طاعته أعطاهم الله عوض ما أتفق وإنما سمعى الإنفاق فرضاً تلطفاً للدعاء إلى فعله و تأكيدها للجزاء عليه، فأنّ الفرض يوجب الجزاء وهو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة البقرة:

**«مَنْ دَعَا اللَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنَا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» .**

روى الطبرسي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية :

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا».

قال رسول الله ﷺ : رب زدني فأنزل الله:

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْنَالِهِ»

فقال رسول الله ﷺ : زدني فأنزل الله سبحانه:

«مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً».

والكثير عند الله لا يحسى.

قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: إن النبي ﷺ قال: من تصدق بصدقه فله مثلاها في الجنة، فقال أبو الدحداح الأنصاري و اسمه عمر و بن الدحداح: يا رسول الله إن لي حديقتين إن تصدقت بحادييهما فان لي مثليهما في الجنة؛ قال: نعم، قال: وأم الدحداح معى؟ قال: نعم، قال: والصبية معى؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقتين فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فناعف الله له صدقته ألف، و ذلك قوله أضعافاً كثيرة قال: فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة و تحرج أن يدخلها فنادى يا أم الدحداح، قالت: ليك يا أم الدحداح، قال إني جعلت حديقتي هذه صدقة و اشتريت مثليها في الجنة و أم الدحداح معى والصبية معى قالت: بارك الله لك فيما شرطت و فيما اشتريت فخر جوا منها وأسلموا الحديقة إلى النبي ﷺ فقال النبي: كم من نخلة متسلل عنوفها لا بي الدحداح في الجنة.

وفي منهج الصادقين قال النبي ﷺ : كم من عنق(١) رواح و دار فيها في الجنة لا بي الدحداح.

(و من شكره جزاء) أي من اعترف بنعمته سبحانه و فعل ما يجب فعله من الطاعة و ترك ما يجب تركه من المعصية أعطا الله سبحانه بشكره الجزاء الجميل

١- العنق بالفتحة النخلة بعملها و رواح الشجر العظيم بورق و دار الفياح أي دار السعة منه.

والثواب الجزيل.

ثم إنّه بعدمإذ كر جملة من النعمات الحلالية والصفات الجمالية لله سبحانه وله أردف ذلك بالعظة والنفيحة فقال: (عبد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا) أي زنوها في الدنيا قبل الوزن في الآخرة فاما الوزن في الدنيا فهو اعتبار الأعمال وضبطها بميزان العدل أي مراعاة الاستقامة على حاكم الوسط المصنون من طرف التفريط والافراط، فان اليدين والشمال مفلحة والطريق الوسطى هي الجادة، وأما الوزن الأخرى فقد أشير إليه في قوله سبحانه:

«وَالْوَزْنُ يُوْمَيْدُ الْحَقُّ فَمَنْ تَقْلِتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ،  
وَمَنْ حَفِظَ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنْفُسُهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا  
يَظْلِمُونَ» .

قال الطبرسي في معناه قيل: إن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لاظلم فيها وقيل: إن الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة فيوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات، ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لا يجوز وزنها فقيل: توزن صحايف الأعمال، وقيل: يظهر علامات الحسنات والسيئات في الكفتين فيراها الانسان، وقيل: تظهر الحسنات في صوره حسنة والسيئات في صورة سيئة، وقيل: توزن نفس المؤمن ونفس الكافر، وقيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كمال قال سبحانه:

«فَلَا تُقْبِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ وَزَنًا» .

(و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا) أي حاسبوها في الدنيا قبل المحاسبة في الآخرة أما المحاسبة الأخرىوية فقد مر في شرح الكلام الحادى والثمانين تحقيق الكلام فيها وأما المحاسبة الدّنيوية فهي عبارة عن ضبط الانسان على نفسه أعمالها الخيرية والشريرة ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وستطلع على مزيد

توضيح لهافي ضمن الاَّ خبار الاَّ تية (وتنفسوا قبل ضيق الخناق) وهو استعارة لانهاز الفرصة للعمل قبل تغذره بحلول الاَّجل وتعلق حبائل الموت وانشاب أظفار المنيّة والفوتوت (وانقادوا) لاَ اَمر الله سبحانه ونوناهيه (قبل عنف السياق) أي قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة التي تقدّم الاشارة إليها في شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية والثمانين .

(واعلموا اَنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ ) يعني من لم يعن الله سبحانه على نفسه حتى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم ينفعه الزجر والوعظ من غيرها .

والمراد باعانته الله له أن يعدّ نفسه الناطقة لقبول الخيرات و يؤيدها على نفسه الْمَارِة بالستو حتى تكون مقهورة عندها فيحصل له الاستعداد لقبول الموعظ والزاجر ويكملا له الانتفاع بها .

روى في الوسائل عن محمد بن إدريس في السرائر بقلاً من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب عن أبي حمزة الشبالي قال : كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : ابن آدم إِنَّك لَا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همتك ، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً ، ابن آدم إِنَّك ميت ومبعد وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ فأعدّ جواباً .

### **ايقاظ في ذكر نبذ من الاخبار الواردة في محاسبة النفس وبيان كيفية المحاسبة فأقول :**

روى في الوسائل من الكافي بسانده عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الحسن الماضي عليهما السلام قال : ليس مننا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسنا استزاد الله و إن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه .

ومن الخصال و معاني الاَّ خبار للصادق مسندأ عن عطا عن أبي ذر «ره» في حديث قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال عليه السلام : كانت أمثلا كلّها أيها الملك المبتلى المغرور إِنَّي لم ابعثك لتجمع الدّنيا بعضها على بعض ،

ولكن بعثتك لتره عنى دعوة المظلوم فانى لا أردّها وإن كانت من كافر ، وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات : ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحال فانّ هذه الساعة عون لتلك. الساعات واستجمام للقلوب وتقرير لها .

ومن مجالس الشيخ باسناده عن أبي ذر "ره" في وصيّة النبي ﷺ أنه قال: يا أباذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فانه أهون لحسابك غداً ، وزن نفسك قبل أن توزن ، وتجهز للعرض الأكبير يوم تعرض لا تخفي على الله خافية إلى أن قال : يا أباذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبوسه من حلال أو من حرام ، يا أباذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار .

ومن تفسير العسكري عن آبائه عن علي عن النبي سلام الله عليه ر عليهم قال ﷺ : أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت ، فقال رجل يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه بما أفتنته فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته أفقيت هوائج مؤمن فيه أنتقست عنه كربة أحفظته بظهور الغيب في أهله وولده أحفظته بعد الموت في مخلقيه أكفت عن غيبة أخ مؤمن أعنلت مسلماً ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه فان ذكر أنه جرى منه خير حمد الله و كبره على توفيقه ، وإن ذكر معصية أو تقصير استغفر الله و عزم على ترك معاودته .

وعن علي بن موسى بن طاوس في كتاب محاسبة النفس قال : ورأيت في كتاب مسعدة بن زياد من اصول الشيعة فيما رواه عن الصادق عليه السلام عن أبيه قال : الليل إذا أقبل، نادى مناد بصوت يسمعه الخالائق إلا النقلين يابن آدم إنّي خلق جديد إنّي على ما في شهيد فخذ مني فانّي لو طلعت الشمس لم أرجع إلى الدّنيا ولم تزدد في حسنة ولم تستعقب في من سيئة، وكذلك يقول النّهار إذا أذير الليل، وبإله التّوفيق.

## الترجمة

از جمله خطب شریفه آن امام أنام است علیه الصلاة والسلام که فاتحه اش متنضم است بعض صفات کمالیه الهیه را و خاتمه اش مشتمل است بر موعظه و نصیحت میفرماید :

حمد و ثنایا خداوند معبد بحقی را سزاست که شناخته شده است بی حس و بصر ، و خلق نموده بی فکر و نظر ، آنچنان پروردگاری که دایم است بالذات و متصف است ببقاء و ثبات در وقتیکه نبود هیچ آسمان صاحب برجها ، و نه حجابهای صاحب درها ، و نه شب تاریک ، و نه بحر ساکن غیر متحرک ، و نه کوهی که صاحب راههای فراخ است ، و نه راههای فراخ که متصف است با عوجاج و کجی ، و نه زمینی که صاحب فرش است و قرار : و نه خلقی که صاحب قوت است و اقتدار .

این ذات موصوف بصفات کمالات آفریننده خلائق است ووارث ایشان ، ومعبد مخلوقات است ورزق دهنده ایشان ، و آفتاب تابنده و ماه درخشندۀ حر کت کننده اند بعدت مستمره بر طبق رضای او در حالی که فانی میکنند هر جدید را ، و نزدیک مینمایند هر بید را ، قسمت فرموده است روزی های خلق را ، و شمرده است اثرها و عملهای ایشان را ، و تعداد نموده نفسهای ایشان را ، و عالم است بخیانت چشمها ایشان و با آنچه پنهان میکنند سینه های ایشان از آنچه که در دل میگیرند از قصد عصيان وغیرآن ، و دانا است بقرار کاه و محل و دیعة ایشان از ارحام ما در ان وأصلاب پدران تا آنکه بنهايت ميرسد ایشان را غایتها ، يعني خبر است بجمیع احوال و اعمال ایشان از ابتداء تا انتهاء .

آن خداوندی که شدید است عقوبت او بر اعداء خود در وسعت رحمت او ، و وسعت دارد رحمت او بر اولیاء خود در شدت عقوبت او، قهر کننده کسیست که غلبه کی جوید براو ، وهلاک کننده کسیست که نزاع کند با او، و ذلیل کننده کسی است که عناد ورزد با او، و غلبه کننده کسیست که عداوت نماید او را ، هر که توکل

کرده برا او کفایت نمود اورا ، و هر کس سؤال کرد ازا و عطا فرمود اورا ، و هر که قرض داد باو و مال خود را در راه او صرف نمود عوض داد باو ، و هر که شکرانه نعمت اورا بجا آورد جزای خیره داد باو .

ای بند گان خدا بسنجد نفسهای خود را بمیزان غدل در دنیا پیش از آنکه سنجدیده شوید بمیزان عمل در آخرت ، و ممحاسبه کنید با نفسهای خود پیش از آنکه بمقام محسوبه آورده شوید در قیامت ، و نفس زنید و فرصت غنیمت شمارید پیش از تنگ شدن گلو ، ومطیع ومنقاد باشید پیش از رانده شدن با مشقت بسوی آخرت . و بدآنید آن کسی که اعانت فرموده نشده بنفس خود تا آنکه باشد لورا از آن نفس پند دهنده ، وزجر کننده نیست اورا از غیرنفس او زجر کننده و نه پند دهنده ، یعنی کسی که اعانت نفرموده باشد خداوند اورا برغلبة نفس اُمّاره او تا اینکه مستعد وقابل شود بر قبول هو عظه و نصیحت از پیش خود ، ثمری نمی بخشد اورا مو عظه و نصیحت دیگران ، والله أعلم .

## وَمِنْ خُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْرِفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ وَهِيَ التَّسْعُونَ مِنْ الْمُخْتَارِ فِي بَابِ الْخُطْبَ

وهي من خطبه المشهورة روى بعض فقراتها المحدث العلام المجلسي (ره) في البحار من كتاب مطالب المسؤول لمحمد بن طلحة الشافعي ، ورواه الصدق في التوحيد مسنداً باختصار واختلاف كثير لما أورده السيد (ره) في الكتاب . قال: حدثني علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقيق ره ، قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمي ، قال: حدثني علي بن العباس ، قال: حدثني إسماعيل بن مهران الكوفي عن إسماعيل بن إسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مساعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّك تبارك و تعالى لنزداد له حباً و به معرفة ، فغضب أمير المؤمنين و نادى :

الصلوة (١) جامعة فاجتمع الناس حتى غصَّ المسجد بأهله ثمَّ قام متغيِّر اللون فقال : الحمد لله إلى آخر ما رواه هذا ، وشرح ما أورده السيد ره هنا في ضمن فصول :

## الفصل الأول

قال السيد ره : وهي من جلائل خطبه عليه السلام وكان سأله سائل أن يصف الله له حتى كأنه يره عيانا ، فغضب عليه السلام لذلك :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّ هُنْمُنْ وَالْجُمُودُ، وَلَا يُكَدِّي هُنْمُنْ الْإِعْطَاءَ وَالْجُودُ.  
 إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا نَعِيْ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، هُوَ  
 الْمَتَانُ بِفَوَائِدِ النَّعْمٍ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقَسْمِ، عِيَالُهُ الْخَلْقُ، ضَمِّنَ أَرْزَاقَهُمْ،  
 وَقَدْرَ أَقْوَاتِهِمْ وَنَهْجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالظَّالِمِينَ مَا لَدُهُمْ، وَلَيْسَ  
 بِهِمْ سُلْطَانٌ بِأَجْوَادِهِمْ يَا لَمْ يُسْلِمْ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونُ  
 شَيْئٌ بَقْبَلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونُ شَيْئٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ  
 أَنَّاسِيٌّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَاهَأْ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَافَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ  
 مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَنْتِقَالُ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ  
 عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَضَحِّكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ مِنْ فِلَزِ الْلَّجَنِ وَالْعِقَابِ،  
 وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ، مَا أَتَرَ ذِلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْدَدَ سَعَةَ مَا  
 عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَارِ الْأَنْعَامِ، مَا لَا تَنْفَدُهُ مَطَابِبُ الْأَنَامِ،

١- منصوب بفعل المضارع اي احضروا الصلاة وجامعة حال وغضّ المسجد اي امتلاء فهو غاصٍ بأهله ، منه

**لَا نَهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي هُوَ سُؤالُ السَّائِلِينَ، وَلَا يَنْخُلُهُ إِلَاحُ الْمُلْحِينَ.**

### اللغة

(الأشباح) جمع الشبح وهو الشخص كالأسباب والسبب و(وفر) الشيء يفر من باب وعد وفوراً تم وكملاً ، ووفرته وفرأ من باب وعد أيضاً أتمته وأكملته يتعدى ولا يتعدى والمصدر فارق و (أكدى) الرجل إذا بخل أو قلل خيره أو قلل عطائه قال سبحانه :

**« وَأَعْطِيْ قَلِيلًا وَأَكْنَدِيْ » .**

وأصله كدى كرمى ومنه أرض كادئه بطيئة الاببات و (الأنسى) جمع الانسان وهو المثال الذى يرى في سواد العين و (الأصداف) جمع الصدف بالتحريك وهو غشاء الدر و (الفلز) بكسر الفاء واللام و تشديد الزاء و كقتل قال في القاموس: نحاس أبيض يجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلها أو ما ينفيه الكبير من كل ما يذاب منها و (العيقان) الذهب الخالص ويقال هو ما ينبت نباتاً و ليس مما يحصل من الحجارة و (نثارة) الدر ما تناثر منه.

قال الشارح المعترض لي : و تأتي فعالة تارة للجيد المختار و تارة للساقط المتروك غالباً و تارة نحو الخلاصة والثانية نحو القلامرة و ( الدر ) جمع الدرة وهي المؤولة العظيمة و (غاض) الماء نقاص و غاضه الله كاغاضه أنقصه يتعدى بنفسه وبالهمزو (أبخالته) و جدته بخيلاً.

### الاعراب

قوله عَلَيْكُمْ : وكل مانع مذموم ماخلاه الأصل في خلا أنه لازم يتعدى إلى المفعول بمن نحو خلت الدار من الإنسي ، وقد تضمن معنى جاوز فيتعذر بنفسه كقولهم افعل هذا و خلاك ذم أي جاوزك.

قال الرضي : والزموها هذا التضمن في باب الاستثناء فيكون ما بعدها في صورة المستثنى بالـ التي هي أم الباب وللهذا الغرض التزموا بإضمار فاعله إلى أن

قال : و فاعل خلا عند النحاة بعضهم ، و فيه نظر لأن المقصود في جائني القوم خلا زيداً أن زيداً لم يكن معهم أصلا ولا يلزم من مجاوزة بعض القوم إياه و خلو ببعضهم منه مجاوزة الكل و خلو الكل ، والأولى أن يضرم فيه ضمير راجعا إلى مصدر الفعل المتقدّم أى جائني القوم خلا مجئهم زيداً ، كقوله تعالى :

« أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ». »

فيكون مفسر الضمير سياق القول هذا .

و ما فيه مصدرية و لذلك التزم انتصاب ما بعده لأن ماء المصدرية تدخل على الفعلية غالبا ، والاسمية قليلا وليس بعدها اسمية فتعين الفعلية فتعين أن يكون فعل فوجب النصب والمضاف ممحذف أى وقت ماخلا مجئهم زيداً ، وذلك أن الحين كثيراً ما يحذف مع ماء المصدرية نحو : ما ذر شارق و نحوه ذكر ذلك كله نجم الأئمة الرضي (ره) .

قال : وجوز الجرمي الجرّ بعد ما خلا و ما عدا على أن ما زائدة ، ولم يثبت انتهى .

أقول : حمل ما على الزيادة في كلام الإمام علي عليه السلام على تقدير شبوته أقرب إلى المعنى كمالاً يخفى ، و حملها على المصدرية محتاج إلى التكليف كما هو غير خفي على الفطن العارف ، و إضافة الفوائد إلى النعم بيانية ، و في قوله وعوائد المزید من قبيل إضافة الموصرف إلى الصفة ، والقسم عطف على العوائد ، و جملة ضمن في محل النصب على الحالية من ضمير عياله

### المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة كما ذكره السيد (ره) من جلائل خطبه عليه السلام و مشاهرها و تسمى بخطبة الأشباح لاشتمالها على ذكر الأشباح والأشخاص من الملائكة و كيفية خلقهم و بيان أقسامهم ، و لعل غضبه عليه السلام على السائل من أجل أن غرض السائل كان وصفه تعالى بصفات الأجسام و زعمه جواز معرفته سبحانه

بالاكتناء كما يشهد به قوله: كأنه يراه عيانا ، فغضب عليه لذلك و تغير لونه لا جل ذلك ووصفه بأوصاف العزّ والكمال و صفات الجبروت والجلال فقال: ( الحمد لله الذي لا يفره المعن والجمود ) أى لا يوجدب وفور ماله المعن والامساك ( ولا يكديه الاعطاء والجود ) أى لا يقلل اعطائه البذل والاحسان يقول عليه إنه سبحانه ليس كملوك الدنيا يتزيد بالامساك و ينقص بالانفاق إِنْمَدُورَاتَه سبحانه غير متناهية و ما عنده لا يدخله نقص ولا فتاء ، بل يدخلان الفاني المحدود و يشهد به ما مرّ في شرح الخطبة السابقة من الحديث القدسى : يا عبادى لو أنَّ أولكم و آخركم و انسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلَّ انسان مسأله نقص ذلك مما عنده شيئاً إِلَّا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر أى لا ينقص شيئاً.

و إلى ما ذكرنا أشار عليه بقوله : ( إِذْ كُلَّ مُعْطَى مُنْقَصٌ سُواه ) و بحار فضله لا ينقص بالفضال، و خزائن كرمه لا تقلّ بالانعام والنوال .  
ولما نبه عليه على عدم إمكان دخول النقصان في بحر فضله وجوده أردف ذلك ببقى لحقوق الذمّ بمنعه على وجوده بقوله : ( و كُلَّ مَانِعٍ مَذْمُومٍ مَا خلاه ) و ذلك لأنَّ كلَّ مانع غيره إنما يمنع لخوف الضيق والمسكنة وخشية الفقر و الفاقة أو بخل نفسه الامارة ، فحرى أن يتحققه المذمة والملامة وأهـ الله القدوس السبحان فلما كان منزهاً عن صفات النقصان ؛ و محالاً أن يتحققه طوارى الامكان ، فليمن منعه لضيق أو بخل ، و إنما يمنع بمقتضى حكمـةـ با لـغـةـ وـ دـاعـيـ مـصـاحـةـ خـفـيـةـ أـوـ ظـاهـرـةـ ، فـمـنـعـهـ فيـ الـحـقـيـقـةـ عـيـنـ الـقـضـلـ وـ الـاحـسـانـ وـ الـعـطـاءـ وـ الـامـتنـانـ .

كما ورد في الحديث القدسى : إنَّ من عبادى من لا يصلحه إِلَّا الفقر ولو أعنيته لا فسده ذلك

و في حديث آخر : و إنَّ من عبادى المؤمنين لعياداً لا يصلح لهم أمر دينهم إِلَّا بالفacaة والمسكنة والسوق في أبدانهم فأبلوهـمـ بالفacaةـ وـ الـمسـكـنـةـ وـ الـسـقـمـ فـصـلـحـ

إليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين ( هو المنان بفوائد النعم ) أى كثير الانعام على العباد والمعطى لهم ابتداء من غير سبق سؤال، وبه فسره الفيروز آبادي .

ويدل عليه مارواه الطريحي قال : وفي حديث علي عليه السلام وقد سئل عن الحنّان والمنان فقال : الحنّان هو الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان هو الذي يبيه بالسؤال قبل السؤال .

وبذلك ظهر أن جعل المنان مبالغة في المنة وإظهار الاصطناع كما في شرح البحرياني مما لا وجه له بل هو تفسير بالرأي في مقابلة النص ، ولا بأس بذكر كلامه لتوضيح مرامه .

قال في شرح هذه الفقرة : المنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى :

**« يَا بَنِي إِنْسَانِ إِذْ كُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ »**

في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وإن كان صفة ذم لخلقه . والسبب الفارق أن كل منعم سواء يحتمل أن يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كمالاً يعود إليه مما أفاده ، وأيسره توقع الذكر ويصبح ممن يعامل بنعمته ويتوقع جزاء أن يمن بها لما يستلزم من التطاول والكبر وتوقع الجزاء والحاجة إليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف ، إذ التطاول والكبر إنما يليقان بالغنى عن ثمرة ما تطاول به إلى آخر هاذ كره .

أقول : أما قبح الامتنان من المخلوق فممّا لا ريب فيه ، لكنه ناشئاً من خسّة النفس ودنائة الهمة ولذلك مدح الله سبحانه عباده المتّقين بما حكى عنهم بقوله :

**« إِنَّا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا »**

كما أنه لا ريب في جوازه على الله سبحانه ، ويدل عليه صريح الكتاب والسنة ، وأما جعل المنان من أسمائه سبحانه بذلك المعنى فلا دليل عليه ، بل الدليل قائم على

خلافه حسبما عرفت ، مع أن إرادة هذا المعنى في هذا المقام أعني كلام الإمام عليه السلام على فرض ثبوت أصله مما يأبى عنه الذوق السليم والطبع المستقيم إذ المعنى الذي ذكرنا أولى بالتمدح منه كما لا يخفى ، هذا .

وما أبعد ما بين ماذ كرمه الشارح وما ذهب إليه السيد عليخان شارح الصحيفة السجادية من نفي جواز المبة على الله رأساً كعدم جوازه على الخلق حيث قال في شرح دعاء طلب الحوائج عند شرح قوله عليه السلام : يا من لا يبيع نعمه بالأثمان ، و يا من لا يقدر عطياته بالامتنان : الامتنان افتعال من الممن و هو إظهار الاصطناع و اعتداد الصنائع كان يقول : ألم أعطك كذا ، ألم أحسن إليك ، ألم أعنك ؟ وهو تعبير يكدر المعروف وينفعمه فلهذا نهى الشارع عنه بقوله :

« لَا تُبْطِلُوا أَصْدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذْيَ » .

ومن هنا قيل: سيان من منع النائل ومن ، ومن منع السائل وضن ، والمراد بنفي تكديره تعالى عطياته بالامتنان نفي الامتنان عنه رأساً فهو من باب نفي الشيء بلازمه أي لا امتنان فلا تكدير.

ثم لاما كان الامتنان بالمعنى المذكور رديلة ناشئة عن دنائة النفس وصغر الهمة واستعظام النعمة والاحسان كان تعالى منزه عن الامتنان ، لأن كل نعمة من نعمه تعالى وإن عظمت وكل عطية من عطياته وإن جلت بالنسبة إلى العبد المعطى والنعم على حقيقتها بالنسبة إلى عظمته جلت قدرته ، و شأنه تعالى أجل من أن يكون لها عنده موقع فيمن بها ويعتقد بها على من أعطاها وأنعم عليه ، وقول بعض العلماء إن المنية بالمعنى المذكور صفة مدح للحق سبحانه وإن كان صفة ذم للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه ، انتهى .

أقول: والأنصاف أن نفي الامتنان عنه سبحانه رأساً لا وجه له مع نص الآية الشريفة أعني قوله :

« وَمِنْهُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَعْلَمُ  
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ إِلَيْنَا يَوْمَ

بخلافه(١) و دلالة الآيات الواردة في مقام الامتنان عليه بل المنفي عنه هو الامتنان المتصور في الخالق .

بيان ذلك أن الامتنان من المنعم على المنعم عليه تارة يكون لراحة مكافأة الأنعم وطلب العوض من الشواب الآجل و الثناء العاجل ، وبعبارة أخرى لتوفيق منفعة عايدة على المنعم بانعامه ، وأخرى إرادة تذكر المنعم عليه للمنعم واستعداده بذلك لقبول نعمة أخرى وتحصيل منفعة ثانية من دون أن يكون للمنعم فيه تحصيل فائدة واكتساب منفعة لنفسه أصلاً .

فالامتنان على الوجه الأول هو القبيح وإليه يعود منه الخالق ، وأما الثاني فلا قبح فيه أصلاً بل هو حسن يشهد به الوجدان فلا غبار على جوازه على الله سبحانه وعلى ما حققه فمعنى قوله ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ﴾ : يا من لا يقدر عطاياه بالامتنان : أن امتنانه لا يوجب التكدير كما يوجبه امتنان غيره إذ غرضه تعالى منه ليس إلا محض التفضل والتسطول وإيصال نعمة أخرى إلى الممتن عليه ، وغرض غيره منه تحصيل منفعة لنفسه فمعنى ذلك فالمبني في كلام الامام عليه السلام هو التكدير لا أصل الامتنان وإلا امتناع الجمع بينه وبين الادلة الدالة على الامتنان ويكون منافقاً صريحاً لها ، فافهموا واغتنم ، والله العالم .

وقوله ( وعوائد المزید والقسم ) قال البحراتي : أى معتادهما ، وهو سهو إذ العوائد جمع العايدة لا العادة حتى يكون بمعنى المعتاد ، والعائد كما في القاموس المعروف والصلة والعطف والمنفعة ، والمزيد مصدر إما بمعنى الفاعل أو المفعول

وإضافة العايدة إليه من باب إضافة الموصوف إلى صفتة لا بالعكس كما هو لازم ما فسره البحرازي ، والمراد أنّه سبحانه منّان على العباد بصلاته وعطوفاته الزايدة أو المزید وقسمه المقدرة .

(عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم) لما كان عيال الرّجل عبارة عنميمونة وينفق عليه و يصلح حاله استعار لفظه للخالق بالنسبة إلى ربّهم لخلقهم لهم وتربيتهم في حقهم وإصلاحه حالهم في المعاش والمعاد .

قال البحرازي : واستعار لفظ الضمان لما وجب في الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه في تدبير إصلاح حالهم من الأفوات والأرزاق وتقدير أقواتهم إعطاء كلّ ما كتب له في اللوح المحفوظ من زائد ونافض ، انتهى ، وهذا هو المشار إليه بقوله سبحانه :

« نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ».»

واعلم أن الرزق في اللغة هو العطاء ويطلق على النصيب المعطى ، وأما في العرف فقلالت الأشاعرة هو مطلق ما ينتفع به حيًّا مباحاً كان أو حراماً بالتجذّي أو بغierre ، وذهب أصحابنا بالمعزلة إلى أنه ما صح انتفاع الحيوان به وليس لأحد منعه منه فلابيكون الحرام رزقاً ، لأنَّ الله سبحانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه وبأس بذكر أدلة الظرفيين ليتضمن الحق من البين .

فأقول : استدل الأشاعرة بما رواه عن صفوان بن أمية قال : كننا عند رسول الله ﷺ إذ جاء عمر بن فرقان فقال يا رسول الله إنَّ الله كتب على الشّفوة فلا أراني أرْزق إلَّا من دَفَّي (١) بكفي فأذن لي في الغناء ، فقال ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أى عدوَ الله والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً ، فاختبرت ما حرم الله عليك مكان ما أحلَ الله لك من حلاله ، و بقوله تعالى :

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ». .

تقريب الاستدلال ما ذكره الفخر الرازبي في التفسير الكبير حيث قال : تعلق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أن الرزق قد يكون حراماً قالوا : لأنّه ثبت أن إ يصل الرزق إلى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق، والله تعالى لا يدخل بالواجب ، ثم قد نرى انساناً لا يأكل من الحال طول عمره فلولم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيكون تعالى قد أدخل بالواجب وذلك محال ، فعلمنا أن الحرام قد يكون رزقاً .

وأجيب عن الأول تارة بالطعن في السنّد، وأخرى بأنّه على تقدير صحته لابد من تأويله بأن إطلاق الرزق على الحرام فيه لمشاكله قوله فلا أراني أرزق ، على حد قوله : ومكرروا ومكرر الله، وباب المشكلة وإن كان نوعاً من المجاز لكنه واسع كثير الورود في الكتاب والسنة معروف الاستعمال في نظم البلاغة ونشرهم فلا بد من المصير إليه جمعاً بين الأدلة .

وعن الثاني بمنع وجود مادة النقض إذ لا نسلم وجود حيوان لا يرزق إلا بالحرام مدة عمره ، أمّا غير الإنسان فواضح إذ لا يتصور بالنسبة إليه حل ولا حرمة .

أمّا الإنسان فلا نه في أيام الصبا وعدم التكليف لا يتتصف ما يأكله بالحرمة كعدم اتصافه بالاباحة ، بل هو كالحيوان في عدم اتصاف أفعاله بشيء من الأحكام الخمسة .

وأمّا بعد البلوغ فلا نه بعد ما كان الرزق أعمّ من الغذاء باتفاق المعتزلة والأشاعرة يشمل التنفس في الهوا و معلوم أنه مباح في حقه قطعاً فلم يوجد حيوان لا يرزق إلا بالحرام طول عمره ، ويوضحه أنه لو مات انسان قبل أن يأكل شيئاً حلاً أو حراماً لزم أن يكون غير مرزوق مما هو جواب الأشاعرة

فهو جوابنا .

و استدلّ المعتزلة على المذهب المختار بقوله سبحانه:

**«وَمَا رَزَقْنَاكُمْ يُنفِقُونَ» .**

حيث مدحهم بانفاقهم من رزقة فلابد أن يكون الرّزق حلالاً إذ الانفاق من الحرام  
بعزل عن إيجاب المدح.

أقول: ولا يخفى مافيته: إذ يجوز جعل من تبعيسيّة فيكون معنى الآية أنّهم  
ينفقون بعض ما رزقهم الله، و مدحهم بذلك يستلزم أن يكون ما أنفقوا حلالاً ولا  
يستلزم أن يكون جميع ما رزقهم الله حلالاً، و هو واضح.

و استدلّ بعض أصحابنا بما رواها العامة والخاصة من خطبته بِالْأَشْفَافِ في حجة  
الوداع وهي صريحة غير قابلة للتساويل . و رواها الكليني باسناده إلى الإمام أبي  
جعفر محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع : ألا إن  
الروح الأمين نفت في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتسّعوا الله  
و أجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوا بشيء من معصية  
الله ، فإن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً ، فمن اتقى الله وصبر  
أته رزقه من حله ، و من هتك حجاب ستر الله و عجل وأخذه من غير حله قصّ به  
من رزقه الحال و حوسّب عليه يوم القيمة ، هذا .

و بقى الكلام في أن الرزق هل يقبل الزيادة والنقصان بالسعي و عدم ظاهر  
بعض الأخبار العدم ، و هو مارواه في الكافي باسناده إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ أنه قال:  
إيّها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا و إن طلب العلم أو جب  
عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم و ضمه  
و سيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله وقد امرتم بطلبه من أهله فاطلبوا .

و في دعاء الصحيفة السجادية على صاحبها آلاف المصلاة والسلام والتّحية  
جعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقة لا ينقص من زاده ناقص ولا يزيد من  
نقص منهم زائد ، يعني أنّ من زاد الله رزقه منهم لا ينقصه ناقص ، و من نقصه سبحانه

لا يزيد زايده، وتقديم المفعول في الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله من الزيادة والنقصان و هو نصٌّ في أنَّ غيره تعالى لا يستطيع أن يتصرف في الرِّزْقِ المقسم بالزيادة والنقصان.

و في رواية أخرى : إنَّ أَرْزَاقَكُمْ تَطْلِبُكُمْ كَمَا تَطْلِبُكُمْ آجَالَكُمْ فَلَنْ تَفُوتُوا الْأَرْزَاقَ كَمَا لَمْ تَفُوتُوا الْآجَالَ.

والمستفاد من الأدلة الأخرى مدخلية الطلب والسعى فيها ، مثل ما رواه في الوسائل من كنز الفوائد للكراچكي قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا دول فاطلب حظك منها بأجمل الطلب.

و فيه عن شيخنا الطوسي قدس الله روحه بسانده عن علي بن عبد العزيز قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما فعل عمر بن مسلم ؟ قلت : جعلت فداك أقبل على العبادة و ترك التجارة ، فقال : ويحه أما علم أنَّ تارك الطلب لا يستجاب له دعوة ، إنَّ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت :

« وَمَنْ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَهُ مَغْرَجًا وَمَرْزُقًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ».

اغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة و قالوا : قد كفينا ، بلغ ذلك النبي عليه السلام فأرسل اليهم فقال : ما حملكم على ما صنعتم ؟ فقالوا : يا رسول الله تكفل لله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة ، فقال : إنَّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و عن الكليني بسانده عن عمر بن يزيد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أرأيت لو أنَّ رجالاً دخل بيته وأغلق بايه أكان يسقط عليه شيء من السماء ؟

و عن أحمد بن فهد في عدة الداعي عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ لا يركب في الحاجة التي كفانيها الله ، ما أركب فيها إلا لاتمام ما يراني الله أضحي في طلب الحال أما تسمع قول الله عز وجل :

« إِذَا قُضِيَتِ الصَّلوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ »

أرأيت لو أنّ رجلاً دخل بيتوطين عليه بابه و قال : رزقى ينزل على كاين يكون هذا أما أنه يكون أحد الشّلة الذين لا يستجاب لهم دعوة ، قلت : من هؤلاء ؟ قال عليه السلام : رجل عنده المرأة فيدعى عليها فلا يستجاب له ، لأنّ عصمتها في يده ولو شاء أن يخلّي سبيلها والرّجل يكون له الحقّ على الرجل فلا يشهد عليه فيجدد حقّه فيدعى عليه فلا يستجاب له لأنّه ترك ما أمر به ، والرّجل يكون عنده الشّيء فيجلس في بيته فللينشر ولا يطلب ولا يتمنى الرّزق حتى يأكله فيدعى فلا يستجاب له ، وبمعناها روايات آخر .

و يمكن الجمع بينها وبين الأخبار السابقة بجعل الرزق على قسمين : أحدهما ما ليس للطلب والسعى مدخلية فيه ، والثاني مالا ينال إلا بالطلب فيحمل الأخبار السابقة على القسم الأول ، والأدلة الأخيرة على القسم الثاني .

و يشهد على هذا الجمع ما رواه في الوسائل من مقنعة المفید قال : قال الصادق عليه السلام : الرزق مقسم على ضربين : أحدهما وأصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه ، والآخر معلق بطلبه فالذى فسم للعبد على كل حال آتىه وإن لم يسع له والذى فسم له بالسعى فيتبين أن يلتمسه من وجوهه وهو ما أحله الله دون غيره ، فان طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه و هو سببه .

(و نهج سبيل الراغبين إليه والطالبيين ما لديه ) كما قال سبحانه :

**« لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَ مِنْهَا جَأْ » .**

أراد أئمّة تعلّى أوضح السبيل للراغبين إلى النظر إلى وجهه الكريم ، و الطالبيين لما عنده من الفوز العظيم بما وضعه لهم من الشرع القويم والدين المستقيم (وليس بما سئل بأجود منه بمالم يسأل ) تنزيه له سبحانه عن صفات الخلق فانّهم يتحرّكون بالسؤال و تهزّهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بمالم يسألوا ، لكونه أسهل عندهم و أقرب إلى الانجاح ، إذ السائل لا يسأل ما ليس في وسع المسؤول عنه و ما هو أعزّ عنده و لذلك كانوا بما سئلوا أجود ، و أمّا الله تبارك و تعالى

فليس في عموم جوده و خزانة كرمه تفاوت بين المسؤول و غير المسؤول .  
بيان ذلك على ماتحققه الشارح البحرياني (ره) أنَّ في بيان ما صدر عنه سبحانه له اعتبار ان :

أحدهما بالنظر إلى جوده ، و هو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها إليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال: هو بكم إذاً جود منه بكم إذاً  
وإلا لاستلزم ذلك أن يكون بعض الأشياء أبخل أو إليها أحوج فيلزمها النقصان تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

الثاني بالنظر إلى الممكן نفسه ، والاختلاف الواقع في القرب والبعد إلى جوده إنما هو من تلك الجهة فكل ممكناً كان أتم استعداداً و أقبل للوجود وأقل شرطاً و معانداً كان أقرب إلى جوده .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن السائل إن حصل له ما سأله من الله دون ما لم يسأل فليس حرمانه معالم يسأل لعزته عند الله ، وليس بينه وبين المسؤول بالنسبة إلى جوده تفاوت، بل إنما خص بالمسؤول لوجوب وجوده له عقد تمام قبوله له بسؤاله دون ماله يسأله ولو سأله ماله يسأله و استحق وجوده لما كان في الجود الإلهي بخل به ولا منع في حقه، و ان عظم خطره و جل قدره ولم يكن له أثر نقصان في خزائن ملكه و عموم جوده .

(الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده) قد سبق في شرح الخطبة الرابعة والستين معنى أوليته و آخريته تعالى و ظهر لك هناك أن أوليته لا ينافي آخريته ، و آخريته لا ينافي أوليته و نزيد هنا بيانا و نقول: إن الأشياء في سلسلة الوجود بدایة و نهایة منتهية إليه سبحانه، فهو أول الأشياء و آخرها ليس شيء قبله ولا شيء بعده .

قال النيسابوري في تفسيره: معنى الأول والآخر أنه أول في ترتيب الوجود و آخر إذا عكس الترتيب ، فإنه ينطبق على السلسلة المترتبة من العدل إلى المعلولات و من الأشرف إلى الأحسن و على الاخذ من الوحدة إلى الكثرة مما يليلي الأزل

إلى ما يلى الأَبْدُو مَا يلى المحيط إلى ما يقرب من المركز ، فهو تعالى أَوْلَى بالترتيب الطبيعي و آخر بالترتيب المنعكس ، انتهى .

و مراده بالترتيب المنعكس أنَّ الْأَشْيَاءِ إِذَا نسِبتُ إِلَى أَسْبَابِهَا وَقَفَتْ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى وُجُودِ شَيْءٍ وَقَسَّمْتَ عَنْ سَبِيلِهِ ثُمَّ عَنْ سَبِيلِ سَبِيلِهِ وَهَكَذَا فَتَنَتْهُ بِالْآخِرَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى ، لَأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْحَلُّ إِلَيْهِ اجْتِمَاعُ أَسْبَابِ الشَّيْءِ » ، فَظَاهِرٌ بِذَلِكَ أَنَّ كُونَهُ أَوْلَى وَآخَرًا إِنَّمَا هُوَ بِالنِّظَارَةِ إِلَى ذَاتِهِ الْمَقْدَسَ لَا بِاعتِبَارِ تَقْدِيمِهِ زَمَانًا وَتَأْخِيرَهُ زَمَانًا ، لِكُونِ الزَّمَانِ مَتَأْخِيرًا عَنْهُ تَعَالَى إِذَا هُوَ مِنْ لَوْاحِقِ الْحَرْكَةِ الْمَتَأْخِيرَةِ عَنِ الْجَسْمِ الْمَتَأْخِيرِ عَنِ عَلْتَهُ ، فَلَا يَلْحِقُهُ الْقَبْلِيَّةُ وَالْبَعْدِيَّةُ الزَّمَانِيَّةُ فَضْلًا أَنْ تَسْبِقَ عَلَيْهِ أَوْ تَلْحِقَ بِهِ ، فَلِمَ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ لَامِنَ الزَّمَانِيَّاتِ وَلَامِنَ غَيْرِهَا .

وَذَكَرَ الشَّارِحُ الْمُعْتَزِلِيُّ فِي الْمَقْامِ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْعِرَادُ أَنَّهُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَحْدُثًا أَيْ مَوْجُودًا فَدَسْبِيقُهُ عَدَمٌ فَيُقَالُ إِنَّهُ مَسْبُوقٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِمَّا الْمُؤْتَرُ فِيهِ أَوِ الزَّمَانُ الْمَقْدِمُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِذَاتٍ يُمْكِنُ فَنَاؤُهَا وَعَدْمُهَا فِيمَا لَا يَزَالُ فَيُقَالُ إِنَّهُ يَنْقُضُ وَيَنْصُرُ فِيهِ كُونُ بَعْدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْزَّمَانِيَّاتِ أَوْ غَيْرِهِ .

(والراعد انسى) الأَبْصَارُ عَنْ أَنْ تَنْالَهُ أَوْ تَدْرِكَهُ ) أَرَادَ بِهِ امْتِنَاعُ رَؤْيَتِهِ سَبِيحَانَهُ لِكُونِهِ تَعَالَى مَنْزَهًا عَنِ الْجَهَةِ وَالْمَكَانِ ، وَالْبَاسِرَةُ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِمَا كَانَ فِيهِ مَا وَقَدْ تَقْدِيمٌ تَفْصِيلٌ ذَلِكَ وَتَحْقيقِهِ بِمَا لَا مَرْيَدٌ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينِ وَهَذَا الْلَّفْظُ وَإِنْ كَانَ بِظَاهِرِهِ يَعْطِي مَذَهِبَ الْأَشْعَرَةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَجُوزُ إِدْرَاكُهُ وَرَؤْيَتِهِ وَلَكِنَّهُ خَلُقٌ فِي الْأَبْصَارِ مَانِعًا عَنِ إِدْرَاكِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَابَدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ وَحْمَلِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ قِيَامِ الْأَدْلَةِ الْقَاطِعَةِ مِنَ الْعُقْلِ وَالنَّقْلِ عَلَى اسْتِحْالَةِ إِدْرَاكِهِ مِنْ حِيثِ ذَاتِهِ .

(ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) أَرَادَ بِذَلِكَ كُونَهُ مَنْزَهًا عَنِ لَحْقِ الزَّمَانِ وَعَنِ التَّغْيِيرِاتِ الْجَارِيَّةِ عَلَى الزَّمَانِيَّاتِ فَإِنَّ مِبْدِئَ التَّغْيِيرَاتِ وَالْخُلُوفِ فِي الْأَحْوَالِ هُوَ الزَّمَانُ ، فَلَمَا كَانَ مَتَعَالِيًّا عَنِ الزَّمَانِ كَانَ مَنْزَهًا عَنِ اخْتِلَافِ الْحَالَاتِ الَّتِي هُوَ مِنْ لَوْاحِقِ الْأَمْكَانِ .

و يوضح ذلك ما رواه في الكافي بسانده عن ابن أبي يعفور قال : سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ عن قول الله عز وجل :  
**«هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ».**

و قلت : أَمَا الْأَوَّلُ فقد عرفناه ، و أَمَا الآخِرُ فبَيْنَ لَنَا تَفْسِيرُه ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا يُبَيِّدُ أَوْ يَتَغَيِّرُ أَوْ يَدْخُلُ التَّغْيِيرَ وَالزَّوَالَ أَوْ يَنْتَقِلُ مِنْ لَوْنٍ إِلَى لَوْنٍ وَمِنْ هَيْئَةً إِلَى هَيْئَةٍ وَمِنْ صَفَةً إِلَى صَفَةٍ وَمِنْ زِيَادَةً إِلَى نَقْصَانٍ وَمِنْ نَقْصَانٍ إِلَى زِيَادَةٍ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزِلْ وَلَا يَزِلْ بِحَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الآخِرُ عَلَى مَالِمْ يَزِلُّ ، وَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الصَّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ كَمَا تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهِ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ تِرَابًا مَرَّةً ، وَمَرَّةً لَحْمًا وَدَمًا وَمَرَّةً رِفَاتًا وَرَمِيمًا ، وَكَالْبَرْسُ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً بَلْحًا (١) ، وَمَرَّةً بَسْرًا ، وَمَرَّةً تَمَرًا ، فَتَسْبِيْلُ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَالصَّفَاتُ وَالله عز وجل بخلاف ذلك.

(ولَا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ) أراد بذلك تنزيهه عن الكون في المكان لاستلزم امه الافتقار الذي هو من صفات الامكان و إذا لم يكن في مكان فلا يجوز عليه الانتقال منه إلى غيره ، إذ جواز الانتقال إنما هو من شأن ذي المكان بل :

**«هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ».**

و نسبة جميع الأمكنة إليه تعالى على سواء :

**«وَهُوَ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوِيْكُمْ» «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ».**

و قد مر تحقيق ذلك في شرح الفصل الخامس والستادس من فصول الخطبة الأولى فتذكرة .

(ولو وَهَبَ مَا تَنْفَسَتْ عَنْهُ مَعَادِنَ الْجَبَالِ وَضَحَّكَتْ عَنْهُ أَصْدَافَ الْبَحَارِ مِنْ

١- البلح بالتحريك قبل البسر منه .

فلز اللّجين والعقيان ونثارة الدّر وحميد المرجان ما أثّر ذلك في جوده )أشار عَلَيْهِمْ إِلَى سُعَةِ جُودِهِ سُبْحَانَهُ وَعُمُومَ كَرْمِهِ وَكَمَالَ قَدْرِتِهِ وَعَدْمِ تَنَاهِي مَقْدُورَاتِهِ، وَلَا يَخْفِي مَا فِيهِ مِنْ فَخَامَةِ الْلَّفْظِ مَعَ عَظَمِ الْمَعْنَى، حِيثُ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ شَبَهَ الْمَعَادِنَ بِحَيْوَانٍ يَتَنَفَّسُ فِي خَرْجِهِ جَوْفَهُ الْهَبَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمَعَادِنُ يَخْرُجُ مِنْ بَطْوَنِهَا الْفَلَزَاتُ، ثُمَّ شَبَهَ الْأَصْدَافَ بِإِنْسَانٍ يَضْحِكُ وَأَثْبَتَ لَهَا الضْحِكَ بِمَلَاحَظَةِ أَنَّ الصَّدْفَ أَوْلَ مَا يَنْشَقُ وَيَنْفَتَحُ وَيَبْدُو مِنْهُ الْلَّؤْلُؤُ يَشَبَهُ بِفَمِ إِنْسَانٍ الضَّاحِكِ وَالْلَّؤْلُؤُ فِيهِ يَشَبَهُ بِالْأَسْنَانِ وَالْلَّحْمَةِ فِيهِ تَشَبَهُ اللِّسَانُ فِي رِقَّةِ طَرْفِهِ وَلِطَافِتِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْأَصْدَافِ مَجْمَلاً، فَصَلَّى

بِقُولِهِ : مِنْ فَلَزِ اللّجينِ وَالْعَقِيَانِ ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا يَخْرُجُ مِنْ مَعَادِنِ الْجِبَالِ وَإِنَّمَا خَصَّهُمَا بِالذِّكْرِ مَعَ دَعْمِ الْاِخْتِصَاصِ لِأَنَّهُمَا أَعْظَمُ مَا يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ وَيَفْتَنُهُمْ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ ، وَلَا عِبْرَةُ بِالنَّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَنَحْوِهِمَا فِي جِنْبِهِمَا .

وَبِقُولِهِ : وَنَثَارَةُ الدّرِ وَحَمِيدُ الْمَرْجَانِ ، وَهُوَ بَيَانٌ لِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَصْدَافِ وَالدّرِ كَبَارُ الْلَّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ صَغَارُهُ وَلَصْغَرُهُ شَبَهُهُ عَلَيْهِمْ بِالْجَبَّ الحَمِيدِ وَرَبِّهِما يَطْلُقُ الْمَرْجَانُ عَلَى الْخَرْزِ الْأَحْمَرِ الْمُعْرُوفِ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَدْمَى لَهَا الْمَرْجَانُ صَفْحَةً خَدَّهُ وَبَكَى عَلَيْهَا الْلَّؤْلُؤُ الْمُكْنُونُ  
هُوَ خَرْزٌ يَخْرُجُ مِنَ الْبَحْرِ أَيْضًا ، وَرَبِّهِ فَسَرَّ بِهِ قُولُهُ :

« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ يَئِمَّهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَتَغَيَّبُانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا  
الْلَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ». »

وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مَرَادًا فِي كَلَامِ الْإِمَامِ عَلَيْهِمْ إِلَهَ وَلَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ وَكَيْفَ كَانَ فَالْمُقصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْبَذَلِ جَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْكَنْزُونَ وَالْمَعَادِنِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ لَا حَدَّ لَمْ يُؤْثِرْ ذَلِكَ فِي جُودِهِ ( وَلَا أَنْفَدَسَعَةً مَا عَنْهُ ) مِنْ خَرَائِنِ كَرْمِهِ ( وَلَكَانَ عَنْهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تَنْفَدِهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ ) وَذَلِكَ لِعَدَمِ امْكَانِ إِحْصَاءِ مَا عَنْهُ بَعْدَ ، وَعَدَمِ وَقْوفِهِ وَاتِّهائِهِ إِلَى حَدٍّ ( لَا نَهَا جَوَادُ الذِّي

لایغیضه سؤال السائلین ولا بخله الحاج الملحقین ) يعني لا يوجب سؤال السائلین علی کثرته نقصاناً في جوده ولا إصرار المتصرين بخلاً في كرمه لأنَّ البخل والنقصان من توابع المزاج ولو احق الامكان ، وهو متزه عن ذلك بالضرورة والعيان، بل عنده نيل السؤالات و إنجاح الحاجات ، وما يسأله السائلون علی كثرته يسير فيجو ده ، وما يستو به الطالبون علی خطره حقير في وسعته و كرمه لايضيق عن سؤال أحد ، و يده بالعطاء أعلى من كلّ يد.

### الترجمة

از جمله خطب آنحضرتست که معروف است بخطبه اشباح ، و این از خطبه های جليله او است و بود سؤال نمود سائلی از او اينکه وصف کند پروردگار عالم را از برای او باندازه که گویا آنرا آشکارا میبیند پس غصب کرده آنحضرت از این جهه و فرمود:

حمد و ثناء خدائی را سزاست که بسیار نمیگرداند مال او را منع و امساك نمودن ، و کم نمیگرداند عطا او را بدل و بخشش کردن از جهت اينکه هر عطا کننده کم کننده است مال خود را سوای او ، و هر منع نماینده مذموم است غیر از حضرت او سبحانه.

او است بسیار احسان کننده بفواید نعمتها و بمنفعتها زایده و فسستها مقدره ، عیال او است مخلوقات ، ضامن شده است بروزیهای ایشان ومقدار فرموده است قوتها ایشانرا ، واضح نموده است راه راغبانرا بسوی خود و راه طالبانرا با آنچه نزد او است ، و نیست او با آنچه که سؤال کرده شده با جودتر از او با آنچه که درخواسته نشده.

أولی استکه نیست او را پیش تا اینکه باشد چیزی قبل از او ، و آخری است که نیست او را بعد تا اینکه شود چیزی پس از آن ، منع کننده است مردمک های دیده ها را از اینکه برسد بذات او یا درک نماید او را ، مختلف نشده است ببر او روزگار پس مختلف شود از او حال ، و نبوده است در مکان تا جایز باشد ببر

او انتقال

و اگر بیخشند آنچه که نفس کشیده است از او معدنهای کوهها و خندیده است از او صدفهای دریاها که عبارت باشد از گداخته نقره و طلا و از پاشیده در در دیده مرجان، اثر نمیکند اینهمه در جود واجب الوجود، و تمام نمیسازد و سمعت آنچه را که نزد او است، و هر آینه هست نزد او از ذخیرهای نعمت ها آقدری که بیان نمیرساند آنرا مطلوبهای خلائق از جهت آنکه او است جواد و بخششده که ناقص نمینماید جود او را سؤال سؤال کفته ها، و بخييل نمیسازد او را اصرار و مبالغه نمودن مبالغه کننده ها.

## الفصل الثاني

فَانظُرْ إِلَيْهَا السَّائِلُ فَإِذْلَكَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَتْمَ بِهِ،  
وَانسَطَضَى بِبُنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمًا مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ  
عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلَا فِي مُسْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَئْمَةِ الْهُدَى أُتْرُهُ، فَكِيلٌ عِلْمًا إِلَى  
اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنْ ذِلْكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي  
الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ افْتِحَامِ السُّدُّدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْفُيُوبِ، إِلَّا فَرَارُ  
بِجُمْلَةِ مَا جَهَلُوا تَقْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدْحَ اللَّهُ اعْتَرَافَهُمْ بِالْمَجْزُونِ  
عَنْ تَنَاؤلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمِعَ تَرْكِيمُ التَّسْمُقِ فِيهَا لَمْ يُكَلِّفُهُمْ  
الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذِلْكَ، وَلَا تُقْدِرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ  
عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَا لِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرَأَتِ الْأَوْهَامُ لِتُذْرِكَ مُنْقَطِعًا قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ  
 الْفِكْرُ الْمُبَرَّءُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوسِ أَنْ يَقْعُدَ عَلَيْهِ فِي عَيْقَاتِ غُيُوبِ  
 مَلَكُوتِهِ، وَتَوَهَّمَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صَفَاتِهِ، وَغَمَضَتِ  
 مَدَارِخُ الْمُقْوِلِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصَّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا  
 وَهِيَ تَجُوبُ مَهَارَوِيَّ سُدَافِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلَّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ  
 مُجَبِّهَتِ مُعْتَرَفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْزِ الْإِعْتِسَافِ كُفَّهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَخْطُرُ  
 بِيَالِ الرِّوَيَاتِ خَاطِرَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزِّتِهِ، الَّذِي ابْتَدَعَ الْخُلُقَ  
 عَلَى غَيْرِ مِثَالِ امْتِنَالِهِ، وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ  
 قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وَعَجَابِيْبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آنَا رِحْكِمَتِهِ  
 وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخُلُقِ إِلَى أَنْ يُقْيِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ، مَادَّنَا باضْطِرَارِ  
 قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِيمِ الَّتِي أَنْهَدَتْهَا آثارُ صَنْعَتِهِ،  
 وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ  
 خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتْهُ بِالْتَّدْبِيرِ نَاطِقةً، وَدَلَالَتْهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمةً.  
 وَأَشَهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَاهِنِ أَعْصَاءِ خَلْقَكَ، وَتَلَاحِمَ حِقَاقِ  
 مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجِيَّةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ  
 يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَمِينَ «الْيَقِينَ خ» بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ، وَكَانَهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّهُ التَّابِعِينَ

مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ : « تَالَّهِ إِنْ كُنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » كَذِبَ الْعَادُوْنَ بِكَ إِذْ شَهُوْكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحْلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَاؤُوكَ تَجزِيَّةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِغَواصِرِهِمْ، وَقَدْرُوكَ عَلَى الْغِلْقَةِ الْمُخْتَلَفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِبِهِمْ، وَأَشَهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَاْفِرٌ بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتٌ آيَاتِكَ، وَنَطَقَ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَّجِيَّتِنَا تِكَ، وَأَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهْبَّ فِكَرِهِ مُكَيْفًا، وَلَا فِي رَوْيَاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُودًا مُمْسِرًا .

## اللغة

(رسخ) في العلم يرسخ من باب منع رسوخاً إذا ثبت فيه و (الاقتحام) الدخول في الشيء مغالبة و بشدة من غير رؤية و (السد) جمع السدة كغرف و غرفة وهي كالسقيفة فوق باب الدار ليقيها من المطر ، و قيل : هي الباب نفسه و منه حديث أُمُّ السلمة أَنَّهَا قالت لعايشة لما أرادت الخروج إلى البصرة إِنَّك سدّة بين رسول الله و بين أمته فمتى أُصِيبَ ذلِك الباب شيء فقد دخل على رسول الله ﷺ في حرمه .

و (التعمق) في الأمر المبالغة لطلب أقصى غايته و (ارتمى) القوم بالنسلب اى تراهموا و (خطرات الوساوس) ما تقع في البال و في بعض النسخ خطر الوساوس وهو سكون الطاء الهاجس (١) كالخاطر و (توّلّت) القلوب إليه أصحابها الوله

١- هجس الشيء في صدره خطر بياله أو هوأن يبعثت نفسه في صدره مثل الوساوس .

وهو بالتحريك التحير أو ذهاب العقل و(غمض) الحق غموضا من باب قعد خفي مأخذة وغمض بالضم لغة و(علم ذاته) قال الشارح المعتزلي : أنكر قوم جواز إطلاق الذات على الله سبحانه لا نتها لفظة تأنيث والباري سبحانه منه عن الأسماء والصفات المؤتلة ، وأجاز آخرون إطلاقها عليه واستعمالها فيه لوجهين : أحدهما أنها جاءت في الشعر القديم قال جنيب الصخار عند صلبه :

يبارك على أوصال شلو (١) موزع (٢)  
وذلك في ذات الله وان يشاء  
ويروى مررخ اى مفرق وقال النابغة :

محلتهم ذات الله ودينهم قد يخشون غير العواقب  
والشاني أنها لفظة اصطلاحية لا نتها على مؤنة لكنها تستعمل ارتजالاً في  
مسماها الذي عبر عنه بها أرباب النظر الالهي كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض  
في غير مكان أهل اللغة يستعملونها فيه .

(جاب) الاَّ رض يجوبها جوباً قطعها و(المهاوى) جمع المهاواة وهي ما بين الجبلين و(السدف) جمع السدفة وهي الظلمة و(جيشه) كمنعه ضرب جبهته ورد ها و(عسف) عن الطريق مال وعدل كاعتسف وتعسّف أو خطط على غيرهداية و (المثال) المقدار يقال : هذا على مثاله اى على ماره وصفة الشيء يقال هذا على مثال ذلك اى على صفتة و(امثله) وتمثل به اى اقتداء واتبعه يقال : امثال طريقته إذا تبعها فلم يعدها و (هذا) النعل بالتعل اى قطعها و قدرها عليها وهذا حذو زيد إذا فعل فعله .

و(المساك) ما يمسك به و(التلام) كالالتحام التلائم والاللتئام لفظاً و معنى يقال : تلام الجرح والتجم للبرء إذا التلأم و(الحقاق) جمع حقه يقال : إنه لنزع الحقاق اى منازع في صغار الاشياء مأخذة من حقيق العرف (٣) وهي صغاره

١- الشلو المضبوط الجسم من كلتشي ، ق  
٢- موزع اى مقسم  
٣- بيشه ذار .

و(المتحجبة) بصيغة المفعول المستتر أى المستور وفي أكثر النسخ بصيغة الفاعل أى المتخدّة لا نفّسها حجاباً ففائدة الافتعال الاتحاد و(اليمين) إما بمعنى القوّة أو بمعنى القسم وفي بعض النسخ اليقين بدلّه وهو ظاهر إلا أنّ الأوّل أبلغ كما تطلع عليه و(النّد) المثل و(العادلون بك) من العدل وهو المثل والنّظير ومنه : عدلوا بالله ، أى أشرّكوا وجعلوا له مثلاً و(النّحلة) النسبة بالباطل ومنه انتحال المبطلين و(الخلقة) بالكسر الفطرة كالخلق .

### الاعراب

الاقرار بالضمّ فاعل أغناهم ، وعلمًا منصوب على التميّز ، ورسوخاً مفعول ثان لسمّي ، وردها جواب اذا ارتمت ، وجملة وهي تجوب في محل النصب على الحال والعامل ردع ، ومتخلّصة حال أيضًا إما من منعول ردع أو فاعل تجوب ، ومعترفة حال من فاعل رجعت ، ومن خالق متعلّق بمقدار صفة بمقدار أى صادر من خالق أو مأخوذ من خالق .

وجملة وأرانا عطف على ابتداع ، واعتراف بالجرّ عطف على عجائب ، وإلى أن متعلق بالحاجة ، وما دلّنا مفعول ثان لأرانا ، وجملة وظهرت عطف على ابتداع أيضًا ؛ ولم يعقد بالبناء على الفاعل خبران ، وغيب ضميره بالنصب مفعوله ، وفي بعض النسخ بالبناء على المفعول فيكون غيب ضميره بالرفع سادًّا مسدًّا الفاعل والباء في قوله بما تنزلت سببية .

### المعنى

اعلم أنه ﷺ لما حمد الله سبحانه و أثنى عليه في الفصل السابق بما يليق ذاته تعالى من صفات الجمال و نعوت الجلال ، عقبه بهذا الفصل المتضمن لتنبيه السائل على خطأه في سؤاله الناشيء عن توهّمه جواز معرفة الله سبحانه على وجه تكون بمنزلة الرؤية بالعيان ، ولما كان ذلك محالا في حقّ الله القدوس السُّمِّيُّ سبحان أوّل وجّب ذلك السؤال غضبه وتغيير لونه ﷺ كما تقدّم ذكره سابقًا .

وهذا الفصل مشتمل على مقاصد ثلاثة .

### المقصد الاول

متنضم لتأديب السائل ولساير الناس من الحاضرين والغائبين في وصفهم لله سبحانه وتعاليمهم كيفية السلوك في مدح الله والثناء عليه بما هو أهل، وللنهي عن التعمق والخوض في ذات الله وصفاته، والتسلّك فيها بما فوق الاستطاعة، والخطاب فيه وإن كان مخصوصاً بالسائل إلا أنه عام لجميع الناس، إذا لعبرة بعموم الغرض لا بخصوص الخطاب والمخاطب ولذلك نادى : الصلاة جامعة وقصد اجتماع الناس .

وكيف كان وإلى ما ذكرنا نسبه بقوله : (فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفتـه فائـتمـ به واستضـيء بنور هـدايـته) أمر عـلـيـةـ بالرجـوع إـلـىـ القرآن الـكـرـيمـ والـكـتـابـ الـحـكـيمـ والـاقـتـداءـ بـهـ والـاسـتـضـانـةـ بـأـنـوارـهـداـيـتهـ والأـخـذـ بأـوـصـافـ الـقـدـسـ والـجـالـلـ وـنـعـوتـ الـعـظـمـةـ وـالـكـمالـ الـمـدـرـجـةـ فـيـهـ ، فـاـنـهـ أـدـلـ دـلـيلـ وأـوـضـحـ سـبـيـلـ وـهـ كـلـامـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ وـهـ أـعـلـمـ بـصـفـاتـهـ مـنـ غـيـرـهـ فـمـاـ وـصـفـ بـهـ فـيـهـ نـفـسـهـ فـهـوـ الـحـقـ أـحـقـ أـنـ يـتـسـبـعـ ، وـمـاـ نـزـهـ ذـاتـهـ عـنـهـ فـهـوـ الـبـاطـلـ يـنـبـغـيـ تـنـزـيـهـهـ مـنـهـ .  
 «إـنـهـ لـقـولـ فـصـلـ وـمـاـ هـوـ بـالـهـزـلـ» .

وقد دلت الآيات الكريمة على أنه تعالى رب ، رحمن ، رحيم ، شهيد ، عليم ، حكيم ، قادر ، قاهر ، قديم ، خالق ، رازق ، كريم ، سميع ، بصير ، خبير ، غفور ، شكور ، مجير ، عزيز ، متكبر ، جبار ، قوى ، منتقى ، قهار ، إلى غير هذه مما فيها من الأسماء الحسنى والأمثال العليا ، وقد تضمنت مضافاً إلى ذلك أنه  
 «لَا تُدْرِكُ الْأَنْبَارُ» «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» «وَلَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ» .

فإن هذه الآيات الثلاث نص في عدم إمكان معرفته حق المعرفة وعدم جواز إدراكه

بـالـأـبـصـار و بـمـسـاـهـدـةـ الـعـيـانـ أـمـاـ الـأـيـةـ الـأـوـلـىـ فـظـاهـرـةـ وـأـمـاـ الـثـانـىـ فـلـأـنـ كـلـ منـ أـبـصـرـ شـيـئـاـ فـقـدـ أـحـاطـ بـهـ عـلـمـاـ لـاـخـلـافـ لـأـحـدـ فـيـهـ وـأـمـاـ الـثـالـثـةـ فـلـأـنـ الـأـبـصـارـ عـبـارـةـ عنـ حـصـولـ صـورـةـ الشـيـءـ فـيـ حـسـ الـبـصـرـ فـمـاـ لـاـ مـثـلـ لـهـ لـاـ يـمـكـنـ حـصـولـ صـورـتـهـ فـيـ الـحـسـ وـحـيـثـ إـنـ لـيـسـ كـمـثـلـهـ شـيـءـ اـمـتـنـعـ تـعـلـقـ الـأـبـصـارـ بـهـ فـظـهـرـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ بـطـلـانـ مـاـ تـوـهـمـهـ السـائـلـ .

وـنـظـيرـ إـرـشـادـهـ عـلـيـهـ الـلـمـسـائـلـ إـلـىـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـقـرـآنـ وـالـاعـتـمـامـ بـهـ إـرـشـادـ  
أـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ هـاشـمـ الـجـعـفـرـيـ إـلـىـ الرـجـوعـ إـلـىـ لـهـ وـالـأـخـذـ بـهـ عـلـىـ  
مـاـ رـوـاهـ فـيـ الـكـافـيـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ عـنـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ عـنـ أـبـيـ هـاشـمـ الـجـعـفـرـيـ عـنـ أـبـيـ  
الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ هـاشـمـ الـجـعـفـرـيـ قـالـ : سـأـلـتـهـ عـنـ اللـهـ هـلـ يـوـصـفـ ؟ فـقـالـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ : أـمـاـ تـقـرـهـ الـقـرـآنـ ؟  
قـلـتـ : بـلـىـ ، قـالـ : أـمـاـ تـقـرـهـ فـوـلـهـ تـعـالـىـ :

« لـأـتـدـرـ كـهـ الـأـبـصـارـ وـهـوـ يـدـرـ كـهـ الـأـبـصـارـ ».

قـالـ : فـتـعـرـفـونـ الـأـبـصـارـ ؟ قـلـتـ : بـلـىـ ، قـالـ : مـاـ هـيـ ؟ قـلـتـ : أـبـصـارـ الـعـيـونـ قـالـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ : إـنـ أـوـهـامـ  
الـقـلـوبـ أـكـبـرـ مـنـ أـبـصـارـ الـعـيـونـ ، فـهـوـ لـاـ يـدـرـ كـهـ الـأـوـهـامـ وـهـوـ يـدـرـ كـهـ الـأـوـهـامـ .  
فـاـنـ الـسـائـلـ لـمـاـ اـسـتـفـهـمـ عـنـ جـواـزـ وـصـفـهـ تـعـالـىـ بـالـرـؤـيـةـ أـرـادـ عـلـيـهـ التـبـيـيـهـ  
وـالـإـرـشـادـ لـهـ عـلـىـ نـفـيـ الـرـؤـيـةـ مـطـلـقاـ عـنـهـ تـعـالـىـ بـآـيـةـ الـقـرـآنـ ، وـلـمـ ظـهـرـ مـنـ حـالـ  
الـسـائـلـ أـنـ قـرـءـ الـقـرـآنـ وـقـرـءـ وـقـولـهـ تـعـالـىـ : لـاتـدـرـ كـهـ الـأـبـصـارـ ، وـلـمـ يـعـرـفـ مـنـ الـأـبـصـارـ  
إـلـأـ أـبـصـارـ الـعـيـونـ عـرـ فـهـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ : أـوـهـامـ الـقـلـوبـ أـكـبـرـ وـأـقـوىـ فـيـ بـابـ الـادـراكـ مـنـ  
أـبـصـارـ الـعـيـونـ ، لـسـعـةـ دـائـرـةـ الـأـوـلـىـ وـقـصـورـ دـائـرـةـ الـثـانـىـ مـنـ حـيـثـ إـنـ الـوـهـمـ رـئـيـسـ  
الـحـوـاسـ الـظـاهـرـةـ وـالـبـاطـنـةـ وـمـسـتـخـدـمـهـ وـمـسـتـعـمـلـهـ ، كـمـاـ أـنـ الـقـلـبـ أـعـنـيـ الـعـقـلـ  
رـئـيـسـ الـوـهـمـ وـمـخـدـومـهـ ، فـالـأـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ مـعـنـيـ الـأـيـةـ لـاـ تـدـرـ كـهـ الـأـوـهـامـ لـيـدـلـ  
عـلـىـ نـفـيـ الـادـراكـ مـطـلـقاـ إـذـ كـلـ مـاـ يـدـرـ كـهـ الـوـهـمـ لـاـ يـدـرـ كـهـ الـبـصـرـ بـخـلـافـ الـعـكـسـ .

وـفـيـ الـكـافـيـ باـسـنـادـهـ عـنـ عـبـدـ الرـحـيمـ بـنـ عـتـيقـ الـقـصـيرـ قـالـ : كـتـبـتـ عـلـىـ يـدـيـ  
عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ أـعـيـنـ إـلـىـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ عـلـيـهـ لـأـبـيـ الـحـسـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ : إـنـ قـوـماـ بـالـعـرـاقـ يـصـفـونـ اللـهـ تـعـالـىـ

بالصورة والتخطيط ، فان رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلى بالمذهب الصحيح من التسوييد ؛ فكتب إلى : سأله رحمك الله عن التسوييد وما ذهب إليه من قبلك تعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون لله بخلقه المفترين على الله ، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التسوييد مانزل به القرآن من صفات الله تعالى ، فائف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان .

قال صدر المتألهين : في شرح الحديث : قوله عليه السلام : فائق عن الله البطلان والتشبيه أمر بنبذ التعطيل والتشبيه فان جماعة أرادوا انتزيع الله عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات رأساً وجماعة أخرى أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا وأسمائه الحسنية فأثبتوا له صفات زايدة على ذاته فشبّهوه بخلقه فأكثر الناس إلا القليل النادر منهم بين المعطل والمشبه .

قوله عليه السلام : فلا نفي ولا تشبيه ، أى يجب على المسلم أن لا يقول بنفي الصفات ولا بثباتها على وجه التشبيه ، وقوله : هو الله الثابت الموجود ، إشارة إلى نفي التعطيل والبطلان ، وقوله تعالى عما يصفه الواصفون إشارة إلى نفي التشبيه ، فأن الواصفين هم الذين يصفون الله بصفات زايدة ويقال لهم : الصفاتية وكل من أثبت الله صفة زايدة فهو مشبه لا محالة .

و قوله عليه السلام : فلا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان ، أى فلا تجاوزوا ما في القرآن بأن تنفوا عن الله ما ورد في القرآن حتى تقعوا في ضلاله التعطيل والله يقول :

**« لَيْسَ كَمِنْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »**

أو تشيّبوا الله من الصفات ما يجب التنزيه عنها : حتى تقعوا في زيف التشبيه والله يقول :

## «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» هذ.

ولما أمر بِالْإِيمَانِ بالرجوع إلى القرآن والاقتداء به والاستناد إليه وأنواره والأخذ بما ورد فيه من صفات الحق تعالى شأنه وتقدير ذاته أرده بقوله : ( و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ وأئمة الهدى أئمَّةٍ فكل علمه إلى الله سبحانه فان ذلك منتهي حق الله عليك ) ومراده عَلَيْهِ الْبَشَارَةُ بذلك المنع من تكليف مالم يفرض علمه على المكلفين ، والردع عن الخوض فيما لم يثبت وجوب معرفته على العباد في الكتاب المبين ، ولا في سنة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ وأئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين ، معللاً بِأَنَّ منتهي حق الله على العباد أن يقولوا بما دل عليه القرآن ، ويصفوه بالأوصاف الشاتبة في الفرقان ، وينتهوا عمما رفع علمه عنهم ويكلوا علمه ويفوضوه إلى الله سبحانه مسيراً إلى أن تكليف ما يزيد على ذلك من تكليفات الشيطان اللعين وتديلياته ووساوشه ليضل به عن النهج القوي والمراد المستقيم .

وان شئت توضيح ذلك فأقول : إن الكتاب الكريم قد دلل على أنه سبحانه عالم وأنه بكل شيء محيط ، فيجب لنا الاذعان بذلك وعقد القلب عليه ، وأمّا البحث عن كيفية علمه وأنه على أي نحو هو فلا يجب علينا ، وربما يؤدّي التعمق فيه إلى الضلال كما ضل فيه كثير من الحكماء .

فمنهم من تحير في معرفته فنفاه رأساً ، ومنهم من ضاق به الخناق إلى الاطلاق فنفي علمه بالجزئيات ، ومنهم من قرره على وجه أوجب القول بكون الذات فاعلاً وقابلًا وبكونه متصفًا بصفات غير سلبية ولا اضافية إلى غير ذلك من المفاسد التي نشأت من كثرة البحث فيه على ما مر تفصيلاً في تنبية الفصل السابع من فصول الخطبة الأولى .

وكذلك قد ورد في القرآن أنه تعالى خالق الأشياء ومبدعها ، فيجب لنا الاعتقاد به و ليس بفرض علينا أن تكليف البحث في كيفية الخلقة حتى نقع في

الضلال البعيد كما وقع فيه الفلاسفة المثبتة للعقولات العشرة المبتنية على ما ذهبوا إليه من أنَّ الواحد لا يصدر منه إِلَّا الواحد ، فأنهم لما ذهبوا إلى أنَّ الواحد لا يصدر منه إِلَّا الواحد أَجَاهُم ذلك واضطربُهم إلى القول بالعقولات مع أنه مخالف لاصول الشرعية ولم يرد به كتاب ولا سنة .

وهكذا البحث والتمعن في سائر الصفات ، ومثله البحث في متشابهات الآيات

مثل قوله سبحانه :

« الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى » وقوله : « وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَّاِصِرَةٌ إِلَيْهِ رَبُّهَا نَاظِرَةٌ » « وَجَاءَ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا ».

وغير ذلك ، فالواجب في كل ذلك وكول علمه إلى الله سبحانه ورده عليه كما أبان عنه الكتاب العزيز في سورة آل عمران حيث قال :

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْجٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْتِغَا الْفِتْنَةَ وَأَبْتِغَا تَأْوِيلَهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ».

روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنَّ القرآن زاجر وامر يأمر بالجنة ويزجر عن النار وفيه محكم ومتشابه ، فأمام المحكم فيؤمن به ويعمل به ويدين به وأمام المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به وهو قول الله :

« فَمَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْجٌ » الآية ١٢ هذا .

(واعلم أنَّ الرَّاسِخِينَ في العلم هم الذين أغنواهم عن اقتحام السُّدُّ المضروبة

دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ) يعني أنَّ

الرّأسيخين في العلم إذا وصلوا إلى المتشابهات و إلى ما جهلوها كشف النقاع  
والقطاء عنها وقفوا عندها واعتبروا بها إجمالاً كما حكى الله عنهم بقوله :  
« يَقُولُونَ آمَنَا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ». .  
ولا يتعدّون عن ذلك حتى يقتربوا إلى المهالك .

فإن قلت : من المراد بالرّأسيخين في العلم وما المراد بالغيب المحجوب  
وماذا أراد يَعْلَمُ بالسدد المضروبة دون العيوب ؟

قلت : أما الرّأسيخون في العلم فهم الثابتون فيه والظابطون له كائنة الدين  
وأولياء اليقين الحاملين لأسرار النبوة وأعباء الولاية و بعض خواصهم المقتبسين  
من أنوار الهدایة والمهتدین بنور الامامة .

وأما المراد بالغيب المحجوب فهو ما غاب عن الخلق علمه وخفى مأخذته  
إما لعدم الاستعداد والقابلية وقصور الطبيعة عن الإدراك كذات الله وصفاته الذاتية ؛  
وإما لاقتضاء الحكمة والمصلحة للاخفاء ، كعلم الساعة وما في الأرحام ونحوهما  
مما حجب الله علمه عن العباد ، ومن ذلك القبيل الآيات المتشابهة .

وأما المراد بالسدد المضروبة فهي الحجب المانعة من الوصول إلى الغيب ،  
وهي بالنسبة إلى الغيب المحجوب بها على قسمين :

أحد هماها هي قابلة للارتفاع إما بالرياضات والمجاهدات كما يحصل  
للبعض فيعرف ضمائر بعض العباد ويطلع على بعض المخفيات ويخبر عن بعض  
المغيبات ، وإما بتعليم من الله سبحانه كما كان في حق الأنبياء والأولياء فإن عمدة  
معجزاتهم كانت من قبيل معرفتهم بالغيب وإخبارهم من المغيبات ، وإليه الاشارة  
في قوله تعالى :

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » .

يعني أنه عالم بكل شيء من مبتدئات الامور وعواقبها ، وأنه الذي يفتح باب العلم  
ويرفع الحجاب عن الغيب لمن يريد من الأنبياء والأولياء ، لأنّه لا يعلم الغيب

سواء ، ولا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد إلا الله ، وقال سبحانه :

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»

أراد أنّ من ارتضاه و اختاره للنبيّة والرسالة فانه يطلع على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة .

وعن الخرايج عن الرّضا عليه السلام في تفسير هذه الآية فرسول الله عند الله مرتضى ، ونحن ورثة ذلك الرّسول الذي اطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيمة .

ومن هذا الباب معرفتهم بالمشابهات وعلمهم بتاؤيلها بسبب تعليمه تعالى بوحي أو الهام ، و لا منافاة بين إقرارهم بجملة ما جهلوها تفسيره منها من تلقّأ نفسيهم و وکول ذلك إلى ربّهم كما حكاه الله و حكاه عليه السلام عن الرّأسخين و بين معرفتهم الحاصلة بتعليميه سبحانه بل ربما يشير إليه قوله سبحانه :

«قُلْ لَا أُقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أُقُولُ

لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» فاقرأ جيداً .

القسم الثاني ما هي غير قابلة للارتفاع كحجب النور المانعة من الوصول

إلى الحق والاكتناف في ذاته .

بيان ذلك : أن الله سبحانه متجلّ لذاته بذاته ومحتجب عن مخلوقاته ،

واحتاجبه ليس لخفاء ذاته بل لشدة نوره وغاية ظهوره وكمال ذاته ، فغاية

ظهوره أوجب بطونه ، وشدة نوره أوجب اختفائه واحتاجبه ، من حيث قصور

عقول البشر عن إدراكه كمثال نور الشمس وبصر الخفاش على ما حققناه في شرح

الخطبة الرابعة والستين ، وعلى هذا فلا سبيل إلى معرفة الحق سبحانه إلا بواسطة

صفاته السلبية والاضافية ، ولا نهاية لهذه الصفات ولمراتبها ، فالعبد لا يزال

يكون متّقياً فيها فان وصل إلى درجة وبقى فيها كان استغراقه في مشاهدة تلك الدرجة حجاباً له عن الترقى إلى ما فوقها.

ولما كان لا نهاية لهذه الدرجات كان العبد دائمًا في السير والانتقال بحسب فوّة عقله واستعداده ذاته إلى أن يبلغ إلى مقام عجز عن الترقى إلى ما فوقه، ويقصر عن إدراكه ، وهذا شأن الرّأسخين السالكين في مقام السلوك بقدمي العرفان المترقيين في مقام المعرفة من مرتبة إلى مرتبة حتى يقصروا عن الترقى إلى ما فوقها فيغنיהם حينئذ عن اقتحام السدد المضروبة اعتراضهم بجملة ماجهلوها تفسيره على ما أشار إليه الإمام ثابت<sup>ر</sup> (فمدح الله اعتراضهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوحاً) .

اعتصام الورى بمفترتك عجز الواصفون عن صفتكم  
ما عرفناك حق معرفتك تب علينا فانّا بشر

(فاقتصر) أيّها السائل (على ذلك) أي على ما دلّ عليه الكتاب العزيز من صفتة (ولا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك ف تكون من الهاكين) الذين اعتنقوه أن عقلهم قد رأوه سبحانه وأحاط به علمًا ، و صغروا عظمته سبحانه بحسب عقولهم الضعيف مع أن عظمته تعالى أجل وأعظم من أن يضبطها عقل بشري ، وإنما من شأن ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم لمثيلية الله لمدركاته من الأُجسام والجسمانيات ، وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا ، وضلال عن طريق معرفة الله ، مستلزم للهلاك الدائم ، والخزي العظيم .

## المقصد الثاني

متضمن للتبني على عجز العقول عن الاكتناه في ذاته تعالى و عن معرفتها به حق المعرفة ، ولبيان أن حقها وحظها الاستدلال عليه بآيات العظمة و آثار الصنع والقدرة ودلائل الملك و الملكوت .

**اما الاول فهو قوله : ( هو القادر الذي إذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع**

قدرته وحاول الفكر المبرء من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكته وتوّلّت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنازل علم ذاته ردها ) وهذه الجملة أعني قوله عليه السلام إذا ارتمت إلى الآخر شرطية متصلة متعددة المقدم متعددة التالى وهو ردّها ، وهي بمنزلة شرطيات متعددة .

والمقصود بذلك أنّ الأوهام إذا تراحت واسترسلت مجدّدة في التفتيش عن منتهى قدرته ، نكست عن ذلك ، لأنّ قدرته تعالى متعلقة بجميع المقدورات لأنهاية له حتى يبلغ الأوهام إلى غايتها ومنتهاه .

وإنّ الفكر الصافي الخالي عن وساوس الشّيطان وشوائب الأوهام إذا أقصد أن يقع على ذاته ويستثبّتها بكلّ ما ينبغي لها من الكلمات في عميقات مغيبات عزّته وسلطانه ومملكته، كلّ و حسر لقصوره عن إدراك مالاً منها يقله .

وانّ القلوب إذا اشتـدّ شوقها إليه وتوّلّت نحوه لتفقّع على كيفية صفاتـه عجزـت، وذلك لأنّ صفاتـه كذاته قديمة والكيفـمـية امكانـيـة مفتقرـة إلىـ الجـعلـ حـادـثـةـ وـهوـ سـبـحانـهـ مـنـزـ عنـ كـوـنـ مـحـالـ لـلـحـوـادـثـ فـلـيـسـ لـذـاتـهـ وـصـفـاتـهـ كـيـفـيـةـ حتـىـ يـقـفـ عـلـيـهـ الـعـقـولـ وـلـذـكـ قـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ عليـهـ السـلامـ : وـ كـيـفـ أـصـفـهـ بـالـكـيـفـ وـ هـوـ الذـىـ كـيـفـ الـكـيـفـ حتـىـ صـارـ كـيـفـاـ ، فـعـرـفـ الـكـيـفـ بـمـاـ كـيـفـ لـنـاـ مـنـ الـكـيـفـ .

وأنّ العقول إذا غمضت مداخلها أي خفّيت م الواقع دخولها في دقائق العلوم النّظرية الإلهية بحيث لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته انقطعت وأعيت لقصور العقول عن الوصول إلى حقيقة ماليس بذى حدّ ولا تر كيب .

و محـصـلـ الـكـلامـ أـنـ هـذـهـ الـقـوـيـ الـتـيـ هـيـ أـعـظـمـ الـمـشـاعـرـ الـإـنـسـانـيـةـ لـوـجـاـوـلـتـ التـعـمـقـ وـالـاستـقـصـاءـ فـيـ مـعـرـفـةـ ذـاتـ اللـهـ الـأـعـلـىـ وـ صـفـاتـهـ الـحـسـنـيـ وـ أـرـادـتـ الـخـوـضـ فـيـ بـحـارـ مـلـكـهـ وـ مـلـكـوتـهـ ، وـ وـقـفـتـ خـائـسـةـ وـ رـجـعـتـ حـسـيـرـةـ ، لـقـصـورـهـاـ عـنـ إـدـرـاكـ هـذـهـ الـمـطـالـبـ الـعـظـيمـةـ وـرـدـعـهـاـ اللـهـ تـعـالـىـ عـنـ ذـلـكـ وـ مـنـهـاـمـنـ أـنـ تـحـومـ حـوـلـ ذـلـكـ .

( وهي تجوب مهـاوـيـ سـدـ الغـيـوبـ مـتـخلـصـ إـلـيـهـ سـبـحانـهـ ) أـىـ تـقـطـعـ مـهـاوـيـ

ظلمات الغيوب حال دونها متوجّهة بكلّيتها إلّي سبّحانه في طلب إدراكه تعالى (فر جمعت إذ جبّهت) وردّت (معترفة) أو مذعنة (بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته) أى لا ينال باعتساف المسافات التي بينها وبينه وبشدّة الجولان في تلك المنازل إلى كنه معرفته سبّحانه.

إذ بينه وبين خلقه منازل غير متناهية ، و معارج غير مستقصاة بعضها نورانية و بعضها ظلمانية لابد للسّالك من قطع جميعها حتّى يصل إلى باب الربوبية ، وأئمّة له بذلك وأين التراب من رب الأرباب فجور الاعتساف غير نافع في تحصيل مالا يمكن.

(و) لذلك اعترفت العقول بأنّه لا ينال بذلك كنه معرفته كما اعترفت بأنّه لا يخطر ببال أولي الرؤيات خاطرة من تقدير جلال عزّته ) إذ كلّ ما يخطر ببال أرباب الفكر وكلّ ما يتصرّف به ألوان النظر في حقّه سبّحانه وإن كان جليلاً عظيماً فهو أجلّ وأعظم من ذلك ، لأنّ ذلك صفة الواصفين لاصفة رب العظيم.

قال فضيل بن يسار في ماروا عنه في الكافي : سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ يقول: إنَّ الله لا يوصف و كيف يوصف وقد قال في كتابه:

«ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» .

فلا يوصف بقدر إلاّ كان أعظم من ذلك.

وروى عن محمد بن علي الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ أنّ كلّ ماتصوره أحد في عقله أو وهمه أو خياله فالله سبّحانه غيره و ورائه ، لأنّه مخلوق و المخلوق لا يكون من صفات الخالق.

( الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثيله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله ) أراد بذلك التنبيه على كون ايجاده للعالم بمحض الابداع والاختراع و عدم كونه مستفاداً من الغير.

بيان ذلك أن الصنائع البشرية إنما تحصل بعد أن يرتسם في القوة المتخيلة

صورة المخصوص بل و كل فعل لا يصدر إلا بعد تصور وصفه و كيفيته أولاً . و هذه التصورات تارة تحصل عن أمثلة للمصنوع و مقايد خارجية له يشاهدها الصانع و يخذل حذوها كما يفعل التلميذ في الصياغة شيئاً قد مثل لها ساده هيئة صورته في فعل نظيره .

وتارة بمحض الالهام والافاضة على قلبه كما يفاض على أذهان كثير من الأذكياء والمصورين صورة شكل لم يسبق إليه غيره ، فيصوره في قلبه ويزد صورته في الخارج على طبق ما افياض على قلبه ، و كيفيّة صنع الله سبحانه منه همة عن كونها على أحد الوجهين .

اما الوجه الأول فلما مر في شرح الفصل السابق من أنه سبحانه قبل القبول بلا قبل فليس قبله خالق مثل مثلاً فاتبعه سبحانه ، ولاقدر مقداراً فقطع على قدره واحتذى عليه تعالى شأنه .

و أما الوجه الثاني فلأنّ الصورة المفاضة والمثال المثلهم مستندان إلى المفهوم والملهم مستفادان من الغير فعلاً له ، وليس قبله تعالى غير حتى يستفيد ويستفيض منه مضافاً إلى استلزماته الافتقار تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ، هذا .

واما الثاني أعني بيان جواز الاستدلال عليه تعالى و إمكان معرفته بأيات القدرة وأدلة العظمة فهو قوله ( وأن من ملكت قدرته ) أي من ملكها كما قال الله :

**« فَسُبْحَانَ الَّذِي يَمْدِدُ مَلَكُوتُ كُلٍّ شَيْئًا » .**

أى بقدرته ونسبته إلى القدرة لكون القدرة مبدء الوجود كلّه فهي مبدأ المالكيّة ( عجائب ما نطق به آثار حكمته ) أى عجائب ما أفصحت عنه إلاّ فعل والإّ حكم الصادر عن وجه الحكمة والمصلحة على أحسن ترتيب و نظام ، و تمام إتقان و انتظام .

( و اعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمهما بمساك قوته ) الموجود في النسخ التي رأيناها يقيمهما بضمير التأنيث فلا بد من رجوعه إلى الخلق باعتبار ملاحظة المعنى ، إذا لم راد المخلوقات بجميعها ، و يحتمل رجوعه إلى الحاجة على تكليف ،

والمقصود اقرار الخالق واعترافهم بالاحتياج والافتقار إلى أن يقيمهم ويجب رفاقتهم بقدرته وقوته الماشكة التي تمسك السماء والأرض أن تزولا ، واعتراف بعضهم بلسان الحال وبعضهم بلسان الحال والمقابل .

(ما دلّنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته) أى أرانا من ملکوت القدرة آثار الحكمـة واعتراف الموجودـات بالحاجـة دليـلا وافياـو برـهـانـا كـافـيـاـدـلـنـاعـلـىـعـرـفـتـهـ سـبـحانـهـ ، بـسـبـبـقـيـامـالـحجـةـلـهـتـعـالـىـبـالـضـرـورـةـوـالـبـدـاهـةـ .

و بعبارة أخرى أرانا ممـا ذـكرـناـ لـنـاـ دـلـيـلاـ عـلـىـعـرـفـتـهـمـنـأـجـلـضـرـورـيـةـ الحـجـةـ القـائـمـةـ لـهـ عـلـىـخـالـيـقـ فـيـ بـابـ الـمـعـرـفـةـ وـ بـدـاهـتـهـ ( وـ ظـهـرـتـ فـيـ الـبـدـاهـيـعـ ) التي أحـدـثـهـ آـثـارـ صـنـعـتـهـ أـعـلـامـ حـكـمـتـهـ) أـىـ ظـهـرـتـ فـيـ الـحـوـادـثـ الـبـدـيـعـةـ الـمعـجـبـةـ التي أحـدـثـهـ وـ أـوـجـدـهـ آـثـارـ تـدـلـلـ عـلـىـصـانـعـيـتـهـ وـ عـلـامـاتـ يـسـتـدـلـلـ بـهـاـ عـلـىـحـكـمـتـهـ ( فـصـارـ كـلـ مـاـ خـلـقـ ) فـيـ الـأـنـفـسـ وـ الـأـفـاقـ ( حـجـةـ لـهـ وـ دـلـيـلاـ عـلـيـهـ وـ إـنـ كـانـ خـلـقاـ صـامـتـاـ ) لـأـنـ اـفـتـقـارـهـ الـذـاتـيـ دـلـيـلـ عـلـىـحـاجـتـهـ إـلـىـ الـمـؤـثـرـ الـمـبـدـعـ وـ إـنـ لـمـ يـكـنـ مـفـصـحاـ عـنـهـ بـلـسـانـهـ ، إـمـاـ لـعـدـمـ كـوـنـهـ ذـسـانـ كـالـجـمـادـ وـ الـنـبـاتـ ؛ وـ إـمـاـ لـكـفـرـهـ وـ إـلـحـادـهـ كـبـعـضـ أـفـرـادـ الـإـنـسـانـ .

( فـحـجـتـهـ بـالـتـقـدـيرـ نـاطـقـةـ وـ دـلـالـتـهـ عـلـىـ الـمـبـدـعـ قـائـمـةـ ) يـحـتـمـلـ رـجـوعـ الصـمـيرـ فـيـ حـجـتـهـ وـ دـلـالـتـهـ إـلـىـ الـخـلـقـ الـصـامـتـ ، وـ يـحـتـمـلـ رـجـوعـهـ إـلـىـ اللـهـ سـبـحانـهـ ، وـ الـثـانـيـ ظـهـرـهـ ، وـ الـمـرـادـ أـنـ حـجـتـهـ تـعـالـىـ نـاطـقـةـ بـكـوـنـهـ مـدـبـرـآـ ، وـ دـلـيـلـهـ قـائـمـ عـلـىـ كـوـنـهـ مـبـدـعـاـ مـؤـثـرـآـ . فـحـاـصـلـ الـكـلـامـ وـ فـذـلـكـةـ الـمـرـامـ أـنـ فـيـ مـاـ بـدـعـهـ سـبـحانـهـ فـيـ عـالـمـ الـكـوـنـ وـ أـحـدـهـ فـيـ الـأـنـفـسـ وـ الـأـفـاقـ شـوـاهـدـ مـتـظـاـهـرـةـ وـ آـيـاتـ مـتـنـاـصـرـةـ نـاطـقـةـ بـلـسـانـ حـالـهـاـ مـفـصـحةـ عـنـ جـالـلـةـ بـارـئـهـاـ ، مـعـرـبةـ عـنـ كـمـالـ حـكـمـتـهـ وـ تـدـبـيرـهـ فـيـهـاـ ، مـنـادـيـةـ لـأـرـبـابـ الـقـلـوبـ بـنـفـمـاتـهـاـ ، فـائـلـةـ :

أـمـاـ تـرـانـيـ وـ مـاـتـرـىـ صـورـتـيـ وـ تـرـكـيـبـيـ وـ صـفـاتـيـ وـ مـنـافـعـيـ وـ اـخـتـلـافـ أـحـوـالـيـ وـ كـثـرـةـ فـوـائـديـ ، أـتـظـنـ أـنـيـ خـلـقـتـ بـنـفـسـيـ أـوـ خـلـقـنـيـ أـحـدـ مـنـ جـنـسـيـ ، وـ فـعـلتـ هـذـهـ الـأـفـاعـيـلـ وـ مـاـ يـتـرـتبـ عـلـيـهـاـ مـنـ مـنـافـعـ بـطـبـعـيـ وـ ذـاتـيـ ؟

أو ما تستحيي تنظر إلى كلمة مرقومة في ثلاثة أحرف فتقطع أن هذه صنعة آدمي عالم قادر مرید متکلم ثم تنظر إلى عجائب هذه الخطوط المرقومة على وجه الإنسان بالقلم الالهي الذي لا يدركه الأ بصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك من جلالة صانعه ؟

وكذلك النطفة التي كأنها قطرة من الماء المتشابه الأ جزء يقول لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لا الذينهم عن السمع لمعزولون : توهمني في ظلمة الأحشاء مغموماً في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتلوير على وجهي ، وقد نقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدتي وشفتي ، فترى النقوش يظهر شيئاً فشيئاً على التدرج ولاترى داخل الرحم ولا خارجه أحداً ولا خبر منها للاملاة ولا للنطفة ولا للرحم فما هذا النقاش ؟

أفلم يكن بأعجب من يشاهده ينقش بقلمه صورة عجيبة لونظر إليه امرتين أو أكثر لتعلم فهل يقدر أن يتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنهما وجميع أجزاءها من غير ملامسة النطفة ومن غير اتصال بها من داخل ولا من خارج ، فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تعلم أن الذي صور ونقش هذه النقوش والأشكال والصور والأمثال مما لا شبه له ولا ند ولا شريك له ولا ضد ، كما أن صنعته ونقشه لا يساويه نقش وصنع والتبعاد المبينة بين الفاعلين كما بين الفعلين فعدم تعجبك أعزب من كل عجيب ، فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك اليقين مع هذا البيان جدير بأن يتعجب منه :

« قُسْبَحَانَ مَنْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى »

وأضل وأغوى ، وفتح بصائر أحبائه فشاهدوه وهم به مؤمنون وأعمى قلوب أعدائهم فقال فيهم

« صُمِّ بِكُمْ عُفِّيْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »

فله الخلق والأمر لامعقّب لحكمه ولاراد لقضائه.

### المقصد الثالث

متضمن للشهادة بالتنزيه والتقدیس وأنه سبحانه تعالى شأنه عن مشابهته

مصنوعاته و مجانسة مخلوقاته و هو قوله:

(وأشهد أنّ من شبهك بتباين أعضاء خلقك و تلامح حفاظ مفاصلهم المحتاجة  
لتدبر حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك و لم يباشر قلبه اليمين بأنّه  
لا ندّ لك) ولا يخفى ما فيه من المحسنات البينية.

أولها أنّه يَعْلَمُ غير أسلوب الكلام والتفت من الغيبة إلى الخطاب على حدّ  
قوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، لَاَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نَقَلَ مِنْ أَسْلَوبٍ إِلَىْ أَسْلَوبٍ آخَرَ كَانَ أَحْسَنَ  
تَطْرِئَةً لِنَشَاطِ السَّامِعِ ، وَ أَكْثَرَ اِيْقَاظًا لِلَاِصْنَاعَإِلَىْ ذَلِكَ الْكَلَامِ .

وثانية أنّ التشبيه يعتمد على أركان: المشبه، والمشبهة، والمشبه به، فالمشبه في هذا  
المقام هو القايس له سبحانه على خلقه، والمشبهة هو الله العزيز المتعال ، والمشبه  
به في الحقيقة هو الخلق المتباينة الأعضاء والمتألقة حفاظ المفاصل إلّا أنه يَعْلَمُ  
جعل المشبه به تباين الأعضاء و تلامح الحفاظ تعرضاً على ذمّ المشبهة و توبيخه ،  
و تنبئها على غلطه في تشبيهه، وذلك لأنّ تباين الأعضاء و تلامحها من لوازم المشبه  
به ، وهو مستلزمان للتركيب و اجتماع المفردات المستلزمان للاقتناء إلى المركب  
والجامع ، فمن كان ملزوماً لل الحاجة والاقتضاء كيف يجوز أن يشبه به العزيز الغني  
المتكبر الجبار ، فجعلها نفس المشبه به تنبئها على كونهما بمنزلة الوسط  
في لزوم الترکيب للمشبّه به الحقيقى حتى يظهر بذلك تقدّسه عن التشبيه به.

وثالثة أنه وصف المفاصل بكونها محتاجة مطلقاً احتجابها بأنّه من تدبيرات  
حكمته تعالى و مقتضياتها ، و ذلك لأنّها لولم تتحجب و خلقت بارزة عريّة عن  
الغطاء والغشاء ليبيست رباطاتها و قوست فيعذر تصرف الحيوان بها كما هو الآن  
 مضافاً إلى كونها معرضة للآفات المفسدة لها و غير ذلك من خفيّ تدبيره  
و لطيف حكمته.

ورابعها أنه يَعْلَمُ شهد في حقّ المشبهة بعدم عقد ضميرهم المكتنون على  
معرفة الله سبحانه و عدم اعتقادهم و يقينهم بأنه لا مثيل له تعالى، وإنما عبر عن عدم اليقين

يعدم اليمين إشعاراً بأنَّ اللازم على العبد في مقام تنزيهه سبحانه عن المثل والنظير أن يكون تنزيهه له صادراً عن وجه كمال اليقين بحيث لو أراد الحلف بذلك أمكنه ذلك.

هذا إن جعلنا اليمين بمعنى القسم، وإن كان بمعنى القوَّة فالمقصود الإشعار بأن يكون تنزيهه صادراً عن قوَّة القلب ولا يكون مضطرباً فيه.

ولما شهد تَكْبِلَة في حق المشبهة بأنَّه لم يعه فلبه على معرفة الله سبحانه ولم يتيقَّن، تنزيهه عن المثل أكَّد ذلك بقوله (وكأنَّه) أى المشبهة لله بخلقه (لم يسمع تبَرُّ التَّابِعِينَ) وهم عبادة الأصنام والأوثان (من المتبوعين) أى من آلهتهم يوم القيمة (إذ يقولون) حين القوا

«في الجَّهَنَّمِ فَكَبَّكُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ وَجُنُودٌ إِبْلِيسٌ أَجْمَعُونَ (تَأَلَّهُ إِنْ كَنَا) أَى قد كنا (لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّي كُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعٍ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

فإنَّ المشبهين لوسمعوا بذلك وعرفوا بذلك أى بتبرُّ التَّابِعِينَ من المتبوعين وبما حكى الله عنهم في الكتاب المبين، لعندوا قلوبهم على المعرفة، ونَزَّ هو سبحانه عن المثل والصفة، كيلا يقعوا في الضلال الدائم والحسنة الباقيَة، كما وقع فيها التَّابِعُونَ بذلك الجهة.

فإنَّهم شهدوا على أنفسهم بالقسم البارِّ بأنَّهم في ضلال مبين ، وتحسَّروا بأنَّهم ليس لهم من شافعين ولا صديق حميم . وتمتنُّوا الرُّجُوع إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين ، كلَّ ذلك من أجل تشبيههم الخالق بالأخلاق وإبدائهم المساواة بين معبداتهم الباطلة وبين رب العالمين ، وعدم كونهم بعلوٍ شأنه سبحانه وجلاله قدره موقفين مذعنين

( كذب العادلون بك ) أى الجاعلون لك عديلاً ومثلاً ( إذ شبّهوك بأصنامهم )  
الباطلة ( ونحلوكم حلية المخلوقين بأوهامهم ) الفاسدة ( وجزءوك تجزئة المجرّمات  
بخواطركم ) الكاسدة ( وقد روك على الخلقة المختلفة القوى بقرايح عقولهم )  
الجامدة

أَمَا كَذِبُهُمْ فِي تَشْبِيهِهِمْ لِهِ سُبْحَانَهُ بِالْأَصْنَامِ فَوَاضِحٌ ، حِيثُ اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ  
فِي ضَلَالٍ مِّنْ بَيْنِ مِنْ جَهَةِ تَسْوِيَتِهِمُ الْأَصْنَامُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
وَأَمَا كَذِبُهُمْ فِي نَحْلَتِهِمْ لِهِ حَلِيَّةُ الْمُخْلُوقِينَ ، وَتَجْزِيَتِهِمْ لِهِ تَجْزِئَةُ الْمُجَسَّمَاتِ  
وَتَقْدِيرُهُمْ لِهِ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقَوَى كَقُولِهِمْ : بِأَنَّهُ فِي صُورَةِ غَلامٍ أَمْرَدٍ فِي  
رِجْلِيهِ نَعْلَانٌ مِّنْ ذَهَبٍ ، وَقُولِهِمْ : بِأَنَّهُ أَجْوَفٌ مِّنْ فِيهِ إِلَى صَدْرِهِ وَمَاسُوِيَّ ذَلِكَ  
فَصَمَتْ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ هَذِيَانَهُمْ فَأَشَدَّ وَضُوحاً إِذَا الْأَعْصَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ إِنْسَمَا تَوَلَّهُ  
وَتَكْمِلُ بِوَاسِطَةِ قَوَى طَبِيعَيَّةٍ وَنبَاتَيَّةٍ وَحَيْوانَيَّةٍ وَغَيْرَهَا ، وَهِيَ قَوَى مُخْتَلِفَةٍ  
بِحَقِّا يَقْهَا مُتَضَادَّةٌ فِي أَفْعَالِهَا مُحْتَاجَةٌ إِلَى الْمَرْكَبِ وَالْجَامِعِ ، وَالْاحْتِيَاجُ مُسْتَحِيلٌ  
عَلَى وَاجْبِ الْوِجْدَوْدِ ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونُ عَلَوْاً كَبِيرًا

( وَأَشَهَدُ أَنَّ مِنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا  
تَنَزَّلَتْ بِهِ مَحْكَمَاتٍ آيَاتٍ وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدٌ حَجَجٌ بِيَنَاتٍ ) شَهَادَةُ ثَانِيَةٍ عَلَى  
كَفَرِ الْمُشَبِّهِ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى مَابِسِقِ .

وَجْهَةُ كَفَرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَّا شَبَّهُوهُ بِخَلْقِهِ وَسُوْوَهُ بِهِ حِيثُ اعْتَقَدوْا أَنَّ خَالِقَهُمْ  
وَصَانِعَهُمْ هُوَ مَا تَوَهَّمُوهُ بِأَوْهَامِهِمُ الْفَاسِدَةُ وَوَصْفُوهُ بِعَقُولِهِمُ الْكَاسِدَةُ مَعَ دُمَّ كَوْنِهِ  
خَالِقُهُمْ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُمْ مَصْنُوعٌ مِثْلُهُمْ لَاجْرَمٍ كَانُوا بِذَلِكَ مُتَّخِذِينَ غَيْرَ الْخَالِقِ  
خَالِقًا جَاعِلِينَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ نَدَّاً وَعَدِيلًا ، وَهُوَ الْكُفُرُ وَالضَّلَالُ كَمَا شَهَدَتْ بِهِ  
مَحْكَمَاتُ الْآيَاتِ وَأَنْصَحَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ أَدْلَلُ الْبَيِّنَاتِ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ :

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْحِيُونَهُمْ كَحْبُ اللَّهِ  
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا لِلَّهِ » إِلَى أَنْ قَالَ « إِذْ تَبَرَّهُ الَّذِينَ أَتَبَعُوا مِنَ الَّذِينَ

اتبعوا وَ رَأُوا الْذَّابَ وَ تَقْطَعُتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ » وفي سورة إبراهيم :

« أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلَلُوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوَارِ  
جَهَنَّمَ يَصْلُوُنَّهَا وَ بِئْسَ الْقَرَارُ وَ جَعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ  
تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ » وفي سورة الزمر : « وَ جَعَلَ اللَّهُ أَنْدَادًا  
قُلْ تُمْتَنَعُ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » وفي سورة فصلت :  
« قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ  
أَنْدَادًا ذِلْكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ».

إلى غير هذه من الآيات الباهرة والحجج القاهرة

(و)أشهد(أنك أنت الله الذي لم تتباه في العقول ف تكون في مهب فكرها  
مكييفا ، ولا في روبيات خواطرها ف تكون محدوداً مصرفاً ) وهي شهادة ثالثة على  
تنزّهه من إحاطة العقول البشرية فنهاها بمنفي ما يتربّى عليها من كونه تعالى  
ذا نهاية ، إذ معنى الاحاطة بالشيء هو إدراكه بكلّه و معرفته بجميع جهاته  
وبلوغ العقل غايته و نهاية ب بحيث لا يكون وراء ما أدر كهشي آخر ونقى انتهائه بنفي  
ما يتربّى عليه من كونه ذات كيّفية تكيّفه بها القوى المتخيّلة لتشبيه بها العقول ،  
وكونه محدوداً أى ذا حدود نهاية أو محدوداً بحدٍ يحدّه و يعرّفه إذ إدراك العقول  
للحقائق بكلّها إنما هو من حدودها ومعرفاتها .

وهذا مبني على كون المحدود مأخوذاً من الحدّ الذي هو معرف الشيء  
والقول الشارح له كما أنّ الاول مبني على أخذه من الحدّ بمعنى النهاية ، و هو  
بكلا المعنيين محال على الله سبحانه و كونه مصرفاً أى ذا تصريف و تقليل مأخذ  
من تصريفه الرياح وهو تحويلها من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال لأنّه إذا

كان العقول والفكر متعلقة به لابد أن يتصرف فيه العقول والأفكار، وتحوله من وجه إلى وجه لتبلغ غايتها وتعرفه بكلته وهو معنى كونه مصر فـأـ ولما كان هذه اللوازم كلـها باطلة مستحيلة في حقه تعالى كان مـلـزـومـهـاـ وهو إـحـاطـةـ العـقـولـ بـهـ وـتـنـاهـيـهـ فـيـهـ مـحـالـ أـمـاـ بـطـلـانـ الـلـازـمـ الـأـوـلـ فـلـأـنـ الـكـيـفـ حـادـثـ بـالـذـاتـ مـمـكـنـ الـوـجـودـ مـفـتـقـرـ إـلـىـ جـاعـلـ يـوـجـدـهـ بـرـىـهـ الذـاتـ مـنـ الـاـتـصـافـ بـهـ ،ـ أـمـاـ حـدـوـثـهـ فـلـكـوـنـهـ عـرـضاـ قـائـمـاـ بـالـمـحـلـ فـهـ مـفـتـقـرـ إـلـىـ جـاعـلـ وـيـنـتـهـيـ اـفـتـقـارـهـ بـالـأـخـرـةـ إـلـىـ الـحـقـ تـعـالـىـ ،ـ وـ أـمـاـ بـرـائـةـ ذـاتـ الـمـحـدـثـ مـنـ الـاـتـصـافـ بـهـ فـلـأـنـ مـوـجـدـ الشـيـءـ مـقـدـمـ عـلـيـهـ بـالـوـجـودـ فـيـسـتـحـيـلـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـكـيـفـ بـالـكـسـرـ أـيـ مـوـجـدـ الـكـيـفـ وـ جـاعـلـهـ مـكـيـفـاـ أـيـ مـنـفـعـلـاـ ذـاـ كـيـفـيـةـ وـ إـلـاـ لـزـمـ تـقـدـمـ الشـيـءـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـ كـوـنـ الشـيـءـ الـوـاحـدـ فـاعـلـاـقـاـ بـالـ

وـ هـوـ مـحـالـ

وـ أـمـاـ بـطـلـانـ الـلـازـمـ الثـانـيـ وـهـ كـوـنـهـ مـحـدـودـاـ إـيـ ذـانـهـيـةـ فـلـأـنـهـ لـاغـايـةـ لـوـجـودـهـ وـلـاـ مـنـتـهـيـ لـذـاتهـ ،ـ لـأـنـ وـجـودـهـ وـرـاءـ مـاـ لـاـيـنـتـهـيـ مـدـّـ وـ عـدـّـ بـمـاـ لـاـ يـتـنـاهـيـ فـوـقـّـهـ وـ شـدـّـهـ وـ أـمـاـ إـنـ جـعـلـنـاـ الـحـدـ بـالـمـعـنـىـ الـثـانـيـ الـذـيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ فـلـأـنـ حـدـ الشـيـءـ عـبـارـةـ عـنـ مـعـرـفـهـ الـمـرـكـبـ مـنـ الـجـنـسـ وـ الـفـصـلـ وـ اللـهـ سـبـحـانـهـ بـسـيـطـ الـذـاتـ لـاجـزـءـ لـهـ وـمـاـ لـاجـزـءـ لـهـ لـاجـنـسـ لـهـ وـمـاـ لـيـسـ لـهـ جـنـسـ لـيـسـ لـهـ حـدـ وـقـولـ شـارـحـ يـعـرـفـ بـهـ ،ـ وـمـاـ لـيـسـ لـهـ حـدـ لـاـيـكـونـ مـحـدـودـاـ

وـ أـمـاـ بـطـلـانـ الـلـازـمـ الثـالـثـ أـعـنـيـ كـوـنـهـ مـصـرـ فـاـ فـلـاـسـتـحـيـلـةـ التـغـيـرـ وـ الـاـنـتـقـالـ منـ حـالـ إـلـىـ حـالـ عـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ شـائـنـهـ .ـ

### اشـتـرـجـمـهـ

پـسـ نـظـرـ کـنـ أـيـ سـؤـالـ کـنـنـدـهـ اـزـصـفـاتـ پـیـرـوـرـدـ گـارـ پـسـ آـنـچـیـزـیـکـهـ دـلـاتـ دـارـدـ فـرـآنـ بـرـآـنـ اـزـصـفـتـ حـضـرـتـ آـفـرـیدـ گـارـ پـسـ اـقـتـداـ کـنـ بـآـنـ وـ طـلـبـ رـوـشـنـائـیـ کـنـ بـنـورـ هـدـایـتـ اوـ ،ـ وـ آـنـچـهـ کـهـ تـکـلـیـفـ کـرـدـ آـنـراـ شـیـطـانـ مـلـعـونـ دـانـسـتـنـ اوـ رـاـ اـزـ چـیـزـیـکـهـ نـیـسـتـ درـ فـرـآنـ بـرـتوـ فـرـضـ آـنـ وـ ذـهـ درـ سـنـتـ پـیـغـمـبـرـ خـداـ عـلـیـهـ یـسـتـ وـهـ اـئـمـهـهـهـدـیـ

علامت و نشانه او پس واگذار دانستن آن را بخدای تعالی، پس بدرستیکه این منتهای حق خداوند است بر تو وزیاده از این بر تو لازم نیست.  
و بدان که جماعتی که رسوخ دارند در علم و استوارند در دانش، ایشان کسانی هستند که بی نیاز ساخته ایشان را از بی فکر داخل شدن حجاباتی که زده شده در پیش غیبها، اقرار و اعتراف ایشان با جمال آنچه که جاهل شده اند بتفسیر و توضیح آن از غیبی که پوشیده است، پس مدح فرموده حق سبحانه و تعالی اعتراف بعجز کردن ایشان را ازأخذ نمودن آنچه که احاطه نکرده اند بآن از حیثیت علم و نام نهاده ترک تعمق و خوض کردن ایشان را در چیزی که تکلیف نکرده بر ایشان بحث نمودن از حقیقت آن را برسوخت.

پس قناعت کن ایسائل در یاب معرفت باین مقدار و تقدیر ممکن عظمت پروردگار را باندازه عقل خود تا اینکه شوی از هالکین.

او سبحانه قادریست که اگر مجدد شوند و همها تا دریابند نهایه توانائی آنرا، و طلب کنند فکری که مبرّ است از خطرات و ساوس شیطانیه آنکه واقع شود در اسرار عمیقه پادشاهی او، و واله و متھیس باشند قلبها بسوی او تا اینکه جاری شوند در چگونگی صفت‌های او، و غامض و خفی باشد محل دخول عقلها باندازه که خارج از وصف باشد بجهة طلب علم بذات او سبحانه ردع میکند و باز دارد خداوند تعالی آن عقول و اوهام را از معرفت بذات و صفات خود و حال آنکه قطع کند آن اوهام و عقول مواضع هلاک تاریکیهای غیبها را در حالتیکه رهیده باشد از غیر و نزدیکی جویند بسوی حق سبحانه.

پس بر گشتند زمانیکه باز داشته شدند در حالتیکه اعتراف کننده باشند باینکه رسیده نمیشود بشدة جولان در بیداء جلال و عزّت و حقیقت معرفت او، و باینکه خطور نمیکند بدل صاحبان فکرها خطور کننده از اندازه کردن بزرگی عزّت او.

آن خداوندیکه ایجاد کرد مخلوقات را بدون سبق مثالی که متابعت

کرده باشد برآن ، و بی تقدیم مقدار و اندازه که عمل کرده باشد بروفق آن که صادر شده باشد آن مثال و مقدار از خالق معبدی که بوده باشد قبل از او ، و بنموده مارا از پادشاهی قدرت خودواز عجایب آن چیزیکه گویا شده است آن نشانهای حکمت او وازاعتراف نمودن خلائق باحتیاج خودشان باینکه اقامه نماید و بپا داشته باشد ایشان را بنگه داشت فوّه خود دلیل وافی وبرهان شافی مارا بسبب ضروری و بدیهی بودن حجتی که قائم است مراورا بمعرفت او وظاهر گردید در اشیله بدبیعه که ایجاد فرموده نشانهای صنعت او وعلامتهای حکمت او .

پس گردید هرچیزیکه خلق فرموده برهان قاطع مر الوهیت آن را ، ودلیل ساطع بر وجوب وجود آن و اگرچه بوده باشد آن مخلوق خلق غیر ناطق و جماد ساکت ، پس حجت حق تعالی بتدبیر حکمت او گویا است و دلیل او بروجود مبدع بربپا .

پس شهادت میدهم براینکه کسیکه تشبيه کرده تو را باعضاً متباینه مخلوقات تو ، و خورده های بهم پیوسته مفاصل ایشان که پوشیده شده است بتدبیر حکمت تو عقد ننموده فکر باطنی خودرا بر معرفت تو ، و مباشر نکرده بقلب خودش یقین را باینکه نیست هیچ مثلی تورا .

و گویا که نشنیده آن تشبيه کننده بیزاری جستن تابعان را از متبعان در روز قیامت ، و زمان انداخته شدن ایشان برآتش وقتیکه گویند : قسم بخدا که هر آینه بودیم ما در ضلالت هویدا ، در وقتیکه برابر گردیدم ما شمارا با پرورد گار عالیان .

دروغ گفتند کسانی که بتو مثل وعدیل فرار دادند وقتی که تشبيه گردند تورا به بتهاي خودشان وبخشیدند بتوصفات مخلوقاترا بوهمهای خود ، و تجزیه گردند تو را همچه مجز آ کردن اشیاء مجسمه با خواطرهای خود ، و اندازه گردند تورا بر هیكلی و شکلی که مختلف است قوتهای او با عقلهای خود .

پس شهادت میدهم براينکه هر کس که مساوی ساخت تو را با چیزی از

مخلوق تو پس بتحقیق که عدیل قرار داد تو هر کس که عدیل قرار داد بتو  
کافر است بحکم آنچیزی که نازل شده با آن آیات محکمات تو، و بحکم آن  
چیزی که ناطق شد از آن گواهان حجتهاي واضحه تو.

وشهادت میدهم براینکه توئی معبدود بحق که پایان نداری در عقلها تا اینکه  
باشی در محل وزیدن اندیشهای آن عقول مکیف با کیفیتی، و نه در اندیشهای  
خاطرهای آن عقول صاحب حد ونهایتی و موصوف بتغییر از حالات بحالته

### الفصل الثالث

منها قدر ما خلق فاحکم تقدیره، و دره فاطف تذیره، و وجهه  
لو جهته فلم يتعد حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايتها،  
ولم يستصعب إذا أمر بالمضي على إرادته، وكيف؟ وإنما صدرت  
الأمور عن مشيئة المنشيء أصناف الأشياء بلا رؤية فكر آل إليها،  
ولا فريحة غريبة أضمر عليهما، ولا تجربة أفادها من حوادث الظهور،  
ولا شرييك أعاذه على ابتداع عجائب الأمور، فتم خلقه وأذعن  
لطاعته، وأجاب إلى دعوه، ولم يفترض دونه ريث المبني، ولا  
أنا المتكلكي، فأقام من الأشياء أودها، ونهج حدودها، ولا ثم يقدر له  
يین متصادها، ووصل أسباب قرائتها، وفرقتها أجناساً مختلفات،  
في الحدود والأقدار والفرائض والهیئات، بدايا (برایا خل) خلا يق  
أحكام صنعتها، وفطرها على ما أراد وابتدعها.

## اللغة

(التدبر) في الأمور التّنّظر إلى ما يُؤلِّ إليه عاقبته و (وجهة) الشيء بالكسر جهة الشيء يتوجّه إليها قال تعالى :

«وَكُلُّ وِجْهٍ هُوَ مُوْلَيْهَا».

و (قصر) السهم عن المد إذا لم يبلغه وقصرت عن الشيء، أى عجزت عنه و (دون) الشيء، أى قريباً منه وقبل الوصول إليه و (آل) إليه رجع و (الغريزة) الطبيعة و (فريحة الغريزة) ما يستنبطه الذّهن .

قال الجوهرى : القرحة أول ما يستنبط من البئر ومنه قولهم : لفلان فريحة جيدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع و (أضمر عليها) أى بلغ الغاية واستقصى عليها من الأضمار بمعنى الاستقصاء ، وقيل : من الأضمار بمعنى الأخفاء وليس بشيء تتعديه بنفسه يقال أضمره وأخفاه ولا يقال : أخفى وأضمر عليه و (الإفادة) الاستفادة و (اعترض) الشيء دون الشيء حال ، واعتراض صار كالخشبة المعتبرضة في النهر و (الريث) الابطاء و (الاناء) كفتاة : الحلم والوقار مأخوذ من تأثير في الأمر أى تثبت و (تلقاء) عليه اعتل و عنه أبطأ و (الاود) محركة الأعواج و (قرائتها) جمع القرينة وهي الأنفس ويحتمل أن يراد بها مقارنات الأشياء كما تطلع عليه .

قال الشّارح المعترضى : و ( بدايا ) هبنا جمع بديبة وهي الحالة العجيبة بدأ الرجل إذا جاء بالأمر البديع أى المعجب والبدية أيضاً الحالة المبتكرة المبتدئة ومنه قولهم فعله بادي بدبي على وزن فعل أى أول كلّ شيء .

## الأعراب

قوله : وكيف استفهام على سبيل الانكار وإنما صدرت جملة حالية والعامل محذوف أى كيف يستصعب وإنما صدرت الأمور ، وجملة لم يعترض حال أيضاً من فاعل المصدر أعني دعوته ، قوله : أجناساً حال من مفعول فرق أو منصوب بنزع

الخافض أي فرقها بأجناس أو على أجناس مختلفة ، وقوله : بدايا خلائق خير لمبتدأ محدود أى هي بدايا خلائق ، و اضافة بدايا إلى خلائق من باب اضافة الصفة إلى موصوفها ، قال الشارح المعتزلي : ويجوز أن لا يكون بدايا إضافة إليها بل يكون بدلا من أجنساً .

أقول : فعلى هذا الاحتمال تكون بدايا صفة ثانية لأجنساً وما ذكرناه أظهر فتدبر .

### المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة متضمن لتنزيه الله سبحانه في كيفية ايجاده لأشياء وخلقها عن صفات المصنوعين ، وفيه تنبيه على كون المخلوقين مذلين لاقياد حكمه ، مطيعين لأمره ، ماضين على ارادته ، غير متعمدين عن طاعته كما قال تعالى : (قدر ما خلق فأحكم تقديره) يعني أن كل مخلوق قد ره في الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لوزاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدر وتغيير جهة المنفعة فيه (ودبره فاللطيف تدبيره) يعني أنه أوجد الأشياء على وفق المصلحة ونظام الخير فتصرف فيها تصرفات كليلة وجزئية من غير شعور غيره ذلك .

(ووجه لوجهه فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته ) أراد أنه سبحانه وجه كل ما خلق إلى الجهة التي وجهه إليها ، وأللهم كلام ويسره لما خلق له ، كالسحاب للمطر والحمار للحمل والنحل للشمع والعسل وهكذا فلم يتجاوز شيء منها هر سوم تلك المنزلة المحددة له المعينة في حقه ، ولم يقصر دون الانتهاء إلى الغاية التي كتبت له في اللوح المحفوظ وإنما لزم التغيير في علمه وعدم النفاد في أمره وهو محالان .

(ولم يستصعب إذ أمر بالمضي على إرادته) أي لم يستصعب أحد من المخلوق التوجه إلى الجهة التي وجهه إليها ، ولم يمكنه التخلّف من المضي إليها على وفق إرادته وحكمته بعد أمره له بذلك أمر تكوين لا تشريع .

(وَكِيفَ) يستصعب و يتخلّف (و إنّما صدرت الأمور عن مشيّة المنشي أصناف الأشياء) يعني أنّ جميع الآثار مستند إلى مشيّة إذ كلّ أثر فهو واجب عن مؤثّره والكلّ منه في سلسلة الحاجة إلى إرادته فهو واجب عنها. و يدلّ عليه ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر عن عمر بن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خلق الله المشيّة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّة.

و سيأتي تحقيق الكلام في ذلك بعد الفراغ من شرح الفصل، هذا قوله عليه السلام ( بلا رؤية فكر آل إليها و لا قريبة غريزة أضرر عليها و لا تجربة أفادها من حوادث الدهور و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور ) إشارة إلى تنزّهه في إيجاد المخلوقات عن الافتقار إلى هذه الأمور ، و أنّ ذاته بذاته مصدر جميع الأمور و أنّ خلقه سبحانه لها غير موقوف على شيء منها . أمّا رؤية الفكر فلا نها عبارة عن حركة القوة المفكّرة في تحصيل المطلب من المبادي وانتقالها منها إليها وهي محال على الله سبحانه : «أَمَا أَوْلَى» فلكون القوة المفكّرة من خواصّ نوع الإنسان «وَأَمَا ثانِيًّا» فلا نّ فايدتها تحصيل المطلب المجهولة من المعلومات والجهل محال في حقه تعالى وأمّا قريبة الغريزة فلا نها على ما عرفت عبارة عن استنباط العلم بجودة الذهن، واستحالته على الله واضحة إذ العلم عين ذاته و هو تعالى غير قادر له حتى يكون محتاجاً إلى التّعمق والاستنباط والنظر في موارده ومصادره والاستقصاء عليه وبلغ الغاية فيه

و أمّا التجربة فلا نها عبارة عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطه مشاهدات متكرّرة معدّة للبيان بسبب انضمام قياس خفي إليها ، وهو أنّه لو كان هذا الأمر اتفاقياً لما كان دائمًا أو أكثرًا واستحالته على الله من وجهين : أحدهما أنها مر كبة من مقتضى الحسن والعقل ، و ذلك أنّ الحسن يشاهد وقوع الإسهال مثلاً

عقيب شرب الدّواء مرتّة بعد مرّة فينتزع العقل من تلك المشاهدة حكماً كلياً  
بأنَّ ذلك الدّواء مسهل ومعلوم أنَّ اجتماع الحسّ والعقل من خصائص نوع الإنسان  
وثانيهما أنَّ التجربة إنما تقييد علمًا لم يكن قبل فالمحتاج إلى التجربة لاستفادته  
العلم بها ناقص بذاته مستكملاً بها المستكملاً بالغير محتاج إليه فيكون مما كنا  
وأمّا الشريك المعين فلاتقاء الشريك أولاً كما مرّ في شرح الفصل  
الرابع من فصول الخطبة الأولى ، ولا تبقاء ميزة الاستعانة ثانياً لأنَّ ميزةها  
هو العجز من الفعل والعجز عبارة عن تناهي القوّة والقدرة ، وقدس الحقُّ منزه  
عن ذلك .

فقد وضح واتّضح بذلك كلَّ الوضوح أنَّ اللهُ سبحانه غير محتاج في ابداع  
الخالق وإيجادها إلى الفكر والرّؤية ، ولا فريحة الطبيعة ولا تجربة ولا مشاركة  
وإنّما مستند الإيجاد نفس الارادة والمشيئة وأنَّه سبحانه

«إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

(فتم خلقه) بمشيّته (وأذعن) الكلّ (لطاعته) بمقتضى امكانه وحاجته  
(وأجب) الجميع (إلى دعوته) حيث دعاهم إلى بساط الوجود بمقتضى عموم  
الافاضة والجود (و) الحال أنه (لم يتعرض دونه ريث المبطي، ولا أناة المتلگي)  
أى لم يحل دون نفاذ أمره إبطاء المبطي، ولا تثبت المتوقف المعتدل بل انقاد له  
جميع الأشياء وأسرعوا إلى أمره عند الدعاء من غير تعلل ولا إبطاء لكون الكلّ  
مقهوراً تحت قدرته أذلة تحت عزّته كما قال عز من قائل :

«تَبَدِّي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ».

يعنى أنه إذا أراد فعله وخلقه يقول له ذلك بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا  
تفكر ، قوله كن اشارة إلى هبة ما ينبغي لذلك المأمور وبذل ما يعده لاجابة

أمره بالكون في الوجود ، و قوله : فيكون إشارة إلى وجوده ، والفاء المقتضية للتعقيب بلامهلة دليل على المزوم وعدم التأخر ، هذا .

ويحتمل أن يكون المراد بنفي اعتراض الرّيـث والانـة نـفي اعتراضـها بالـنـظر إـلـى ذاتـه منـ حيث فـاعـليـتـه ، فيـكون المـقصـود بـذـلـك تـنـزـيهـه مـنـ أـنـ يـعـرـضـلـه شـيءـ منـ هـذـهـ الـكـيـفـيـاتـ كـمـاـ يـعـرـضـ عـلـىـ أـحـدـنـاـ إـذـاـ أـرـدـنـاـ فـعـلـ شـيءـ مـنـ حيث قـصـورـ قـدرـتـنـاـ وـ ضـعـفـ قـوـتـنـاـ (ـ فـأـقـامـ مـنـ الـأـشـيـاءـ أـوـدـهـاـ)ـ وـ اـعـوـاجـجـهـاـ ،ـ وـ إـقـامـتـهـاـ كـنـيـةـ عنـ اـعـدـادـهـ مـاـ يـنـبـغـيـ لـهـاـ وـ إـفـاضـتـهـ الـكـمـالـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـاـ (ـ وـنـهـجـ حـدـودـهـاـ)ـ وـ غـيـارـاتـهـاـ أـرـادـ بـهـ اـيـضاـحـهـ لـكـلـ شـيءـ وـ جـهـتـهـ وـ تـبـيـيـرـهـاـ لـهـ (ـ وـ لـائـمـ بـقـدـرـتـهـ بـيـنـ مـتـضـادـهـاـ)ـ كـمـاـ جـمـعـ بـيـنـ الـعـنـاصـرـ الـأـرـبـعـةـ عـلـىـ تـضـادـ كـيـفـيـتـهـاـ فـيـ مـزـاجـ وـاحـدـ (ـ وـوـصلـ أـسـبـابـ قـرـائـهـاـ)ـ وـنـفـوسـهـاـ بـتـعـديـلـ أـمـرـجـتـهـاـ لـأـنـ اـعـدـالـ المـزـاجـ سـبـبـ بـقـائـهـاـ .

قال الشارح البحرياني : ويحتمل أن يكون معنى الوصل لاًسبابها هدایتها إلى عبادته وما هو الأولى بها في معاشها ومعادها وسوقها إلى ذلك ، إذ المفهوم من قول القائل : وصل الملك أسباب فلان إذا علقه عليه ووصله إلى بره و انعممه ، هذا إن جعلنا القراءين بمعنى الأنفس وإن كانت بمعنى مقارنات الشيء فهو إشارة إلى أنَّ الموجودات لاتتفنّكَ عن أشياء يقتربن بها من هيئة أو شكل أو غريزة ونحوها ، واقتربان الشيئين لامحالـة مستلزم لاقتران أسبابـهما ، لاستحالة قيام المـوـجـوـدـ بـدـوـنـ أـسـبـابـهـ ،ـ وـ ذـلـكـ الـاقـتـرـانـ وـ الـاتـصـالـ مـسـتـنـدـ إـلـىـ كـمـالـ قـدـرـتـهـ إـذـ هـوـ مـسـبـبـ الأـسـبـابـ .

(ـ وـ فـرـقـهـاـ أـجـنـاسـاـ مـخـتـلـفـاتـ فـيـ الـحـدـودـ وـ الـأـقـدـارـ وـ الـفـرـايـزـ وـ الـهـيـئـاتـ)ـ أـيـ (ـ جـعـلـهـاـ أـفـسـامـاـ مـخـتـلـفـةـ النـهـاـيـاتـ وـ الـمـقـادـيرـ مـتـفـاـوـتـةـ الطـبـاـيـعـ وـ الـصـفـاتـ)ـ فـجـعـلـ بـعـضـهاـ طـوـيـلاـ وـ بـعـضـهاـ قـصـيرـاـ وـ بـعـضـهاـ كـبـيرـاـ ،ـ وـ جـعـلـ سـجـيـسـةـ بـعـضـهاـ شـجـاعـاـ وـ بـعـضـهاـ جـبـانـاـ وـ بـعـضـهاـ شـحـيـحـةـ وـ بـعـضـهاـ كـرـيمـةـ وـ هـيـئـةـ بـعـضـهاـ حـسـنـةـ وـ بـعـضـهاـ قـبـيـحةـ وهـكـذاـ ،ـ هـذـاـ انـ كـانـ الـحـدـودـ فـيـ كـلـامـهـ لـكـلـيـةــ بـمـعـنـىـ النـهـاـيـاتـ

قال الشارح البحرياني : وإن حملنا الحدود على ما هو المـتـعـارـفـ كانـ حـسـنـاـ ،ـ

فإن حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات عن بعض بحدودها وحقايتها ، وبعضها بأشكالها وهيائتها ومقاديرها وغرائزها وأخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود وأحكام الصنع وحكم الارادة الإلهية .

( بدايات أخلاق أحكام صنعها وفطرها على ما أراد وابتدعها ) أي هي مخلوقات عجيبة أو مبتكرة غير محتذى بها حذو خالق سابق ، جعل صنعها محكمًا متقنًا ، وأوجدها على وفق إرادته وابتدعها من العدم المحسوب إلى الوجود من دون أن تكون لها مادةً أصلًا لها كما زعمت الفلاسفة من أن الأجسام لها أصل أزلية هي المادة فهو المخترع للممكنات بما فيها من المقادير والأشكال والهيائات ، والمبتدع لل موجودات بمعالها من الحدود والغايات والنهايات بمحض القدرة على وفق الارادة ومقتضى الحكمة .

### فِيمِيلِه

اعلم أنه لما جرى في هذا الفصل ذكر حديث صدور الأشياء عن مشيئته سبحانه أحبيب تتفقيح ذلك المرام وعزمت على تحقيق الكلام في هذا المقام لكونه من مزال الأقدام .

فأقول : و بالله التكلال وهو المستعان إن الكلام في هذا الباب يقع في مقامات ثلاثة .

### المقام الأول

في معنى المشية ، وقد فسرها أهل اللغة بالارادة قال في القاموس : شئت إشائه شيئاً ومشيئة مشائة ومشائة أردته ، وفي مجمع البحرين : والمشية الارادة من شاء زيد يشاء من باب قال أراد ، وفي المصباح شاء زيد إلا من يشاء شيئاً من باب قال أراده ، والمشيئة اسم منه بالهمز ، والإدغام غير سايغ إلا على قياس من يحمل الأصل على الزائد لكنه غير منقول ونحوها في سائر كتب اللغة .

وأما في الأخبار وأحاديث أئمتنا الأبرار الأخيار فتارة اطلقتا على معنى

واحد مثل مارواه الظريحي عن الرّضاع عليه السلام ان الابداع والمشية والارادة معناها واحد والأسماء ثلاثة، واخرى وهو الاكثري على معنيين مختلفين يجعل مرتبة المشية مقدمة على مرتبة الارادة وكون نسبة إليها نسبة القوّة إلى الضعف.

ويدل عليه ما رواه المحدث المجلسي من المحاسن للبرقي قال : حدثني أبي عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى ؛ فقال عليه السلام : لا يكون إلا ما شاء الله وقدر وقضى ، قلت : فما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : فما معنى أراد ؟ قال عليه السلام : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله وعرضه ، قلت : فما معنى قضى ؟ قال عليه السلام : إذا قضى أمضاه بذلك الذي لا مرد له .

ورواه في الكافي مسندأ عن علي بن إبراهيم الهاشمي عن أبي الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام نحوه إلا أنه ليس فيه قوله : قلت : فما معنى أراد قال الثبوت عليه ، ولعله سقط من الكتاب وظاهر أن مراده منه هو ما ذكرنا كما فهمه شراح الحديث .

قال في مرآت العقول : قوله عليه السلام : ابتداء الفعل أى أول الكتابة في اللوح المحفوظ أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤودي إلى وجود المعلمول وعلى ما في المحاسن يدل على أن الارادة تأكيد المشية وفي الله سبحانه تكون عبارة عن الكتابة في الألواح وتسبيب أسباب وجوده ، وقوله : تقدير الشيء ، أى تعين خصوصياته في اللوح أو تعين بعض الأسباب المؤدية إلى تعين المعلمول وتحديد وخصوصياته إذ اقضى أمضاه ، أى إذا أوجبه باستكمال شرائط وجوده وجميع ما يتوقف عليه المعلمول أوجده ، و ذلك الذي لا مرد له لاستحالة تخلف المعلمول عن الموجب التام .

وقال الصالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي : لما كان قوله عليه السلام : لا يكون شيء إلا ما شاء الله ، دالا بحسب الظاهر على أن المعاichi تقع بمشيته تعالى وإرادته وهذا ليس قييم على المذهب الحق ، سأله السائل عن معنى المشية حتى يظهر

له وجه الاستقامة ، فأجاب عليه السلام بأنّ المشية ابتداء الفعل وأوله ، ولعل المراد بابتداء الفعل أنّ مشيّته تعالى أول فعل من الأفعال ، و كل فعل غيرها يتوقف عليها و يصدر بعدها كما يدل عليه ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية ، يعني خلق أفعالها بها وكذا خلق أفعال عباده لكن بتوسط مشية جازمة صادرة منهم ، فان اسلسلة جميع الأفعال منتهية إلى مشيّته تعالى ، و المراد به أنّ مشيّته أول المشيّات ، وكل مشية سواها تابعة لها ، كما أنه تعالى هو الفاعل الأول و كل فاعل بعدها فاعل ثانوى يسند فعله إليه بلا واسطة ، وإلى الفاعل الأول بواسطة ، وهذا معنى مشيّته تعالى لا فعال العباد ومعنى اسناد فعلهم إلى مشيّته .

و في محسن البرقي بعد هذا السؤال والجواب قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، يعني على ابتداء الفعل و من هنـا فـسر بعضهم الارادة تارة بأنـها عزيمة على المشية ، وتارة بأنـها الاتمام لها ، وتارة بأنـها الجدّ عليها . و قال صدر المتألهين : نسبة المشية إلى الارادة كنسبة الضعف إلى القوة ونسبة الظن إلى الجزم ، فـاذكـر ربـماتـشاء أشيـاء ولا تـريـدـهـ ، فـظـهـرـ أنـ المشـيةـ اـبـتـداءـ العـزـمـ عـلـىـ الفـعـلـ هـذـاـ .

وفي الكافي عن عدد من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه و محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد و محمد بن خالد جمیعاً عن فضالة بن أيوب عن محمد بن عمارة عن حريز بن عبد الله و عبد الله بن مسكن جمیعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الحال السبع : بمشية ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، و اذن ، و كتاب ، وأجل ، فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر .

قال في مرآت العقول : يمكن حمل الحال السبع على اختلاف مراتب التقدير في الألواح السماوية ، أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السماوية والأرضية ، أو يكون بعضها في الأمور التكوينية وبعضها في الأحكام التكليفية ، أو كلـهاـ في

الأمور التكوينية .

فالمشيّة وهي العزم ؛ والإرادة وهي تأكّدتها في الأمور التكوينية ظاهرتان وأمّا في التكليفيّة فلعلّ عدم تعلق الإرادة الحتميّة بالترك عُبر عنه بارادة الفعل مجازاً .

والحاصل أنّ الإرادة متعلقة بالأشياء كلّها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة إذ تعلقها بأفعال نفسه بمعنى إيجادها والرضا بها والأمر بها ، و بالمحاورة بمعنى الرّخصة بها ، و بالمعاصي إرادة أن لا يمنع منها بالجسر لتحقق الابتلاء والتکلیف كما قال تعالى :

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشَرَّ كُوَا ».

أو يقال تعلقها بأفعال العباد على سبيل التجوّز باعتبار إيجاد الآلة والقدرة عليها وعدم المنع منها فكانه أرادها .

وبالقدر تقدير الموجودات طولاً وعرضًا وكميلاً وزنًا وحدّاً ووصفاً وكماً وكيفًا ، وبالقضاء الحكم عليها بالثواب والعقاب أو تسبب أسبابه البعيدة كما مرّ والمراد بالاذن إما العلم أو الامر في الطاعات أو رفع الموانع ، وبالكتاب الكتابة في الألواح السماوية أو الفرض والإيجاب كما قال تعالى : كتب عليكم الصيام ، وكتب على نفسه الرّحمة ، وبالاجل الأمد المعين والوقت المقدّر عنده تعالى . و في الكافي أيضاً عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى ، فما مضى ما قضى وقضى ما قدر و قدّر ما أراد ، فبعلمته كانت المشيّة ، وبمشيّته كانت الإرادة ، و بارادته كان التقدير ، و بتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء الحديث .

قال صدر المتألهين في شرحه : هذا السؤال سأله عليه السلام عن كيفية علمه تعالى بالجزئيات الزّمانية والمكانية ، فأجابه عليه السلام عنها بما أفاده من المراتب الستة المرتب بعضها على بعض .

أوّلها العلم ، لأنّه المبده الأوّل لجميع الأفعال الاختياريّة ، فانّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلاّ بعد القصد والارادة ، ولا يصدر عنه القصد والارادة إلاّ بعد تصور ما يدعوه إلى ذلك الميل و تلك الارادة و التصديق به تصديقاً جازماً أو ظناً راجحاً ، فالعلم مبده مبادىء الأفعال الاختياريّة ، و اعلم أنّ المراد بهذا العلم المقدم على المنشية والارادة وما بعدهما بحسب الاعتبار أو التتحقق هو العلم الأعلى الذاتي الالهيّ أو القضائي المحفوظ عن التغيير ، فينبعث منه ما بعده وأشار إليه بقوله : علم ، أي علم دائمًا عن غير زوال وتبديل .

وثانية المنشية ، والمراد بها مطلق الارادة سواء بلغت حد العزم والاجماع أم لا ، وقد ينفك المنشية فيما عن الارادة الجازمة كما نشتاب أو نشتهر شيئاً ولا نعزم على فعله لمانع عقليّ أو شرعيّ وإليها أشار بقوله : وشاء وثالثها الارادة ، وهي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوره وتصور غایة المترتبة عليه من خير أو نفع أولئك ، لكنّ الله بربّه عن أن يفعل لاّجل غرض يعود إلى ذاته وإليها الاشارة بقوله : أراد .

ورابعها التقدير ، فانّ الفاعل لفعل جزئيّ من أفعال طبيعة واحدة مشتركة إذا عزم على تكوينه في الخارج كما إذا عزم الانسان على بناء بيت فلا بد قبل الشروع أن يعيّن مكانه الذي يبني عليه ، وزمانه الذي يشرع فيه ، و مقداره الذي يكتوّنه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض ، وشكله ووصفه ولو أنه وغير ذلك من صفاته وأحواله ، وهذه كلّها داخلة في التقدير .

وخامسها القضاء ، والمراد هنا ايجاب الفعل واقتضاء الفعل من القوّة الفاعلة المباشرة ، فانّ الشيء مالم يجب لم يوجد ، وهذه القوّة الموجبة بوقوع الفعل مناهي القوّة التي تقوم في العضلة و العصب من العضو الذي توقع القوّة الفاعلة فيها اقپضا وتشنجاً ؛ أو بسطاً وإرخاء أوّلاً لا فيتبعه حركة العضو فتتبعه صورة الفعل في الخارج من كتابة أو بناء أو غيرهما ، والفرق بين هذا الایجاب وبين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرك وبين حرّكته ، وقد ينفك الميل كما تحسن

يُدك من الحجر المسكن باليد في الهواء، و معنى هذا الإيجاب والميل من القوّة المحرّكة أنه لواهناك اتفاق مانع أو دافع من خارج لوقعت الحركة ضرورة إذ لم يبق من جانب الفاعل شيء منتظر قوله عَلَيْكُمْ : و قضى، إشارة إلى هذا الاقتضاء والإيجاب الذي ذكرنا أنه لابد من تحقّقه قبل الفعل قبلية بالذات لا بالزمان إلا أن يدفعه دافع من خارج، وليس المراد منه القضاء الأزلي لأنّ نفس العلم، و مرتبة العلم قبل المشيّة والإرادة والتقدير.

وسادسها نفس الإيجاد وهو أيضاً متقدّم على وجود الشيء المقدر في الخارج ولهذا يعدد أهل العلم والتحقيق من المراتب السابقة على الوجود الممكن في الخارج فيقال أوجب فوجب . فأوجد موجود .

فإن قلت : أليس الإيجاد و الوجود و كذا الإيجاب و الوجوب متضارفين والمتناقضان معان في الوجود ؟

قلت : المتضارفان وإن كانا من حيث مفهوميهما الأضافيّين و من حيث اتصاف الذاتيين بهما معاً كما ذكرت ، لكنّ المراد هنا ليس حال المفهومين ، فإنّ كلاماً من الموجد بالفعل أو المقتضى أو المحرّك قد يراد به المعنى الأضافي والمفهوم النّسبي وحكمه كما ذكرت من كون تحققه مع تتحقق ما أضيف إليه من حيث إنه اضيف إليه ، وقد يراد به كون الشيء بحيث يكون وجوده مستيناً لوجود شيء آخر وهذا الكون لامحالة متقدّم على كون شيء آخر هو تابعه و مقتضاه الموجد بسبب هذا الاقتضاء أو الإيجاد .

كما في تحريك اليدين بحركة المفتاح ، تقول : تحرك اليدين فتحرّك المفتاح فإنّ الفاء يدلّ على الترتيب وإن كانا معاً في الزمان وربما متقدّم المقتضى على المقتضي زماناً في عالم الاتفاques إذا كان هناك مانع من خارج كمامي المثال الذي ذكرناه و كما في اقتضاء الشمس لاضاءة ما يحاذيهما من وجه الأرض فحال بينهما حائل ، فعدم استضاءة ذلك الموضع ليس لأجل فتور أو نقصان في جانب المقتضي ، لأنّ حاله في الاقتضاء والاضاءة لم يتغيّر مما كان ، وإنّما التخلّف في الاستضاءة

لأجل شيء من جانب القابل ، فقوله عليه السلام : فَامْضِي ، اشارة إلى هذا الإيجاد الذي يبين أنه قبل الوجود والمصدر .

### المقام الثاني

في تحقيق أن المنشية والارادة من صفات الفعل لا من صفات الذات ، وتوضيح ذلك موقف على رسم مقدمة متضمنة لقاعدة كلية بها يعرف الفرق بين صفات الذات و صفات الفعل ، وقد أشار إليها ثقة الاسلام الكليني عطّر الله ماضجه في الكافي أيضاً وهي :

أن الفرق بينهما من وجوه ثلاثة :

الأول أن كل صفة وجودية لها مقابل وجودي فهي من صفات الفعل لا من صفات الذات ، لأن صفاته الذاتية كلها عين ذاته و ذاته مما لا ضد له ، فكذلك كلما هو عين ذاته ، مثال ذلك أنك تقول : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَضِيَ وَسَخَطَ وَأَحَبَّ وَأَبغض وأحبي وأمات ، وهكذا ولا يجوز أن تقول : علم وجهل وقدر وعجز وعز وذل ، فبذلك يعرف أن الحب والاحياء والرضا من صفات الفعل لأن البعض والاماتة والسطح مقابلاتها ناقصات لها ، فلو كانت من صفات الذات لزم أن يكون مقابلاتها ناقصات للذات الأحادية وهو محال ، لأنه لا ضد له كما لا ند له فاتصال ذاته بصفتين ذاتيتين متقابلتين محال .

الثاني أن كل صفة صح تعلق القدرة بها فهي من صفات الفعل وكلما لا تصح تعلقها بها فهي صفة الذات ، وذلك لأن القدرة صفة ذاتية تتعلق بالممكنتات لا غير ، فلاتتعلق بالواجب ولا بالممتنع ، فكل ما هو صفة الذات فهو أزلية غير مقدر و كلما هو صفة الفعل فهو ممكن مقدر فيصح أن تقول : يقدر أن يخلق وأن لا يخلق ويقدر أن يميت ويحيي وأن يثيب ويعاقب وهكذا ، ولا يصح أن تقول : يقدر أن يعلم وأن لا يعلم ، لأن علمه بالأشياء ضروري واجب بالذات ، و عدم علمه بها محال ممتنع بالذات ومصحح المقدورية هو الامكان ، ومثله صفة الملك والعزة والعظمة والكبرى والجلال والجمال والجبروت وأمثالها .

الثالث أن كل صفة صح تعلق الارادة بها فهي صفة فعل ، وما لا يصح تعلقها بها فهي صفة الذات ، وذلك لأن الارادة من توابع القدرة إذ هي عبارة عن اختيار أحد طرفي المقدور و العزم عليه لأجل تحقق الداعي ، فما لا يكون مقدوراً لا يكون مراداً ، وأيضاً الارادة صفة فعل حادثة والحادث لا يؤثر في القديم .

إذا عرفت هذه المقدمة الشريفة فأقول :

إن الارادة كما حققه صدر المتألهين في شرح الكافي تطلق على معنيين : أحدهما ما يفهمه الجمهور ، وهو الذي ضد الكرامة ، وهي التي قد تحصل فيما عقّب تصوّر الشيء الملايم و عقّب التردد حتى يترجح عندنا الأمر الداعي إلى الفعل أو الترك فيصدر أحدهما منا ، وهذا المعنى فيما من الصفات النفسانية ، وهي والكرامة فيما كالشهوة والغضب فيما ، وهذا المعنى لا يجوز على الله سبحانه ، بل ارادته نفس صدور الأفعال الحسنة منه من جهة علمه بوجه الخير و كراحته عدم صدور الفعل القبيح من جهة علمه بقيبحه .

كما قال المفید (ره) : إن الارادة من الله جل اسمه نفس الفعل ومن المخلق الضمير و أشباهه مما لا يجوز إلا على ذوى الحاجة والنقص و ذلك لأن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا الذي قلب ولا تصح النية والضمير والعزم إلا على ذي خاطر يضطر معه في الفعل الذي يقلب عليه إلى الارادة له والنية فيه والغزم ولما كان الله تعالى يجعل عن الحاجات و يستحبيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ولا يجوز عليه الدّاعي والمخاطر ، بطل أن يكون محتاجا في الأفعال إلى القصود و العزمات ، و ثبت أن وصفها بالارادة مخالف في معناه لوصف العباد و أنها نفس فعله إلا شيء وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى.

ثم أورد روایة صفوان بن يحيى قال : قلت لا<sup>أ</sup> بي الحسن<sup>عليه السلام</sup>: أخبرني عن الارادة من الله و من المخلق ؟ قال : فقال<sup>عليه السلام</sup>: الارادة من المخلق الضمير (١) و ما يبدولهم بعد ذلك من الفعل ، و أما من الله تعالى فارادته إحداثه لغير ذلك ، لأنَّه تعالى

. ١- الضمير أي تصوّر الشيء و توجّه الذهن إليه .

لairo و لا يتقى ولا لهم هذه الصّفات مُنتفية عنده وهي صفات الخلق فارادة الله تعالى الفعل يقول له كن فيكون باللفظ ولانطق بلسان ولا همة ولا تفكروا لا كيف لذلك كما لاكيف له تعالى.

**المعنى الثاني** للارادة كون ذاته سبحانه بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته ، لاكتابع الفؤ للمضي والمسخة للمسخن ، ولا ك فعل الطبائع لاعن علم و شعور ، ولا ك فعل المجبورين والمستحررين ، ولا ك فعل المختارين بقصد زايد أو ارادة ظنية يحتمل الطرف المقابل.

وقد تحققت أن قيوم الكل إنما يفعل الكل عن علم هو نفس ذاته العليم الذي هو أتم العلوم ، فاذًا هو سبحانه فاعل للأشياء كلها بارادة ترجع إلى علمه بذاته المستتبع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره في الخارج لاغررض زايد و جلب منفعة أو طلب محبة أو ثناء أو التخلص من مذمة ، بل غاية فعله محبة ذاته وهذه الأشياء الصادرة عنه كلها مراده لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته و علمه بذاته ، فلو كنت تعشق شيئاً لكان جميع ما يصدر عنه معشوّقاك لأجل ذلك الشيء.

وإليه الاشارة بما ورد في الحديث الالهي عن نفسه: كنت كنزًا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف.

وإذا ظهر لك ذلك اتضح عندك أن الارادة بالمعنى الثاني لا يعبر على كونها من صفات الذات لكونها عبارة أخرى للعلم بالأصلح والنظام الخير والعلم صفة ذات له سبحانه، وبالمعنى الأول هي صفة فعل ولذلك صح سلبها عنه سبحانه.

ويشهد به مارواه في الكافي باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت: لم ينزل الله من يدأ قال: إن المرید لا يكون إلا المراد معه، لم ينزل الله عالمًا قادرًا ثم أراد فأنه كما ترى يدل على كونها من الصّفات الإضافية المتتجدة كحالقيته تعالى و رازقته، ويشهد به أخبار آخر أيضًا لا حاجة إلى إيرادها بعد وضوح المراد.

## المقام الثالث

في تحقيق الحديث المعروف المروي في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمر بن اذينة عن أبي عبد الله عَلِيَّ عَبْدَ اللَّهِ عَلِيًّا قال : خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة .

وقد ذكروا في تأويله وجوها أشار إليها المحدث العالمة المجلس طاير مسهفي مرآت العقول .

**الأول** أن لا يكون المراد بالمشيئة الارادة بل احدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء ، كالتقدير في اللوح مثلاً والاثبات فيه ، فان اللوح وما أثبتت فيه لم يحصل بتقدير اخر في لوح سوى ذلك اللوح وإنما وجد سائر الأشياء بماقدر في ذلك اللوح وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار ، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير .

**الثاني** أن يكون خلق المشيئة بنفسها كنایة عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفه على تعلق إرادة اخرى بها ، فيكون نسبة الخلق إليها مجازاً عن تتحققها بنفسها منزوعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة اخرى ، أو أنه كنایة عن أنه اقتضى علمه الكامل و حكمته الشاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح ، فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلا على الوجه الأصلح والأكمل فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلا بارادته المقتضية لذلك .

**الثالث** ما ذكره السيد داماد قدس الله روحه وهو : أن المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لا فعالهم الاختيارية ، لتقدسه تعالى عن مشيئة مخلوقه زايدة على ذاته عزوجل وبالأشياء فأعيلهم المترتب وجودها على تلك المشيئة ، وبذلك تتحلل شبهة ربما اوردت هنا ، وهي : أنه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بارادتهم وكانت الارادة مسبوقة بارادة أخرى و تسلسلت الارادات لا إلى نهاية .

**الرابع** ما ذكره بعض الأفضل وهو : أن للمشيئة معنيين أحدهما متعلق بالشائئ وهو صفة كمالية قديمية هي نفس ذاته سبحانه ، وهي كون ذاته سبحانه

بحيث يختار ما هو الخير والصلاح والآخر يتعلق بالمشي، و هو حادث بحدوث المخلوقات لاتختلف المخلوقات عنه ، وهو ايجاده سبحانه إياها بحسب اختياره ، و ليست صفة زايدة على ذاته عزّوجلّ و على المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لغير ذاتها على المنتسين معًا فنقول إنه لما كان هنا مظنة شبهة هي : أنه إن كان الله عزّوجلّ خلق الأشياء بالمشية فبم خلق المشية أبمشية أخرى فيلزم أن تكون قبل كل مشية مشية إلى ما لا نهاية له ، فأفاد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ الأشياء مخلوقة بالمشية وأما المشية نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشية أخرى ، بل هي مخلوقة بنفسها لأنها إضافة و نسبة بين الشائي و المشي، تتحقق بوجوديهما العيني والعلمي ، ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأن كل الوجودين له و فيه و منه ، و في قوله : بنفسها ، دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك ، نظير ذلك ما يقال : إنَّ الأشياء إنما توجد بالوجود و أما الوجود نفسه فلا يفتقر على وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس ما ذكره بعض المحققين بعد ما حقق : أن إرادة الله المتتحقق المتتجدة هي نفس أفعاله المتتجدة الكائنة الفاسدة ، فارادته لـ كل حادث بالمعنى الإضافي يرجع إلى ايجاده ، و بمعنى المرادية ترجع إلى وجوده.

قال: نحن إذ أفعلنا شيئاً بقدرتنا و اختيارنا فارادناه أو لا ثم فعلناه بسبب الارادة فالارادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بارادة أخرى وإن التسلسلالأمر لا إلى نهاية فالارادة مراده لذاتها و الفعل مراد بالارادة ، و كذا الشهوة في الحيوان مشتهرة لذاتها لذيتها بنفسها و سائر الأشياء مرغوبة بالشهوة .

فعلى هذا المثال حال مشية الله المخلوقة وهي وجودات الأشياء ، فإنَّ الوجود خير و مؤثر لذاته و مجعله بنفسه والأشياء بالوجود موجودة والوجود مشي ، بالذات والأشياء مشيئة بالوجود ، و كما أنَّ الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص ، فكذا الخيرية والمشية ، و ليس الخير الممحض الذي لا يشو بهشر إلا الوجود البحث الذي لا يمازجه عدم و نقص ، و هو ذات الباري جل مجده فهو

المراد الحقيقي إلى آخر ما حققه.

قال المحدث المجلسي<sup>(رم)</sup> بعد ايراد هذه الوجوه : والآوفق بأصولنا هو الوجه الأول.

أقول : بل ماسوى الوجه الآخر كلها أوفق وإن كانت متفاوتة بالقرب والبعد، وإنما الوجه الآخر الذي مر جعه إلى القول بوحدة الوجود مخالف للأخبار وأصول الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب الليل والنهر ، والله العالم بحقائق صفاته والمعتلى عن مجانسة مخلوقاته.

### الترجمة

بعض دیگر از آن خطبه شریفه اینستکه فرموده:

تقدیر کرده خداوند تعالی هر چیزیرا که آفریده پس محکم گردانیده اندازه و تقدیر آنرا؛ و تدبیر نموده هر چیزیرا که خلق فرموده، پس لطیف گردانیده تدبیر آنرا و توجیه نموده هر شیء را بسوی جهت خود، پس تجاوز ننمود آن شیء از حد و سد مکان خود، و قاصر نشد نزد منتهی نشدن بغایت خود، و صعب و دشوار نشمرد آنچه که ایجاد فرمود مضى بر وفق اراده او را وقتیکه مأمور شد بایین، و چه طور میباشد که دشوار شمارد و حال آنکه جمیع امور صادر شده از مشیّة قاهره خداوندیکه انشاءو ایجاد فرموده اصناف و احساس اشیاء را بدون رویه و فکری که رجوع نماید بآن، و بدون استنباط طبیعتی که اضمار نماید و بغایت بر سدر آن، و بدون تجربه که استفاده نموده باشد آن را از حوادث روزگار و بیشتر یک و معاونی که اعانت و یاری نماید او را بر ایجاد عجائب امورات.

پس تمام شد مخلوق او سبحانه و گردن نهاد بفرمان برداری او، و اجابت نمود بسوی دعوت او در حالتیکه حاصل نشد نزد تنفاذ امر او دیر کردن دیر کننده، و نه توقف نمودن توقف نماینده، پس راست فرمود از اشیاء کجی آن هارا، و روشن نمود حدود آنها را، والفت داد باقدرت خویش در میان اضداد آنها، و متصل ساخت

أسباب نفوس آنها را، ومتفرق نمود آنها را بأقسام مختلفه کوناگون در نهايات و مقادير و در طبيعتها و هيئتها، عجائب مخلوقاتيکة محکم گردانيد صنعت آنها را و آفرید آنها را بر وجهیکه اراده کرده، وابداع فرموده آنها را از کتم عدم با قدرت كامله و حکمت شامله.

### والفصل الرابع

منها في صفة السماء : وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلَا حَمَصُدُوعَ اتِّفِرَاجِهَا، وَشَجَّعَ لَيْسَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَا بَطِينَ بِأَنْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حَزْوَنَةِ مِفْرَاجِهَا، وَنَادَيْهَا بَعْدَ إِذِ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَّحَمَتْ عُرْيَ أَشْرَاجِهَا، وَفَتَّقَ بَعْدَ الْأَرْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَاهِهَا، وَأَقَامَ رَصَدًا مِنَ الشُّبُّبِ التَّوَاقِبِ عَلَى تِقَابِهَا، وَأَنْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ، وَأَمْرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسِلَّمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَفَسَهَا آيَةً مُبَصِّرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَرَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَنْجَرَهَا فِي مَنَافِلِ مَجْرِيْهَا، وَقَدَرَ مَسِيرَهَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهَا، لِيُمِيزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهَا، وَلِيُغَلِّمَ عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمَقَادِيرِهَا، ثُمَّ عَلَقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِهَا، وَمَصَابِيحَ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقَ السَّفَعِ بِتَوَاقِبِ شَهْبِهَا، وَأَنْجَرَهَا عَلَى أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا، مِنْ ثُبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُمُودِهَا، وَنُحوِسَهَا وَسُعُودِهَا .

## اللغة

(الرّهّوات) جمع رهوة وهي المكان المرتفع والمنخفض أيضاً يجتمع فيه ماء المطر، وهو من الأضداد، وعن النهاية تفسيرها بالمواقع المفتوحة، وهو مأخذ من قولهم رها رجليه رهواً أى فتح و(الفرج) جمع الفرجة وهي المكان الخالي و(الاحم) المق و(المبدع) الشقّ و(وشج) بتشديد الشين فالجيم المعجمة شبّيكو (ذلك) البعير جمله ذلولاً وهو ضدّ الشعب الذي لا ينقدر من الذل بالكسر وهو اللّيin و(الحزونة) خلاف السهولة و(المعراج) السّلّم والمصعد و(العروة) من الدّلو و الكوز المقبيض ومن الثوب اخت زره كالعرى ويكسر و(الأشراج) جمع الشّرّاج محرّكة كلاً سباب و السبب، وهي العروة للعيبة وقيل وقد تطلق الاشراج على حروف العيبة التي تخاطط وهو الّا نسب في المقام.

قال الشارح المعمزلي : و تسمى مجرّة السماء شرّاجاً تشبهها بشرج العيبة واشراج الوادي ما انفسح منه وانشقّ و (فقق) الثوب فتقاً شقه ونقض خياتته حتى انفصل بعضه عن بعض و(الرتق) ضدّ الفتق و (صوامت) الاً بواب مغلقاتها و(الرصد) جمع راصد كخدم و خادم او اسم جمع و يكون مصدراً كالرّاصد بالفتح ، و الرّاصد هو القاعد على الطريق متّقدراً لغيره للاستلاب او المنع ، والمرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدو و ارصدت له اعدت.

و (النّقاب) بالكسر جمع نقب كسهام و سهم وهو الثقب والخرق والطريق في الجبل و (المور) الموج والاضطراب و الحركة قال تعالى : يوم تمور السماء موراً و (الخرق) يكون بمعنى الثقب في الحايط والشقّ في الثوب وغيره ، وهو في الاً صل مصدر خرقته إذا قطعته ومزقته ، يكون بمعنى القفر و الارض الواسعة تتخرّق فيها الرّياح أى تهب وتشتّد و (الهواء) يقال : للجسم الذي هو أحد العناصر و يقال : لـكـلـ خـالـ قال سـبـحانـهـ : و اـفـدـتـهـمـ هـوـاءـ ،ـ أـىـ خـالـيةـ منـ العـقـلـ أوـ الـخـيـرـ وـ (ـالـأـيـدـ)ـ الـقـوـةـ وـ (ـالـمـنـقـلـ)ـ فـيـ الـأـصـلـ الـطـرـيـقـ فـيـ الـجـبـلـ وـ (ـالـمـدارـجـ)ـ جـمـعـ الـمـدـرـجـ وـ هـوـ الـمـسـلـكـ وـ (ـدـرـجـ)ـ الصـبـيـ درـوجـاـ وـ درـجاـنـاـمـشـيـ وـ درـجهـماـ بـالـتـسـحـريـكـ الـطـرـيـقـ ،ـ

و في بعض النسخ درجيهما بصيغة الثنائية ، و في نسخة الشارح البحرياني درجهما بالتأهيل الوقانية.

و (الجوّ) الهواء و (النياط) التعليق و (الدراري) الكواكب المضيئه جمع الدراري بتثنية الدال نسبت إلى الدراري بضمها ، و عن الفراء الكوكب الدراري عند العرب عظيم المقدار ، و قيل : هو أحد الكواكب الخمسة السيارة ، ولا يخفى أنّ وصفه كذلك الدراري بالخفيات ينافي القولين ظاهراً و (مسترق السمع) المستمع مختصياً ، وفي النسخ مسترق السمع بصيغة الجمع و (الأذال) بفتح الالف و الذال المعجمة جمع الذل بالكسر يقال : أمور الله جارية أذالها بالنسب وعلى أذالها أي مجاريها و يقال : دعه على أذاله أي حاله بلا واحد وجاء على أذاله أي وجهه.

### الاعراب

قوله كذلك : و ناداها بعد إذهي دخان ، قال الشارح المعترض : روى بإضافة بعد إذن ، و روى بضمّ بعد أي و ناداها بعد ذلك إذهي دخان والأول أحسن وأصوب، لأنّها على الفهم تكون دخاناً بعد قبور رهوات فروجها و ملائمة صدوعها والحال تقتضي أنّ دخانيتها قبل ذلك لا بعده ام.

وقوله : و أمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيديه الطرف الأول أعني في خرق الهواء يجوز تعلقه بأمسك و يجوز تعلقه بتمور ، و أما الثاني فهو متعلق بالامساك لغير ، و من في قوله من ليتها إما لابتداء الغاية أو لبيان الجنس و تتعلق بممحوّة أو يجعل ، و قوله كذلك ثم علق في جوّها فلكلها ، الظاهر كون ثم هنا للترتيب الذكري ، و من خفيات دراريها إما متعلق بناط أو بيان للزينة.

### المعنى

اعلم أنه كذلك لما ذكر في الفصل السابق عظمة قدرة الله سبحانه في الخلق والتقدير واللطف والتدبر وكمال حكمته في الفطر والإبداع والإيجاد والاختراع على نحو الإجمال والاطلاق، عقبه بهذا الفصل المتضمن لعجب خلقة السماء و بديع

ما أودعه فيها لدلالتها المخصوصة على عظمة بارئها ، وشهادتها المحسوسة على قدرة صانعها و كفايتها للمستهدي ، وقد مر في تذيلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الاولى ما فيه كفاية لشرح هذا المقام و دراية لذوى الافهام إلا أننا نعيد هنا بعض ما قدّ منه هناك و نزيد هنا بعض ماله نورده ثمة باقتصاء المقام و توضيحاً لكلام الامام عليه السلام . فأقول :

قال:(ونظم بلاتعليق رهوات فرجها)أى جمع وألف أجزاء السماء المنفرجة المتضفة بالارتفاع والانخفاض فسوّاها بقدرته الكاملة من غير أن يعلق بعضها ببعض بخياطة وعلاقة كما ينظم الانسان ثواباً بثواب أو نحوهما بالقييد والتعليق ، وهو مناسب لما مرّ في شرح الخطبة الاولى من أنّ مادتها الدخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك يكون قطعاً ذات فرج.

وأما ما في شرح البحرياني من تأويل ذلك بتبيين أجزاء المركب لولا الترکيب والتاليف ، أو بالفواصل التي كانت بين أطباق السماوات فخلقه الله سبحانه اكراً متماسة لاخلاً بينها ، فمبني على قواعد الفلاسفة و تقليدهم (ولاحم صدوع انفراجها) هذا العطف بمنزلة التفسير و التوكيد للجملة السابقة أى الصق أجزائها ذات الصدوع بعضها ببعض و اضافة الصدوع إلى الانفراج من اضافة الخاص إلى العام ( و وشج بينها و بين أزواجاها) أي شبّك بينهما .

قال الشارح البحرياني : أراد بأزواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية بمعنى قرائتها و كل قرين زوج أى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره .

وأورد عليه المحدث العلامة المجلسي (ره) بأنّ القول بكون السماوات حيوانات ذات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الاسلام ، بل نقل السيد المرتضى رضي الله عنه اجماع المسلمين على أنّ الأفلاك لأشعور لها ولا إرادة ، بل هي أجسام جمادية يحرّكها خالقها .

ثم قال (ره): وييمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الم وكلون بها ، أو القاطنون

فيها ، أو المراد أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئية ، و يمكن أن يكون المراد أشباهها في الجسمية والامكان من الأُرضيات و يناسب ماجرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء والسفليات بالأمهات (و ذلّل للهابطين بأمره الصاعدين بـأعمال خلقه حزونة مراجحها ) أى ذلّل للملائكة النازلين بأمره التكويني والتشريعي وللكرام الكاتبين الصاعدين بـأعمال خلقه حزنة المراجح إلى السماء و قد تقدم شرح حال الفرقة الأولى أعني المدبرات أمراً في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى و شرح حال الفرقة الثانية في شرح الفصل الأول من الخطبة الثانية والعشرين في المقام الثاني من تكملة ذلك الفصل ، هذا .

و قال الشارح البحري في شرح هذه الفقرة : قد سبقت الاشارة إلى أنَّ الملائكة ليست أجساماً كساير الحيوان ، فاذن ليس هبوطها و صعودها الهبوط والصعود المحسوسين ، وإلاً لكان الباري جلَّ قدسه عن أوهام المتوهمين في جهة إلهي يقصد عنه ينزل ، فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة إلى أسفل للنزول المعقول من سماء جود الإلهي إلى أراضي المواد القابلة للاقتضيات العالية ، و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن اتصالها إلى كلِّ ما دونها كماله متوسطة بينه وبين مبدعه و موجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحى و غيره ، و كذلك الصاعدون بـأعمال الخلق هم الملائكة أيضاً .

و أما معنى الصعود بها فيعود إلى كونها منقوشة في ذات الصاعدين بها ، وقد لاح فيما سبق أنَّ علمه تعالى بمعلولاته البعيدة كالزمانيات والمعدومات التي من شأنها أن توجد في وقت و تتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الألوان ، و هو أيضاً مستعار لفظ الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من أراضي النفوس إلى الألوان .

فاما الانفراج الذي ذلل حزونته لهم و سهل عليهم سلوكه فيعود إلى عدم حجبها و منعها لنفوذ علوم الملائكة بـأعمال الخالق و ما يجري في هذا العالم ، و كما أنَّ الجسم المتضلع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متضلع و الوصول

إلى ما ورائه ، كذلك السماء لاتحجب علوم الملائكة أن تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات ، فجرت مجرى المنفوج من الأَجسام فاطلق عليه لفظ الانفراج وتذليله لحزون ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه لجريان علوم الملائكة المقربين في هذا العالم .

أقول : و أنت خبير بما فيه ، فأنّ ما ذكره كُلّه تأويل لداعي إليه موجب لطرح ظواهر الآيات المتواترة ونصوص الأخبار المتواترة المثبتة للهبوط والصعود المحسوسين للملائكة ، بعيد عن لسان الشريعة ، و إنما دعاء إلى ذلك استيناسه بحكمة الفلاسفة المخالفة لكتاب و السنّة .

( و ناداها بعد إذهلي دخان فالتحمت عري أشراجهما ) المراد بندائهما حكمه و أمره التكبويني النافذ فيها بالوجود وبالتحام عري أشراجهاتمام خلقها وفي بيان الصور السماوية عليها ، و ذلك باعتبار تركيبيها وانضمام جزئها الصوري إلى جزئها المادي كما يلتحم طرفا العيبة تبشيريج عرها ، و فيه تلميح إلى قوله سبحانه :

« ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا

أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَنَ قَقْضِيهِنْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ »

قوله عليه السلام : و ناداها إشارة إلى قوله : ائتيطاوعاً أو كرهاً ، و قوله عليه السلام : بعد إذ هي دخان ، موافق لقوله : و هي دخان ، و قوله عليه السلام : فالتحمت اه مساوق لقوله ققضيهن الآية .

قال البيضاوى في تفسيرها : قصد نحو السماء وهي دخان أمر ظلماني ، و لعله أراد به مادتها والجزاء المتفرقة التي ركب منها ، فقال لها وللأرض ائتيا بمخالقت فيكما من التأثير والتاثير وابرازماً ودعتماً ودعتماً ووضع المختلفة والكائنات المتنوّعة أو ائتيا في الوجود أو اتيا السماء حدوثها و إتيا الأرض أن تصير مدحوة ، طوعاً أو كرهاً شتماً ذلك أو أبيتما ، والمراد إظهار قدرته و وجوب وقوع مراده لإثبات الطوع والكره لهما ، قالنا أتينا طائعين منقادين بالذات والأَظهر أنَّ المراد تصوير

تأثير قدرته فيهم و تأثيرها بالذات عنها و تمثيلها بأمر المطاع وإجابة المطاع الطائين كقوله : كن فيكون ، فقضيَّهنْ سبع سموات خلقهنْ حلقاً إبداعياً و أتقن أمرهنَّ . و قال الطبرسي في مجمع البيان أى ثم قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخاناً ، و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامة ، و القصد التدبير المستقيم تسوية له :

**«فَقَالَ لَهَا وَإِلَارْضِ اتَّبِعَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَاتَنَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنَ»**

قال ابن عباس أنت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم ، و أنت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والشمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختياره السماوات والأرض و إنشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف فعبر عن ذلك بالأمر والطاعة و هو ك قوله :

**«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» .**

و إنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعين لأنَّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاه فغلب حكم العقلاء و قيل إنه لما خوطب من خطاب من يعقل جمع من يعقل كما قال :

**«وَكُلُّ شَيْءٍ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ» .**

( و فتق بعد الارتكاق صوامت أبوابها ) و هو إما كنایة عن ايجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لباب فيها ، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين ايجادها ، وهذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكة و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم وأرواحهم كما قال تعالى :

**«وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»**

أو التي تنزل منها الأبواب كما أشار إليه بقوله :

«فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِيَمَاءٍ مُّفْهُورٍ»

و يؤيد الآخر ما رواه الطبرسي<sup>(ره)</sup> في تفسير قوله سبحانه: «أَوْلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَا هُمَا»

عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهم السلام و عكرمة و عطية و ابن زيدأن السماه كانت رتقا لامطر والأرض رتقا لانتبنت ففتحنا السماء بالمطر والأرض بالنبات ، هذا . ولا يخفى عليك أنه بعد لالة كلام الامام عليهم السلام كغير واحد من الآيات والأخبار على أن للسماء أبوابا لا يعبأ بما قاله الفلاسفة من استحالة الخرق والالتيام على الفلك المبني على قواعدهم الفاسدة و عقولهم الكاسدة .

و لعل الشارح البحرياني الجاء التقليد بهم إلى تأويل كلامه عليهم السلام في هذا المقام بما لا ينافي أصولهم حيث قال : وافتراق صوات أبوابها بعد الارتفاع هو جعلها أسباباً لنزول رحمته و مدبرات تنزل بواسطة حر كاتها على هذا العالم أنواع رحمة الله فكانت حر كاتها تشبه الأبواب إذهبى أبواب رحمته و مفاتيح جوده . و مثله ما ذكره في شرح قوله عليهم السلام : ( و أقام رصداً من الشهب الشوابق على نقابها ) حيث قال إنه استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم بما فرائتها من الأجسام والمجسدات ، وأنت خبير بأن كل ذلك تكليف لداعي إليه والأدلة على امكان الخرق وجود الأبواب فوق حد الاحداث ، و لعلنا نشبع الكلام في ذلك في مقام مناسب ، و المهم الآن شرح معنى كلامه عليهم السلام على مقتضى اسلوبنا و سليقتنا المفادة من الآيات والأخبار فأقول : مراده عليهم السلام بنقابها طرائقها كما قال سبحانه :

«وَالسَّمَاءُ ذَاتٌ الْحُبُكٌ»

فالمعنى بذلك إقامة الشهيب و إرصادها على المرصاد لطرد الشياطين عن استرافق

السبعم كما حكى الله ذلك في سورة الجن بقوله:

«وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا وَأَنَا كُنْتُ قَعْدًا مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْنَا يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصْدًا».

قال الطبرسي: ثم حكى الله الجن و قوله:

«وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ»

أى مستنثاها، وقيل: طلبنا الصعود إلى السماء فعبر عن ذلك بالمعنى المجاز. «فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَةً حَرَسًا شَدِيدًا» أى حفظة من الملائكة شداداً

«وَشُهْبًا»

والتقدير ملئ السماء من الحرس والشہب وهو جمع شہاب وهو نور يمتد من السماء كالنار.

«وَأَنَا كُنْتَ قَعْدًا مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ»

أى لاستراق السمع أى كان يتهدى لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع صوت الملائكة و كلامهم:

«فَمَنْ يَسْتَمِعُ» «مَنَا» «إِلَانَ» «ذُلْكَ» «يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصْدًا»

يرمي به ويرصد له، وشهابا مفعول به ورصدا صفتة قال معمر: قلت للنز هرى أكان يرمي بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم قلت: أفرأيت قوله:

«أَنَا كُنْتَ قَعْدًا مِنْهَا»

الآية قال: غلط وشد أمرها حين بعث النبي صلوات الله عليه وسلم (وأنمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيديه) أى أنمسكها بقدر تهوقته من الحركة والاضطراب في الهواء الذي هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصره في الذي بين السماء والأرض في المكان

الخالي الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً ، والمراد حركة أجزاءها فيما بين السماء والأرض و يؤيده قوله سبحانه :

« وَيُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ أَنْ تَقْعُدْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ »

( وأمرها أن تقف مستسلمة لا مره ) أي أمرها بالوقوف والقيام وأراد منها ذلك منقادة لارادته كما قال تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ »

قال الطبرسي : بلاد عامة تدعهما ولاعلاقة تتعلق بهما بأمر لهما بالقيام كقوله تعالى :

« إِنَّا أَمْرَنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »

و قيل بأمره أي بفعله وإمساكه إلا أن أفعال الله عز اسمه مضاد إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ في الاقتدار فكان قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان ، و معنى القيام الشبات والدّوام ( و جعل شمسها آية مبصرة لنهارها ، و قمرها آية ممحوّة من ليتها ) هو مأخوذ من قوله سبحانه في

سورة الاسرى :

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً لِتَبَتَّغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلًا »

وفي قوله : أحدهما أن يراه أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل و آية النهار للتبين كإضافة العدد إلى المعدود ، أي فمحونا الآية التي هي الليل وكانت مظلمة وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثانية أن يراه : وجعلنا آيتين الليل والنهر أى نيريهما آيتين ، فيكون المراد بهما الشمس والقمر و ظاهر كلام الإمام علي عليه السلام ربما يشعر بهذا القول ، و يدل على القولين قوله سبحانه :

«وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ  
وَلَا لِلنَّمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقُوكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَبْعُدُونَ»

أماً كون الأوّلين آيتين فلأنَّ كلَّ واحدٍ منهما مضادٌ للآخر معاند له، فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنَّهما غير موجودين بالذات بل لا بدّ لهما من فاعل يدبّرهما ويقدّرها بالمقادير المخصوصة، مضافاً إلى أنَّ مقتضى التضاد بين الشيئين أن يتقادس الأأن يتعاونا على سبيل المصالح، وهمامع تضادٍ هما وتنافيهما متعاونان على تحصيل منافع الخلق وصالحهم، فلو لا الليل لما حصل السكون والراحة، ولو لا النهار لما أمكن الكسب والمعيشة، ولو لا الليل لفسدت الزراعات بالحرارة، ولو لا النهار لفسدت بالبرودة، فهما من أقوى الآيات وأظهر البيّنات.

وأاماً كون الآخرين آيتين للصانع ودلilikin على وجود القادر المختار فلأنَّ الأجسام متماثلة فاختصاصهما بالحركة الدائمة دون السكون لا بدّ له من مخصص، وأيضاً انَّ كلَّ واحدة من تلك الحركات مختصة بكيفية معينة من البطوء والسرعة فلابدّ له أيضاً من مخصص على أنَّ تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوادتها ودوراتها متساوية بحسب المدة حالة عجيبة وصنعة بدعة لا بدّ لها من مدبر مقدر ومبعد مقندر، هذا.

وأاماً المقصود بمحسو آية الليل فلهم فيه قولان:  
أحدهما أنه هو ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أول الأمر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرًا كاملاً، ثم يأخذ في الانتفاش قليلاً قليلاً وذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.  
والثاني أنه هو الكلف في وجه القمر وكونه مطموس النور، فإنه بعد ما كان مساوياً للشمس في الضوء والنور أرسل الله جبريل فامر جناحه على وجهه فطمس عنه الضوء، ومعنى المحو في اللغة إذهاب الآخر، وقد استظهرنا هذا القول في التذليل

السادس من تذيلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى بعض الأخبار التي أوردناها هنا.

وربما يستظر القول الأول بقوله سبحانه:

«لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنَينَ وَالْحِسَابَ»

لأنَّ المحو إنما يؤثر في ابتعاد فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر وتقاصنه، فانَّ أهل التجارب تبيّنوا أنَّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحها ، مثل أحوال البحار في المد والجزر ومثل أحوال البحرات على ما يذكره الأطباء في كتبهم وأيضاً بسبب زيادة نور القمر وتقاصنه تحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبنية على رؤيه الأهلة.

وأمام المراد يجعل آية النهار مبصرة ففيه أيضاً قولان:

أحدهما أنَّ معنى كونها مبصرة كونها مضيئة نيرة ، قال الكسائي: العرب يقولون : أبصر النهار إذ الأضاء أقول : و لعل ذلك من حيث إنَّ الأضاءة لما كان سبباً للإبصار فاطلق اسم الإبصار على الأضاءة إطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

و ثالثهما أنَّ المبصرة التي أهلها بصراه فيها قال أبو عبيدة يقال : قد أبصر النهار إذا صار الناس يبصرون فيه ، كقولهم رجل مختبئ إذا كان أصحابه خبيءاً و رجل ضعف إذا كان دوابه ضعفاء ، هذا.

و بقى الكلام في إضافة الليل والنهر إلى السماء في كلامه كتابه ، ووجهها أنَّ استنادهما لما كان إلى حركة الفلك أضافهما إليها لتلك المناسبة (وأجرهما في مناقل مجريهما و قدر سيرهما في مدارج درجهما) أراد بالمناقل والمدارج منازل الشمس والقمر.

قال ابن عباس: للشمس مائة و ثمانون منزلة كل يوم لها منزل وذلك في ستة أشهر ثم إنها تعود إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى ، والقمر له ثمانية وعشرون منزلة.

وتحقيق المقام أنهم قسموا دور الفلك الذي يسير فيه الكواكب اثنا عشر فسماً وسموا كلّ قسم برجاً كما قال سبحانه:

**«وَالسَّمَاءُ ذَاتٌ بُرُوجٌ»** وقال: «تباركَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا»

قال الرازى البروج هي القصور العالية سميت بروج الكواكب لأنها بهذه الكواكب كالمنازل لسكنها ، ثم إنهم قسموا كلّ برج ثالثين قسماً وسموا كلّ قسم درجة وسموا البروج بهذه الأسماء:

الحمل ، الثور ، الجوزا ، السرطان ، الاسد : السنبلة ، الميزان ،  
العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت ، و الشمس تسير كلّ برج منها  
في شهر واحد ، فتحصل تمام دورتها لتلك البروج في سنة كاملة وبه تحصل السنة  
وهي ثلاثة وخمسة وستون يوماً وشيء ، تنزل كلّ يوم في منزل وما قاله ابن عباس  
في كلامه الذي حكينا له مبني على ما هو الشائع في السنة الناس من تقدير  
السنة بثلاثمائة وستين يوماً وإن لم يكن مطابقاً لشيء من حركة الشمس والقمر  
فتتأمل ، هذا

وما ذكرناه في سير الشمس إنما هو بحسب حركة لها الذاتية ، وأما حركة  
 بسبب حركة الفلك الأعظم فتنتهي في اليوم بليلته ، وأما القمر فيسير كلّ برج في  
أزيد من يومين ونقص من ثلاثة أيام وتمام دورتها في ثمانية وعشرين ليلة ، وله في  
كلّ ليلة منزل .

فمنازله ثمانية وعشرون مسماة بتلك الأسماء:

الشرطين ، البطرين ، الثريا ، الدبران ، الميقنة ، الهنعة ، النداء ،  
النشرة ، الظرفة ، الجبيرة ، الدبرة ، الصرفة ، العواء ، السماك ، الغفر ،  
الزبان ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، الشولان ، العوايم ، البلدة ، سعد الدايم ، سعد بلع ،  
سعد السعود ، سعد الاخبارية ، فرغ الدلو المقدم ، فرغ الدلو المؤخر ، الرشا ،  
وهو بطن الحوت

وإلى تلك المنازل أشير في قوله سبحانه :

« وَالْقَمَرُ قَدَّرَنَا هَمَانِازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيمِ »

أى قدّرنا مسيرة منازل أو سيره في منازل ينزل كل ليلة في واحدة منها ، فاذا كان في آخر منازله دق و استقوس حتى عاد كالعرجون أى كالشماراخ المعوج القديم العتيق .

قال نصير الملة والدين (ره) في محككي كلامه من التذكرة : و أمّا منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين التي قسمت المنطقة بها لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر .  
وقال الخفرى في شرحه : والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمر في يوم بليلته ، و منازل القمر عند الهند سبعة وعشرون يوماً بليلة وثلث ، فخذلوا الثالث لكونه أقل من النصف كما هو عادة أهل التنجيم .

و أما عند العرب فهي ثمانية وعشرون ، لا لأنهم تموّلا الثالث واحداً كما قال البعض ، بل لأنهم اما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلة مختلفة الا وايل بوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أخرى ، احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يستغلوا في استقبال كل فصل منها بما يهمهم ، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضعه من الشمس في قريب من ثلاثة وعشرين يوماً ويختفي في هذا الشهر ليلترين أو أكثر أو أقل فأسقطوا يومين من الثلاثة في تمنية وعشرون وهو الزمان الواقع في الأغلب بين رؤيته في العشيّات في أول الشهر ورؤيته بالغدوات في آخره ، فقسموا دور الفلك عليه ، فكان كل منزل اثنين عشرة درجة واحدى وخمسين دقيقة تقربياً أى ستة أسابيع درجة فتصيب كل برج منزلان وثلث .

ثم وجدوا الشمس تقطع كل منزل في ثلاثة عشر يوماً في التقرير فسار المنازل في ثلاثة وأربعة وستين يوماً ، لكن عود الشمس إلى كل منزل إنما يكون في ثلاثة وخمسة وستين يوماً ، فزادوا يوماً في أيام منازل غفرو قد يحتاج

إلى زيارة للكبيسة حتى تصير أيامه خمسة عشر ويكون انتقاء أيام السنة الشميسية مع انتقاء أيام المنازل ورجوع الأمر إلى منزل جعل مبهه.

ثم إنهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب عمر القمر أو يعاديه ، فيرى كل ليلة نازلا بقرب أحددها فان سترها يقال كفاحه أى واجهه فغلبه ولا يتقال به وإن لم يستره يقال : عدل القمر ويتقال به .

وقوله (ليميز بين الليل والنهر بهما ولعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما) الظاهر كون التمييز والعلم غایتين لمجموع الأفعال السابقة على حد قوله سبحانه في سورة الاسری :

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبَصِّرَةً لِتَبَتَّئُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ »  
وقوله في سورة يونس : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدْرَهُ مَنَازِلٍ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابَ »

ويحتمل كون التمييز غاية للأول والعلم غاية للأخير أو الآخرين فيكون نشرا على ترتيب اللف ، ومعناه على ذلك أنه تعالى جعل الشمس آية مبصرة والقمر آية ممحوّة ليحصل التمييز بين الليل والنهر بهما ، وأجرى الشمس والقمر في منازلهما وقد سيرهما في مناقلهما ليحصل العلم بعدد السنين والحساب بمقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما ، هذا .

و المراد بالحساب حساب ما يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهם ليتمكنوا بذلك من إتيان الحجّ والصوم والصلوات في أوقاتها ، ويعرفوا عدة المطلقة والمتوفّى عنها زوجها ، و مدة حلول آجال الديون و انتقضائهما ، ويرتبوا معاشهم بالزراعة والحراثة والفالحة في ساعاتها ويهيئوا مهارات الشتاء والصيف وضروريات العيش

في آنئها إلى غير هذه مما يحتاجون إليها في الدنيا والدين

«إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ»

(ثم علق في جو ها فلكرها) هذه العبارة من مشكلات كلامه عليه السلام.

وجهة الاشكال فيها من ثلاثة وجوه: أحدها أنه عليه السلام قال في صدر هذا

الفصل: ونظم بلا تعليق رهوات فرجها، فنفى التعليق في نظم الأجزاء ثم ينافي إثباته هنا وثانيها أن الجو عبارة عن مابين السماء والأرض من الهواء فما معنى تعليق الفلك فيه، ثم ما معنى الإضافة، وثالثتها أن المشهور أن الفلك هو السماء والأضافة في كلامه عليه السلام يفيد التغيير

ويرفع الاشكال عن الأول بحمل التعليق المنفي فيما سبق على التعليق بالعلائق المحسوسة والتعليق المثبت هنا على التعليق بالقدرة، وعن الثاني بحمل الجو على الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذي هو مكان الفلك ووجه اضافته إليها واضح، وعن الثالث يجعل المراد بالفلك مدار النجوم كما فسره به في القاموس.

وقال الشارح المعتزلي: أراد به دائرة معدل النهار، وفيه: المراد به سماء

الدنيا، وهو مبني على كون النجوم فيها على وفق قوله سبحانه

«إِنَّا زَيَّنَاهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ»

و على المشهور من عدم كون جميعها في السماء الدنيا فلعل الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه من السماوات كوكب يتحرّك بحركته، قاله في البحار ثم قال: ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السماء الذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدبر لها فكون فلكرها في جو هاظاهر أو يراد بالسماء الأفلاك الكلية وبالفلكل الأفلاك الجزئية الواقعة في جوفها (وناط بها زينتها من خفيات دراريهما و مصابيح كواكبها) أي علق بالسماء ما يزيّنها من الكواكب الخفية التي هي كالدر في السماء والنبياء، والكواكب التي هي بمنزلة المصباح يضيء وكونها زينة لها إما بضوئها أو باشتمالها على الاشكال

المختلفة العجيبة (ورمى مسترق السمّع بثواب شهابها) وفيه تلميح إلى قوله سبحانه  
 «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ»

أي إلّا من حاول أخذ مسموم من السماء في خفية فلحقه شعلة نار ظهر لاًّهل الأرض يبيّن لمن رآه ، وإلى قوله سبحانه :

«إِلَّا مَنْ حَطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ»

قال الطبرسي : والتقدير لا يتسمعون إلى الملائكة إلّا من وثب الوثبة إلى فريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلاباً بسرعة فلحقه وأصابه نار مضيئة محرقة ، والثاقب النير المضيء .

فإن قلت : تقدم ذكر الشهاب في قوله : وأقام رصداً من الشهاب الثواب على تقابها فما وجاهه بإعادتها ؟

قلنا : إنّه عليه السلام ذكر سابقاً أنه أقامها رصداً ، ونبيه هنا على أنّ إرصادها لرمي مسترق السمّع ، روى عن ابن عباس أنه كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمّع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى الناس ، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاثة سماوات ، ولما بعث محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه منعوا من السماوات كلّها ، وحرست السماء بالنجوم والشهاب من معجزات نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه لأنّه لم ير قبل زمانه ، وقيل : إنّ الشهاب يقتل الشياطين ، وقيل لا يقتتلهم .

قال الفخر الرازمي بعد ما عدد جملة من منافع النجوم :

و منها أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة الكفر ، يروي أن السبب في ذلك أن الجن كانت تسمع بخبر السماء ، فلما بعث محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه حرست السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقاً للسمّع رمي بشهاب

فأحرق ه لثلايَّنzel به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النبي ﷺ أمره ويرتاب الناس بخبره ، وهذا هو السبب في انقضاض الشهاب ، فهذا هو المراد من قوله تعالى وجعلناها رجوماً للشياطين.

و من الناس من طعن في هذا من وجوه:

أحدها أن انقضاض الكواكب مذكورة في كتب قدماء الفلاسفة قالوا إنَّ الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها قتلىك الشعلة هي الشهاب.

و ثانيةها أن هؤلاء الجنَّ كيف يجوز أن يشاهدو واحداً وألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم إنهم مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فان العاقل إذا رأى الهايكل في شيء مررًّا و مراراً امتنع أن يعود إليه من غير قائدة.

و ثالثتها أنه يقال : في تخن السماء مسيرة خمسماً عام فهو لا، الجنَّ إن نفذوا في جرم السماء و خرقوا له فهذا باطل لأنَّه تعالى نفى أن يكون فيه افطور على ما قال : فارجع البصر هل ترى من فطور ، وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك بعد العظيم فلم لا يسمعون كلام الملائكة حالكونهم في الأرض.

ورابعها أنَّ الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلة إما لأنَّهم طالعواها من اللوح المحفوظ ، أو لأنَّهم يتلقونها من وحي الله تعالى إليهم ، و على التقديرين فلم لا يمسكوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجنُّ عن الوقوف عليها.

و خامسها أنَّ الشياطين مخلوقون من النار و النار لا تحرق النَّار بل تقويها فكيف يتحمل أن يقال : الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهاب و سادسها أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوة فلم دام بعد وفات الرَّسول ﷺ .

و سابعها أنَّ هذه الرَّجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنا شاهد حر كاتها بالغة ولو كانت قرية من الفلك لما شاهدنا حر كاتها كمال نشاهد حر كات

الكواكب ، و إذا ثبت أن هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض كيف يقال إنها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك .  
 وثامنها أن هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار حتى يتوصل الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى الحق الضرر بهم .  
 و تاسعها لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب  
 والجواب عن السؤال الأول أننا لاننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجن و زجرهم ، يرى أنه قيل للزهري أكان يرمي في الجاهلية ؟ قال : نعم قال : أفرأيت قوله تعالى : «أَنَا كُنَّا تَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِسَمْعٍ كُمَنْ يَسْتَعِيْعُ الْأَنْتَيْرِيُّونَ يَعْذَّلُهُ شَهَابًا وَرَصَادًا»

قال : غلظت و شدد أمرها حين بعث النبي ﷺ .  
 والجواب عن السؤال الثاني أنه إذا جاء القدر عمي البصر ، فإذا فضى الله على طائفة منهم الحرق لطفيانها و ضلالها فيُضله من الدواعي المطممة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي إلى الهالك والبوار .  
 والجواب عن السؤال الثالث أنَّ بعد بين السماء والأرض مسيرة خمسة عشر فأياماً تُخْنَنُ الفلك فلعله لا يكون عظيماً .

والجواب عن السؤال الرابع ما روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبيطالب عن ابن عباس (ره) قال بينما رسول الله ﷺ جالس في نفر من أصحابه إدريسي بنجم فاستئنار فقال ﷺ : ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا ؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم أو يموت عظيم ، قال النبي ﷺ : فانها لاترمي لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى إذا فضى الأمر في السماء سبّحت

حملة العرش ثم سبّح أهل السماء وسبّح كلّ سماء حتى ينتهي التّسبيح إلى هذا السماء ويسْتَخِبِرُ أهل السماء حملة العرش مَا ذَلِكَ قَالَ رَبُّكُمْ فَيَخْبُرُونَهُمْ وَلَا يَزَالُ يَنْتَهِي ذَلِكَ الْخَبْرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِي الْخَبْرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ وَيَتَخَطَّفُ الْجَنَّ فِيهِمُونَ . فَمَا جَاءَ وَابْدَفُوهُ حَقٌّ وَلَكِنْهُمْ يَزِيدُونَ فِيهِ وَالجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ الْخَامسِ أَنَّ النَّارَ قَدْ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ نَارٍ أُخْرَى فَلَا يَقُولُ بَيْطَلُ الْأَضْعَفِ .

وَالجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ السَّادسِ أَنَّهُ إِنَّمَا دَامَ لَا نَهَى اللَّهُ عَنِ الْأَوْلَيَاتِ أَخْبَرَ بِبَطْلَانِ الْكَهْنَةِ فَلَوْلَمْ يَدْمِدْ هَذَا الْقَذْفُ لِعَادَتِ الْكَهْنَةُ وَذَلِكَ يَقْدِحُ فِي خَبْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَطْلَانِ الْكَهْنَةِ .

وَالجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ السَّابِعِ أَنَّ الْبَعْدَ عَلَى مَذْهَبِنَا غَيْرَ مَانِعٍ مِنِ السَّمَاعِ فَلَعْلَهُ تَعَالَى أَجْرَى عَادَتِهِ بِأَنَّهُمْ إِذَا وَقَعُوا فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ سَمِعُوا كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ . وَالجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ الثَّامِنِ لَعَلَّهُ تَعَالَى أَفْدَرَهُمْ عَلَى اسْتِمَاعِ الْغَيْوَبِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَأَعْجَزَهُمْ عَنِ اِيمَانِ أَسْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْكَافِرِينَ .

وَالجَوابُ عَنِ السُّؤَالِ التَّاسِعِ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ عَلَى سَبِيلِ الْاِخْتِصَارِ اِنْتَهِي .

وَقَالَ الْمَحْدُثُ الْمَجْلِسِيُّ (رَه) بَعْدَ تَقْلِيلِ كَلَامِ الرَّازِيِّ وَأَجْوبَتِهِ : أَقْوَلُ الْأَصْوَبَ فِي الْجَوابِ عَنِ الْثَالِثِ أَنْ يَقُولَ : قَدْ ظَهَرَ أَنَّ لِلسمَاءِ أَبْوَابًا يَصْعَدُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ وَصَعَدُ مِنْهَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِيسَى وَإِدْرِيسُ عَلَيْهِمُ الْكَفَلَةُ بِلِ أَجْسَادِ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ عَلَى قَوْلٍ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ الْجَنَّ كَانُوا يَصْعَدُونَ قَبْلَ عِيسَى عَلَيْهِ الْكَفَلَةِ إِلَى مَا تَحْتَ الْعَرْشِ وَبَعْدَ بَعْشَتِهِ كَانُوا يَصْعَدُونَ إِلَى الْرَّابِعَةِ وَبَعْدَ بَعْشَتِهِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الْكَفَلَةُ مَنْعِلًا عَنْ صَعُودِ السَّمَاءِ مَطْلَقًا بِالشَّهَبِ ، فَصَعُودُهُمْ إِمَّا مِنْ أَبْوَابِهَا أَوْلَكُو نَهْمِهِمْ اجْسَامًا طَفِيفَةً يَمْكُنُهُمُ التَّفُوزُ فِي جَرْمَهَا وَلَعْلَهُ (١) الْمَرَادُ بِالْفَطُورِ فِيهَا أَنَّ تَرَى فِيهَا شَقُوقَ وَثَقَبَ أَوْ تَنْهَمَ وَتَنْحَلَّ أَجْزَائِهَا فَلَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ .

١-يَعْنِي أَنَّ مَا ذَكَرَ نَاهٌ لَابِنَا فِي الْفَطُورِ الْمُنْفَى عَنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هُلْ تَرَى مِنْ فَطُورِ .

( وأجرها على أدلال تسخيرها ) أي على مجازي تسخيرها أو وجوه م فهو يسأها وفيه تلميح إلى قوله تعالى:

«**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**  
**تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ**»

قال الطبرسي<sup>رحمه الله</sup> (ره) : أي مذلات جاريات في مجاريهن بتديريه و صنعه خلقهن لمنافع العباد.

وقال الفخر الرازى<sup>رحمه الله</sup> ، كون الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره يحتمل وجوها:

أحدها أنا قد للنا أن الأ جسام متماثلة ، و متى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشديد والتدبيبات العجيبة في العالم العلوي والسفلي لابد و أن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم و المقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات ، فجسم كل واحد من الكواكب والنيرات كالمسخر في قبول تلك القوى والحواس عن قدرة المد بر العليم .

و ثانيةاً أن يقال : إن لكل واحد من أجرام الشمس و القمر و الكواكب سيراً خاصاً بطيئاً من المغرب إلى المشرق و سيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم ، فالحق سبحانه خص جرم الفلك الأعظم بقوة زائدة على أجرام سائر الأفلاك و باعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهـر من المشرق إلى المغرب فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخرة لهذا القـهر والقسر ثم ذكر بما في الوجوه ولاطائل تحتها.

و قوله عز وجل<sup>عز وجل</sup> : ( من ثبات ثابتها و مسیر سائرها ) بيان لوجه تسخيرها و ثبات الشوابـت بالنسبة إلى سير السيارات.

والمراد بالسيارات الكواكب السبعة وهي: القمر ، و عطارد ، و زهرة، و الشمس والمريخ ، والمشترى ، و الزحل ، و يسمى الشمس والقمر بالنـيرـين ، والخمسـة

الباقي بالمحيرة لأنّ لكلّ واحد منها استقامة ثمّ وقوفاً ثمّ رجوعاً ثمّ وقوفاً ثانيةً ثمّ عوداً إلى الاستقامة وليس للتنيرين غير الاستقامة، والمراد بالشوابت إما سائر الكواكب على السماه غير هذه السبعة أو خصوص ما في كرة البروج.

وفي توحيد المفضل قال : قال الصادق عليه السلام : فكر يا مفضل في النجوم و اختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق من اكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة ، وبعضاها تنتقل في البروج وتفرق في مسيرها ، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين ، أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب ، والأخر خاصّ لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرّحا ، فالرّحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال و النملة تتحرّك في تلك حرّكتين مختلفتين ، إحداهما بنفسه فتتجوّه أمامها ، والآخر مستقرّة مع الرّحا تجذبها إلى خلفها ، فاسأل الزّاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالأهمال من غير عمد ولا صانع لها مامنعها كلّها أن تكون راتبة أو تكون كلّها متنقلة ؟ فانّ الأهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحرّكتين مختلفتين على وزن وتقدير ؟ ففي هذا بيان أنّ مسیر الفريقين على مايسيران عليه بعدم وتدبير وحكمة وتقدير وليس بأهمال كما تزعمه المعطلة .

فإن قال قائل : ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضاها متنقلة ؟  
 قلنا : إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقل المتنقلة ومسيرها في كلّ برج من البروج كما قد يستدلّ على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس و النجوم في منازلها ، ولو كانت كلّها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليها ، لأنّه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الرّاتبة كما يستدلّ على سير السّاير على الأرض بالمنازل يجتاز عليها ، ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المأرب فيها ولساغ لقائل أن يقول : إنّ كيرونيتها على حال واحدة توجب عليها الاهتمام من الجهة التي وصفنا . ففي اختلاف سيرها وتصيرها وما في ذلك من المأرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتديير فيها .

( وهبواطها وصعودها ونحوتها وصعودها ) المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجمين ، أو التوجه إلى حضيض الحامل فان للكواكب صعوداً في الأوج وهبواطاً في الحضيض أو التوجه إلى الغروب فيكون الهبوط حسناً ويقابل الصعود فيما ذكر .

والمراد بالسعود والنحوس كون اتصالات الكواكب أسباباً لصلاح حال شيء من الأشياء من أحوال هذا العالم وأسباباً لفساده .

قال المنجمون : زحل والمریخ نحسان أكبر هما زحل ، والمشتري والزهرة سعدان أكبرهما المشتري ، وعطارد سعد مع السعدون ونحس مع النحوس ، والنيران سعدان من التشليث والتسدیس نحسان من المقابلة والتربیع و المقارنة ، والرّأس سعد والذنب والکبد نحسان ، والله العالم بحقایق ملکه وملکوته .

### الترجمة

بعض دیگر از این خطبه در صفت آسمان است میفرماید :

ترتیب داد حق سبحانه و تعالی بدون قید و علاقه پست و بلندی فرجه های آنرا و ملئش نمود و بهم در آورد شکاف های گشاد کی آنرا و بهم پیوست میان آنها و میان زوجه های آنها و ذلیل و آسان نمود بجهة ملائکه که نزول کننده اند بامر او سبحانه وصعود نماینده اند با عمله های بندگان او دشواری نزد بانه های آسمان هارا ، و ندا نمود آنها را بعد از اینکه بود دود پس بهم آمد بنده های ریسمان های آنها و گشود بعد از بهم پیوستن در های بسته آنها را ، و برپا نمود دیده بانها از شهاب های درخشان بر راهها و منفذ های آنها ، و نگه داشت آنها را از این که حرکت نمایند و مضطرب گردند در شکاف هوا با قوت خود ، و أمر کرد آنها را باینکه بایستند در حالتی که اتیاد و تسلیم نمایند فرمان اورا .

و گردانید آفتاب آسمان را : - کار برای روز آن ، و ماه آنرا علامتی محوشده از شب آن ، و جاری فرمود مهر و مده را در موضع انتقال که جای جریان ایشانست ، و مقدر کرد سیر ایشان را در راه های درجه های ایشان تا تمیز دهد شب

وروز را بآن مهر و ماه و تا دانسته شود شماره سالها و حسابها بمقدار حرکات این دو کوکب، پس از آن درآویخت در فضای آسمان فلکرا که محل دوران کوکب است، و منوط ساخت بآن زینت آنرا از ستارگان پنهان که مثل درند در صفا و از چراغهای ستارها و انداخت یسوی شیاطین که بدزدی و سرفت گوش دهنده‌گانند تایندکه اسرار ملائکه را مطلع شوند بشهابهای درخششده سوراخ کننده و جاری ساخت ستارگانرا بر مجاری تسخیر و مقهوریت آنها از ثبات کوکب ثابت و سیر کردن ستارگان رونده، و از هبوط کردن ایشان بحضور حامل، و صعود نمودن ایشان باوج حامل و از سعادت آنها و نحوست آنها.

### الفصل الخامس

مِنْهَا فِي صَفَةِ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمْوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ  
 الصَّفِيفِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأَ بِهِمْ فَرُوحَ  
 فِجَاجِهَا، وَحَسَابِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَيَنِّ فُجُوجَاتِ تِلْكَ الْفَرُوحِ ذَجَلُ  
 السُّبَّاحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَارِ الْقُدْسِ، وَسُرُّرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ،  
 وَوَرَاءَ ذِلْكَ الرِّجْيجُ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُّحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ  
 الْأَبْصَارَ عَنْ بُلوغِهَا، فَتَقِيفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا، أَنْشَأَمْ عَلَى صُورِ  
 مُخْتَلِفَاتِهِ، وَأَقْدَارِ مُتَفَوِّتَاتِهِ، أُولَي أَجْنَحَةٍ سُبْحُ جَلَالَ عَزِّهِ، لَا يَنْتَهِي لِيُونَ  
 مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَهْمُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعْهُ مِمَّا

اَنْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبَادُ مُكْرَمَوْنَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْلُوْنَ .  
 جَحَّلُهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَىٰ وَحْيِهِ ، وَحَمَّلُهُمْ إِلَىٰ الْمُرْسَلِينَ  
 وَدَأْتَعَ أَمْرِهِ وَتَهْيِهِ ، وَعَصَمُهُمْ مِنْ رَبِّ الشَّهَّابَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَآئِنُّ مِنْ  
 سَبِيلٍ مَرْضَايِهِ ، وَأَمْدُهُمْ بِفَوَادِ الْمُعْوَنَةِ ، وَأَشْعَرَ فُلُوْبَهُمْ تَوَاضِعَ إِخْبَاتِ  
 السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلًا إِلَىٰ تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا أَوْ اضْحَةً  
 عَلَىٰ أَعْلَامٍ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُنْقِلُهُمْ مُوسِرَاتُ الْأَنَامِ ، وَلَمْ تَرْجِلُهُمْ عَقْبُ الْلَّيَالِي  
 وَالْأَيَّامِ ، وَلَمْ تَرِمْ الشَّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةً إِيمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَفْتِرِكِ الظُّنُونُ  
 عَلَىٰ مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَّحَتْ قَادِحَةُ الْأَحَنِ فِيمَا يَنْتَهُمْ ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ  
 الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَبَبَةَ جَلَالِهِ  
 فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوسُ فَتَقْتَرَعَ بِرَبِّيهَا عَلَىٰ فَكَرِيرِهِمْ  
 مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدَّلْحِ ، وَفِي عَظِيمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ ، وَفِي  
 قُفْرَةِ الظَّالِمِ الْأَيَّامِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ حَرَقتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومُ الْأَرْضِ  
 السُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَایاتٍ يَلِيسُ قَدْ نَفَدَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ ، وَتَعْتَهَا  
 رِيحٌ هَفَافَةٌ تَجْبِسُهَا عَلَىٰ حَيْثُ اُنْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَّةِ ، قَدْ اسْتَفَرَ عَنْهُمْ  
 أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ ، وَوَصَّلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ يَنْتَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطْعَهُمْ  
 الْإِيقَانُ بِهِ إِلَىٰ الْوَلَهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تُجاوزْ رَغْبَاهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ تَعْزِيزٌ .

قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشرعوا بالكأس الروية من محبته،  
وتمكنت من سواده قلوبهم وشيبة خيفته، فحنوا بطول الطاعة  
اعتدال ظورهم، ولم ينفي طول الرغبة إلى مادة تضرعهم، ولا أطلق  
عنهم عظيم الزلفة ربّق خشوعهم، ولم يتواهم الاعجاب فيستكثروا  
ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الأجلال نصيباً في تنظيم  
حسنااتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دعوه لهم، ولم تعفن رغباتهم  
في خالقها عن رجاء ربّهم، ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم،  
ولامكتهم الأشغال فتنقطع بهم الجوار إلى أصواتهم، ولم تختلف  
في مقاوم الطاعة منها كيدهم، ولم ينبعوا إلى راحة التقصير في أمره رقاهم،  
ولا تندوا على عزيمة جديهم بلاده الفقلات، ولا تنتصل في همهم خداع  
الشهوات.

قد التذدوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويموئه عند انقطاع  
الخلق إلى المخلوقين برغباتهم، لا يقطعون أمة غاية عبادته، ولا يرجعُ  
بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من  
رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فيتوها في جديهم، ولم  
تأسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهاجم، ولم يستعظموا

ما مضى من أعلمهم، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسْخَ الرَّجَاءِ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجِيلِينْ  
وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاِسْتِحْوَادِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ؛ وَلَمْ يَفْرُّوْهُمْ سُوَّةَ التَّقَاطِعِ،  
وَلَا تَوَلُّهُمْ غَلَّ التَّحَاسِدِ، وَلَا شَعْبَثُهُمْ مَصَارِفُ الْرَّوَابِ، وَلَا اِفْتَسَتُهُمْ  
أَخْيَافُ الْهَمِّ، فَهُمْ أَسْرَاءٌ إِنْيَانٌ لَمْ يَفْكُرُوهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْنٌ وَلَا عُدُولٌ،  
وَلَا وَتَأْ وَلَا قُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ مَوْضِعٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ  
مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعِ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاغَةِ بِرَبِّهِمْ عَلَيْهَا،  
وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا .

## اللغة

(عماره) المنزل جعله أهلاً ضدّ الخراب الذي لا أهلاً له يقال عمره الله منزلك  
عمارة و أعمره جعله أهلاً و (الصفيحة) السماء و وجه كلّ شيء عريض قاله في  
القاموس ، و وصفه بالأعلى بالنسبة إلى الأرض لأنّه الصفيح الأسفل ، فما في شرح  
المعتزلية من تفسيره بسطح الفلك الأعظم ليس بشيء بل مخالف لكلام الإمام عبد الله  
مضافق إلى مخالفته لتفسير أهل اللغة إذ كلامه هنا و في الخطبة الأولى صريح في  
عدم اختصاص مسكن الملائكة بالفلك الأعظم ، حيث قال ثمة : ثمّ فتق ما بين  
السماءات العلى فملاهُنْ أطواراً من ملائكته ، و ذكر هنا أنه تعالى ملأ بهم فروج  
فجاجها و حشابة فتوّق أجوانها.

و (الملكون) كرهبوت العزّ والسلطان ، قال بعض اللغويين : إنَّ أَهْلَ التَّحْقِيقِ  
يستعملون الملك في العالم الظاهر والملكوت في العالم الباطن ، و قال : إنَّ الواو  
و التاء فيه كمامي رهبوت و رغبوت و جبروت و تربوت زيدات للمبالغة فيكون معنى الملكوت  
الملك العظيم و (الجاج) بكسر الفاء جمع فجّ بفتحها قال سبحانه :

## «مِنْ كُلٍّ فَحْيٌ عَمِيقٌ»

و هو الطريق الواسع بين الجيلين و (حشوت) الوسادة بالقطن جعلتها مملوّة منه و (الفجوات) جمع فجوة وهي الفرجة والموضع المتّسعة بين الشيئين و (الزجل) محرّكة رفع الصوت مصدر زجل كفرح و (الحظيرة) بالحاء المهملة والظاء المعجمة الموضع الذي يحيط عليه لتأوي إلية الأبل والغنم وغيرهما ليقيها من الحر والبرد و (القدس) بسكن الدال و ضمّها الطهر و (السترات) بضمّتين جمع سترة بالضمّ وهو ما يستتر به كالستارة و (السرادق) الذي يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف و (المجد) الشرف والعظمة و (الرجيج) الزلزلة والاضطراب و منه رجيج البحر و (استكّت) المسامع ضاقت و صمت.

قال الشاعر:

و نبَّئت خير النّاس أَنْكَ لِمْتَنِي و تلك التي تستكّ منه المسامع  
و (السبحات) بضمّتين النور والبهاء والجلال والعظمة و قيل: سبحات الوجه محسنه  
لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله تعجبًا و (ردّه) كمنعه كفه وردّه  
و (خساً) البصر كلّ من باب منع والخاصيّ من الكلاب و نحوها البعيد الذي  
لا يتدرك أن يدنو من الناس و (تسبيح) من التسبيح وفي بعض النسخ تسبيح من  
السباحة و في هذه النسخة (خلال) بالحاء المعجمة المكسورة وهو وسط الشيء  
أو جمع خلل بالتحريك وهو الفرجة بين الشيئين ، وفي بعضها جلال بحار عزّته  
و (انتحل) الشيء إذا ادعاه لنفسه وهو لغيره و (حملهم) بتشدید الميم و (الزيغ)  
العدول عن الحق قال سبحانه:

## «ما زاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى»

و (استعنت به) فأعانتي وقد يتعدّى بنفسه فيقال استعنته فأعانتي والاسم منه العون  
والمعونة المعونة بفتح الميم و ضمّ الواو على وزن مكرمة و بضمّ العين أيضاً واتباع  
الواو على وزن مقوله.

قال الفيومي: وزن المعونة مفعلة بضمّ العين و بعضهم يجعل الميم أصلية ويقول

هي مأخوذة من الماعون و يقول هي فعولة و (أشعر) قلوبهم من شعرت بالشيء  
شعوراً من باب قعد علمت و قيل مأخوذ من الشعار و هو ما يلبس تحت الدثار أى  
الزم قلوبهم تشبيهها بلزم الشعار للبدن و (أختب) الرجل خضع لله و خشع قلبه  
و (السكينة) الوقار والطمأنينة والمهابة و (الذلل) بضمتين جمع الذلول وهو ضدّ  
الصعب و (مجده) تمجيداً عظمه و أتنا عليه والجمع للدلالة على الأنواع و (الأعلام)  
جمع علم بالتحريك وهو الجبل الطويل قال الشاعر:

ربما او فيت في علم ترعن ثوبى شماليات

و (الاصر) الثقل و (العقب) جمع العقبة كغرف وغرفة وهي النوبة والليل والنهر  
يتناوبان أى يتناوبان و يجيء كلّ منهما بعد الآخر و (نواعتها) في بعض النسخ  
بالعين المهمّلة من نزع في القوس إذا مدّها و في بعضها بالغين المعجمة من نزع  
الشيطان بين القوم أى أفسد و (الاعتراك) الازدحام و (فقد) بالزندمن باب منع أى  
رام الایراء به و هو استخراج النار و (أحن) الرجل من باب تعب حقد وأضرم  
العداوة، والاحنة اسم منه والجمع احن كسدرة و سدر و (لاق) الشيء بغیره أى  
لزق و منه الليقة للسوق المداد بها و (الاقتراع) الضرب بالقرعة والاختيار.

و في شرح المعترلي هو من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كلّ من الوساوس  
عليها ، والأُنْسَب أن يجعل المزید بمعنى المجرد يقال قرعته بالقرعة ضربته بها،  
و في بعض النسخ فتفترع بالفاء من فرعه أى علاء والأُنْسَب بالطبع و (الرّين)  
بالتون كما في بعض النسخ وهو الدنس والطبع والقطاء وران ذنبه على قلبيهينا  
غلب ، و في بعضها بالياء الموحدة بمعنى الشكّ.

و (الغمام) جمع الغمامه و (الدَّلْج) بالحاء المهمّلة جمع دالح كراكع و ركع  
يقارب سحاب دالح أى ثقيل بكثرة مائه و (الشمسين) بالخاء المعجمة جمع الشامخ  
و هو المرتفع العالى و (القترة) بالضمّ بيت الصايد الذي يستتر به عند تصيده من  
خص و نحوه ، والجمع قتر مثل غرفة وغرف و (الايم) الذى لا يهتدى فيه ومنه فلاته  
يهماء و (تخوم) الأرض بالضم حدودها و معالمها، قال الفيومى : التخم حد الأرض

و الجمع تخوم مثل فلس و فلوس ، و قال ابن الاعرابي و ابن السكّيت الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول و رسل .

و (ريح هفافة) طيبة ساكنة و (وصلت) في بعض النسخ بالسين المهملة المشددة يقال و سل إلى الله توسيلًا و توسلًا عمل عملاً يقرب به إليه و (الوله) محرّكة شدة الوجد أو ذهاب العقل و (شربوا بالكأس) بتثليث الراء أو الكسن مؤثثة و (الرّوية) المروية التي تزيل العطش و (سويداء) القلب و سوداؤه حبته و (الوشيعة) في الأصل عرق الشجرة يقال : و شجت العروق والأغصان أى اشتبتكت و (حنين) العود ثنيته و حنيت ضلعي عوجتهم يقال للرجل إذا انحنى من الكبير : حناه الدّهر .

و (اعجب) زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترفع و سرّ بفضائله وأعجبني حسن زيد إذا أعجبت منه قال الفيومي : والتعجب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل و معناه الاستحسان والأخبار عن رضاه به ، والثاني ما يذكره و معناه الانكار والذمّ له ففي الاستحسان يقال أعتبرني بالآلف و في الذمّ والانكار عجبت وزان تعجب و (الفترات) جمع الفترة مصدر بنية للمرة من فتر الشيء فتوراً سكن بعد حدة و لأن بعد شدة .

و (دأب) في عمله من باب منع دأباً و دأباً بالتحريك و دؤباً بالضمّ جدّ و تعب .

و (غامض) الماء غينا من باب سارقلّ و نقش و (اسلة) اللسان طرفه و مستدقّه و (الهمس) محرّكة الصوت الخفيّ و (الجوّار) وزان غراب رفع الصوت بالدعاء و التضرّع و (المقاوم) جمع مقام و (ثنا) الشيء يثنى و يثنى من باب رمي و دعا ردّ بعضه على بعض و ثنيته أيضاً أى صرفته إلى حاجته و (بلد) الرجل بالضمّ بلادة فهو بليد أى غير فطن ولا ذكي و (ناضلته) مناضلة راميته فضلته نضلاً من باب قتل غلبيته في الرمي و انتضل القوم رموا للسبق و (الهمة) ما همّ به من أمر ليفعل و (يمسمته) قصدته و (الأمد) المنتهي و قد يكون بمعنى امتداد المسافة و (رجع) يكون لازماً و متعدّ ياتقول رجع زيد و رجعته أنا و (اهتر)

فلان بكمدا و استهتر بالبناء للمفعول فهو مهتر و مستهتر بالفتح أولع بلا يتحدد  
بغيره ولا يفعل غيره ، والاستهتار الولع بالشىء لا يبالى بما فعل فيه وشم له .  
و (الونى) الضعف والفتور من ونى في الأمر من باب تعب و وعدو (الوشيك)  
القريب و السريع و (نسخ) الشيء إزالته وإبطاله و (استحوذ) عليه الشيطان  
استولى و (التقطاع) التعادي و ترك البر و الاحسان و (توليت) الأمر قمت به  
و (الفل) الحقد و (الشعبية) من كل شيء الطائفة منه وشعبهم أى فرقهم وفي  
بعض النسخ تشعيتهم على التفعّل و الأول ظهر و (الريب) جمع الريبة  
وهو الشك .

و (أخياف) الهم اختلافها وأصله من الخيف بالتحريك مصدر من باب تعب  
و هو أن يكون إحدى العينين من الفرس زرقاء والأخرى كحلاه ، فالفرس أخياف  
و الناس أخياف أى مختلفون ، و منه قيل لاخوة الأم : أخياف لاختلافهم من حيث  
الأب و (الاهاب) ككتاب الجلد و (الحافد) المسرع والخفيف في العمل ويجمع  
على حقد بالتحريك ويطلق على الخدم لسراعه في الخدمة و (العظم) وزان عن  
خلاف الصغر مصدر عظم و في بعض النسخ بالضم وزان قفل وهو اسم من تعظيم  
أى تكبير .

### الاعراب

قوله : و بين فجوات آه الجملة حال من مفعول حشا ، و قوله : و وراء ذلك  
خبر قدم على مبتدئه و هو سبحات ، و الابصار في بعض النسخ بالنصب على أنه  
مفعول تردد و فاعلها راجع إلى سبحات ، و في بعضها بالرفع على بناء تردد للمفعول ،  
و أنشاهم عطف على ملاه بهم ، وأولى أجنبحة حال من مفعول أنشا ، و جملة تسبيح  
صفة لأولى أجنبحة أو لاجنبحة ، و جملة لا ينتحلون حال ، و اللام في قوله : بالقول عوض  
عن المضاف إليه أى لا يسبقون الله بقولهم .

و قوله إلى المرسلين متعلق بحملهم على تضمين معنى البعث أو الإرسال أو  
نحوه ، و وداعع أمره بالنصب مفعول حملهم ، و جملة لم تقل لهم استئناف بياني ، والباء

في قوله ﴿لَتَذَرُّ﴾ : وشربوا بالكأس إِمَّا للاستعانة ، أو بمعنى من وربما يضمن الشرب معنى الالتجاذ ليتعدّى بالباء و الكلمة من في قوله ﴿لَتَذَرُّ﴾ : من قلوبهم ابتدائية أى إلى مواد ناشئة من قلوبهم ، وفي قوله ﴿لَتَذَرُّ﴾ ، من رجائه بيانية ، فالمراد الخوف والرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة ، ويحتمل أن يكون الأولى بيانية أو ابتدائية والثانية صلة للانقطاع .

### المعنى

اعلم أَنَّ هذا الفصل من كلامه ﴿لَتَذَرُّ﴾ متضمن لبيان صفات الملائكة و كيفية خلقهم وحالة عبوديّتهم وخشوعهم وذلتهم لمعبودهم ، وقد مضى شطره اول من الكلام على هذا العنوان في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى ، وتقدّم ثمة ما ينفعك في هذا المقام ولما كان الغرض من هذه الخطبة الاشارة إلى عظمة الله سبحانه و قدرته والإبانة عن الصفات الجمالية والجلالية له تعالى ، وكان ملائكة السموات من أَفْضَلِ الْمُوْجُودَاتِ و أَشْرَفَ الْمُجَعَّلَاتِ و عجائبِ الْخَلَاقِ و بِدَائِعِ الصَّنَاعَاتِ و عظيم المخلوق كان دالاً على عظم الخالق وبداع صنعة المصنوع كان دليلاً على كمال قدرة الصانع وتدبيره وحكمته ، لاجرم ساق ﴿لَتَذَرُّ﴾ هذا الفصل لبيان حالهم وضمنه ذكر أوصافهم المختلفة وشئوناتهم المتفاوتة بعبارات رائقة وبدائع فائقة .

قال الشارح المعتزلي و لنعم ما قال : إذا جاء هذا الكلام الرّباني و اللّفظ القدسي بطلت فصاحة العرب و كانت نسبة الفسيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الحالص ، ولو فرضنا أَنَّ العرب تقدّر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت بهذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهلية قبل الصحابة المعاصرة ولرسول الله ﷺ بهذه المعانى الغامضة السّمائية ليتهيأ لها التعبير عنها .

أما الجاهلية فأنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بغير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات و نحو ذلك .

و أما الصحابة المذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحد هم كلمات

لایتجاوز السطرين أو الثلاثة إما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا و ما يتعلّق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب.

فأمّا الكلام في الملائكة و صفاتها و عبادتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و بحبه له و ولهم إليه و ما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل بطوله فانه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل ، نعم ربّما علموا جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم ، فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلى علّي عليه السلام وحده ، و اقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمله الليّب اقشعر جلده و رجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه و خلده و هام نحوه و غالب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكنه شوقاً و أن يفارق هيكله صباة و وجدأ.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول : قال عليه السلام ( ثم خلق سبحانه لا يمكن سمواته و عمارة الصفيح الأعلى من ملكته خلقاً بديعاً من ملائكته ) ظاهر الكلمة ثم المفيد للتترتيب الحقيقي كون خلق الملائكة بعد خلقة السماوات ، ويدلّ عليه أخبار كثيرة إلا أنّ في بعض الرّوايات سبق خلقة الملائكة على خلقة السماوات ، و يمكن الجمع بالتفصيص هبنا بسكن السماوات الذين لا يفارقونها ، والمراد بالصفيف الأعلى سطح كلّ سماء ، و يقابلها الصفيح الأسفلي الذي هو الأرض ، و يظهر من ذلك عدم تلاصق السماوات على ما ذهبت إليه الفلسفة من غير دليل يعتمد عليه.

و أمّا ما في شرح البحراني من أنّه يحتمل أن يشير عليه السلام بالصفيف الأعلى إلى الفلك التاسع وهو العرش لكونه أعظم الأجرام وأعلاها وسكانه الملائكة المذكورون له ، فنبني على أصول الفلسفة مخالف للأخبار و كلام أهل اللغة حسبما عرف آنفًا في ترجمة لفظ الصفيح ، و مخالف أيضاً لظاهر قوله عليه السلام ( فملا بهم فروج فجاجها و حشابهم فوق أجواها ) إذ المستفاد من ذلك أنّ ما بين السماوات مملوّة بهم فيكون السطوح المحدّبة منها محل إسكان الملائكة و مكان عبادتهم الله سبحانه

بأنواع العبادة و يستفاد منه أيضاً تجسم الملائكة و هو المستفاد من الأخبار المتواترة معنى.

والعجب أن شارح البحرياني أول ذلك أيضاً بناء على الأصول الفاسدة بأنه عليه السلام استعار لفظ الفروج والفحاج و الفتوق لما يتصور بين أحجام الفلك من التباين لولد الملائكة الذين هم أرواح الأفلاك و بها قام وجودها ، و بقاء جواهرها محفوظة بها ، و وجه المشابهة ظاهر ، و رشح تلك الاستعارة بذكر الملاه والخشوع ، و أما فجاجها و فروجها فإشارة إلى ما يعقل بين أحجامها و أحجامها المنتظمة على التباس لو لا النظام لها بوجود الملائكة ، فيكون حشو تلك الفرج بالملائكة كنایة عن نظامها بوجودها و جعلها مدبرة لها انتهى.

وقد مضى فساد ذلك وبطليانه في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى فتذكّر (و بين فجوات تملك الفروج ) ومتسعاتها ( زجل المسبيحين منهم) وأصواتهم الرفيعة العالية بالتضرع والابتهاج والمسكينة ( في حظاير القدس و سترات الحجب و سرادقات المجد ) لعل المراد بها المواضع المعدّة لعبادة الملائكة بين أطبق السماوات و وصفها بالقدس من حيث اتصفها بالطهارة والنزاهة من الأدناس والأرجاس و يمكن أن يكون الاشارة بها إلى ماقبل السماء السابعة من الحجب والسرادقات النورانية.

ففي الخبر أن ماقبل السماء السابعة صحراء من نور ، ولا يعلم فوق ذلك إلا الله.

و عن وهب بن منبه فوق السماوات حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضاً لكثراهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة و أصوات كالرعد العاصف ، هذا.

وقد أشار عليه السلام إلى تفصيل الحجب و السرادقات فيما رواه الصدوق في التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب ، فقال عليه السلام : أول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسة عام و بين كل حجابين مسيرة خمسة عام ، والحجاب الثاني سبعون حجابا بين كل حجابين مسيرة خمسة

عام و طوله خمسة عشر حجبة كل حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كل ملك منهم قوة الشَّقْلِين، منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، و منها مطر ، و منها رعد ، و منها ضوء ، و منها رمل ، و منها جبل ، و منها عجاج ، و منها ماء ، و منها أنهار ، وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام .

ثم سرادقات الجلال وهي ستون «سبعون» سرادقًا في كل سرادق سبعون ألف ملك بين كل سرادق و سرادق مسيرة خمسة عشر حجابة كل سرادق العز، ثم سرادق الكبراء، ثم سرادق العظمة، ثم سرادق القدس، ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق الفخر، ثم سرادق النور الأبيض، ثم سرادق الوحدانية، وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام، ثم الحجاب الأعلى و انتقضى كلامه تَلَقَّلَ و سكت ، فقال له عمر : لا يقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن.

قال المجلسي (رم) بعد رواية ذلك في البحار : قوله تَلَقَّلَ منها ظلمة، لعل المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدمة كما يدل عليه قوله غلظ كل حجاب او ( و وراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع ) والزجل الذي تنسد منه الآذان ( سبحات نور تردع الأ بصار عن بلوغها ) و تمنع الأعين عن وصولها لشدة ضيائها و فرط بهائها (تفتق) الأ بصار (خاستة) حسيرة ( على حدودها ) أي حدود تلك السبحات ، و يستفاد من شرح المعتزلي رجوع الضمير إلى الأ بصار ، قال : أي تقف حيث تنتهي فوتها ، لأن قوتها متناهية فإذا بلغت حد ها وقفت هذا .

والمراد بسبحات النور إما الأنوار التي تغشى العرش .  
ويدل عليه ما روى عن ميسرة قال : لاتستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور .  
و عن زاذان قال : حملة العرش أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور .  
و في حديث المراج فـ قال : ورأيت في علـيين بـحاراً وأنواراً و حـجاً و غيرـها

لولاتلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش، وإنما حجب النّور التي دون العرش ، ويؤيّده ما في الحديث أنَّ جبرئيل عليه السلام قال لله سبحانه : دون العرش سبعون حجاباً لودنونا من أحدها لاحترقنا بسحات وجه ربنا ، وفي حديث آخر من طرق المخالفين حجابه النّور و الناس لو كشفه لأحرقت سحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره .

و قال الشّارح البحرياني (ره) أشار عليه السلام بسحات النّور التي وراء ذلك الرّ吉يج إلى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه أن يصل إليه أبصار بصائر ، ونبهه بكون ذلك وراء رجيجهم على أنَّ معارفهم لا تتعلق به كما هو ، بل وراء علومهم وعبادتهم أطوار أخرى من جلاله تقصّر معارفهم عنها وتردع أبصار بصائر عن ادراكها فترجع حسيرة متحيرة وافقة عند حدودها وغایياتها من الادراك .

أقول : وهو لا ينافي ماذكرناه إذ ما ذكرته تفسير للظاهر وما ذكره الشّارح تأویل للباطن ، وقد تقدّم في شرح الخطبة التي قبل هذه الخطبة (١) ما ينفعك ذكره في هذا المقام (أشاهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتات أولى أجنحة تسبّح جلال عزّه ) قال الشّارح البحرياني اختلاف صورهم كنایة عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ، ولفظ الأجنحة مستعار لقوائم التي بها حصلوا على المعارف الإلهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال تعالى :

«أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»

كنایة عن تفاوت ادراكم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي له ، ولذلك جعل الأجنحة هي التي تسبّح جلال عزّه فان علمهم بجلاله منزه عنّما لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزّه .

أقول : تسليط يد التّأویل على الظواهر من غير دليل هدم لأُسس الشرعية وحمل اللّفظ على المجازات إنما هو عند تعذر إرادة الحقيقة ، وإنما مع إمكانها

١- وهي المصدرة بقوله: الحمد لله المعروف من غير رؤية، منه

و دلالة الدليل عليها فهو خلاف السيرة المستمرة مناف لمقتضى الأصول اللغطية المتدالوة بين أهل اللسان من العرب ومن حذا حذوها من علماء الأصول والأدب . بل المراد انشاءهم على صور مختلفة و أشكال متشتّطة فبعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الحيوان من الأسد والثور والديك وغيرها من أصناف الحيوان على ما ورد في الأخبار ، وبعضهم أولى أجنحة مثنى وثلاث ورابع يزيد سبحانه عليها ما يشاء على وفق حكمته ومقتضى تدبيره وإرادته . وايجادهم على أقدار متفاوتة في الصغر والكبير والطول والقصر ، روى علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسير قوله سبحانه :

**« جاعلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولَى أَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رَبْعَ »**

عن الصادق عليه السلام أنه قال : خلق الله تعالى الملائكة مختلفين ، وقد رأى رسول الله عليه السلام جبرئيل وله ستة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملاً ما بين السماء والأرض ، وقال : إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة والأخرى في الأرض السابعة ، وأن الله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار يقولون : يا مؤلفاً بين البرد والنار ثبت قلوبنا على طاعتك ، وقال : إن الله ملكاً بعد ما بين شحمة ذنه إلى عينه مسير خمسة أيام بخفقان الطير ، وقال عليه السلام : إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسميم العرش وإن الله ملائكة ركعاً إلى يوم القيمة وإن الله ملائكة سجداً إلى يوم القيمة ثم قال أبو عبد الله عليه السلام ما من شيء مما خلق الله أكثر من الملائكة وأنه ليهبط في كل يوم أو في كل ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله عليه السلام ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ثم يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده ، فإذا كان وقت السحر وضع لهم معراج إلى السماء ثم لا يعودون أبداً .

و في التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال : سئل أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب عليه السلام عن قدرة الله جلت عظمته ، فقام خطيباً فحمد الله وأثنا عليه ثم قال : إنَّ اللَّهَ تبارَكَ وَتَعَالَى ملائكة لِوَأْنَ ملائكة منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقته وكثرة أجنحته ، ومنهم من لو كلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه بعد ما يلين مفاصله وحسن تر��يب صورته ، وكيف يوصف من ملائكته من سبعة عام ما يلين من كبيبه وشحمة اذنيه ، ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنـه ، ومنهم من السماوات إلى حجزته (١) ، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوـ الهواء الأـسفل والأـرضـون إلى ركبـتيـه ، ومنـهم منـ لوـ أـلـقـيـ فيـ نـقـرـةـ اـبـاهـامـهـ جـمـيـعـ المـيـاهـ لـوـسـعـتـهاـ ، وـمـنـهـمـ منـ لـوـالـقـيـتـ السـفـنـ فيـ دـمـوعـ عـيـنـهـ لـجـرـتـ دـهـرـ الـدـاهـرـينـ فـتـبـارـكـ اللـهـ أـحـسـنـ الـخـالـقـينـ .

و فيه بـإـسـنـادـهـ عنـ اـبـنـ عـبـاسـ عـنـ النـبـيـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـهـ وـلـعـمـلـهـ قال : إنَّ اللَّهَ تبارَكَ وَتَعَالَى دـيـكـاـ رـجـلـاـ فـيـ تـخـومـ الـأـرـضـ السـابـعـةـ وـرـأـسـهـ عـنـدـ العـرـشـ ثـانـيـ عـنـقـهـ (٢) تـحـتـ العـرـشـ «ـ إـلـىـ أـنـ قـالـ :ـ »ـ وـلـذـلـكـ الدـيـكـ جـنـاحـانـ إـذـاـ نـشـرـهـماـ جـاـوـزـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ ،ـ فـاـذـاـ كـانـ فـيـ آـخـرـ الـلـيـلـ نـشـرـ جـنـاحـيـهـ وـخـفـقـ بـهـمـاـ صـرـخـ بـالـتـسـبـيـحـ يـقـوـلـ :ـ سـبـحـانـ الـمـلـكـ الـقـدـوسـ الـكـبـيرـ الـمـتـعـالـ لـإـلـهـ إـلـاـهـ الـحـيـ الـقـيـوـمـ ،ـ فـاـذـاـ فـعـلـ ذـلـكـ سـبـحـتـ دـيـكـةـ الـأـرـضـ كـلـهـاـ وـخـفـقـتـ بـأـجـنـحتـهـ وـأـخـذـتـ فـيـ الـصـرـاخـ ،ـ فـاـذـاـ سـكـنـ ذـلـكـ الدـيـكـ فـيـ السـمـاءـ سـكـنـتـ الـدـيـكـةـ فـيـ الـأـرـضـ فـاـذـاـكـانـ فـيـ بـعـضـ السـحـرـ نـشـرـ جـنـاحـيـهـ فـجـاـوـزـ بـهـمـاـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ وـخـفـقـ بـهـمـاـ وـصـرـخـ بـالـتـسـبـيـحـ سـبـحـانـ اللـهـ الـعـظـيمـ «ـ سـبـحـانـ خـ»ـ الـعـزـيزـ الـقـهـارـ سـبـحـانـ اللـهـ ذـيـ الـعـرـشـ الـمـجـيدـ سـبـحـانـ اللـهـ رـبـ الـعـرـشـ الرـفـيعـ ،ـ فـاـذـاـ فـعـلـ ذـلـكـ سـبـحـتـ دـيـكـةـ الـأـرـضـ فـاـذـاـ هـاجـ هـاجـتـ الدـيـكـةـ فـيـ الـأـرـضـ تـجـاـوـبـهـ بـالـتـسـبـيـحـ وـالـتـقـدـيـسـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـلـذـلـكـ الدـيـكـ رـيـشـ أـبـيـضـ كـأـشـدـ بـيـاضـ رـأـيـتـهـ قـطـ وـلـهـ زـعـباـ (٣)ـ خـضـرـتـحـتـ رـيـشـهـ الـأـبـيـضـ كـأـشـدـ خـضـرـةـ رـأـيـتـهـ فـطـ فـمـاـ زـلـتـ مـشـتـاقـاـ إـلـىـ أـنـ أـنـظـرـ إـلـىـ رـيـشـ ذـلـكـ الدـيـكـ .

١- العجزة معقد الازار

٢- ثانى عنقه اي عاطف وملتو لعنقه منه

٣- الزعب شعيرات صفر على ريش الفرخ منه

وبهذا الاستناد عن النبي ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُلْكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ نَصْفُ جَسْدِهِ الْأَعُلَى نَارٌ وَنَصْفُهُ الْأَسْفَلُ ثَلْجٌ ، فَلَا النَّارُ تَذَبِّبُ الثَّلْجَ وَلَا الثَّلْجُ تَطْفَىءُ النَّارَ وَهُوَ قَائِمٌ يَنْادِي بِصَوْتٍ رَفِيعٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي كَفَ حَرًّا هَذِهِ النَّارُ فَلَا يَذَبِّبُ الثَّلْجُ وَكَفَ بَرْدُ هَذِهِ الثَّلْجِ فَلَا يَطْفَئُهُ حَرًّا النَّارُ اللَّهُمَّ يَا مُؤْلِفًا بَيْنَ الثَّلْجِ وَالنَّارِ أَلْفُ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طَاعَتِكَ هَذَا .

وَبَقِيَ الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أُولَى أَجْنَحَةَ تَسْبِعُ جَلَالَ عَزَّتِهِ ، فَأَقُولُ : إِنَّ كَانَ تَسْبِعُ بِالْتَّخْفِيفِ وَالْخَلَالِ بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فَالْمَرَادُ سِبَاحَتِهِمْ وَسِيرَهُمْ فِي اطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَفَوْقَهَا أُونَزِرُوهُمْ وَصَعُودُهُمْ لِأَدَاءِ الرِّسَالَاتِ وَغَيْرُهَا أُوسِيرُهُمْ فِي مَرَاتِبِ الْقُرْبِ بِالْعِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ .

وَإِمَّا عَلَى رَوَايَةِ التَّشْدِيدِ وَكَوْنِ الْجَلَالِ بِالْجَيْمِ فَالْجَمْلَةُ إِمَّا صَفَةٌ لِأُولَى أَجْنَحَةِ فَالْتَّأْنِيثُ باعْتِبَارِ الْجَمَاعَةِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ يَسْبِحُونَهُ وَيَقْدِسُونَ جَلَالَهُ وَعَظَمَتِهِ وَعَزَّتِهِ وَفَوْتَهُ سَبْحَانُهُ مِنَ النَّقَايِصِ .

وَإِمَّا صَفَةٌ لِأَجْنَحَةِ فَالْمَقْصُودُ بِالتَّسْبِيحِ

إِمَّا التَّنْزِيهُ وَالتَّقْدِيسُ بِلِسَانِ الْحَالِ إِذْ كُلَّ جَنَاحٍ مِنْ اجْنَاحِهِمْ بَلْ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ وَجُودِهِمْ نَاطِقَةٌ بِلِسَانِ حَالِهَا شَارِحةٌ لِعَظَمَةِ بَارِئِهَا وَمُبَدِّعِهَا ، بِرْهَانٌ صَدِيقٌ عَلَى قُدرَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَمَالِهِ ، وَدَلِيلٌ مُتِينٌ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَهَذَا عَامٌ لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ .

وَإِمَّا التَّنْزِيهُ بِلِسَانِ الْمَقْرَابِ وَهُوَ مُخْصُوصٌ بِبَعْضِ الْمَلَائِكَةِ .

وَيَشْهُدُ بِهِ مَارِوَاهُ فِي التَّوْحِيدِ بِاسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُلَائِكَةُ لِيْسَ شَيْءٌ مِنْ أَطْبَاقِ أَجْسَادِهِمْ إِلَّا وَهُوَ يَسْبِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمِدُهُ مِنْ نَاحِيَةِ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لَا يَرْفَعُونَ رُؤُسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَلَا يَخْفَضُونَهَا إِلَى أَفْدَامِهِمْ مِنَ الْبَكَاءِ وَالْخُشْيَةِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَعَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى هُلْ فِي السَّمَاءِ بَحَارٌ ؟ قَالَ تَعَالَى : نَعَمْ أَخْبَرْنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ تَعَالَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى : إِنَّ فِي

السموات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسماة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عز وجل والماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلا وله ألف وأربع مائة جناح في كل جناح أربعةوجوه في كل وجوه «وجه خ» أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبّح الله عز وجل بتسبّيح لا يشبه نوع منه صاحبه ، والله أعلم بحقائق ملائكة مملكته ، وأنوار جلاله وجبروته .

ثم وصف بِكَلَّالِ الملائكة بأنهم ( لا ينتهيون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنفسهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به ) أي لا يدعون الرّبوية لأنفسهم كما يدعى عليه البشر لهم ولأنفسهم فالفقرة الأولى لنفي أدّعاء الاستبداد والثانية لنفي أدّعاء المشاركة أو الأولى لنفي أدّعائهم الخالية فيما هم وسايط وجوده ولهم مدخل فيه بأمره سبحانه و الثانية لنفي ذلك فيما خلقه الله سبحانه بمجرد أمره من دون توسط الوسايط ( بل ) هم ( عباد مكرمون لا يسبّقونه بالقول و هم بأمره يعملون ) وهو اقتباس من قوله سبحانه في سورة الأّنبياء .

**«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ**

### بِالْقَوْلِ » الآية

قيل : نزلت في خزاعة حيث قالت : الملائكة بنات الله ، فنزل الله سبحانه نفسه عن ذلك و قال سبحانه أتفة له : بل هؤلاء الذين زعموا أنهم ولد الله ليسوا أولاده ، بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله واصطفاهم لا يسبّقونه بالقول ولا يتكلّمون إلا بما يأمرهم به ربّهم ، فكلّ أقوالهم طاعة لربّهم ويكتفى بذلك جاللة قدرهم ، وهم بأمره يعملون ، ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولد .

( جعلهم ) الله ( فيما هنالك أهل الْأَمَانَة على وحيه ، وحملهم إلى المرسلين وداعي أمره ونهيه ) لعل هذا الوصف مختص بعض الملائكة ويشهد به قوله سبحانه **«اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً»**

ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك وما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة و يدل على الاختصاص بالبعض أيضاً قوله ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الفصل التاسع من الخطبة الأولى: و منهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله و مختلفون بقضائه وأمره ، وقد تقدم في شرح ذلك الفصل ما ينفعك ذكره في المقام و بياناً ثمة وجه الحاجة في أداء الامانة إلى وجود الواسطة من الملائكة وأشارنا إلى جهة وصفهم بالأمانة.

و محصلة أنه لما كان ذو الامانة هو الحافظ لما ائمن عليه ليؤديه إلى مستحقه و كانت الرّسالات النازلة بواسطه الملائكة نازلة كما هي محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السهو هناك أو عن عدم لعدم الداعي إليه لقوله تعالى :

«يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ»

صدق أنهم أهل الامانة على وحيه و رسالته ( وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زاغ عن سبيل مرضاته ) هذا الوصف عام لجميع الملائكة لأنهم معصومون من الشك والاشتباه الناشي من معارضه النفس الأئمارة للقوّة العاقلة إذ ليس لهم هذه النفس فلا يتصور في حقّهم العدول عن سبيل رضوان الله والانحراف عن القصد لانتقاء سببه الذي هو وجود هذه النفوس.

( و أمدّهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع اخبار السكينة ) لعلّ المراد أنه سبحانه أعطاهم المدد والقوّة وأيدهم بأسباب الطاعات والقربات والآلفاظ والمعارف الصارفة لهم عن المعصية وأنه ألزم قلوبهم التواضع والذلة والخضوع والاستكانة لزوم الشعار للجسد أو أنه أعلمهم بذلك ، و محصلة عدم انفكائهم عن الخوف والخشوع وقد من بعض الآثار فيه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى.

( و فتح لهم أبواباً ذلاًّ إلى تماجيده ) أي فتح لهم أبواباً سهلة إلى تعظيماته و الثناء عليه ، والجمع باعتبار أنواع التحيات و فتح الأبواب كنایة عن إلهامها

عليهم و تسهيلها لهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أマارة بالسوء، بل خلقهم خلقة يلتذون بها كما ورد: أن شرابهم التسبيح و طعامهم التقديس.

( و نصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده ) استعار لفظ الأعلام لأدلة التوحيد و براهن التفريد و وجه المشابهة ايمال كلّ منها إلى المطلوب، ولعله أراد بالمنار الواضحة المنصوبة على تلك الأعلام ما يجب لهم الاهتداء إلى تلك الأدلة من الوحي والالهام.

و ربما قيل في شرح ذلك: إنه استعار المنار الواضحة للوسايط من الملائكة المقربين بينهم و بين الحق سبحانه إذ إخباره عن الملائكة السماوية و لفظ الأعلام لصور العقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده و تنزيهه عن الكثرة ، و وجه المشابهة أن المنار والأعلام كما يكون وسايط في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم يكون وسايط في الوصول إلى المطلوب الأول محرك الكل عز سلطانه ، و هو قريب مما قلناه إلا أن ما قلناه أظهره وأشبه هذا.

و أمّا توصيف المنار بوصف الوضوح فمن أجل وفور أسباب الهدایة و كثرة الدلائل في حقهم لقربهم من سياحة عز و ملکوتة و مشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملکه و جبروته.

(لم تقل لهم موصرات الآثم) أي مثقالاتها و أشار عليهم بذلك إلى عصمتهم من المعاصي لعدم خلق الشهوات فيهم و انتهاء النفس الامارة الداعية إلى المعصية (ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام) أي لم يزعجهم تعاقبها ولم يوجبر حيلهم عن دارهم، و المقصود تنزيههم بما يعرض للبشر من ضعف القوى، أو القرب من الموت بكثرة الليالي و مرور الأيام.

(ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم) عزيمة ايمانهم مالزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم و ما ينبغي له ، والمراد أنه لم ترم الشكوك بمحركاتها وهي شهواتهما عزما على ايمان والتصديق ، هذا على روایة نوازعها بالعين المهملة

وأما على روايتها بالغين المعجمة فالمقصود عدم انبعاث نقوسهم الأُمّارة بالشكوكات والشبهات والقائلها الخواطر الفاسدة إلى أنفسهم المطمئنة.

(ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم) المراد بالظن إما الاعتقاد الراجح غير العاجز أو الشك أو ما يشتملما ، و لعل الآخير أظهر هنا ، فالمعنى نفي ازدحام الظنون والأوهام على قلوبهم التي هي معاقد عقائدهم اليقينية.

(ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم) أي لا تثير الأحقاد والعداوات بينهم فتنـة كما تشير النـار قادحتها لتنـزـهم من القوة الغضـيبة (ولـاستـبـتهمـ الحـيـرةـ مـالـاقـ منـ عـرـفـتـهـ بـضـمـاـيرـهـ وـ سـكـنـ منـ عـظـمـتـهـ هـيـةـ جـالـلـهـ فـيـ أـثـنـاءـ صـدـورـهـ) لما كانـ الـهـيـرـةـ عـبـاـوـةـ عـنـ دـمـ الـاهـتـدـاءـ إـلـىـ وـجـهـ الصـوـابـ مـنـ حـيـثـ تـرـدـدـ العـقـلـ فـيـ أـنـ أـيـ أـمـرـيـنـ أـوـلـىـ بـالـطـلـبـ وـالـاخـتـيـارـ ، وـ كـانـ مـنـشـأـ ذـلـكـ مـعـارـضـةـ الـوـهـمـ وـ الـخـيـالـ لـلـعـقـلـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـمـ وـهـمـ وـلـأـخـيـالـ ، لـاجـرـمـ لـاحـيـرـةـ تـخـالـطـ عـقـاـيدـهـمـ وـ تـزـيلـ هـيـةـ عـظـمـتـهـ مـنـ صـدـورـهـ).

قال المجلسي (ره) : و يحتمل أن يكون المراد بالحـيـرـةـ الـوـلـهـ لـشـدـةـ الـحـبـ وـ كـمـالـ الـعـرـفـةـ كـمـاـ سـيـأـتـيـ ، فـالـمعـنـىـ أـنـ شـدـةـ وـ لـهـمـ لـاـ يـوجـبـ نـقـمـاـ فـيـ مـعـرـفـتـهـ وـ غـفـلـةـ عـنـ مـلاـحـظـةـ الـعـظـمـةـ وـ الـجـالـلـ كـمـاـ فـيـ الـبـشـرـ ، وـ عـلـىـ هـذـاـ فـالـسـلـبـ فـيـ كـلامـهـ تـلـيـلـهـ إـلـىـ الـمـحـمـولـ كـمـاـ نـهـاـ عـلـىـ مـاقـلـتـاهـ إـلـىـ الـمـوـضـعـ (ولـمـ تـطـمـعـ فـيـهـمـ الـوـساـوسـ فـقـتـرـعـ بـرـيـنـهـاـ عـلـىـ فـكـرـهـ) أي لمـ تـطـمـعـ فـيـهـمـ الـوـساـوسـ الشـيـطـانـيـةـ وـ التـنـفـسـانـيـةـ فـتـتـنـاوـبـ أـوـ تـضـرـبـ بـأـدـنـاسـهـاـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ ، وـ الـغـرـضـ نـفـيـ عـرـوضـ الـوـساـوسـ عـلـىـ عـقـولـهـمـ كـمـاـ تـعـرـضـ لـلـبـشـرـ لـأـنـتـفـاءـ أـسـبـابـهـاـ فـيـ حـقـهـمـ .

(منـهـمـ) أي منـ مـطـلـقـ الـمـلـائـكـةـ (منـ هـوـ فـيـ خـلـقـ الـفـيـمـ الدـلـحـ) أي السـحـابـ الثـقـيـلـةـ بـالـمـطـرـ ، وـ الـمـرـادـ بـذـلـكـ الصـنـفـهـمـ الـذـيـنـ مـكـانـهـمـ السـحـابـ وـ هـمـ خـرـزانـ الـمـطـرـ وزـوـ اـجـرـ السـحـابـ الـمـشـارـ إـلـيـهـمـ بـقـوـلـهـ سـبـحـانـهـ : وـ الـزـاجـرـاتـ زـجـرـاـ

قال ابن عباس : يعني الملائكة المولكين بالسـحـابـ فيـشـمـلـ لـمـشـيـعـيـ النـبـيجـ وـ الـبـرـدـ وـ الـهـاـ بـطـيـنـ مـعـ قـطـرـ الـمـطـرـ إـذـاـ نـزـلـ وـ إـنـ كـانـ السـحـابـ مـكـانـهـمـ قـبـلـ النـزـولـ قالـ سـيـدـ

الساجدين عليهم السلام في دعائهما في الصلاة على حملة العرش وساير الملائكة من الصحيفة الكاملة : و خزان المطر وزاجر السحاب والذى بصوت زجره يسمع زجل الرعد و إذا سبحت بمحفيقة السحاب التمعت صواعق البروق و مشيعى الشلنج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، هذا.

ويحتمل أن يكون المقصود تشهيدهم في لطافة الجسم بالسحاب ، فيكون المعنى أنهم في الخلقة مثل خلق الغمام.

و كذلك قوله عليهم السلام (وفي عظم الجبال الشّمْخ) يحتمل أن يراد به الملائكة المولكون بالجبال للحفظ و ساير المصالح ، وأن يراد به تشبيههم بالجبال في عظمة الخلقة .

وهكذا قوله (و في قترة الظلام الايام) محتمل لأن يراد به الملائكة الساكنون في الظلمات لهدایة الخلق و حفظهم أو غير ذلك ، ولأن يراد به تشبيههم في السواد بالظلمة.

(و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلية ، فهـى كرايات يضـقـنـتـ فيـ مـخـارـقـ الـهـوـاءـ وـ تـحـتـهـ رـيـحـ هـفـافـةـ تـحـبـسـهـاـ عـلـىـ حـيـثـ اـنـتـهـتـ مـنـ الـحـدـودـ المـتـنـاهـيـةـ ) لعل المراد بهم الملائكة المولكون بالأرض يقول عليهم السلام : إنهم قد خرقت أقدامهم حدود الأرض السفلية و معالمها و أقدامهم بمنزلة أعلام يضـقـنـتـ فيـ مـخـارـقـ الـهـوـاءـ ، و أراد بها المواقع التي تمكنت فيها تلك الأعلام بخرق الهواء ، و تحت هذه الأعلام ريح طيبة ساكنة أى ليست بمضرية فتموج تلك الرأيات تحبسها حيث انتهت هذا.

وقال الشارح البحرياني : يشبهه أن يكون هذا القسم من الملائكة السماوية أيضاً واستعار لفظ الأقدام لعلومهم المحيطة بأقطار الأرض السفلية و نهاياتها ، وجه الشبه كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة إلى نهايته كما أن الأقدام تقطع الطريق و تصل إلى الغاية منها .

وتشبيهها بالرّأيات البيضاء من وجهين أحدهما في البياض لأنّ البياض لما استلزم

الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية عن كدورات الباطل وظلمات الشبه،  
الثاني في نفوذ هافي أجزاء المعلوم كما تنفذ الرأيات في الهواء وأشار بالرياح التي  
تحبس الأقدام إلى حكمة الله التي اعطاها كلاماً يسّر حقه و فصرت كلّ موجود على هذه  
و بهفوتها إلى لطف تصرّفها و جريانها في المصنوعات .

أقول : ولا بأس به وإن كان خروجاً عن الظاهر .

ثم أشار إلى استغراقهم في العبادة و ثباتهم في المعرفة والمحبة بقوله : (قد استغرق them أشغال عبادته ) أي جعلتهم فارغين عن غيرها ( و وصلت حقائق الإيمان  
بینهم وبين معرفته ) أراد بحقائق الإيمان العقائد اليقينية تحقق أن تسمى إيمانا  
أو البراهين الموجبة له ، وكونها وصلة بينهم وبين معرفته من حيث إن التصديق  
بوجود الشيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثة على طلبه فصار الإيمان  
والتصديق الحق بوجوده جاماً بينهم وبين معرفته و وسيلة لهم إليه .

(و قطعهم الإيقان بهالي الوله إليه) أي صرفهم اليقين بوجوب وجوده عن  
التوجه والالتفات إلى غيره وإلي ولهـم إليه و تحريرـهم من شدة الوجد ( ولم تتجاوز  
رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره ) أي رغباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من  
قربه و ثوابـهـ و كرمـهـ ، فإنهـ منتهـيـ رغبةـ الراغـبينـ وـ هوـ غـاـيةـ قـصـدـ الطـالـبـينـ .

(قد اقوـاـ حـالـاـةـ مـعـرـفـتـهـ) استـعـارـاـتـاـ لـفـظـ الذـوقـ لـتـعـقـلـاتـهـ وـ رـشـحـهـ بـذـكرـ الـحـالـاـةـ  
وـ كـنـتـ بـهـاـ عـنـ كـمـالـ ماـيـجـدـونـهـ مـنـ اللـذـةـ بـمـعـرـفـتـهـ كـمـاـ يـلـتـذـاـيـقـ الـحـالـاـةـ بـهـاـ ( وـ شـرـبـواـ  
بـالـكـلـاسـ الـرـوـيـةـ مـنـ مـحـبـتـهـ) استـعـارـاـتـاـ لـفـظـ الشرـبـ لـمـاـ تـمـكـنـ فـيـ ذـوـاتـهـ مـنـ كـمـالـ الـمحـبـةـ  
وـ رـشـحـهـ بـذـكرـ الـكـلـاسـ الـرـوـيـةـ أـيـ مـنـ شـانـهـ أـنـ تـرـوـيـ وـ تـزـيلـ العـطـشـ ( وـ تـمـكـنـتـ مـنـ سـوـيـدـاءـ  
قـلـوبـهـ وـ شـيـخـةـ خـيـفـتـهـ) لـمـاـ كـانـ كـمـالـ استـقـرـارـ الـعـوـارـضـ الـفـلـيـةـ مـنـ الـحـبـ وـ الـخـوفـ  
وـ نـحـوـهـمـ عـبـارـةـ عـنـ بـلوـغـهـ إـلـيـ سـوـيـدـاءـ الـقـلـبـ وـ تـمـكـنـهـ فـيـهـ عـبـرـاـتـاـ بـهـاـ بـمـاـ بـالـغـةـ  
وـ أـشـارـاـتـاـ بـوـشـيـجـةـ خـيـفـتـهـ إـلـيـ جـهـاتـ الـخـوـفـ الـمـتـشـعـبـةـ فـيـ ذـوـاتـهـ النـاشـةـ مـنـ

زيـادةـ مـعـرـفـتـهـ بـعـزـتـهـ وـ قـدـرـتـهـ وـ مـقـهـورـيـتـهـ تـحـتـ قـوـتـهـ .

( فـحـنـواـ بـطـولـ الطـاعـةـ اـعـتـدـالـ ظـهـورـهـ ) أـيـ عـوـجـواـ ظـهـورـهـ الـمـعـتـدـلـةـ  
الـمـسـتـقـيمـةـ بـطـاعـاتـهـ الـطـوـيـلـةـ ، وـ هـوـ كـنـاـيـةـ عـنـ كـمـالـ خـضـوعـهـ .

(ولم ينفع طول الرغبة إليه مادّة تضرّ بهم) أراد به عدم إفشاء طول رغبتهم إليه دواعي تضرّ بهم له سبحانه كما في البشر فان أحدها إذا كان له رغبة في أمر وأراد الوصول إليه من عند أحد تضرّ به وابتله وإذا طال رغبته ولم ينزل إلى مطلوبه حصل له الملل والكلال وقطع دواعي نفسه وميل قلبه وينعدم ما كان سبباً لتضرّ به وابتله ، ولما كان الملل والكلال من عوارض المركبات العنصرية وكانت الملائكة السماوية منزهة عنها لاجرم حسن سلبها عنهم .

(ولا اطلق عليهم عظيم الزلفة ريق خشوّهم ) لما كان من شأن مقربي الملوك والسلطانين أنهم كلّما ازداد زلفاهم وقرباهم إليهم انتقض خصوّهم وخشوّهم وتواضعهم من أجل أنه يخفّ هيبيتهم وسطوتهم في نظرهم لكونهم بشرًا مثلهم ولم يكن كذلك حال من كان مقربي الحضرة الربوبيّة بل هم كلّما ازدادوا اقرباً ازدادوا خشوعاً من حيث عدم انتهاء السلطنة الالهيّة وعدم انتهاء مراتب العرفان واليقين الدّاعيين إلى التضّرّ والعبادة وعدم وقوفها على حدّ لا جرم لم يطلق عظم قربهم عنق ذلّهم عن رقبة الابتلاء ، فهم بقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قربهم ، وكلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته فيحصل بزيادة العلم بالعظمة كمال الخشوع والذلة .

(ولم يتولّهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ، ولا تركت لهم استكانة الأجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم ) المراد بذلك نقى استياء العجب عليهم والإشارة إلى أنهم لا يستعظامون ما سلف منهم من العبادات ، ولا يستكثرون ما تقدم منهم من الطاعات ، وأنهم لم يترك لهم خصوّهم الناشي عن ملاحظة جلال الله ولهبهم الناشي من شدة المحبة إليه نصيباً في تعظيم الحسنات وحظافى إعطاء القربات ، لأنّ منشأ العجب هو النفس الّأمارة وهو من أحكام الأوهام والملائكة السماوية مبرّرون منها ومنزهون عنها .

(ولم تجر الفترات فيهم على طول دّور بهم) يعني أنهم على طول جدّهم في العبادة لا يحصل لهم فتور ولا قصور ، وقد مضى بيان ذلك في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى قال زين العابدين و سيد الساجدين عليهما السلام في الصلاة على حملة العرش

اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون عن تسبيحك ولا يملون عن تقديسك.  
والعجب من الشارح البحرياني حيث قال في شرح هذه الفقرة : قد ثبت أن  
الملائكة السماوية دائمة التحرير لا جرامها حرارة لا يتخللها سكون ولا يكلها  
ويفترها إعياء وتعب ، وبيان ذلك بالبراهين أصول ممهدة في مواضعها واما  
بالقرآن فلقوله تعالى :

**«يَسِّبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ»** انتهى

أقول : و هو تأويل من غير دليل مقبول مبني على أصول الفلاسفة الجاعلين  
الملائكة بالنسبة إلى أجرام السماء بمنزلة النقوس الناطقة بالنسبة إلى أبدان  
البشر القائلين بكونها مدبرة لأمرها كما أن النقوس مدبرة للأبدان ، و هو  
مخالف للأصول الشرعية موجب لطرح ظواهر الأدلة من الكتاب والسنّة، فالاولى  
الاعراض عنه والرجوع إلى ماقاله المفسرون في تفسير الآية الشريفة.

قال الطبرسي : أى ينزعون الله عن جميع مالا يليق بصفاته على الدوام في  
الليل والنهر لا يضعفون عنه ، قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس  
في السهولة ، وقيل : معنى لا يفترون لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلًا بفراغ أو بشغل  
آخر، و اورد عليه أنهم قد يشتغلون باللعنة كما قال تعالى :

**«أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَغْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ»**

و اجيب بأن التسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عنه الاشتغال بشيء آخر.  
و اعترض بأن آل التنفس لنا معايرة لا لآل التكلم فلهذا صحة اجتماع النفس  
والتكلّم، واجيب بأنه لا يستبعد أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم  
الفترة أنهم لا يتسرّون التسبيح في أوقاته اللائق به.

(ولم تغض رغباتهم في الحال فوا عن رجاء ربّهم) أى لم تنقص رغباتهم إلى ما  
عندك فيعدلوها عن الرّجاء إليه ، و ذلك لأنّ أشواقهم إلى كمالاتهم دائمة و علمهم  
بعظمّة حالاتهم و ب حاجتهم إليه و بأنّه مفيض الكلمات و واهب الخيرات لا يتطرق

إِلَيْهِ نَقْصٌ فَلَا يَنْقُطُ رِجَائُهُمْ عَنْهُ وَلَا يَأْسُونَ مِنْ فَضْلِهِ .

( وَلَمْ تَجْفَ لَطْوِ الْمُنَاجَاةُ أَسْلَاتُ أَسْنَتِهِمْ ) أَرَادَ تَلْكِيلًا بِهِ عَرْوَضُ الْفَتُورِ وَالْكَلَالِ عَلَيْهِمْ فِي مُنَاجَاتِهِمْ كَمَا يُعْرَضُ عَلَيْنَا وَيُجْفَ أَسْنَتِنَا بِسَبِّ طَوْلِ الْمُنَاجَاةِ ( وَلَا مُلْكُتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقُطُ بِهِمْ الْجُؤَارُ إِلَيْهِ أَصْوَاتِهِمْ ) أَىٰ لَيْسَ لَهُمْ أَشْغَالٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعِبَادَةِ حَتَّىٰ تَنْقُطَ لَا جُلْهَا أَصْوَاتِهِمْ بِسَبِّ خَفَاءِ تَضَرُّعِهِمْ إِلَيْهِ ، وَبِعِبَارَةِ أُخْرَىٰ لَيْسَ لَهُمْ أَشْغَالٌ خَارِجَةٌ فَتَكُونُ لَا جُلْهَا أَصْوَاتِهِمْ الْمُرْتَفِعَةُ خَافِيَةٌ سَاكِنَةٌ .

( وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مِنَ كَبِيرِهِمْ ) أَىٰ لَمْ يَنْحُرِفْ مِنَ كَبِيرِهِمْ أَوْلَمْ يَتَقدِّمْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي مَقَامَاتِ الطَّاعَةِ وَصَفَوْفِ الْعِبَادَةِ ( وَلَمْ يَشْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْسِيرِ فِي أَمْرِهِ رَقَابِهِمْ ) يَعْنِي لَمْ يَصْرُفُوا رَقَابِهِمْ مِنْ أَجْلِ تَعْبِ الْعِبَادَاتِ وَكَثُرَتْهَا إِلَى الرَّاحَةِ الْحَالِصَلَةِ بِاِفْلَالِ الْعِبَادَةِ أَوْ تَرَكَهَا بَعْدِ التَّسْبِعِ فَيَقْصُرُوا فِي أَوْامِرِهِ ، وَالْمَقْصُودُ نَفْيُ اِتِّصَافِهِمْ بِالتَّعْبِ وَالرَّاحَةِ لِكُوْنِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَوَابِعِ الْمَزَاجِ الْحَيْوَانِيِّ .

( وَلَا تَعْدُ عَلَىٰ عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةِ الْغَفَلَاتِ ) الْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَا تَغْلِبُ عَلَىٰ عَزِيمَتِهِمْ وَجَدِّهِمْ فِي الْعِبَادَةِ بِلَادَةٍ وَلَا غَفْلَةٍ لِكُوْنِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ هَذَا الْبَدْنِ ( وَلَا تَنْتَصِلُ فِي هَمْهُمْ خَدَائِعِ الشَّهْوَاتِ ) أَىٰ لَا تَرْمِي الشَّهْوَاتِ بِسَهَامِ خَدَائِعِهَا هَمْهُمْ ، وَالْمَقْصُودُ نَفْيُ تَوَارِدِ وَسَاوسِ الشَّهْوَاتِ الْصَّارِفَةِ عَنِ الْعِبَادَةِ وَتَتَابِعُهَا عَنْهُمْ لِبِرَائِهِمْ مِنِ الْقُوَّةِ الشَّهْوَيَّةِ .

( قَدْ اتَّخَذُوا زِدَادًا عَرْشَ ذَخِيرَةِ لِيَوْمِ فَاقْتِهِمْ ) ذُو الْعَرْشِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا فِي غَيْرِ وَاحِدَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَالْمَرَادُ بِيَوْمِ فَاقْتِهِمْ يَوْمُ حَاجَتِهِمْ وَهُوَ يَوْمُ قِبْضِ أَرْوَاهِهِمْ كَمَا يَظْهُرُ مِنْ بَعْضِ الْأَخْبَارِ .

قَالَ الْمَجْلِسِيُّ ( رَهْ ) وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَوْعٌ مِنَ الشَّوَّابِ عَلَىٰ طَاعَاتِهِمْ بِاِزْدِيَادِ الْقَرْبِ وَاِفْضَالِ الْمَعْارِفِ وَذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكِ ، فَيَكُونُ إِشَارَةً إِلَيْهِمْ جَزِئَهُمْ ( وَيَمْمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ ) أَيِّ قَصْدُوهُ بِتَضَرُّعِهِمْ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ انْصِرَافِ الْخَلْقِ وَانْقِطَاعِهِمْ مِنْهُ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ

ويحتمل رجوع ضمير غبتهم إلى الخلق وإليهم وإلى الملائكة على سبيل التنازع.

( لا يقطعون أبداً غاية عبادته ) أراد أنه لا يمكنهم الوصول إلى منتهي نهاية عبادته الذي هو عبارة عن كمال معرفته، وذلك لكون مراتب العرفان ودرجاته غير متناهية فلا يمكنهم قطعها ( ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته ) أى لا يرجعهم الولع بلزوم طاعته سبحانه إلا إلى مواد ناشئة من قلوبهم غير منقطعة وهذه المواد هو رجائه ومخافته الباعثان لهم على لزوم طاعته ، و الغرض إثبات دوام خوفهم ورجائهم الموجبين لعدم انفك كلام عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ المواد .

قال الشارح البحرياني : لسا كانوا غرقى في محبيّة عالمين بكمال عظمته وأن ما يرجونه من جوده أشرف المطالب وأريح الملاسbs و ما يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمائه أعظم المهالك والمعاطب ، لاجرم دام رجائهم له وخوضوعهم في رق الحاجة إليه و الفزع من حرمائه ، و كان ذلك الخوف والرّجاء هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها .

( لم تنتهي أسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ) أى لم تنتهي أسباب الخوف منهم فيفتروا في الجد في العبادة وأسباب الخوف هي حاجتهم إليه سبحانه وافتقارهم إلى إفاضته وجوده ، فإن الحاجة الضرورية إلى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قصائه ويوجب الاقبال على الاستعداد بوجوده بلزوم طاعته والقيام بوظائف عبادته .

( ولم يأسراهم الأطماء فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم ) أى لم يجعلهم الأطماء إسراء و ليسوا مأسورين في ربقة الطمع حتى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطعم من الدنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هو شأن البشر ، وذلك لكون الملائكة منزهين عن الشهوات ومايلزم منها من الأطماء الكاذبة .

( ولم يستعظموا مامضى من ذلك ) قد مر معناه في شرح قوله : ولم يتولهم الاعجب آه و إنما أعاد ذلك مع إغناه السابق عنه و كفايته في الدلالة على نفي العجب للإشارة إلى دليله وهو قوله ( ولو استعظموا ذلك لننسخ الرجاء منهم شفقات و جلهم ) يعني أنهم لو استعظموا سالف أعمالهم لأوجب ذلك افترارهم و زيادة رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك و يزيل ما دات و جلهم و خوفهم ، ألا ترى أن الإنسان إذا عمل بعض الملوك عملاً يستعظمه فإنه يرى في نفسه استحقاق أجزل جزاء له ويجد التطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه ، وكلما ازداد استظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك فوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه و يقل هيبة في نظره ، لكن الملائكة خائفون دائمًا لقوله سبحانه :

« وَ هُم مِنْ خَشِّيَتِهِ مُشْفِقُونَ »

فيتوجب أنهم لا يستعظمون سالف عباداتهم ( ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ) أى لم يختلفوا فيه من حيث الآيات والنفي أو التعين أو الصفات كالتجدد والتجمس وكيفية العلم وغير ذلك ، وفيه : أى في استحقاق كمال العبادة ، والمقصود نفي الاختلاف عنهم باستيلاء الشيطان كما هو في الإنسان لأنه :

« لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّهُنَّ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١) »

( ولم يفرقهم سوء التقاطع ) والتعادي وترك البر والاحسان ( ولا تولهم غل التحاسد ) الناشي من النفس الامارة بالحقد والعدوان ( ولا شبّبهم مصارف الريب ) ووجوهات شكوك الأذهان ( ولا اقتسمتهم أخياض الهمم ) واختلافاتها لانحصر هممهم في طاعة الله الرحيم الرحمن ( فهم اسراء الایمان لم يفكّهم من ربّته زين ) وجور ( ولا عدول ولا ونا ) ووهن ( ولا فتور )

ثم أشار عليه السلام إلى كثرة الملائكة بقوله : ( وليس في أطباق السموات موضع اهاب ) و جلد ( إلا و عليه ملك ساجد ) خاشع لربه ( أوسع ) مسرع ( حاقد ) في طاعة معبوده ( يزدادون على طول الطاعة بربهم علماً ) و يقيناً ( و تزداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً ) و كمالاً .

قال الشارح البحرياني : اعلم أن للسماء ملائكة مباشرة لتحريرها ، وملائكة أعلى رتبة من أولئك هم الآمرون لهم بالتحريك ، فيشبهه أن يكون الاشارة بالساجدين منهم إلى الآمرين ، والسجود كنایة عن كمال عبادتهم كنایة بالمستعار ، ويكون الاشارة بالساعين المسرعين إلى المتولين للتحريك ، فأماماً زيادتهم بطول طاعتهم علمًا بربهم فلم يثبت أن حركاتهم إنما هو شوقيّة للتتشبه بملائكة أعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الإلهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة إلى الفعل ، وزيادة عزة ربهم عندهم عظماً بحسب زيادة معرفتهم له تابعة لها .

أقول : وقد مضى الاشارة منا إلى أن هذا كله مبني على الأصول الحكمية وعدول عن طريق الشرعية النبوية على صادعها آلاف الصلاة والسلام والتحيّة وقدّمنا الأخبار المناسبة للمقام في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى فتذكّر وينبغي تذليل المقام بأمررين مهمين :

## أحد هما في عصمة الملائكة

وهو مذهب أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم وعليه دلت الآيات القرآنية والأخبار الكثيرة من طرقنا ، ولنقترن على روایة واحدة ، وهو :

ما رواه في الصافي قال : قال الرّاوي : قلت لا يا محمد عليه السلام : فإنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم ، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا ، وأنهما افتتنا بالزّهرة وأرادا الزّنا وشرّ بالخمر وقتلا النفس المحرّمة؛ وأن الله يعذّ بهما ببابل ، وأنّ السحرّة منها يتعلّمون السحرّ وأن الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزّهرة .

فقال الإمام علي عليه السلام : معاذ الله من ذلك إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطف الله تعالى قال الله فيهم :

« لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ » وقال : « وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ » يعني الملائكة « لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ »

وقال في الملائكة أيضاً : « بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَمَمْأُورُهُ يَفْعَلُونَ » إلى قوله « مُشْفِقُونَ »

ومثله في البخار عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار عن أبويهما أنهما قالا : فقلنا للحسن أبي القائم عليه السلام : فان قوما إلى آخر الخبر ، ورواه أيضاً في الاحتجاج عن أبي محمد العسكري عليه السلام مثله .

نعم في بعض الروايات ما يدل على خلاف ذلك ، وهو ما رواه علي بن إبراهيم القمي (ره) عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : سأله عطا ونحن بمكة عن هاروت وماروت ، فقال عليه السلام : إن الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كل يوم وليلة يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم عليه السلام والجن ويسيطر ونها ويعرجون بها إلى السماء قال : فضّل أهل السماء من معاصي أوساط أهل الأرض فتوامروا فيما بينهم مما يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله تبارك وجزائهم عليه ونزهوا الله تعالى مما يقول فيه خلقه ويصفون ، فقال طائفة من الملائكة : يا ربنا ما تغضب مما يفعل خلقك في أرضك و مما يصفون فيك الكذب ويقولون الزور ويرتكبون المعاصي ، وقد نهيتهم عنها ، ثم أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك ، قال عليه السلام : فأحب الله عز وجل أن يرى الملائكة سابق علمه في جميع خلقه ويعرّفهم

مامن به عليهم مما عدل به عنهم من صنع خلقه وما طبعهم عليه من الطاعة وعصومهم به من الذنب .

قال ﷺ : فأوحى الله إلى الملائكة أن انتدبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض ثم أجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلته في ولد آدم ، ثم اختبرهما في الطاعة ، قال ﷺ : فندبوا بذلك هاروت وماروت ، و كانوا أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستيثار غضب الله عليهم .

قال ﷺ : فأوحى الله إليهما أن أهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكم من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم . قال ﷺ ثم أوحى الله إليهما : انظرا أن لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولا تزنيا ولا تشر با الخمر .

قال ﷺ : ثم كشط (١) عن السماوات السبع ليريهما قدرته ، ثم أهبطا إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم ، فهبطا ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلوا نحوه فإذا بحضرته أمرأة جميلة حسناء مزينة معطرة مسفرة مقبلة .

قال ﷺ فلما نظر إليها و ناطقاها وتأملها واقتصرت في قلوبهما موقعًا شديداً لموضع الشهوة التي جعلت فيهما ، فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان وراءها عن نفسها ، فقالت لهما : إنّ لي ديناً أدين به وليس أقدر في ديني على أن أجبي كما إلى ما تريدان إلاّ أن تدخلان في ديني الذي أدين به ، فقالا لها : وما دينك ؟ قالت : لي إله من عبده و سجد له كان لى السبيل إلى أن أجبيه إلى كلّ ما سألني ، فقالا لها : وما إلهك ؟ قالت : إلهي هذا الصنم .

قال ﷺ : فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال : هاتان خصلتان ممانعينا عنها الشرك والزنا ، لأنّا إن سجدنا لهذا الصنم وعبدناه أشرّ كنا بالله وإنّما نشرك بالله لنصل

١- الكشط رفعك الشيء عن الشيء . قد غشاه قال تعالى : و اذا السما ، كشطت و كشط العجل من الفرس كشفه منه

إلى الزّنا وهو ذا نحن نطلب الزّنا فليس نعطي إلا بالشرك .  
 فقال عليه السلام : فائتمرا بينهما فغلبتها الشهوة التي جعلت فيهما ، فقالا لها نجيبك إلى مسألت ، فقالت : فدونكما فasher با هذا الخمر فانه قربان لكتما وبه تصلان إلى ماتريدان ، فائتمرا بينهما فقالا : هذه ثلاث خصال ممّا نبينا ربّنا عنها : الشرك والزّنا ، وشرب الخمر ، وإنّما ندخل في شرب الخمر والشرك حتى نصل إلى الزّنا ، فائتمرا بينهما فقالا : ما أعظم البليبة يك قد أجبناك إلى ما سألت ، قالت : فدونكما فasher با من هذا الخمر ، واعبدوا هذا الصنم ، واسجدوا له ، فشربوا الخمر وعبدوا الصنم ثم راوداهما عن نفسها .

فلما تهيا لهما وتهيأ لها دخل عليها سائل يسأل هذه ، فلما رآهما ورأياه ذعرًا (١) منه ، فقال لهم : إنكم لا مرء آن ذعران ، فدخلتمنا بهذه المرأة المعطرة الحسناء إنكم لرجال سوء ، وخرج عنهما ، فقالت لهم : وإلهي ماتصالن الآن إلى وقد اطلع هذا الرجل على حالكم وعرف مكانكم ، ويخرج الآن ويخبر بخبر كما ولكن بادرًا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفصح لكم ويفضحني ثم دونكم فاقضي حاجتكما وأنتما مطمئنان آمنان .

قال عليه السلام : فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياهما وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما واسقطا (٢) في أيديهما ، فأوحى الله إليهما أن اهبطتكم إلى الأرض مع خلقي ساعة من النهار فعصيتمني بأربع من معاصي كلّها قد ذهبتكم عنها وتقدّمت إلىكما فيها فلم ترقياني ولم تستحيي مني ، وقد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض بالمعاصي واستجرّ أسفى وغضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي وعصمتني إياكم من المعاصي فكيفرأيتما موضع خذلاني فيكما .

اختارا عذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة ، فقال أحدهما لصاحبه : تتمتع من

١ - ذعرًا أى خافا منه

٢ - سقط في يده وسقط مضمومتين ظلّ وأخطا أوندم وتحير، ق

شهواتنا في الدّنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة ، فقال الآخر : إن عذاب الدّنيا له مدة و انقطاع و عذاب الآخرة قائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخرة الشديد الدّائم على عذاب الدّنيا المقطوع الفاني .

قال عليهما : فاختارا عذاب الدّنيا فكانا يعلمان الناس السحر في أرض بابل ثم لما علموا الناس السحر رفعوا من الأرض إلى الهواء ، فهمما معدّان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيمة ، ورواه في البحار عن العياشي عن محمد بن قيس مثله ، وبمعناه أخبار آخر ، ويمكن حملها على التقيّة ، ويشعر به كون السائل في هذه الرواية من علماء العامة .

وما رواه في البحار عن العلل عن الصادق عليهما السلام في حديث قال : وأمّا الزّهرة فأنّها كانت امرأة تسمى ناهيد (ناهيل خل) وهي التي تقول الناس إنّها فتنت بها هاروت وماروت ، فانّ في نسبة افتتاحهما إلى الناس إشارة إلى ما ذكرناه كما لا يخفى . وقال بعض أهل العرفان بعد ما أورد الرّوايات الدّالة على تكذيب أمر هاروت وماروت والروايات الدّالة على صحة قصتهما :

و الوجه في الجمع والتوفيق أن يحمل روایات الصحة على كونها من مرموزات الأُوایل وإشاراتهم ، وأنّهم عليهما لما رأوا أنّ حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوا ثم قال : وأمّا حلّها فعلل المراد بالملكين الروح والعقل فانّهما من العالم الروحاني اهبطا إلى العالم الجسماني لاقامة الحقّ فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا ، ووقعوا في شبكة الشهوة ، فشربا خمر الغفلة ، وعبداصنم الهوى ، وقتلما عقلهما الناصح لهما بمنع تعذيبه بالعلم والتقوى ، ومحو أثر نصحه عن أنفسهما ، وتهيئا للزّنا بيعي الدّنيا الدّنية التي تلى تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمى بالزّهرة ، فهربت الدّنيا منها وفاتهما لما كان من عادتهما أن تهرب من طالبيها لأنّها متعة الغرور و بقي اشراق حسنها في موضع مرتفع بحيث لا تنالها أيدي طلابها مادامت الزّهرة باقية في السماء و حملهما حبّها في قلبهما إلى أن وضعها طريقاً من السحر وهو ما لطف مأخذها ودقّ ، فخيّرا للتخليص منها

فاختاراً بعد التنبه وعود العقل إليهما أهون العذابين ، ثم رفعا إلى البرزخ معدّين  
ورأسمها بعد إلى أسفل إلى يوم القيمة .  
هذا ما خطر بالبال في حل هذا الرّمز والله الهدى .

### الثاني

اختلف المسلمون في أنَّ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ أَيْضًا أَفْضَلُ أَيْضًا أَكْثَرُ ثَوَابًا ،  
فذهب أكثُرُ الْأَشَاعِرَةِ إلى أنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ ، وَقَالَ السَّعْتَلَةُ كَمَا فِي شِرْحِ المُعْتَزِلِي  
إِنَّ نَوْعَ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ نَوْعِ الْبَشَرِ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَّبُونَ أَفْضَلُهُمْ مِنْ نَوْعِ الْأَنْبِيَاءِ  
وَلَيْسَ كُلُّ مَلَكٍ عِنْدَ الْأَطْلَاقِ أَفْضَلُ مِنْ مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَشَرْكِهِ ، بَلْ بَعْضُ الْمُقْرَّبِينَ أَفْضَلُ مِنْهُ ،  
وَهُوَ وَآلُهِ وَشَرْكُهُ أَفْضَلُ مِنْ مَلَائِكَةً أُخْرَى غَيْرِ الْأَوَّلِينَ .

وَلَا خَالِفٌ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِمامَيْةِ قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئْمَمَةَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ ، وَأَخْبَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ مُسْتَقِيَّةٌ ، وَقَدْ  
حَقَّقُوا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأُصُولِ وَلَا حَاجَةُ لَنَا إِلَى بَسْطِ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ  
الْمَقَامِ ، وَإِنَّمَا نَقْتَصِرُ عَلَى رِوَايَةٍ وَاحِدَةٍ تَوْضِيحاً لِلْمَرْأَةِ .

وَهُوَ مَا رَوَاهُ السَّدُوقُ فِي كِتَابِ إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتَامِ النَّعْمَةِ قَالَ : حَدَّثَنَا

الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ الْهَاشَمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا فَرَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ فَرَاتِ الْكُوفِيِّ  
قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلَىٰ بْنَ أَحْمَدَ الْهَمَدَانِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الفَضِيلِ الْعَبَاسِ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَاقِهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَاقِهِ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامَ بْنَ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ عَنْ عَلَىٰ بْنِ مُوسَى  
الرَّضَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَىٰ عَنْ  
أَبِيهِ عَلَىٰ بْنِ الْحَسِينِ عَنْ وَآبِيهِ الْحَسِينِ بْنِ عَلَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ  
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْتِي  
قَالَ عَلَىٰ بْنِ الْحَسِينِ : فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ جَبَرِئِيلُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ

(ج) حديث شريف في أنَّ الْأَنْبِيَا وَالْأَئْمَة أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَة (٤٠١)

فضل الأنبياء المرسلين على ملائكته المقرب بين فضلي على جميع النبيين والمرسلين و الفضل بعدى لك يا علي و الأئمة من بعده ، فان الملائكة لحمد أمنا و خدام محبسينا يا علي

«الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الرَّوْحَمَةَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»

بولايتنا ، ياعلي لولا نحن مخلوق الله آدم عليهما ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ، وكيف لا تكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربنا عز وجل وتبسيحه وتقديسه وتهليله ، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا ، فأنطقتنا بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا امورنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبح الملائكة لتبسيحنا ونزعه عن صفاتنا .

فلما شاهدوه واعظم شأننا هلانا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله فلما شاهدوا كبار محلنا كبارنا الله لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن تنال وأنه عظيم المholm فلما شاهدوا ما جعل الله لنا من القدرة والقوه قلنا : لا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم ، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوه إلا بالله .

فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه من فرض الطاعة قلنا : الحمد لله ، لتعلم الملائكة ما يحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فربنا اهتدوا إلى معرفة الله وتبسيحه وتهليله وتحميده ، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليهما وآدم علينا صلبه و أمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لنا وإكراماً ، وكان سجودهم الله عز وجل عبودية ولا دم إلا كراماً وطاعة لكونه في صلبه فكيف لأن تكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لا دم عليهما كلهم أجمعون . وأنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل عليهما مثنى مثنى ثم قال : تقدم يا محمد ، قلت : يا جبرئيل تقدم عليك ؟ فقال : نعم لأن الله تبارك وتعالى

اسمه فضل أنبيائه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصة ، فتقدّمت وصلّيت بهم ولا فخر فلما انتهينا إلى حجب النور قال لي جبرئيل عليه السلام : تقدّم يا محمد وتخلف عنِي ، فقسّت : ياجبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني ؟ فقال : يامحمد إنّ هذا انتهاء حدي الذي وضعه الله لي في هذا المكان فان تجاوزته احترقت أجنحتي لتعدى حدود ربّي جلّ جلاله ، فزّج بي ربّي زجة في النور حتى انتهيت إلّي حيث ما شاء الله عزّ وجلّ من ملكته .

فندت : يا محمد ، قلت : لم يك ربّي وسعديك تباركت وتعالیت ؟ فنوديت يا محمد أنت عبدي وأنا ربك فأیسأك فاعبد وعلی فتوکل فانك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقك وحجّتك في بریستي ، لمن تبعك خلقت جنتي ولمن عصاك وخالفك خلقت ناري ، ولاً وصيائرك أوجبت كرامتي ، ولشيعتك أوجبت ثوابي .

قلت : يا رب ومن أوصيائي ؟ فنوديت : يامحمد إنّ أوصيائك المكتوبون على ساق العرش ، فنظرت وأنا بين يدي ربّي إلى ساق العرش فرأيت اثناعشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصيّ من أوصيائي أو لهم على بن أبي طالب وآخرهم مهدي أمّتي .

قلت : يا رب هؤلاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت : يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي حجّتي بعدك على بریستي ، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقك بعدك ، وعزّتني وجلاي لاظهرن بهم ديني ، ولاً علیين بهم كلمتي ولاً طهّرنا الأرض بأخرهم من أعدائي ، ولا ملكنّه مشارق الأرض ومغاربها ، ولاً سخّرنا له الرياح ولاً ذلنّ الرّقاب الصغار ، ولا رقبه في الأسباب ، ولاً نصرته بمحendi ، ولاً مدّنه بملائكتي حتى يعلو دعوتي ويجمع الخلق على توحيدك ، ثم لاً ديمن ملكه ولاداً ولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيمة .

والحمد لله رب العالمين والصلاحة على نبيّنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً وإنما ذكرت الرّواية بطولها مع كون ذيلها خارجاً عن الغرض لتضمنه مناقب أهل البيت الأطهار ، وكونه نصاً في خلافة الأئمّة الأبرار ولعاً مني بايراد

فضائلهم ومناقبهم ما تعاقب على اللّيل والنّار ، سلام الله عليهم أجمعين ، ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم إلى يوم الدين .

## الترجمة

بعضی دیگر از این خطبه شریفه در صفة ملائکه است میفرماید :

بعداز خلق آسمان بیافرید حق سبحانه و تعالی از برای ساکن فرمودن در آسمانهای خود و معمور ساختن صفحه پهن بلند از ملکوت خود خلقی عجیب از ملائکه خود پس پرساخت باشان فرجهای کشاد گیهای آسمانرا ، ومملو نمود باشان کشاد گیهای فضاها آنرا ، و میان وسعتهای این کشاد گیها است صوتهای بلند تسبیح کنند گان از ایشان در حرمای قدس و طهارت و پرده های حجابهای عظمت و سر اپردهای بزرگی وعزت ؛ و در پس این زلزله و اضطرابی که کرمیشود از آن گوشها ، اشرافات نوری است که بازمیدارد دیدها را از رسیدن باآن ، پس میایستد آن دیده اذلیل و متحیس بر حدود آن .

آفرید خداوند متعال آن ملائکه را بر صورتهای مختلفه و اندازهای متفاوته در حالتیکه صاحبان باله استند که تسبیح میکنند بزرگی عزت اورا ، در حالتیکه بخودنمی بندند آنچه که ظاهر شده در مخلوقات از صنع قدر او ، واد عانمیکنند اینکه ایشان می آفرینند چیزی را با آفرید گار از آنچیزی که یگانه است او سبحانه با فریدن آن ، بلکه ایشان بند گانی هستند گرامی داشته شده در حالتی که پیشی نمیگیرند بخدادر گفتار خودشان ، و ایشان بفرمان او سبحانه عمل مینمایند .

گردانید حق تعالی ایشانرا در آنجا که هستند ، یعنی در مقامات خودشان که حظایر قدس است اهل امانت بروحی خود و تحمیل نمود ایشانرا در حالتیکه ارسال میشوند بسوی پیغمبر ان امانتهای اُوامر و نواهی خود را ، و مقصوم ساخت ایشانرا از شک کردن در شبها ، پس نیست از ایشان میل کننده از راه رضای او ، و مدد نمود ایشان را بفایده های اعانت بسوی طاعات ، ولازم فرمود قلبها ایشانرا تواضع خصوع وقاررا ، و گشود بجهت ایشان در های سهل و آسان بسوی تمجیدات

خود ، و پرپانمود از برای ایشان منارهای آشکار بر نشانهای توحید خود .

گران نکرده ایشان را گران سازندهای گناهها ، وضعیف نموده ایشان را تعاقب و تناوب شبه اوروزها ، و نینداخت شکهای بمحرّکات فاسدۀ خود محکمی ایمان ایشان را ، و عارض نشد ظنّها و وهمها بر موضع عقد یقین ایشان ، و بر نیفر و خت بر افروزندهای حقد و حسد در میان ایشان ، و سلب نکرده از ایشان حیث چیزی را که چسبیده از معرفت او بقلب ایشان ، و ساکن شده از عظمت وهیبت او در میان سینهای ایشان ، و طمع ننموده در ایشان و سوشهای تاینکه بکوبد باستیلای خود یا اینکه تناوب نماید با چرک خود بفکرهای ایشان .

بعضی از ایشان آنانند که قرار گرفته در ابرهای مخلوق شده گران بار بیاران ، و در کوههای بزرگ بلند ، و در سیاهی تاریکی که هدایت یافته نمیشود در آن ، و بعضی دیگر آنانند که دریده است قدمهای ایشان حدود زمین پائین را ، پس آن قدمها بمنزله علمهای سفیدند که فرو رفته باشند در موضع خرق هوا و شکاف آن ، و در زیر آن علمها است بادی که ساکن است و پاکیزه که بازداشته است آن علمها را بر مکانی که هنتری شده آن علمها از حدود بنهایت رسیده .

بتحقیق که فارغ نموده ایشان را از ماسوا شغل‌های عبادت او سبحانه ، ووصل نموده است حقیقتهای ایمان میان ایشان و میان معرفت آنرا ، و پریده است ایشان را یقین و اذعان بخدا از غیر آن ، و مایل ساخته ایشان را بسوی حیرانی او ، و در نگذشته است رغبت‌های ایشان از آن چیزی که نزد او است بسوی آنچیزی که نزد غیر او است . بتتحقیق که چشیده اند شیرینی معرفت او را ، و آشامیده اند با کاسه سیراب کننده از شراب محبت او ، و متمکّن و برقرار شده از ته دلهای ایشان رگهای خوف و خشیت او ، پس خم کرده اند بدرازی عبادت راستی پشت‌های خودشان را ، و تمام نکرده درازی رغبت بسوی او مادّه تصرّع ایشان را ، و رها نکرده از گردنها ایشان بزرگی فرب و منزلت بحضرت رب العزّة ریسمان خشوع و ذلترا غالب نشده بر ایشان عجب و خود پسندی تا اینکه بسیار شمارند آنچه که پیش

گذشته از ایشان از طاعات و عبادات، و نگذاشته از برای ایشان خواری که ناشی شده از ملاحظه جلال پرورد گار نصیب و بهره در تعظیم و بزرگ دانستن حسنات خودشان، و جاری نشده سستیها در ایشان بادرازی جد و جهد ایشان.

و ناقص نگشته رغبتیها ایشان تا مخالفت کنند وعدول نمایند از امیدواری پرورد گار خودشان، و خشک نگشته بجهة طول راز و نیاز اطراف زبانهای ایشان و مالک نشده است ایشانرا شغلهای خارج از عبادت تا اینکه منقطع شود بسبب پنهانی تصرع ایشان بسوی او آوازهای بلند ایشان، و مختلف نشده در صفاتی عبادت دوشهای ایشان، و ملتافت نساخته‌اند بسوی راحتی که باعث تقصیر در امر او است گردنهای خودشانرا، و غالب نمی‌شود بر عزم جد و جهد ایشان بی‌خردی غفلتها، و تیر نمی‌اندازند در همتیها ایشان فریب دهند گان شهوتها.

بتحقیق که اخذ نموده اند صاحب عرش را ذخیره بجهة روز حاجت شان، و قصد کرده‌اند اورا نزه بریده شدن خلق بسوی مخلوقات بر غبتشان، قطع نمی‌توانند کنند پایان غایه عبادت اورا، و باز نمی‌گرداند ایشان را حرص و محبت بلروم طاعت او مگر بسوی مادّه‌هائی که بریده نمی‌شوند آن مادّه‌ها که از دل ایشانست که عبارت اند از خوف و رجا آن، بریده نشده اسباب ترس از ایشان تأسیست شوند در جد و جهد خودشان:

و اسیر نموده ایشان را طمعهای دنیوی تا اینکه اختیار نمایند سعی نزدیک در تحقیل دنیار ابر کوشش خودشان در تحقیل سعادت آخرت، و بزرگ نمی‌شمارند آذچه که گذشته از اعمال ایشان، و اگر بزرگ شمارند اعمال خودشان هر آینه باطل و زایل مینماید رجاء و امیدواری ایشان ترسهای ایشان را، و اختلاف نمی‌نمایند در ذات و صفات پرورد گار بسبب غلبه شیطان بر ایشان، و پراکنده نساخته ایشان را بدی بریدن از یکدیگر، و مالک نشده ایشان را خیانت حسد

بردن بیکدیگر ، و متفرق نساخته ایشان را مواضع صرف شاک و کمان ، و منقسم نگردانیده ایشان را اختلافهای همتها .

پس ایشان اُسیران ایمانند که رها ننموده ایشان را از بند ایمان میل نمودن از حق و نه عدول کردن از منهج صدق و نه سستی در عبادت و نه کاهلی در طاعت ، و نیست در طبقهای آسمان جای پوستی مگر که بر او است ملک سجد ، کفنه یا سعی نماینده شتابنده که زیاده میگردانند بر درازی طاعت پیروزد گار خودشان علم و یقین را ، و افرون میگرداند عزّت کرده گار ایشان در دلهای ایشان عظم و شأن را .

هذا آخر الجزء السادس من هذه الطبيعة النفيضة وقد تم تصحیحه و تهذیبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه وعن والديه في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٧٩ ويليه انشاء الله الجزء السابع واوله : «الفصل السادس» من المختار التسعين والحمد لله أولاً وآخرأ .

## فهرس الجزء السادس من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
<b>الفصل السادس</b>				
فضل صلاة الليل	٥	تحقيق حالة الاحضار	٤٢	صفة ملك الموت وكيفية
الفرق بين الخوف والرعبه	٧	قبض الروح	٤٧	تفصيل حالات الانسان بعد موته
في كون القرآن خصيماً للانسان	٨	في التغسيل والتکفين	٥٠	كيفية تزيين الشيطان وتهوينه
السيئات والموبات	١٠	حالات الانسان إذا حمل على سريره	٥١	في تحقيق الصراط وبيانه
في تحقيق ذكر الله عز وجل	١٣	حالات الانسان بعد وضعه في القبر	٥٣	في تحقيق معنى الرجاء والخوف
الترجمة	٢١	في سؤال القبر	٥٨	الترجمة
<b>الفصل السابع</b>	٢٥	في ضغطة القبر وضمه	٦٠	في التذكرة بحال السلف والأمر
في صفة خلق الانسان	٢٥	فيما يجب ارتقاء ضغطة القبر	٦٣	بالكف عن المعاصي
اختلاف الشراح في كلمة أم في	٤٥	الترجمة	٦٩	في الحث على ذكر الموت
قوله ﷺ : أم هذا الذي «الخ»	٢٨	المختار الثالث والثمانون	٧١	الترجمة
ترتيب أحوال الانسان	٣١	في ذكر عمر وبن العاص ودفع تهمته	٧٣	تفصيل حالات الانسان عند موته
في تحقيق بدخولق الانسان	٣٦	الأوصاف الخبيثة التي اتصف		في تحقيق السؤال في القبر
وذكر شبهة المنكرين له ودفعها	٤٠	بها عمر وبن العاص وذكر الأئمّة		وذكر شبهة المنكرين له ودفعها

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
في ذكر بعض أوصافه تعالى	١٢٦	الوازدة في قبح الكذب	٧٦
في التذكير والموعظة والأمر		في نسب عمرو بن العاص	٨٠
بالطاعات والتحذير عن الخطئات	١٢٩	الأخبار المجعلة لعمرو بن العاص	٨٣
في النهي عن مجالسة أهل الهوى		ما فعله عمرو بن العاص وبسر بن	
والمعاصي وذكر بعض الأخبار		أرطاة - كشف العور: في صفين	٨٤
الواردة فيه	١٣٥	ذكر كلامه عليه على روایة غير	
في النهي عن الحسد	١٣٨	السيد «ره»	٨٦
في النهي عن العداوة والبغضاء		نقل كلام للشارح المعتزلي	
ونقل بعض الأخبار	١٣٩	واعتراضات المصنف «قد» عليه	٨٧
تحقيق الكلام في الكذب وأقسامه	١٤٢	تحقيق الكلام في جواز المزاح	
في الكذب الجائز الشرعي	١٤٨	وعدمه	٩٢
في الحسد وما ورد في قبحه من		ذكر طائفة من طرائف الكلم	
الآيات والأخبار	١٥٠	وظرائف الحكم	٩٥
ذكر الأسباب البايعة للحمد وهي		الترجمة	١١١
سبعة	١٠٠	المختار الرابع والثمانون	١١٢
ذكر سبب كثرة الحسد بين بعض		في ذكر بعض صفاته تعالى وفي	
الأفراد دون بعض	١٥٨	التذكير والموعظة ، وفي صفة الجنّة	
في معالجة الحسد	١٦٠	ذكر بعض صفاته تعالى	١١٥
الترجمة	١٦٥	في التذكير والموعظة	١١٨
المختار السادس والثمانون	١٦٧	في صفة الجنّة	١١٩
<b>الفصل الأول</b>		الترجمة	١٢٢
في شرح حال الكملين من عباد الله		المختار الخامس والثمانون	١٢٣
الصالحين	١٦٧	في ذكر بعض أوصافه تعالى	
		وفي التذكير والموعظة	١٢٣

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام عدم جواز البلى على أبدان النبي والأئمة عليهم السلام سر تسمية القرآن بالثقل الأكبر والعترة بالأصغر	٢٠٥ ٢٠٩ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٩	في بيان أوصاف عباد الله الصالحين المذكورة في الفصل الأول من المختار الترجمة	١٧٠ ١٧٨ ١٧٩
حديث ورود الأمة على النبي ﷺ يوم القيامة على خمس رايات جملة من مكارم أخلاق أمير المؤمنين ع	٢١٧ ٢١٦ ٢١٦ ٢١٩	<b>الفصل الثاني</b> في ذم العلماء السوء وشرح حالهم نقل الآيات والأخبار الواردة فيه الترجمة	١٧٩ ١٨٣ ١٨٨
شطر من كرامات العترة الطاهرة ومعجزاتهم عليهم السلام إعجاز عجيب لا يُؤمِنُ به ع	٢٢١ ٢٢١ ٢٢٤	<b>الفصل الثالث</b> في عترة النبي ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ وآتُهُم أعلام الدين	١٨٨
معجزة أخرى لا يُؤمِنُ به ع معجزة للصادق ع معجزة للجواد ع حديث البساط المعروف	٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨	في عترة النبي ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ وآتُهُم أزمة الحق وألسنة الصدق	١٩٥
معجزة أخرى لا يُؤمِنُ به ع الترجمة	٢٣٥ ٢٣٦	في الأمر بتعظيم العترة الطاهرة واجلالهم	١٩٦
<b>الفصل الرابع</b>	٢٣٧	كلام الفخر الرازي في آل النبي ﷺ	١٩٩
في بيان حالبني أمينة ومرة ملكهم الترجمة المختار السابع والثمانون في توبیخ الناس وذمهم على الاختلاف	٢٣٧ ٣٤٠ ٣٤٠ ٢٤٠	اعتراف المصنف «قد» على الرازي توجيه الحديث النبوى المشهور: أنه يموت من مات منا و ليس بميت «الغ»	٢٠١ ٢٠٢
		جواز الحياة على الأبدان الأصلية	

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
<b>الفصل الأول</b>	٢٨٥	نقل الخطبة على رواية الكافي	٢٤٩
في وصف الله تعالى	٢٨٥	توضيح الخطبة على ما نقل عن الكافي	٢٥١
معنى الحنان والمنان	٢٨٩	في شرح الخطبة وتفسيرها على سبيل الاحتمال	٢٥٣
تحقيق معنى البرزق	٢٩٢	الترجمة	٢٥٧
في أنَّ الرزق هل يقبل الزيادة	٢٩٤	المختار الثامن والتمانون	٢٥٩
والنقمان	٢٩٧	في الاشارة الى حالة الناس حين البعثة وأيام الفترة والتحذير من الغرور والفتنة	٢٥٩
جملة من صفات الله تعالى	٣٠١	في الموعظة والنصحية	٢٦٥
الترجمة	٣٠٢	نقل الخطبة على رواية الكافي	٢٦٦
<b>الفصل الثاني</b>		بيان ما نقل عن الكافي	٢٦٧
في تنبيه السائل على خطائه في سؤاله	٣٠٢	الترجمة	٣٦٦
في النهي عن التعمق في ذات الله	٣٠٧	المختار التاسع والتمانون	٣٦٩
تعالي وصفاته	٣١٣	في قدم الخالق وعظم مخلوقاته	٢٦٩
تفسير معنى القيد المحجوب	٣١٣	تحقيق الحجب والسرادات	٢٧٣
في عدم امكان معرفته تعالى	٣١٤	ذكر بعض صفاته تبارك وتعالى	٢٧٧
حق المعرفة	٣١٩	قصة أبي الدجاج وصدقته حديقته	٢٧٩
في أنه سبحانه جل شأنه عن مشابهته	٣٢٣	في ذكر نبذ من الأخبار الواردة	
مصنوعاته	٣٢٧	في محاسبة النفس وبيان كيفية	
الترجمة		المحاسبة	٢٨١
<b>الفصل الثالث</b>		الترجمة	٢٨٣
في دلائل قدرته وآثار تدبيره		المختار التسعون	٢٨٤

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
وحكمة في معنى المشية والاراده والفرق بينهما	٣٢٧	والقمر والتجموم مسخرات بأمره	٣٦٥
تحقيق أن المشية والارادة من صفات الفعل لا من صفات الذات	٣٣٩	الترجمة	٣٦٧
تحقيق الحديث المعروف الوارد في المشية	٣٤٢	الفصل الخامس	٣٦٨
الترجمة	٣٤٤	في صفة الملائكة	٣٦٨
في صفة الملائكة وبديع ما أودع الله فيها	٣٤٥	كلام ابن أبي الحديد في فصاحة كلام أمير المؤمنين عليه السلام	٣٧٦
في أن للسماء أبواباً في كون الليل والنهار آيتين وجعل القمر آية محمولة والشمس آية هبيرة	٣٥١	تفصيل الحجب و السرادقات	٣٧٨
في بروج الكواكب ومنازل القمر من منافع النجوم كونها رجوماً للشياطين	٣٥٧	وتحقيق معنى السبحات في صفة الملائكة و اختلاف صورهم	٣٨٠
طعن بعض الناس في كون النجوم رجوماً من وجوه وجواب الفخر الراري	٣٦٢	في صفة الملائكة و عصمتهم من الشك والاشتباه	٣٨٥
كلام الفخر في كون الشمس	٤٠٣	في صفة الملائكة و اختلف خلقتهم في صفة الملائكة و عبادتهم	٣٨٧
		أفضل من الملائكة	٤٠٠
		أفضل من الملائكة	٤٠٠
		الترجمة	٤٠٣









